المقدمة

بقلم
الأستاذ الدكتور عدي جواد الحجار
مدير مركز دراسات الكوفة
ورئيس اللجنة التحضيرية
العراق- النجف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين كما اهل للحمد وصلى الله على نبيه وحبيبه وصفيه على خلقه محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يعقد مركز دراسات الكوفة مؤتمره السابع عشر، بالتعاون مع أمانة مسجد الكوفة المعظم، في وقت، نتلمسُ فيه عظيم الحاجة، لاستدعاء الماضي ،الذي القى بضلاله وبشكل مؤثر وفاعل على حاضرنا ،حاضرنا الذي تمفصلت ابعاده الفكرية والسلوكية، على وفق المنتج الفكري لذلك الماضي، وكما لايخفى على الباحثين تعدد بواعث ذلك الفكر ،فتارة نجده نتيجةً لما أفرزته المعطياتُ النصيةُ المنظبةُ في ذلك الزمان، أو كان ذلك المنتجُ الفكريُ في حقيقته، إفرازا لحالة من الصراع السلطوي النفعي ،الذي يجعل من النص الديني متكأً له، لتحقيق غاياتٍ وأهداف بعيدةٍ في واقعها عن مقاصد الشريعة السمحاء، بل ومخالفةٍ لها دائما، وقد استمر الأمر على هذا الحال لأزمان متعاقبة، ما ولّدَ حالةً من الوعي تشكلت على هيئة المعارضة والصراع ، بغية الرجوع عن جادة الميل والهوى ، الى طريق الحق والصواب بين المتمسكين بطريق الحق وبين الخارجين عنه، وكانت صورَ هذا الصراع ؛وفي كثير من الأحيان؛ تصطبغ بلون الدم ورائحة الموت جاعلة من الموارد البشرية والمقدرات الاقتصادية؛ والمثل الدينية مادةً حاضرةً للاستهلاك والفناء ، مما تسبب في حدوث تصدّعٍ ؛يكاد يكون مستمرا في طول التجربة الاسلامية ،على أن ذلك لا ينفي وجود جوانب مشرقة في تلك التجربة الرائدة، ومن تلك الاشراقاتِ حاضرةُ الكوفة عاصمة الإيمان والحضارة والتي كان من ابرز سماتها التعايش السلمي بين أقوامها من العرب وغير العرب وبين المسلمين وغير المسلمين لفترات طويلة حتى أصبحت جمجمة الاسلام وكنز الايمان.....على لسان وصي رسول الله(ص)

لذا كان مؤتمرنا لهذا العام؛ تحت عنوان الكوفة عاصمة الإيمان والحضارة، لاستدعاء ماضي الكوفة وتحليل حال التّشكّلِ ؛والصيرورةِ لحاضرتها التي انتجت علما ورجالا على مر التاريخ، ودراسة هذه الظاهرة بأقلامِ وعقولِ علماءَ كبارَ وفي اختصاصات عدة للإفادة من تجربة تمصير الكوفة- واتخاذها عاصمة لخلافة أمير المؤمنين(ع)- في حاضرنا الذي نحن احوج ما نكون فيه الى التصالح مع انفسنا ومع الآخر.وهذا ما سيعمل عليه السادة الباحثون في بحوثهم العلمية لبيان الجوانب المضيئة في هذه الحاضرة الإسلامية العتيدة

وقد اشترك في في هذا المؤتمر ١٨٠باحثا

توزعوا على ١٣٠ بحثا

وقد رشحت اللجنة العلمية للمؤتمر ١٠٨

لـ ١٤٩ باحثا توزعوا على ٢٩ جامعة وكلية أهلية ومؤسسة تعليمية وعتبة مقدسة حيث امتدت مشاركة المشاركين على كامل خارطة الوطن بدءا من جامعة السليمانية وصولا الى جامعة البصرة طولا ومن جامعة ديالى الى جامعة الأنبار عرضا.

وما كان لهذا العمل أن يتوج بالنجاح ،لولا العمل الدؤوب للجان القائمة على هذا المؤتمر. العلمية والتحضيرية والاعلامية ولجنة التشريفات وباقي اللجان الاخرى ورعاية واشراف جامعة الكوفة والدعم الامحدود لشريكنا الأمين في توجهاته المخلص في أداءه بل شريك جامعة الكوفة في النشاطات العلمية الإنسانية واقصد بذلك أمانة مسجد الكوفة المعظم .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل الى كل من أسهم في انجاح هذا المؤتمر واخص بالذكر .

السادة الباحثين.

السيد رئيس الجامعة الدكتور محسن الظالمي المحترم

الأمانة العامة للعتبات المقسدسة والمزارات الشيعية ممثلة بالسيد موسى الخلخالي المحترم

أمانة مسجد الكوفة المعظم ممثلة بأمينها الأمين محمد مجيد الموسوي المحترم.

امانة الروضة الحيدرية المقدسة لرفدها المؤتمر بوسائل النقل واستقبال الباحثين
السادة رجال الإعلام الذين قاموا على تغطية وقائع الجلسة الافتتاحية
والى كل الجنود المجهولين؛ لهم منا الف تحية وسلام
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصل الله على محمد وال بيته الطيبين الطاهرين.

الكوفة عاصمة الايمان والحضارة

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي السابع عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

بالتعاون مع أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به

لسنة ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

الجزء الأول

المحور الثقافي

اعداد واشراف

أ.د.عدي جواد الحجار

تعريف الكتاب

اسم الكتاب .....بحوث مؤتمر الكوفة عاصمة الايمان والحضارة

اعداد وتصميم واخراج.....المهندس أسامة عادل محمد باقر الشماع

اشراف .....الاستاذ الدكتور عدي جواد الحجار

السنة .....٢٠١٨م -١٤٣٩هـ

اللجنة العلمية :

١.	أ.د.عدي جواد الحجار	رئيسا
٢.	أ.د. حسين لفته حافظ	عضوا
٣.	أ.د. رضا صاحب أبو حمد	عضوا
٤.	أ.د. عمار نصار	عضوا
٥.	أ.د. ستار الاعرجي	عضوا
٦.	أ.م.د. علي عباس الاعرجي	عضوا
٧.	أ.م.د. صباح كريم رياح	عضوا
٨.	أ.م.د. شكيب غازي بصري	عضوا

اللجنة التحضيرية للمؤتمر :

١.	أ.م.د. محسن عبود العبادي	رئيسا
٢.	السيد حسن علي الخلخالي	عضوا
٣.	السيد عادل غالب الياسري	عضوا
٤.	أ.م.د. فكري جواد عبد	عضوا
٥.	أ.م.د. عقيل جاسم دهش	عضوا
٦.	أ.م.د. حيدر غانم عبد الحسن	عضوا
٧.	أ.م.د. محمد علي محمد رضا الحكيم	عضوا
٨.	أ.م.د. عبد الهادي الشاوي	عضوا
٩.	أ.م.د. علي زهير الصراف	عضوا
١٠.	أ.م.د. وسام احمد شهاب	عضوا
١١.	م.د. محسن عدنان صالح	عضوا

فهرس البحوث

	المقدمة		١
ت	اسم الباحث	اسم البحث	الصفحة
١.	الأستاذ الأوّل المتمرّس الدكتور صاحب محمّد حسين نصّار	أثر الحكومة العلوية في توازن المجتمع الكوفي	٤
٢.	أ.د.صالح جبار القريشي	الخصائص الحضارية والثقافية لمجتمع الكوفة خلال القرن الأول الهجري	٢٥
٣.	أ.د. صباح حسن عبد الزبيدي	التعليم والتربية الإسلامية في الكوفة في عهد الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وتوظيفهما كموجهات تعليميه و تربوية في المستقبل	٤٣
٤.	أ.م.د. جليلة صالح العلاق أ.م.د. وسام أحمد شهاب المطيري	التفكير فوق المعرفي في خطب الإمام علي " عليه السلام " دراسة تحليلية	٧٣
٥.	أ.م.د. محمود صالح سعيد	المؤرخ التونسي هشام جعيّط ورؤيته للمدينة الاسلامية (الكوفة انموذجاً)	١١٩
٦.	أ.م.د. نايف محمد شبيب	النَخَعيون ودورهم في الحركة العلمية في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري	١٣٥

٧.	ا.م. فضيلة صبيح نومان الخزاعي	ملامح ومصادر الشخصية العلمية والفكرية للإمام علي (ع) وأثرها في المجتمع الكوفي	١٦٦
٨.	م. د. خمائل شاكر الجمالي	الدور العلمي والثقافي لمدينة الكوفة	١٨٩
٩.	م. د كريم حمزة حميدي العيساوي	الرسم القرآني المنسوب إلى مصاحف أهل الكوفة في كتاب "المقنع في رسم مصاحف الأمصار" لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ).	٢٠٣
١٠.	م٠د. عدنان حسن موسى سلمان العبيدي	دراسة الجانب الفكري والعلمي لمدينة الكوفة	٢٢٣
١١.	م. د.ريم هادي مرهج الذهبي م.د.غفران محمد عزيز الدعمي	مدينة الكوفة واهم مراكزها الثقافية خلال القرن الاول الهجري	٢٥٢
١٢.	م.م.طارق هداب جواد	الكوفة عاصمة العالم في زمن الظهور	٢٨٦
١٣.	باحث حسين جويد الكندي	الكنائس السريانية (النسطورية) واثرها في الحالة المعرفية والحياتية في الكوفة حتى القرن الحادي عشر الميلادي ـ الخامس الهجري	٣٠٤
١٤.	علاء عبد الرزاق	دور الكوفة في رسم معالم الهوية العراقية	٣٦٠
١٥.	الباحث احمد محمد الضمرة	الكوفة ودورها الحضاري في ازدهار العلوم الإسلامية	٣٨١

أثر الحكومة العلوية في توازن المجتمع الكوفي

الأستاذ الأوّل المتمرّس الدكتور
صاحب محمّد حسين نصّار

المقدّمة :

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الرسول الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

امتازت حكومة الإمام علي عليه السلام بعدد من المميزات جعلتها الأولى من تلكم الحكومات التي توالت على الأمة الإسلامية وغيرها مما حدا بالواقع أن يحتفي بهذه الحكومة والنظر إليها والإفادة منها بما يكون قدوة وأسوة .

ومن هنا ، فقد وقع الاختيار على كون موضوع الدراسة هو (أثر الحكومة العلوية في توازن المجتمع الكوفي) لما لها من مضامين وآليات وطرق في قيادة الأمة وصيرورتها مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[1] .

وقد انتظم البحث عن ذلك ضمن مقدّمة ومطالب ثلاثة وخاتمة لأهم النتائج التي توصل لها الباحث وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة .

فالمقدّمة اشتملت على بيان أهميّة الموضوع وسبب اختياره والأطر العامة لمنهجيّة الباحث في بحثه ، والمطلب الأول المعنون (أثر الحكومة العلوية في أنظمة التعايش) تناول السياسة المالية والداخلية وتربية الأمة والدعوة الى توحيد صفوف الأمة.

وكان المطلب الثاني (أثر الحكومة العلوية في الاستقرار السياسي) باحثاً عن أهم الخطوات التي اتبعها الأمام علي عليه السلام في بلورة استقرار الأمة متمثلاً باستقرار الكوفة وطبيعة معالجة الخليط البشري المتواجد فيها مضافاً لمعالجة العوامل الداخلية والخارجية والقيمية التي تحيط بحكومته عليه السلام .

أما المطلب الثالث فقد تناول (أثر الحكومة العلوية في الحفاظ والمحافظة على حقوق الناس والرعيّة بكافة تنوعها السكاني) .

وكانت الخاتمة مُستعرضة لأهم النتائج التي توصل لها البحث وأفرزتها معايير البحث العلمي ، وأخيراً مبيناً أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث .

والله ولي التوفيق

توطئة :

منذ بداية خلق البشرية وتكوّن أول مجتمع انساني توالت الحكومات على وجه الأرض وقد كان الإنسان دائماً ينادي بالحكومة العادلة التي تنصف أبناء شعبها. وتحققت هذه العدالة في عدد من الحقب الزمنية كما في زمن النبيين داوود وسليمان (عليهما السلام) وكذا في عهد تولي نبي الله يوسف عليه السلام للوزارةِ الفرعونية.

وقد حاول الفلاسفة منذ بداية التفكير الفلسفي للإنسان أن يستنبطوا قواعد وتوجهات تحدد شكل الحكومة التي تنهض بمسؤلياتها لخدمة الجميع . ولعل أشهر الأمثلة على ذلك افلاطون في جمهوريته حين نادى بان العدل في الأحكام وتقدم الشعوب لا يمكن ان يحدث الاّ في مجتمع يَحكمهُ الفلاسفة الذين هم نخبة المجتمع ولأنهم يتميزون بالحكمة والتفكير العميق من دون غيرهم من شرائح المجتمع .

وكذلك الفارابي الفيلسوف الإسلامي حين نادى بذلك عبرَ دولته الفاضلة . وتعد حكومة الإمام علي عليه السلام خير مثال لقيام حكومة الله في الأرض حيث تطابق في حكمه القول مع الفعل فيقول عليه السلام في بعض كلماته : ((وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الجائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق يقف بها دول المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة))[٢] .

وكذلك قوله عليه السلام : ((والله جعلني إماماً لخلقه ففرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وقلبي كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير بفقري ولا يطغى الغني بغناه))[٣] .

وحتى في تعامله مع اعدائه ففي معركة صفين رفض ان يقطع الماء عن جيش معاوية ويعاملهم بالمثل فقال مولانا عليه السلام : ((لا والله لا اكافئهم بمثل فعلهم))[٣] نجد في زمن حكم الإمام في حالات إعلان الطوارئ لا نرى اعتقالات عشوائية ولا أحكام عرفية ولا تفتيش مفاجئ ومداهمات للبيوت وكذلك لم يتبع الإمام أسلوب التقييد والإقامة الجبرية حتى مع أعدائه .

أما السياسة الإعلامية لحكومته فيقول الإمام عليه السلام : ((والصق بأهل الورع والصدق ثم صُنْهم على انه لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الإطراء تحدث الزهو

وتدني من العزة))[٤] . على وفق هذا الخطاب أمكن للإمام عليه السلام ان يؤسس أهم المبادئ الواقعية في خطاب الإعلام الإسلامي في الدولة التي حكمها مدة اربع سنوات واهم هذه المبادئ مكاشفة الأمة بما يدور في اروقة القرار السياسي الإسلامي ومصارحة الطبقات الشعبية جميعها بما يجول في خاطر القيادات من أهداف وطموحات تتصل بالإمامة.

وقد اهتم الإمام عليه السلام بتنظيم الشوؤن الداخلية للدولة فقد أسس نظام الشّرَطة وعَيّن أول رئيس للشّرَطة ، واهم المبادئ السياسية المتعلقة بالشوؤن الداخلية التي كانت متبعة في عهده المساواة في العطاء والمساواة امام القانون والمساواة في الحقوق والواجبات.

وأقام عليه السلام في زمن حكمه نظام (التكافل) او ما يسمى بـ(الضمان الاجتماعي) فقد كان يرعى ويهتم بنفسه بالأيتام والأرامل والمسنين والعجزة ولا ننسى قصته مع الشيخ الكبير الذي كان يرعاه ويطعمه بيده الكريمة .

وضمن هذا النظام الحياة الكريمة للجميع على حد سواء لافرق بين المسلم وغيره والشاهد على ذلك حين راى شيخا كبيرا مكفوف البصر يستعطي في الاسواق . وحين سال من هذا؟ قيل له انه نصراني فانكر عليهم هذا القول وامر ان يجرى له نصيب من بيت مال المسلمين. وايضا اصلاحاته القضائية فقد كان القضاء في تلك الحقبة يتمتع بالعدالة والحرية في اصدار الاحكام ولا يخضع لاي ضغوطات.

وكان الشعب يتمتع بحرية في جميع النواحي مثل الحرية في القول وحرية النقد حتى انظمة السجون فقد وضع نظاما مميزا لم يشهد له تاريخ الحكومات والدول مثيل إذ صنف السجون الى طبقات يسجن فيها المجرمون كل حسب جنايته وغير ذلك من الانجازات الكثير التي تحتاج الى موسوعات للبحث والدراسة في تلك الحقبة.

فحكومته عليه السلام كانت حافلة بالعديد من الانجازات بالرغم من عمرها القصير وكانت مثالاً للعدل الالهي في الارض ونحن اليوم في القرن الواحد والعشرين بامس الحاجة لمثل هذه القيادات لما تعانيه شعوب العالم لاسيما الشعوب الاسلامية من ظلم واضطهاد.

وسأحاول في هذه العجالة الإشارة إلى أثر حكومته العلوية في تأسيس وتشييد الحضارة الإسلامية ، وكما يأتي :

المطلب الأوّل : أثر الحكومة العلوية في أنظمة التعايش

أولاً : السياسة المالية

كانت السياسة المالية التي انتهجها الإمام (عليه السلام) امتداد لسياسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي عنى بتطوير الحياة الاقتصادية، وإنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء البلاد، بحيث لا يبقى فقير أو بائس أو محتاج ، وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعاً عادلاً على الجميع.

ومن مظاهر هذه السياسة هي :

١ – المساواة في التوزيع والعطاء، فليس لأحد على أحد فضل أو امتياز، وإنما الجميع على حدٍّ سواء.

فلا فضل للمهاجرين على الأنصار ، ولا لأسرة النبي (صلى الله عليه وآله) وأزواجه على غيرهم، ولا للعربي على غيره .

وقد أثارت هذه العدالة في التوزيع غضب الرأسماليين من القرشيين وغيرهم، فأعلنوا سخطهم على الإمام عليه السلام .

وقد خفت إليه جموع من أصحابه تطالبه بالعدول عن سياسته فأجابهم الإمام عليه السلام : ((لو كان المال لي لَسوّيتُ بينهم فكيف ، وإنما المال مال الله، ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ، ويضعه في الآخرة ، ويُكرّمه في الناس ، ويهينه عند الله))[٥] .

فكان الإمام عليه السلام يهدف في سياسته المالية إلى إيجاد مجتمع لا تطغى فيه الرأسمالية ، ولا تحدث فيه الأزمات الاقتصادية ، ولا يواجه المجتمع أي حِرمان أو ضيق في حياته المعاشية.

وقد أدت هذه السياسة المشرقة المستمدة من واقع الإسلام وهَدْيِه إلى إجماع القوى الباغية على الإسلام أن تعمل جاهدة على إشاعة الفوضى والاضطراب في البلاد، مستهدفة بذلك الإطاحة بحكومة الإمام عليه السلام

٢ – الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية ، وإنشاء المشاريع الزراعية ، والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان من أصول الاقتصاد العام في تلك العصور.

وقد أكد الإمام عليه السلام في عهده لمالك الأشتر على رعاية إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها.

فيقول عليه السلام : ((وليكُن نظرك في عِمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً))[٦].

لقد كان أهم ما يعني به الإمام عليه السلام لزوم الإنفاق على تطوير الاقتصاد العام، حتى لا يبقى أي شبح للفقر والحرمان في البلاد.

٣ – عدم الاستئثار بأي شيء من أموال الدولة، فقد تحرج الإمام عليه السلام فيها كأشد ما يكون التحرّج.

وقد أثبتت المصادر الإسلامية كون العاقل يحتاط لنفسه ودينه ، فقد وفد عليه أخوه عقيل طالباً منه أن يمنحه الصلة ويُرَفّهُ عليه حياته المعاشية، فأخبره الإمام عليه السلام أن ما في بيت المال للمسلمين، وليس له أن يأخذ منه قليلاً ولا كثيراً، وإذا منحه شيء فإنه يكون مختلساً.

وعلى أي حال فإن السياسة الاقتصادية التي تَبنّاها الإمام عليه السلام قد ثقلت على القوى المنحرفة عن الإسلام، فانصرفوا عن الإمام وأهل بيته عليهم السلام ، والتحقوا بالمعسكر الأموي الذي يضمن لهم الاستغلال، والنهب، وسلب قوت الشعب، والتلاعب باقتصاد البلاد.

ثانياً : السياسة الداخلية

عنى الإمام عليه السلام بإزالة جميع أسباب التخلف والانحطاط، وتحقيق حياة كريمة يجد فيها الإنسان جميع متطلبات حياته، من الأمن والرخاء والاستقرار، ونشير فيما يأتي إلى بعض مظاهرها :

١ – المساواة: وتجسّدت بـ

أ – المساواة في الحقوق والواجبات

ب - المساواة في العطاء

ج - المساواة أمام القانون

وقد ألزم الإمام عليه السلام عُمّاله وَوُلاته بتطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قوميّاتهم وأديانهم ، فيقول عليه السلام في بعض رسائله إلى عماله: ((واخفضْ للرعيّة جناحك، وابسط لهم وجهك ، وألِنْ لهم جنابك ، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة ، والإشارة والتحية ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك))[٧] .

أما الحرية عند الإمام عليه السلام فهي من الحقوق الذاتية لكل إنسان، ويجب أن تتوفر للجميع ، شريطة أن لا تستغلّ في الاعتداء والإضرار بالناس ، وكان من أبرز معالمها هي الحُرّية السياسية .

ونعني بها أن تُتَاح للناس الحرية التامة في اعتناق أي مذهب سياسي من دون أن تفرض عليهم السلطة رأيا معاكساً لما يذهبون إليه.

وقد منح الإمام عليه السلام هذه الحرية بأرحب مفاهيمها للناس، وقد منحها لأعدائه وخصومه الذين تخلفوا عن بيعته.

فلم يجبرهم الإمام عليه السلام ، ولم يتخذ معهم أي إجراء حاسم كما اتخذه أبو بكر ضده حينما تَخلّف عن بيعته

فكان الإمام عليه السلام يرى أن الناس أحرار، ويجب على الدولة أن توفر لهم حريتهم ما دام لم يخلوا بالأمن، ولم يعلنوا التمرد والخروج على الحكم القائم.

وقد منح عليه السلام الحرية للخوارج، ولم يحرمهم عطاءهم مع العلم أنهم كانوا يشكلون أقوى حزب معارض لحكومته.

فلما سَعوا في الأرض فساداً، وأذاعوا الذعر والخوف بين الناس انبرى إلى قتالهم حفظاً على النظام العام، وحفظاً على سلامة الشعب.

ثالثاً : الدعوة إلى وحدة الأمة

وجهد الإمام كأكثر ما يكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الأُلفة والمحبة بين أبنائها.

وعدَّ الإمام علي عليه السلام الأُلفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة فيقول عليه السلام : ((إنّ الله سبحانه قد امتَنّ على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الأُلفة التي ينتقلون في ظلها، ويأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن، وأجلُّ من كل خطر))[٨].

فقد عنى الإمام عليه السلام بوحدة الأمة ، وتبنّي جميع الأسباب التي تؤدي إلى تماسكها واجتماع كلمتها، وقد حافظ على هذه الوحدة في جميع أدوار حياته.فقد ترك حَقّه وسَالَم الخلفاء صِيانة للأمة من الفرقة والاختلاف.

رابعاً : تربية الأمة

لم يعهد عن أحد من الخلفاء أنه عنى بالناحية التربوية أو بشؤون التعليم كالإمام (عليه السلام)، وإنما عنوا بالشؤون العسكرية، وعمليات الحروب، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، وبسط نفوذها على أنحاء العالم.

وقد أولى أمير المؤمنين عليه السلام المزيد من اهتمامه بهذه الناحية، فاتخذ جامع الكوفة معهداً يلقي فيه محاظراته الدينية والتوجيهية.

وكان عليه السلام يشغل أكثر أوقاته بالدعوة إلى الله، وإظهار فلسفة التوحيد، وبَثّ الآداب والأخلاق الإسلامية مستهدفا من ذلك نشر الوعي الديني، وخلق جيل يؤمن بالله إيمانا عقائدياً لا تقليدياً.

فقد كان الإمام عليه السلام المؤسس الأعلى للعلوم والمعارف في دنيا الإسلام، وقد بذل جميع جهوده على إشاعة العلم ونشر الآداب والثقافة بين المسلمين، وكان دوماً يذيع بين أصحابه قوله: ((سَلوني قَبلَ أن تفقدوني، سَلوني عن طُرق السَّماء، فإني أبصَرُ بها من طُرُق الأرض))[٩].

المطلب الثاني : دور الحكومة العلوية في الاستقرار السياسي

قدمت حكومة الإمام علي عليه السلام إنموذجاً في الحكم والإدارة لم يشهد له التاريخ مثيلاً، إلا في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، فقد كانت تجربته عليه السلام، مليئة بالدروس والعبر على الرغم من قصر مدتها، ذلك أنها دخلت في مخاض عسير ، وفي تجارب جمّة ، لم تتوفر لأية حكومة أو لأي كيان سياسي خلال تاريخ الحكومات والدول في العالم.

فأصبحت هذه التجربة الفريدة من نوعها تمّد الباحثين الاسلاميين بل وغير الإسلاميين بالدروس والعبر الكثيرة في فن الإدارة والتعامل مع الأزمات .

وقبل أن نتناول هذا الموضوع نشير إلى تعريف مصطلح «عدم الاستقرار» في المفهوم السياسي، ولا نعني بالاستقرار، هو عدم وجود المشاكل والأزمات في حكومة ما ، بل الاستقرار يعني مواجهة الحد الاقصى للحوادث والأزمات، مع قدرة الحفاظ على الكيان السياسي، والاستمرارية في الحكم، وعدم تزلزل اركان النظام السياسي للدولة في أي حال من الأحوال.

أما «عدم الاستقرار» فيعني عكس ذلك تماماً، أي إن الحكومة غير المستقرة، هي الحكومة التي تنهار امام الحوادث والأزمات وتفقد قدرة استعادة السيطرة على الوضع.

أوّلاً : عوامل عدم الاستقرار في الكوفة

كان الإمام عليه السلام عليه السلام يعتمد اعتماداً كلياً على أفراد رعيته ، وكان يعدهم الذراع الأيمن لحكومته، فكان يقول لهم: «اني انتخبت الكوفة مركزاً للخلافة لعلمي بولائكم ومحبتكم للنبي صلى الله عليه وآله..» ، لكن لم يستمر هذا الولاء من قبل أهل الكوفة، بل انقلب الى فتن وحروب، ولم تكن الكوفة وحدها تختص بولائها للإمام عليه السلام، بل امتد ذلك إلى سائر البلدان. وقبل أن نتطرق إلى عوامل عدم الاستقرار في حكومة الإمام علي عليه السلام، يجب أن نُنبّه بأنه كانت هناك عدة عوامل وأكثر من أرضيّة واحدة لعدم الاستقرار آنذاك، ولكن الأمر الملفت للانتباه هو اجتماع هذه العوامل مع بعضها وتأثيرها المضاعف في الأمن والاستقرار.أما بالنسبة لهذه المؤثرات والعوامل فتنقسم إلى داخلية وخارجية وأخرى عوامل وأسباب قيميّة :

ثانياً : العوامل الداخلية

وهي التي نشأت من داخل المجتمع جراء اسباب كثيرة فكانت هي من أبرز بواعث عدم الاستقرار، مثل التركيبة النفسيّة والاجتماعية والاتجاه المادي والنزعة الماديّة السائدة آنذاك، ففي المجال الاداري كان الإمام يفقد كثيراً من الكادر الاداري الأمين الذي من الممكن ان يعتمد عليه، لأن الاتجاهات والوجوه البارزة إبان خلافة الرسول وما بعدها

شابها التغيير في الرؤى والمصالح، فتحولت من تمثيل المبادئ الى تمثيل المصالح المادية والدنيويّة والتكالب على السلطة.

ومن جانب آخر فإن الحقبة التي سبقت خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وبالذات في الأيام الأخيرة لعثمان ، تركت آثارها السلبيّة في المجتمع الاسلامي، فخلقت الفتن بأنواعهاكافة ، وعملت على ايجاد الانقسام بين المسلمين. فالسياسات القمعية والتعسفية التي اتبعها ضد اصحاب النبي الاكرم صلى الله عليه وآله ، وضد سائر المسلمين في الامصار ، والاستئثار بأموال المسلمين للمصالح الشخصيّة والأسرية ، وتنصيب الولاة غير الجديرين ، وغيرها، كانت من أهم تلكم العوامل الداخلية .

ومن جانب آخر فإن نزوح المعارضة إلى مركز الخلافة وإجماعهم على قتل عثمان بدون وجود أي مقاومة تذكر، هو بحد ذاته يشكل دليلاً صارخاً على وجود الانحراف في خلافة عثمان، فكان مقتله قضيّة أخرى ومؤشراً لتفاقم الوضع . ففي مثل هذه الظروف تسلّم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، زمام الخلافة الإسلاميّة، فهو عليه السلام كان يواجه مخلفات الوضع القديم ، ومتطلبات الوضع الجديد ، على أكثر من صعيد وفي أكثر من مجال داخل حكومته .

ثالثاً : العوامل الخارجيّة

نقصد بها ، موجات الحروب والفتن التي تمثلت بحروب وتآمر الفئات الثلاث ، أي القاسطين والمارقين والناكثين، واجتماع الطامعين والمنحرفين والمغرر بهم ضد الإمام ليشنوا الحروب ضد حكومته الفتيّة، فكان الإمام لا يرى منفذاً إلاّ الدفاع وقتال هؤلاء، مع قلّة إمكانياته في العدّة والعدد ، ومع فقدان روح الدفاع والقتال لدى جيشه. فهو يقول عليه السلام : ((فانتم عباد الله ، و المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لاحد على احد ، وللمتقين عند الله غداً احسن الجزاء و افضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين اجراً و لا ثواباً ، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم و لا يتخلفن احد منكم عربى و لا أعجمى ...))[١٠] .

يقول ابن ابي الحديد المعتزلي في هذا المجال: كان هذا الكلام يغضب المعارضين ويزرع في قلوبهم الضغائن والأحقاد تجاه الإمام أمير المؤمنين وبالنسبة لحالة الانسجام في

صفوف جيش الإمام عليه السلام، فقد ورد : إن أهل الكوفة ذهبوا مع الإمام الى «صفين» أخوة منسجمين في نصرته عليه السلام ولما عادوا تحولوا إلى أعداء لدودين.

رابعاً : العوامل القيميّة

كانت نظرة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، إلى المفاهيم السياسية نظرة قيمية ، فهو على خلاف بقية الحكام والسلاطين ، يجعل السياسة في خدمة الدين ، وليس العكس ومن هذا المنطق، لم يستعن الإمام في تسيير شؤون حكمه وإدارته السياسية بأساليب المكر والخداع، كما كان يفعل الآخرون الذين يمكرون ويخدعون وينقضون العهد والميثاق، فكان واضحاً عدم تنازل الإمام عن مبادئه وقيمه في سبيل تحقيق الاستقرار لحكمه، إذن فإن السياسة والحكم ليسا هدفاً عند الإمام عليه السلام، بمقدار ما هما وسيلة للوصول الى رضوان الله تعالى .

فعلى سبيل المثال ، عندما تولى الامام الخلافة ، بادر الى عزل معاوية من بلاد الشام ، في حين أشار اليه بعض وجوه القوم ، أن يؤخر هذا القرار الى حين ، حتى تستقر حكومته ويأخذ بزمام الامور جيداً ، وبعد ذاك بإمكانه عزله بمنتهى الهدوء وتفادياً للأزمة، ولكن الإمام أبى أن يبقي معاوية يمثل الدولة الاسلامية و والياً يتحمل مسؤوليته يوماً واحداً.

وفي قضيّة أخرى أحسّ الإمام برائحة التآمر من جانب طلحة والزبير، فعندما أرادا أن يغادرا الكوفة قالا نريد الذهاب إلى العمرة، فقال لهم الإمام عليه السلام ((إنما تريدان الغدرة)).

هذا التعامل لا يجدي في عالم السياسة، فالساسة والحكام يقضون على معارضيهم بمجرد الظن، فهم يمارسون العقوبة قبل وقوع الجريمة، فهذا معاوية يقول لشرطته: «خذوهم بالظنّة واقتلوهم بالتهمة»! فكانت تلك الأسس والمبادئ القيميّة والأخلاقية، والالتزام بها، تشكل مانعاً امام تحقق الاستقرار السياسي بالمعنى الظاهري لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام .

ولكن في الواقع ، هذا الأسلوب الفريد من التعامل مع المعارضين ، كان بحد ذاته مؤشراً واضحاً للاستقرار السياسي بالمعنى الحقيقي . وأكبر دليل تاريخي على ذلك ، عدم

وجود أي حركة معارضة في الدولة الاسلامية ضد حكم الامام عليه السلام ، وما حصل ليس لسياساته الداخلية ، بل لاغراض واهداف شخصية واضحة، مثل قضية «قميص عثمان» أو الطمع بالخلافة من قبل طلحة والزبير، بينما القاعدة الجماهيرية أو ما يسمى بـ (الشارع العام) ، كان يرى في حكم أمير المؤمنين ، كل الانصاف والعدل والكرامة . هذه الحقيقة اقرّ بها المؤرخون المسلمون وحتى غير المسلمين في دراستهم للحقبة السياسية التي تلت عهد الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله .

وبمعنى آخر ؛ لو لم يخرج طلحة والزبير الى البصرة ، بطمعهم في الحكم ، ولم ينخدع أنصاف المتدينين والمصلين بالمصاحف المزورة لعمرو بن العاص ، لكان بإمكان الامام علي عليه السلام، ان يوفر أروع اجواء الامن والاستقرار في الدولة الاسلامية ، وتكون المثال والأنموذج لنا ولكل العالم .

المطلب الثالث : أثر الحكومة العلوية في بلورة الحقوق

أوّلاً : بلورة حقوق الإنسان

تتجاذب الإنسان التوجهات والنظريات السياسية المتعددة الصادرة عن الشرق والغرب بما تحويه مضمون السياسة من القدرة على إدارة دفة الحكم وتسيير شؤون الناس، ومما يلفت نظر الإنسان – أيّ إنسان – سيرة أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في إدارته البلاد الاسلامية التي كانت آنذاك تضم أكثر من خمسين دولة حسب التقسيمات الحالية، بمعنى أنها دولة عظمى عدداً وعدة.

لكن لماذا حكومة علي (عليه السلام) ؟ ولماذا سياسة علي (عليه السلام) ؟ ولماذا إدارة علي (عليه السلام) ؟ ولماذا... يأتي جواب ذلك في أمرين :

الأمر الأول : لأن علياً عليه السلام مع القرآن والقرآن مع علي ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (الله أكبر.. الحمد الله الذي أنزل الآيات البينات في أبي الحسن والحسين) فهو الترجمان الحق للدين ولحكومة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولخلافة الله سبحانه في الأرض .

الأمر الثاني : ما جرى في أيام حكومته من أحداث جسام وفتن كبرى على الاسلام ، وقدرته الفائقة على إبطال مفعول تلك الفتن وفضح أصحابها للتاريخ والاجيال، فلا

نجد مثيله لا في التاريخ الغابر ولا الحاضر، أطوِ ما شئت وكيفما شئت من صفحات التاريخ، لن تجد مثل المزايا والصفات الرائعة والناصعة في جبين الدهر إلا في حكومته وحكومة أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبله ، وهنا سنذكر بعض تلك المزايا التي – بالفعل وبالقوة – تمثل خلافة الله سبحانه في الأرض، فمنها :

١ـ الأمن الاقتصادي

ورد عن أمير المؤمنين أنه قال : ((أ أقنع من العيش أن يُقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الحياة وأكون أسوة لهم في جشوبة العيش، ولعل في الحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشبع أو لا طمع له بالقرص))[١١] ؟ وكلمة (لعل) هي محور الحديث، إذ ذكر الإمام عليه السلام ذلك وهو مقيم بالكوفة عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك، والتي ينقل أرباب التاريخ أنها كانت تضم أربعة ملايين نسمة. وهذا يعني أن أمير المؤمنين عليه السلام كان متأكداً وقاطعاً من عدم وجود الجائع في الكوفة الحاوية لهذا العدد الكبير والدليل قوله (لعل) ، وهل هذا يدل على وجود جائع أو محتاج في الحجاز أو اليمامة في ظل حكومته ؟ الظاهر أيضاً من ذات الكلمة (لعل) أنه لا وجود لهذا الوصف في الواقع الخارجي لصدور ذلك من ثنايا المعصوم، والفرق ظاهر، وأن معناها ومرادها حين تصدر عنه عليه السلام وهو العالم بأمر الناس والولي والخليفة من الله جل وعلا عليهم، فقوله (لعل) يبدو منه أيضاً عدم الوجود. فهل ترى في جبين التاريخ أو في الحال الحاضر، وهل سمعت أذناك أو رأت عيناك دولة تظم أربعة ملايين نسمة لا يوجد فيها فقير أو محتاج أو من لا يملك منزلاً أو دابةً أو طعاماً أو غير ذلك، بل ربما يمكن ويصح القول أن هذا لا يمكن تعقله، لا أقل في زمننا الحاضر، بل حتى في مستقبلنا القريب! ومما يؤكد رغد العيش تحت ظل حكومته الإلهية قوله عليه السلام : ((ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً ، وإن أدناهم منزلة ليأكل البر ، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات))[١٢] .

٢- الحرية في حكومته عليه السلام

كانت الحرية في عهد الأمير مبسوطة كل البسط وعلى كل المستويات، سواءً الحرية العقائدية أم الثقافية أم السياسية، مبنية على أسس منها ((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك

الله حرا)) و ((الناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))[١٣] ولم يكن لها قيد أو شرط سوى (مالم تمس حريات الآخرين) وكنماذج لذلك :

الأنموذج الأول: الحرية السياسية

فقد ورد أن الإمام علي (عليه السلام) لم يقطع عطاء الخوارج من بيت المال على أنهم يمثلون المعارضة ، وكذلك ما نقله التاريخ أن عمر بن حريث مع سبعة نفر لما خرجوا إلى مكان يسمى الخورنق فخرج إليهم ضب وبايعوه بإمرة المؤمنين! ناكثين بذلك بيعة الإمام (عليه السلام) مستهزئين[١٤] ، ثم افلتوه فقدموا المدائن والامام (عليه السلام) يخطب في المسجد، فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام من فوق المنبر وقد قطع حديثه فقال : ((أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسر ألي ألف حديث... وأني سمعت الله جل وعلا يقول "يوم ندعو كل أناس بإمامهم" وأني أقسم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب ولو شئت أن أسميهم لفعلت ، فسقط عمر بن حريث على الأرض حياء ولؤماً))[١٥] .

فأنظر كيف تعامل زعيم دولة عظيمة مع أفراد ونماذج مثل عمر بن حريث وغيرهم، فبدلاً من يعاقبهم ويخزيهم أمام الملأ، فسح لهم أجواء الحرية ليبدوا آراءَهم بكل حرية شريطة أن لا يلحقوا الضرر بالآخرين.

الأنموذج الثاني : حرية المعتقد

كان اليهود والنصارى والمخالفين لإمامته عليه السلام ينعمون بحريتهم ويمارسون طقوسهم الدينية، فها هو عليه السلام الرئيس الأعلى للبلاد يدعو المسلمين إلى أن يقيموا نوافل شهر رمضان فرادى كما أمر بها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ولكن بعض المسلمين خالفوه وخرجوا بمظاهرات ضده (عليه السلام) ، فلم يجبرهم لا بالقوة ولا بغيرها على أتباع أمره بل أمر أن يتركوا ليفعلوا ما يشاؤون !! وهناك نماذج كثيرة تمثل صوراً بل أروع صور الحرية التي لم نسمع أو نرى لها مثيلاً لا في بطون الكتب ولا في بلدان الحرية والديمقراطية ولا في غيرها، حرية لا تطبق إلا عند أولياء الله وخلفائه.. فأين الساسة من هذه الصفات والميزات العظيمة؟

ثانياً : بلورة حقوق الرعيّة

استطاع الإمام علي عليه السلام أن يبلور حقوق الرعية قولاً وفعلاً وصياغتها بصياغة حضارية تنسجم مع جميع المعطيات الفكرية ، فها هو يُشير إلى تلكم الحقوق بما جاء عهده عليه السلام لمالك الأشتر :

((ثم اعلميا مالك اني وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرونمن امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون مثل ما كنت تقول فيهموانما يستدلُ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائراليك ذخيرة العمل الصالح بالقصد فيما تجمع وما ترعى به رعيتك، فاملك هواك وشح بنفسكعما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احببت وكرهت وأشعر قلبك الرحمةللرعية والمحبة لهم واللطف بالاحسان اليهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنمُأكلهم فإنهم صنفان : اما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الذللوتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك الذي تحبأن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك والله فوق من ولاك))[١٦] .

لقدكنت عظيماً في وصيتك ، وكيف لا تكون لان هذه الكلمات جاءت من اجل الناس وانصافحقوقهم وبعيداً من النزعات العنصرية ويدعو فيها الى التعايش السلمي واعطاء الحقوقبدون تفريق في الدين او النزعة وان هذا الدرس البليغ الذي دونه امير المؤمنين فيسجل التاريخ المشرق للإسلام بقي شامخاً على مر العصور ودرساً بليغاً في حقوق الانسان التي نادى بها علي بن ابي طالب منذ ذلك الوقت وقد سبق زمانه ونظرية أخلاقية كبرى بوجه سياسات ونظريات ومدارس ومناهج ازمنة العنف والتسلط والبطش وسفك الدم وعدم المساواة بين البشرية وبذلك فانه زرع البذرة الاولى في مكافحة التعصب العنصري او المذهبي وحيث ان النظرة المذهبية المتطرفة كانت من الأسباب المؤدية الى تصعيد الصراع بين الفرق المختلفة على مستوى الديانات الإسلامية او غيرها وقد كان من نتائج التعصب المذهبي المتشدد بروز منظمات إرهابية تحت اسماء عديدة والدين منها براء لانها جاءت لارهاب الفكر ومصادرة حرية الإنسان وإزهاق

روح الإنسان نفسه ولقد دفعت المصالح الخاصة للقوى الشريرة الى استثمار الشعارات والمقولات الدينية الملصقة زوراً في الدين لنيل مكاسب من وراء ذلك مثلما كان ذلك في الحروب الصليبية التي استمرت طويلاً وان التاريخ يعيد نفسه فلا تزال بعض الدول الإسلامية والعربية كالعراق يعيش هذا التوجه المتشدد والذي يبتعد من مبادئ الإسلام والدين الحق التي كان مثلها الأعلى الرسول الاكرم "ص" ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام موضوع البحث الذي انعقد البحث لأجله ، وفي الوقت نفسه هنالك توجه آخر يمثل الخط المعتدل والمتمثل بالمرجعيات الدينية الشرعية والتي تؤيد فكرة ونظرية امير المؤمنين والتي تحدثنا فيها في موضوع البحث وتريد ان يعم السلام والرفاهية لعموم الشعوب وترفض سياسة العنف والتعصب وتؤيد سياسة الانفتاح واشاعة روح المحبة والتعايش السلمي بين افراد المجتمع .

ولقد كانت نظرة الإمام بمواجهة مشكلة العصبية والسلطة والتسلط حينذاك نظرة ثاقبة وتاريخية شاملة لمعالجة كل المشاكل التي قد تنشب بين المذاهب والملل المختلفة فقدم دستوراً اخلاقياً رفيع المستوى يرتقي بالانسان الى تحقيق حياة افضل وتحقيق حقوقه المشروعة بدون انتقاص من قيمته وكيانه وحريته الشخصية وكذلك انتهج النظام السياسي المنهجي لحل كل مشكلات العلاقات بين القوى والفصائل والاطراف المختلفة ايدلوجياً وسياسياً وكان يرتكز على ركنين :

اولاً : ركن الاخوة الايدلوجية والسياسية وهو يتضمن وحدة المنطلقات ووحدة العلاقة وما يترتب على ذلك من تضامن .

ثانياً: وهو الاهم فهو تذكير السلطة العنجهية وان الانسان من مذهب آخر او طائفة هو يضرالانسان في الخلق وليس ثمة ما يتعالى به عليه فتكون للانسان صاحب السلطة حجة القمع والاستبداد والاستغلال ولقد كان تأكيد الامام على فكرة النظير في الخلق تضاهي فكرة الركن الاول (الاخوة في الدين) وتضع اساساً للديمقراطية في العلاقة بين جميع البشرمن مختلف الملل والنحل والاحزاب والطوائف والاقليات القومية وتحدد الاطار الحقوق يلحرية الاعتقاد وتلك الحرية التي لا يمكن ردعها وقهرها والتي سوف نمر عليها فيمابعد، ومن المؤسف حقاً أن نجد ان ابناء الدين الواحد قد يختلفون ويتفرقون في زمان

اومكان ما لسبب او لآخر وهذا بعيد كل البعد من نظرية الامام العادلة في هذا المجالوهي مستندة الى تعاليم السماء ﴿ يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾(١٧) .

الخاتمة والنتائج :

من الطبيعي أن يكون لكل بحث مجموعة من النتائج والمعطيات التي أفرزتها معايير البحث العلمي ، وتوصل إليها الباحث ، وكما يأتي :

١ـ الحكومة العلوية متمثلة بأمير المؤمنين عليه السلام تعد نواة النظام الحضاري والمعرفي في مختلف الميادين الحياتية .

٢ـ استطاعت الحكومة العلوية أن تزرع في قلب المسلمين بل البشرية أجمع مفاهيم صيرورة النظام الحضاري لمستقبل الأمة .

٣ـ رسخّت حكومة الامام علي عليه السلام أنظمة حقوق الإنسان ومبادئها وما يترتب عليها من آثار ومعطيات .

٤ـ لم تأتِ الى يومنا هذا – حكومة استطاعت إعطاء صورة واضحة لقيم ومبادئ الإنسان كما اعطتها الحكومة العلوية .

٥ـ تبلورت معالم وأدوار الولاة من خلال سلوكه عليه السلام وما أوصى به بعض أصحابه ، أمثال عهده لمالك الأشتر .

٦ـ لعل أبرز ما نظره وشرعه أمير المؤمنين عليه السلام في حكومته هو قوله المشهور ((وأشعر قلبك الرّحمة للرّعيّة والمحبّة لهم واللّطف بهم ، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ، فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدّين ، أو نظير لك في الخلق)) .

الملخص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الرسول الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

أتشرف بالمشاركة ببحثي المتواضع الموسوم بـ (أثر الحكومة العلوية في توازن المجتمع الكوفي) فقد كان المصدر الأساس في أغلب مطالب البحث ومقاصده نهج البلاغة والتأكيد على عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه .

امتازت حكومة الإمام علي عليه السلام بعدد من المميزات جعلتها الأولى من بين تلكم الحكومات التي توالت على الأمة الإسلامية وغيرها مما حدا بالواقع المعاش أن يحتفي بهذه الحكومة والنظر إليها والأخذ منها بما يكون قدوة وأسوة ومنهاجاً .

ومن هنا فقد وقع الاختيار على كون موضوع الدراسة هو (أثر الحكومة العلوية في توازن المجتمع الكوفي) لما لها من أهداف مضامين وآليات وطرق وأساليب في قيادة الأمة وصيرورتها مصداقا لقوله تعالى: ﴿ كنتم خير امة أخرجت للناس ....﴾[١٨] .

وقد انتظم البحث عن ذلك ضمن مقدمة ومطالب ثلاثة وخاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث فضلاً عن قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة ، وكما يلي:

أوّلاً : المقدمة

اشتملت على بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره والأطر العامة لمنهجية الباحث في بحثه وصيرورة تكوّن البحث ومعالجاته .

ثانياً : المطلب الأول

تناول المطلب الأول المعنون (اثر الحكومة العلوية في أنظمة التعايش) فقد تعرضت فيه لأهم الأمور المتعلقة بنظام التعايش التي سارت عليها حكومة الإمام علي عليه السلام من ملاحظة السياسة المالية لحكومته وكيفية الإنفاق ، مشيراً إلى أهمية النظام الداخلي للأمة وعملية التعايش، مؤكدا في الوقت ذاته على دوره عليه السلام في احتواء أطراف المعارضة في ذلك الوقت.

ثالثاً : المطلب الثاني

كان المطلب الثاني معنونا بـ (أثر الحكومة العلوية في الاستقرار السياسي) ويشير العنوان هنا إلى أهمية وأثر الإمام علي عليه السلام في استقرار الوضع السياسي في الكوفة على الرغم من وجود مشاكل متعددة وما يلحق بذلك ، كما أن العوامل الداخلية التي هي من رحم الأمة التي تحيط به كانت مثار جدل ونقاش مما دعا الإمام عليه السلام إلى احتوائها، ولملمة تلك الأسباب الخارجية والقيمية التي عصفت بالأمة الإسلامية إبان حكمه المبارك.

رابعاً : المطلب الثالث

جاء المطلب الثالث بعنوان (أثر الحكومة العلوية في بلورة الحقوق) وذلك بالإشارة إلى جميل صنعه عليه السلام في المحافظة على حقوق الناس والاهتمام بها متمثلة بكونهم مسلمين، أو مشتركين بالإنسانية مع المسلمين كالطوائف الديانات الأخرى ، وكما أشار لذلك هو عليه السلام بقوله : ((إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))[١٩] .

فحكومته عليه السلام كانت حافلة بالعديد من الانجازات بالرغم من عمرها القصير وكانت مثالا للعدل الإلهي في الأرض، ونحن اليوم في القرن الواحد والعشرين بأمس الحاجة لمثل هذه القيادات لما تعانيه شعوب العالم ولاسيما الشعوب الإسلامية والعربية من ظلم واضطهاد وتعسّف .

خامساً : الخاتمة ونتائج البحث

استطاع الباحث أن يصل إلى مجموعة من النتائج المهمة ويمكن ايجازها بما يأتي :

١ـ الحكومة العلوية المثالية متمثلة بأمير المؤمنين عليه السلام تعد نواة النظام الحضاري والمعرفي في مختلف الميادين الحياتية فقد أولى الإمام عليه السلام المزيد من الاهتمام بهذه الناحية، فاتخذ جامع الكوفة معهدا يلقي فيه محاضراته الدينية والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فضلا عن التوجيهية منها وبث الآداب والأخلاق الإسلامية ، فهنا تتوضح أهمية المسجد الجامع ليس على المستوى العبادي بل على كل المستويات .

٢ـ استطاعت الحكومة العلوية المثالية أن تزرع في قلوب المسلمين بل البشرية اجمع مفاهيم صيرورة النظام الحضاري لمستقبل الأمة، كونه نموذجا مثاليا في التشريع والقضاء، وخير مثال على ذلك ما حصل لشريح عندما تخاصم إليه علي واليهودي المتهم بسرقة الدرع، فاستقبال شريح القاضي عليا عليه السلام مرحبا ومكنيا له (أهلا بك يا أبا الحسن) فرفض الإمام عليه السلام ذلك بقوة وقرعه لئلا يشعر الخصم وهو في دار القضاء بالمحاباة في الحكم مما حدا باليهودي بعدما رسى السلوك الإسلامي الأصيل أن يعلن إسلامه واعتناقه الإسلام .

٣ـ رسخت حكومة الإمام علي عليه السلام أنظمة حقوق الإنسان ومبادئها وما يترتب عليها من آثار ومعطيات، وتوثيق ذلك حين رأى شيخا كبيرا مكفوف البصر يستعطي في

الأسواق سأل من هذا؟ فقيل له: نصراني فاستنكر عليهم هذا القول وأمرا أن يجرى له نصيب من بيت مال المسلمين.

٤ـ لم تأت إلى يومنا هذا حكومة استطاعت إعطاء صورة واضحة لقيم ومبادئ الإنسان كما أعطتها الحكومة العلوية، وخير مثال على ذلك تعامله مع أعدائه ففي معركة صفين رفض عليه السلام أن يقطع الماء عن جيش معاوية وأن يعاملهم بالمثل وقال عليه السلام : ((لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم)) .

٥ـ تبلورت معالم وادوار الولاة من خلال سلوكه عليه السلام وما أوصى به بعض أصحابه ، أمثال عهده لمالك الاشتر رضي الله عنه الذي كان نموذجاً دراسياً تطبيقياً لأغلب مناحي البحث.

٦ـ لعل ابرز ما نظره وشرعه أمير المؤمنين عليه السلام في حكومته هو قوله المشهور ((واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغنم أكلهم))[٢٠] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الهوامش :

(١) آل عمران / ١١٠ .
(٢) نهج البلاغة ، جمع وترتيب الشريف الرضي ، تح : محمد عبده ، المطبعة : النهضة – قم ، ط ١ ، ت ، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه : ١٤١٢ هـ : ١٨٩ خطبة ١٣١ .
(٣) الوافي ، الفيض الكاشاني ، طبع ونشر : دار علقمة – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢٨ هـ : ٣ / ٦٥٦ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) جامع احاديث الشيعة ، السيد حسين البروجردي ، المطبعة : زنكن – قم ، ط ٣ ، ت : ١٤٢٣ هـ : ١٧ / ٣٣٢ .
(٥) مستدرك سفينة البحار ، علي النمازي الشاهرودي ، طبع : دار الرضا – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢١ هـ : ٩ / ٤٧٦ .
(٦) مستدرك الوسائل ، الميرزا حسين النوري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط ١ ، ت : ٢٠٠٧ م : ١٣ / ١٥٤ .
(٧) نهج البلاغة ، جمع وترتيب الشريف الرضي ، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر رضي الله عنه : ٣ / ٧٦
(٨) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، طبع ونشر : مؤسسة ال البيت – قم ، ط ٢ ، ت : ١٤٢٩ هـ : ٤ / ٤٥٦ .
(٩) الفوائد الطوسية ، الحر العاملي ، مكتبة الهلال – قم ، ط ٣ ، ت : ١٤٣١ م: ٢٦٨ .
(١٠)الصحيح من سيرة الامام علي ، مرتضى العاملي ، دار الزهراء – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٣١ هـ : ٢٠ / ١٦ .
(١١) نهج البلاغة ، جمع وترتيب الشريف الرضي ، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه : ١٤١٢ هـ : ٣ / ٧٢ .
(١٢) مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر اشوب ، المطبعة : الحيدرية – النجف ، بلا ط ، ت : ١٩٥٦ م : ١ / ٣٦٨ .
(١٣) نهج البلاغة ، جمع وترتيب الشريف الرضي ، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه : ٣ / ٧٦ .
(١٤) من حياة الإمام علي ، باقر شريف القرشي ، دار صادق – قم ، ط ٢ ، ت : ١٤٢٧ هـ : ١ / ٣٤٢ .
(١٥) الاختصاص ، الشيخ المفيد ، طبع ونشر : مؤسسة احياء تراث الشيخ المفيد ، ط ١ ، ت : ١٤٣١ هـ : ٦٤٥ .
(١٦) نهج البلاغة ، جمع وترتيب الشريف الرضي ، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه : ٣ / ٧٨ .
(١٧) الحجرات / ١٣ .
(١٨) آل عمران / ١١٠ .
(١٩) نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه : ٣ / ٨٤ .
(٢٠) نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه : ٣ / ٨٤ .

أهم المصادر والمراجع :
خير ما نبتدئ به القرآن الكريم
١ ـ الاختصاص ، الشيخ المفيد ، طبع ونشر : مؤسسة احياء تراث الشيخ المفيد ، ط ١ ، ت : ١٤٣١ هـ
٢ ـ جامع احاديث الشيعة ، السيد حسين البروجردي ، المطبعة : زنكن – قم ، ط ٣ ، ت : ١٤٢٣ هـ .
٣ ـ الصحيح من سيرة الامام علي ، مرتضى العاملي ، دار الزهراء – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٣١ هـ .
٤ ـ الفوائد الطوسية ، الحر العاملي ، مكتبة الهلال – قم ، ط ٣ ، ت : ١٤٣١ م .
٥ ـ مستدرك الوسائل ، الميرزا حسين النوري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط ١ ، ت : ٢٠٠٧ م .
٦ ـ مستدرك سفينة البحار ، علي النمازي الشاهرودي ، طبع : دار الرضا – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢١ هـ .
٧ ـ من حياة الإمام علي ، باقر شريف القرشي ، دار صادق – قم ، ط ٢ ، ت : ١٤٢٧ هـ.
٨ ـ مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر اشوب ، المطبعة : الحيدرية – النجف ، بلا ط ، ت : ١٩٥٦ م .
٩ ـ ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، طبع ونشر : مؤسسة ال البيت – قم ، ط ٢ ، ت : ١٤٢٩ هـ .
١٠ ـ نهج البلاغة ، جمع وترتيب الشريف الرضي ، تح : محمد عبده ، المطبعة : النهضة – قم ، ط ١ ، ت ، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه : ١٤١٢ هـ .
١١ ـ الوافي ، الفيض الكاشاني ، طبع ونشر : دار علقمة – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢٨هـ.

الخصائص الحضارية والثقافية لمجتمع الكوفة خلال القرن الأول الهجري

أ.د.صالح جبار القريشي
أستاذ الدراسات العليا والأولية في جامعة الكوفة – كلية الفقه

مقدمة البحث :

أن دوافع الرغبة لدى كل أُمةٍ من الأمم أو شعبٍ من الشعوب مهما تكن لغته أو لونه أو اتجاهاته الحضارية في إستنهاض عوامل الحضارة لديه وخَلْقِ حالةٍ من الرقي والتطور لأفراده تُعَدُّ من أهم سبل النهوض ضد عوامل النكوص والتقهقر والعرقلة لتقدم تلك الأمة أو ذلك الشعب.

كما ان وسائل الإسراع في الانخراط ضمن مسالك ذلك التطور يُعدُّ رغبة جامحة لدى هذه التجمعات البشرية لتحافظ على أُسس بناء ذلك التراث لديها، فتراث الشعوب وثرائها الفكري من أهم مسببات التسريع الحضاري الذي يعد إحيائه حالةً صحيةً تتميز به الأمم الزاحفة نحو ركب الحضارات لكسب عوامل الزمن في الهيمنة على أعلى مراتب النجاحات التي تمكنها من فرض هيمنتها القيادية في احتجاز عناوين ذلك الرقي التي تنقلها إلى مراتب متقدمة من انتصاراتها بهذه المجالات.

والمجتمع الكوفي ومنذ الحقب الزمنية الموغلة بالقدم يعد واحداً من المجتمعات التي كتب لها النجاح والتميز والتمكن من إعتلاء صهوة المجد وقهر عوامل التقهقر الحضاري أو الرجوع إلى الخلف، فقد سجَّل هذا المجتمع أرقاماً لا بأس بها من الاعتلاء وارتقاء سلالم المجد قبل غيره من الأمم رغم العوائق التي واجهته.

لقد استطاعت (الكوفة) ان تبني صرح مجدها برجالها الذين غاصوا مجاهدين مضحين في سبيل إحياء مجدهم وتراثهم، حيث ارتقى هؤلاء الرجال سلالم المجد والسمو والاصطفاف معاً من أجل كسب الظروف القاهرة واستعدادهم لقبول المنازلة التي من شأنها وضع مدينتهم بالمكان اللائق وموقعه المرموق.

أن خصال هذا المجتمع قد رافقتها ظروف غاية في الإشكالات والصعاب التي لو عُرِّض لها غيره من المجتمعات سواء كانت على المستوى العسكري أو السياسي أو الاقتصادي لنخرت قواه وأردته ضحية لا حراك فيها، ولأصبح مجتمعاً ينوء من ثِقَل الكوارث التي لا يمكن ان توصله إلى طريق النجاة.

ونظراً لتمتع (الكوفة) بموقع استراتيجي متميز قد لا يتوفر لغيرها من الأمصار مما فتح الآفاق أمامها في كسب سمعتها اللامعة بين المواقع والبلدان وعلى مختلف الأصعدة سواء كانت دينية أم عسكرية أم إدارية أم اجتماعية حيث ان هذه الاتجاهات منحتها صِبْغةً لَمعَ من جرّائها اسم (الكوفة) في سماء الرقي والتقدم والازدهار.

وتدور الأحداث و(الكوفة) تتعرض إلى العديد من العوامل التوقيفية لعجلة حضارتها بسبب الحقد والحسد عليها كونها استحلَّت المراكز الأولى في التقدم بكل جوانب الحضارة، لذلك فقد اشتغل المناوئون لمجدها بوضع عُصِيِّهم بعجلة تقدمها لعرقلة وصولها إلى مكان تقدمها المرموق.

ولعل تفرُّدها بميزات تفتقر إليها بقية الأمصار، جعل منها مدينة تتعرض باستمرار لأعتى وأقسى محاولات الإقصاء وإبعادها عن ركب الحضارة بسبب هذا التفرُّد الذي اشرنا إليه .

لذلك كثرت الإساءة اليها من قبل الأعداء وحوربت بأنواع الأسلحة، فكثرت حروبها، وقُتِّلت رجالها، وقُيِّضت حدودها، واستلبت خيراتها، ونهبت أموالها، وقيل ما قيل من وصف كاذب وتدليس وجور مقيت بحق أهلها الذين أحبهم أمير البيان أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبنائه الميامين من بعده (عليهم السلام) .

فكان حقاً علينا كباحثين منصفين ان نُكثِرُ من الاهتمام ببقعة اتخذها الإمام علي (عليه السلام) عاصمة لمجد الإسلام لتكون بحق : ((رمح الإسلام وجمجمة العرب وكنز الإيمان)).

وبناءً عليه فقد نضع أمام القارئ الكريم بحثنا المتواضع هذا ليجد من خلاله حالةً مشرقةً لهذه المدينة المعطاء على مر الدهور، هذا البحث الذي يحمل بين طياته المفاهيم التالية:

١- المبحث الأول: جوانب التميز الفكري لمجتمع الكوفة لما بعد عصر الرسالة، وقد اشتمل على مضامين وأبعاد الثقافة والفكر والتطلع لدى الكوفيين آنذاك ودور المراكز العبادية والعلمية في إحياء عوامل التطور، وأثر ذلك في ترصين الواقع الاجتماعي لسكان مدينة الكوفة وتمتين اقتصادها من خلال تعاون الشرائح الاجتماعية المختلفة في الحياة العامة على وفق نظرة الدين الحنيف.

٢- المبحث الثاني: وقد تضمن بياناً في جوانب التطور بمجال الاعمار لمدينة الكوفة خلال القرن الأول الهجري

٣- المبحث الثالث: واشتمل على إيضاح تطور (الكوفة) في شتى مجالات العلوم ومنها علوم التفسير واللغة وعلوم الحديث وعلى وفق المناحي التالية.

أ-استعداد المجتمع الكوفي لتقبل الجديد في الانفتاح على العالم كونها بيئة نموذجية مناسبة لذلك.

ب-تطور الكوفة عسكرياً بسبب كونها مكاناً تتوافر فيه ضوابط المدينة المتكاملة

ج-المجالات الإبداعية لخلق رعيل من فحول المفسرين والمحدِّثين والعلماء.

بعد ذلك ختمنا البحث بأهم نتائجه التي توصل اليها .

وفقنا الله لنيل رضاه وخدمة العلم والسير على وفق منهجه وسلك طريقه .

المبحث الأول : جوانب التميز الفكري لمجتمع الكوفة فيما بعد عصر الرسالة ومردوداته الايجابية

مما لا يخفى على كل ذي لب بأن (الكوفة) قد تحوَّلت إلى اكبر مركز إسلامي ثقافي في زمن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث إنتقلت إلى أوسع مركز مهم للتشيُّع، وقد تأثرت (الكوفة) إبان تلك الفترات بفكر أهل البيت (عليهم السلام) فيما بعد ولاسيما الفكر الصادقي الذي تفجر على يد الإمام السادس من أئمة أهل البيت وهو الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، حيث عاشت الكوفة في زمن الصادق (عليه السلام) بأعلى صور النقاء الفكري حيث إنتعشت فيها صور المعرفة والبحث العلمي الذي كان الإمام الصادق (عليه السلام) امتداداً لعصر جده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في هذا الانتعاش الفكري والثقافي والمعرفي عموماً.

كما ان توافر أسباب هذا الانتعاش أدى إلى بزوغ شمس المعرفة والفكر في أرجاء الكوفة بسبب الحضور الجماعي لأساطين العلم والمعرفة العلمية والأسر النابغة المعروفة بعلمها وثقافتها، وقد تمثل هذا التطور العلمي على يد ألمع الرجال الذي مثلوا هذه الأسر أمثال أسرة آل أعين العربية الأصيلة التي ساهمت مساهمة فعالة في تطور ونشر علوم الحديث فيها، إضافة إلى الاثار الايجابية الأخرى التي تركها وجود مرقد الإمام علي (عليه السلام) فيها

مما ساعد على كثرة الجموع العلمية الوافدة إلى الكوفة ونشوءها كمركز علمي احتل المقدمة بين المراكز العلمية المنتشرة بالعالم آنذاك والى يومنا هذا.

لقد ساهمت (الكوفة) برجالها واساطينها العظام على صناعة جوٍّ ملئه التباحث والتحاور والتدارس بين الطلبة والباحثين وطلاب المعرفة من كل حدبٍ وصوب.

لقد كانت (الكوفة) تمثل مركز الثقل للتشيع لأنها كانت المعقل الرئيس لركب آل محمد (عليهم السلام) إذا قورنت مع المراكز المعرفية والعلمية المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي الأخرى كبغداد والبصرة والمدينة واليمن وجبل عامل والري وقم ونيشابور والأهواز وخراسان وهمدان وكركان وغيرها.

لقد كان لأساطين العلم من رجالات الكوفة دور كبير في إحياء علوم أهل البيت (عليهم السلام) لارتباطهم مع أهل البيت (عليهم السلام) عقائدياً من جهة، ولقرب الكوفة من الحجاز الذي يعد معقلاً لحضور ائمة أهل البيت (عليهم السلام) من جهة أخرى، وكان لذلك دور كبير في إحياء الحركة العلمية بشكل جلب الأنظار إليها، ما دعى إلى مضاعفة الأعداد تدريجياً لرواة الحديث حتى أصبح عددهم يضاهي الأعداد لمدارس الحديث الأخرى بأجمعهم إن لم يكن يفوقهم، فصارت سلسلة أسانيد روايات الحديث تشكل عدداً كبيراً والذين مثّلوا مدرسة الكوفة الحديثية، وأصبحت الكوفة يشار إليها بالبنان كمدرسة حديثية متميزة.

وكان لمدرسة الحديث الكبرى في الكوفة والمتمثلة بـ(مسجد الكوفة) أكبر الأثر في صناعة التطور الحديثي الذي شهد له القاصي والداني فأصبحت (الكوفة) مركزاً لنشر الروايات وتدريس مشايخ الحديث[1].

وبذلك صارت الكوفة معقلاً مرموقاً لمحدثي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) حيث عاش في أروقتها مئات العلماء الشيعة مما دفع عدَّها مركزاً رئيساً للتشيع في العالم، ولذلك كان المسار العام عند العلماء آنذاك أنه إذا أريد تعريف شخص بأنه (شيعي) فإنهم ينسبونه إلى الكوفة ويقولون عنه أنه كوفي المذهب[2].

لقد قلب تواجد الإمام علي (عليه السلام) على أرض الكوفة موازين القوى في خلق انتقالة جديدة في الحضارة والفكر، حيث كان لبصماته أكبر الأثر في إرساء الجذور الأساسية لقاعدة عريضة من المعرفة على المستويات كافة ويظهر ذلك جلياً من خلال قوله (عليه السلام) لكاتبه عبد الله بن أبي رافع: ((ألْقِ دَواتك، وأطل جلفة قلمك، وفرِّج بين السطور، وقَرْمِطْ بين الحروف فإن ذلك أجْدَرُ بصباحة الخط))[٣].

وكذلك قوله حينما كتب إلى عماله: ((أدِقّوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني...)) [٤].

وإذا دققنا النظر بهذه الروايات وأمثالها فإننا نجد فيها البعد الصائب لترصين وبناء ورسم الخارطة الحقيقية للموسوعة الفكرية العالية المضامين التي أرساها بكوفته الغراء إبان تلك الفترة التي كانت الكوفة بأمس الحاجة اليها للخروج من عنق الزجاجة.

حيث كان (عليه السلام) يحرص أشد الحرص على صيانة العلم والمعرفة ورفد القاعدة الأساسية لبناء حضارة عريقة واسعة الأفق ورصينة المضامين.

ويقول أستاذنا الكبير البروفيسور الأول المتمرس الدكتور محمد حسين علي الصغير بهذا الصدد بأن الفضل يعود بالدرجة الأولى إلى آثار القرآن الكريم ولغته الشريفة التي انطلقت أصالتها الكبرى من الكوفة وبابل وأن البشرية قد تدفقت في الكون منها[٥]، حيث ((أن انطلاق حضارة العالم كان من الكوفة الغراء وأرض الرافدين)) [٦].

وتشير الأحداث والوقائع التي مرت بها الكوفة إلى اهتمام المسلمين فيها ببناء المواقع العلمية بواحتها إضافة إلى عدِّها موقعاً متميزاً لحكومتها وحفظ مالها وعسكرها وطعامها وسلاحها.

فكان (مسجد الكوفة) متمثلاً بالاتجاه نحو هذه المناحي للمدينة لانشاء مركز ثقافي إسلامي متمثلاً بجامعها الكبير الذي صار رمزاً لجامعتها العلمية فيما بعد.

وبما أن للمعابد أكبر الأثر في نفوس المسلمين فكان لهذا المسجد قدسية كبيرة في نفوسهم، وكان له الأثر الكبير في بداية تخطيط الكوفة[٧].

فكان مركزاً علمياً دينياً روحياً سياسياً اجتماعياً وثقافياً[٨]، مما دعى إلى عدِّه مدرسة حضارية كبرى ومحطاً مرموقاً لأنظار المسلمين، كونه يمثل رمزاً للدولة الإسلامية[٩].

لقد أصبحت الكوفة إبان فترة خلافة الإمام علي (عليه السلام) مهداً للشيعة[١٠]، بل حاضرة لخلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١١]، ثم من بعده لخلافة ابنه الحسن (عليه السلام) وهي الخلافة التي اتسمت بقصرها زمنياً[١٢].

المبحث الثاني: جوانب التميز المعماري للكوفة إبان القرن الأول الهجري

أن الإشارات التاريخية لجوانب التطور المعماري والهندسي الذي رافق إنشاء الكوفة يؤشر على مدى عمق التطور الفكري في مجالات الأعمار والهندسة وفن البناء الذي دلت عليه الآثار التي لا تزال شاخصة إلى يومنا هذا وفي هذه المجالات الكبرى .

ولعل سلامة البيئة وجمال الموقع الذي تميزت به الكوفة كان مدعاة لنجاح عمليات الفنون بكل اتجاهاتها سواء كانت عمرانية أم هندسية أم اجتماعية أم اقتصادية، حيث كان لتوفر منابع الثروة الفكرية والمالية معاً دفعاً لأن تكون هذه المدينة من المدن التي يشار لها بالبنان في التطور السريع نحو مفاصل الحياة عموماً.

لذلك عُدَّت الكوفة أنموذجاً متقدماً لنشوء الأمصار آنذاك ومثالاً متطوراً لنجاح تلك المحاولات التي تقدمت على وفق ثوابتها من البلدان والمدن، حيث ان عذوبة مائها وطيب هوائها وتوافر بيئتها المناسبة دفعت العرب إلى اتخاذها مسكناً[١٣]، كما عدَّ صاحب المسالك والممالك الكوفة من خطط قبائل العرب وأكد بأن هوائها أصح ومائها أعذب من ماء البصرة وهي على الفرات ... وقريب من الكوفة قبر علي(عليه السلام)[١٤].

وبناءً على جماليات هذه المناحي فقد أطلق عليها أسماءاً تنم عن الإفصاح عن تميزها حضارةً وفكراً، ومن هذه الأسماء (خَدْ العذراء) لجمالها، حيث طيب زرعها إذ كانت الخزامى تنبت في تربتها الطيبة وكذلك الأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق[١٥].

ويرى الدكتور يوسف خليف أن الخليفة عمر بن الخطاب قد أدرك بثاقب فكره أهمية العامل الجغرافي في اختيار البيئة التي تصح لنزول العرب المجاهدين الذي طالما حرص

ان يظلوا محتفظين بنشاطهم وحيويتهم وقوتهم التي خرجوا بها من الصحراء، وأدرك أيضاً أنه لا تصلح لهم إلا بيئة جغرافية تشبه البيئة التي خرجوا منها[١٦].

ولكن الأمر ليس كذلك إذ إننا نخالف ما ذهب اليه الدكتور خليف إلى ان الخليفة عمر أدرك انه لا تصلح لهم إلا بيئة جغرافية تشبه البيئة التي خرجوا منها لنقول ان دوافع عمر الأساسية لتمصير الكوفة هو إنشاء مدينة تختلف تماماً عن المدن التي خرج منها المجاهدين وسوف لن يتم ذلك إلا باختيار مدينة خالية من عوامل الاختلاط البيئي إضافة إلى مدينة تخلو حتى من البقّ والقوارض، حيث وقع الاختيار لتوافر تلك الثوابت التي رآها الخليفة على أرض الكوفة لنهوضها بشروط إنشاءها كما رآها الخليفة عمر.

ولعل توافر تلك الظروف المناسبة كان مدعاةً بالدرجة الأساس إلى تغيير ما تم بناؤه من بيوت الكوفة من مادة القصب المعرِّضةِ لعوامل التهتك والانهيار وعدم القدرة بهذا النوع من البناء على مواجهة الظروف الصعبة كالرياح والأمطار وارتفاع مناسيب المياه، إضافة لتعرض هذه المادة إلى الاشتعال والحريق بأية لحظة كانت، وفعلاً حدث ذلك فقد شبَّ حريقٌ في تلك البيوت القصبية فاحترق ثمانون عريشاً ولم يبق فيها قصبة[١٧].

إن الإقبال على الكوفة والسكن فيها كان يعود لعدة أسباب تجتمع في كونها مدينة تتوافر فيها شؤون الحياة التي تدعو إلى كونها أنموذجاً متقدماً لمضامين التطور والابداع الفكري، حتى أخذت في النهاية صورتها التي نعرف لها في تاريخ الحضارة الإسلامية[١٨].

وقد عبَّر المؤرخ الكبير اليعقوبي بهذا الصدد بأنها ((مدينة عامرة جليلة)) [١٩]، على حد قوله.

ولأن الكوفة تعد معقلاً لاهتمام نظرة الدولة الإسلامية وبالتركيز تلك التي تتأتى من خلفاء العصر الراشدي وبالذات اتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية من قبل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، كل ذلك دعى ان يكون المنحى لانشاءها منحىً إسلامياً يتجذر من خلاله الأبعاد الصادقة للشريعة الإسلامية ومقاصدها المقدسة، فكان تأسيس المسجد فيها أول اهتمامات الحكومة الإسلامية كون ما للمساجد والمعابد من قدسية كبيرة في

نفوس أهلها والوافدين إليها، لذلك كان المسجد أول ما تم تخطيطه فيها وكان مركزاً يمثل اتجاه الإسلام بمعناه الحقيقي والى يومنا هذا.

وقد بدأت بوادر إنشاء جامع الكوفة ومسجدها المعظم بصدور أوامر سعد بن أبي وقاص للسائب بن الأقرع الثقفي وأبي الهياج بن مالك الأسدي، إضافة إلى توجيه أحد الرجال الرماة لتنفيذ الأمر[٢٠].

حيث قام هذا الرجل الرامي برمي أربعة سهام إلى الجهات الأربع لتحديد مواقع المسجد المترامية، وفي هذا إشارة نستنتج منها بأن المسجد المقام فيها حالياً ليس على السعة التي أقيم بها سابقاً حيث تشير النصوص بمعانيها إجمالاً أن مساحة المسجد ربما تكون أضعاف مساحته الحالية، حيث السهم المرمي من قبل الخبير بشؤون الرماية إنما قد يصل إلى (٥٠٠) متر أو ربما أكثر كما تشير نتائج المعارك الطاحنة التي ينقل لنا التاريخ تفاصيل حدوثها.

وعلى هذه المساحة التي قد لا نراها متناسبة مع ما رسم لها من قبل المختصين آنذاك أُقيم المسجد وبجانبه دار الإمارة وبيت المال الذي أقيم مقابلاً للمسجد[٢١].

وبهذه المواصفات يستمر كادر الأعمار الذي تمتلكه الدولة آنذاك بإجراءات بناء دار الدولة، حيث يذكر لنا البلاذري بأن دار الأمارة إنما تمَّ إنشائه في الفضاء المتصل بالمسجد[٢٢]، كما ذكر الطبري بأن سعداً ((قد بنى في الموقع الذي خطّوا فيه للقصر قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم فشيده وجعل فيه بيت المال وجعل الدار قبلته)) [٢٣].

ويظهر من هذه الرواية أن سمة التميُّز الحضاري في إقامة البناء إنما كان على غاية من الروعة وتحري الدقة في التخطيط واستعمال الفن المعماري بمواصفاته الهندسية الراقية حيث يشير الخبر بأن القصور كانت تقام جنب القصور متداخلة مع بعضها حتى يسند القصر قصراً آخر من جانبه المقابل للمسجد الجامع، ثم أنَّ محاولة القيام ببناء بيت المال وسط هذه الأبنية كونه يمثل روح الاقتصاد الإسلامي ايستقبل الدار التي تم تشييدها جنبه، وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على استعمال أرقى أساليب الهندسة في فن البناء وإنشاء القصور ودور الدولة ومؤسساتها المهمة متداخلة بعضها بالبعض الآخر

للاطمئنان على سلامتها، ولا ننسى بأن (ماسنيون) قد قام بتحديد موقع القصر (دار الإمارة) بأنه كان يقع في الواجهة الجنوبية من المسجد مع انحرافٍ نحو الشرق[٢٤].

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد تعددت الوسائل والطرق في الابداعات الهندسية والمعمارية لشؤون الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الكوفة، فعلى مستوى الطرق وبناء السكك وإقامة المحلات التجارية أيضاً، شهدت الكوفة تفنناً انفردت به وتميزت بعظمته وجماليته.

ويبدو بأن الحاكم الإسلامي كان يراقب التطور الحضاري لمواقع الدولة من حيث الإنشاء والبناء حيث نقل بأن الخليفة عمر بن الخطاب وافق عندما طلبوا منه أن يستعملوا اللبن في البناء بدلاً من الأساليب الأخرى في البناء والتي تعد أقل تطوراً وحضارة، كاستعمال الخيم والقصب وسعف النخيل وما شابه ذلك، وينقل عن موافقته بقوله: ((افعلوا ولا يزيد أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البناء)) [٢٥].

ومع تطور الحضارة المعمارية للكوفة كانت مقسمة إلى أعشار، وبهذا التقسيم قد تصعب السيطرة على تلك المناطق لسعتها وانتشارها مما حدا بالحكومة ان تقسمها أسباعهاً سميت بـ(الأسباع) تيسيراً للسيطرة عليها عسكريا ومالياً وتسهيلاً لاحاطتها بالتعبئة المنظمة على تلك الأسباع واستحضاراً لتوزيع الغنائم والأعطيات عند حدوث مصادمة عسكرية مع العدو أن حدثت أو عرضت المدينة إلى هجوم .

ولعل هذا الإجراء يشير إلى تقنية التقليص في الخسائر والامدادات المالية للمدينة خصوصاً في بداية الإنشاء مما يقلل من الصرف الذي قد يثقل كاهل الدولة.

وقد كان لهذه التقسيمات السبعية والعشرية سمةً قبائليةً أكثر مما هي تنظيمية تخص التنظيمات الاجتماعية المدنية، حيث اتسمت هذه التقسيمات ببروز الانفرادات التي تختص كل قبيلة بها والتي قد تتركز بواحد من الأسباع أو الأعشار، مما حدا بهذه القبائل أن تخصص جبّانة (مقبرة) خاصة بها كجبانة كندة، وجبانة السبيع، وجبانة سالم، وجبانة الصائديين ونحوها[٢٦]، وهذا التقسيم الذي طفحت به صفة القبلية لا يعني ان القانون والدولة قد غابت عن الحضور بل ان الدولة كانت مع القبيلة في كثير

من الأمور لأن القبيلة كانت وقتئذ تمثل الممون الرئيس واليد اليمنى للحكومة في اغلب أمورها باعتبار ان الإسلام جاء ليقوِّم الأمور وليس لتعقيدها.

وبتطور الدولة تواجدت الأسواق على اعتبار ان السوق يعني حاجة الناس إلى تنظيم عيشهم وحاجتهم إليه لأنه يعني تنظيماً للحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ولتحقيق التعاون بين هذه الطوائف في نظم التعايش[٢٧]، وكانت تلك الأسواق تعج بتواجد التمّارين وباعة الصوابين وغيرها[٢٨].

المبحث الثالث: التميُّز العلمي (للكوفة) وتألقها بعلوم القرآن وتفسيره

لعل الإشارة إلى هذا الجانب من التميُّز الذي أدى إلى النمو الحضاري لهذه المدينة يُعَدُّ صفحة جديدة من صفحات الرقي والتقدم العلمي لها والذي يعود الفضل به إلى اهتمام الإمام علي (عليه السلام) بالمنحى العلمي منذ محط أقدامه على ترابها وحتى مغادرته (عليه السلام) إلى الرفيق الأعلى، وهو بهذا الاهتمام قد أرسى حجر قاعدة واسعة لشتى العلوم فيها ومنها الاهتمام البالغ بعلوم القرآن الكريم وتفسيره وتلاوته، ولعل جواب عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) يفصح لنا عن مدى اهتمام الإمام علي (عليه السلام) بهذا المجال حينما سئِل عن المقصود بقوله تعالى: {وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}[٢٩]، فقال: (علي بن أبي طالب)[٣٠].

ولعل كثرة ما روي عن العلم الجم الذي اشتهر به الإمام علي (عليه السلام) ومعرفته بأسرار القرآن الكريم ليس غريباً لأنه ربيب سيد الخلائق (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلميذه، حيث كان له كظلِّه، فقد ورد الكثير من هذه الروايات وعلى مختلف الأصعدة العلمية والبحوث الموسوعية والمصادر والمراجع وهذا ما أجمع عليه الجمع الغفير بلا إشكال ولا شبهة، وكان (عليه السلام) قد زُقَّ هذا العلم عن طريق فخر الكائنات محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد احتل كتاب (نهج البلاغة) وبقية ما روي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مساحات واسعة في الثناء على القرآن الكريم والدعوة للعمل بموجبه والالتزام بنصوصه واتخاذ أوامره ونواهيه مقاصداً لترصين قيم الإنسان في الأرض والسماء، فهو القائل (عليه السلام) بصدد ذكر القرآن :

((فالقرآن أمرٌ زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليه أنفسهم، أتمَّ نوره، وأكرم به دينه، وقبض نبيه، وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به.

فعظّموا منه سبحانه ما عظم من نفسه، فأنه لم يُخفِ عنكم شيئاً من دينه، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلا وجعل له علماً بادياً، وآيةً محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحدٌ، وسخطه فيما بقي واحدٌ...)) (٣١).

وقال (عليه السلام) في القرآن الكريم والحث على الالتزام به أيضاً:

((وكتاب الله بين أظهركم، ناطق لا يعيا لسانُهُ، وبيت لا تهدم أركانه، وعز لا تهزمُ أعوانه...)) (٣٢).

ويلاحظ انه (عليه السلام) ومن خلال ذكره للقرآن الكريم في أعلاه، وصفه مرة بالصامت الناطق وفي الأخرى بالناطق، وإنما أراد بذلك (عليه السلام) انه ليس كبقية الكتب البشرية، فإن كان من نسج بشر فلا يتصف بهذه الصفات لأنه مَن تُرِكَ مات ومَن مات دفن في حين أن كتاب الله لا يموت وان اتفقت الناس على تركه.

وقد أفنى الإمام علي (عليه السلام) عمره بخدمة القرآن الكريم ومنهج النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا لا يختلف عليه اثنان، وجعل من الكوفة منطلقاً لبناء مدرسة قرآنية حديثية مرموقة من خلال حثه على فهم القرآن الكريم وعلومه، وقد سجلت كلماته استذكاراً لعظمة القرآن الكريم حيث وصفه بأحد أقواله: ((أن القرآن لا يعلم علمه إلا من طعمه، وعلم بالعلم جهله، وأبصر علمه واسمع صمته، أدرك به مأواه، وحي به إذا مات، فأدرك به الرضا من الله، فاطلبوا ذلك عند أهله، فأنهم في بيت الحياة، ومستقر القرآن، ونزل الملائكة، وأهل العلم الذين يخبرونكم عملهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم، هم الذين لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، قد مضى من الله فيهم حكم صادق، وفي ذلك ذكرى للذاكرين)) (٣٣).

ومما يرصن موقف الكوفة الايجابي في دعم الدراسات القرآنية والمعارف التفسيرية آنذاك فهي من أهم الأمصار الإسلامية التي كانت تعنى بتفسير القرآن العظيم وكان لها الفضل

الأوفر في ذلك، حيث عُدَّ الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رائداً لهذه المدرسة التفسيرية[٣٤]، وكان ابن مسعود واحداً من الصحابة الذين كان لهم الباع الأوفر فيها بهذا المجال[٣٥]، حيث خلقت هذه المدرسة في هذه المدينة قاعدة عريضة لهذا النوع من المعارف من قبل صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتابعيهم هناك[٣٦].

وقد حفلت الكوفة بألمع أسماء المفسرين للقرآن الكريم الذين يقف على رأسهم الإمام علي (عليه السلام) عندما إتخذها عاصمةً للدولة الإسلامية ويروى عنه قوله: ((ما نزلت على رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ آية من القرآن إلا أقرئنيها، وأملاها عليَّ، فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليَّ، وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا . وما ترك شيئاً علَّمه الله حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، كان أو يكون، وكتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنسَ حرفاً واحداً)) [٣٧].

وقد حفلت قائمة مفسري الكوفة إبان ذلك العهد بأعداد لامعة يقف بمقدمتها بعد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عبد الله بن مسعود، سعيد بن جبير، زر بن حبيش، عبد الرحمن السلمي، سعيد بن زيد، مسروق الأجدع[٣٨]، وغيرهم كثيراً.

وقد تمخضت الدراسات التفسيرية للقرآن الكريم في الكوفة عن ظهور رعيل كبير من العلماء المفسرين للقرآن الكريم في الفترات اللاحقة بعد مدرسة ابن مسعود، حيث كان لبصماته آثاراً واضحة في مدارس تفسيرية أخرى ظهرت في العصر الأموي على يد أساطين من علماء التفسير مثل علقمة بن قيس ومسروق بن عبد الرحمن الأجدع والأسود بن يزيد بن قيس وجابر بن يزيد الجعفي ومرة بن شراحيل الهمداني وعامر بن شراحيل الشعبي وابو مالك الغفاري، وكان الأخير يمثل الطبقة الثانية من نزلاء الكوفة، وعطية بن الحارث الهمداني – أبو ورق – وكان من مشاهير علماء التفسير في الكوفة[٣٩].

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

١-الكوفة مدينة عرفها التاريخ منذ أقدم العصور، حتى ان ذكرها سبق ما قال به التاريخ، حيث ذهب الكثير من العلماء إلى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أورد ذكرها مراراً.

٢-تبقى الكوفة لغزاً ورمزاً لا يُعرف كنهه ولم تعرف أسباب اختيار الإمام علي (عليه السلام) لها عاصمة للدولة الإسلامية والذي عَرَضَ لتلك الأسباب لم يعد دقيقاً في تحليل الأسباب الحقيقية والمعمقة .

٣-تتجلى انفرادية الكوفة عن غيرها من الأمصار بأنها تتميز بجو غير صحراوي، جميل عذب النسمات في حين تلاصقها قرى وبلدان تتميز بجو صحراوي بَدوي مقيت.

٤-بين هذا وذاك يتوجب على الباحثين وأساطين العلم ان يغوصوا بأعماق معرفة هذه المدينة التي أحبها الله والأنبياء وسيد الأوصياء والأئمة الأطهار (عليهم السلام) والتي هي: ((رمح الله وجمجمة العرب وكنز الإيمان)) .

هوامش البحث :

١-رضا مؤدب، تاريخ الحديث، ١١٢.

٢-محمد رضا شمس الدين، حديث الجامعة الدينية، ٦.

٣-الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، نهج البلاغة، الحكمة ٣١٥ .

٤-الصدوق، الخصال، ٣١٠/١.

٥-محمد حسين الصغير، الكوفة الغراء ارض الرسالات السماوية، ٧١.

٦-م . ن، ٦٠.

٧-رحيم شاووش علي، الحياة العلمية في مدينة الكوفة، ٩ .

٨-محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في القرن الأول الهجري، ٢٤.

٩-يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ٢٥.

١٠-الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣/٢.

١١-انظر/

المسعودي، مروج الذهب، ٣٩/٢ .

١٢-م . ن، ٣٩/٢ .

١٣-انظر بصدد ذلك/

الاصطخري، مسالك الممالك، ٨٤.

ياقوت، معجم البلدان، ٣٤٨/٤ .

١٤-الاصطخري ، ٨٢ .

وانظر/

صالح القريشي، المواقع والبلدان في القرآن الكريم، ١٩٣.

١٥-البلاذري، فتوح البلدان، ٣٤١/٢.

١٦-حياة الشعر في الكوفة، ٢١ وما بعدها.

١٧-انظر/

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥/١ .

١٨-يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ١٥٧ .

١٩-البلدان، ٣٠٩.

٢٠-انظر/

البلاذري، فتوح البلدان، ٢٧٥.

وانظر كذلك/

هشام جعيط، الكوفة نشأة المدن، ٩٢ وما بعدها.

٢١-الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٤/٤ .

ابن كثير، البداية والنهاية، ٧٣/٧ .

٢٢-البلاذري، فتوح البلدان، ٣٣٩/٢.

٢٣-الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٤٩/٣ .

٢٤-خطط الكوفة، ١٠٦.

٢٥-ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ١٥٦.

٢٦-انظر/

البلاذري، انساب الاشراف، ٢٣١/٥ وما بعدها.

الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ١٣٨

٢٧-انظر/

يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ٣٢ .

عباس علي هادي، خطط الكوفة في كتب الرحالة الاجانب، ٦٥.

٢٨-انظر/

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٤٨/٣.

٢٩-الرعد/٤٣ .

٣٠-الحسكاني، شواهد التنزيل، ٣٠٧/١ .
وانظر/
الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٣٤/١٨.
٣١-الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، نهج البلاغة، ٣١٤.
٣٢-م . ن، ٢٣٤ .
٣٣-اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٣٤/٢.
٣٤-الذهبي، التفسير والمفسرون، ١١٩/١.
وانظر/
أبو اليقظان الجبوري، دراسات في التفسير ورجاله، ٧٥.
وانظر/
رحيم شاووش علي، الحياة العلمية في مدينة الكوفة، ٩٣.
٣٥-الذهبي، التفسير والمفسرون، ١١٩/١.
السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢٢٢/١.
٣٦-الذهبي، التفسير والمفسرون، ١١٩/١.
٣٧-لجنة من الباحثين، موسوعة أحاديث أمير المؤمنين (عليه السلام)، ١١/١.
٣٨-ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٠٩/١٠.
وانظر/
نصيف الجنابي، حضارة العراق، ٥٧/٧.
٣٩-انظر/
الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٢٠/١.
ابن سعد، الطبقات، ٦/٦ وما بعدها .
وانظر/
نصيف الجنابي، حضارة العراق، ٦١/٧.
وانظر/
رحيم شاووش علي، الحياة العلمية في مدينة الكوفة، ٩٥ .

مصادر البحث ومراجعه :

١-الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٧٤م.
٢- أنساب الاشراف، البلاذري(أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار، منشورات دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٣-البداية والنهاية، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤١٢هـ.
٤-تاريخ الأمم والملوك، الطبري (محمد بن جرير ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، ط٤، لبنان، ٢٠٠٨ + الطبعة المحققة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
٥-تاريخ الحديث، الدكتور رضا مؤدب، تعريب الدكتور سيد عبد الكريم حيدري، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، مطبعة أميران، قم، ١٤٣١هـ.
٦-تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الاخباري ت٢٩٢هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، الطبعة الثانية، قم، ١٤٢٥هـ.
٧-التفسير والمفسرون، الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ت٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٨-تهذيب التهذيب، ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني ت٨٥٢هـ)، مطبعة حيدر آباد، الهند، ١٣٣٢.
٩-حديث الجامعة النجفية، محمد رضا شمس الدين، مطبعة الأضواء، ١٩٨٦م.
١٠-حضارة العراق، أحمد نصيف الجنابي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥م.
١١-الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، محمد حسين الزبيدي، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٢-حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، الدكتور يوسف خليف، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

١٣-الحياة العلمية في مدينة الكوفة خلال العصر الأموي ٤١هـ-١٣٢م، رحيم شاووش علي العرداوي، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.
١٤-خطط الكوفة وشرح خريطتها، الدكتور لويس ماسنيون Liues Masinun، تحقيق الدكتور كامل سلمان، ترجمة تقي محمد المصعبي، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ١٩٧٩م.
١٥-دراسات في التفسير ورجاله، أبو اليقظان الجبوري، بغداد، ١٩٧٧م.
١٦-شواهد التنزيل بقواعد التفصيل، الحسكاني (عبيد الله بن عبد الله بن أحمد – من اعلام القرن الخامس الهجري –)، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت، ١٩٧٤.
١٧-الطبقات الكبرى، ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
١٨-فتوح البلدان، البلاذري، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
١٩-الكوفة الغراء ارض الرسالات السماوية، الأستاذ الأول المتمرس البروفيسور الدكتور محمد حسين الصغير، النجف الأشرف.
٢٠-الكوفة – نشأة المدينة العربية الإسلامية –، الدكتور هشام جعيط، الطبعة الثانية، مطبعة دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م.
٢١-مختصر كتاب البلدان، ابن الفقيه (أبو بكر احمد بن محمد الهمداني ت٣٤٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨-١٩٨٨م.
٢٢-مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ)، دققها ووضعها وضبطها الأستاذ يوسف أسعد داغر، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٨م + الطبعة التي حققها محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الكتب التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٤هـ.
٢٣-مسالك الممالك، الاصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت٣٤٦هـ)، مطبعة ابريل، ليدن، ١٩٣٧م.

٢٤-معجم البلدان، ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ت٦٢٦هـ)، تصحيح وترتيب محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٠٦م.
٢٥-مقاتل الطالبين، الأصفهاني (أبو الفرج ت٣٥٦هـ)، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٤٩م + النسخة المحققة شرح وتحقيق السيد احمد صقر، دار الزهراء، الطبعة الأولى، قم + نسخة مؤسسة النبراس في النجف الأشرف، د.ت .
٢٦-المواقع والبلدان في القرآن الكريم،. الأستاذ الدكتور صالح جبار القريشي، أطروحة دكتوراه أولى، بغداد، ٢٠٠٢م.
٢٧-موسوعة أحاديث أمير المؤمنين (عليه السلام)، لجنة من الباحثين، مطبعة دار السلام، ١٩٨٢م.
٢٨- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مطبعة دار إحياء التراث، ١٩٩٦م.
٢٩-وسائل الشيعة في تحصيل الشريعة، الحر العاملي (محمد بن الحسن ١١٠٤هـ)، تحقيق محمد الرازي، بيروت، د.ت .

التعليم والتربية الإسلامية في الكوفة في عهد الامام امير المؤمنين على ابن ابي طالب (عليه السلام) وتوظيفهما كموجهات تعليميه وتربوية في المستقبل

أ.د. صباح حسن عبد الزبيدي
جامعه بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

(خطة البحث)

المشكلة :-

تقتضي مشكله البحث التعرف على مضامين التعليم والتربية الإسلامية وعناصر العملية التربوية الإسلامية المتمثل ب(المتعلم – المعلم – المنهج - طرائق التعليم والتدريس) في الكوفة في عهد الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب(عليه السلام) وتوظيفيهما في الوقت الحاضر كموجهات تعليميه وتربوية.

وذلك من خلال طرح السؤال . انه في عهد الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) الذي اتسم حكمه بعدل الالهي . حيث شمل كافه مجالات الحياه (السياسية – الاقتصادية – الاجتماعية – الثقافية- التربوية) وكانت الكوفة مركز اشعاع حضاري وفكري وتربوي ساهم في بناء الحضارة الإسلامية آنذاك في تلك الفترة الذهبية . ماهي ابرز جوانب التعليم والتربية وعناصرها في الكوفة في عهد خلافه الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ؟ وهل بالإمكان توظيفهما في التعليم التربية الإسلامية وعناصرها كموجهات اساسيه في الوقت الحاضر ؟

فرضيه البحث :

ان الكوفة كانت مركز اشعاع حضاري وفكري وثقافي وتربوي شمل كافه مجالات الحياه (السياسية – الاقتصادية – الاجتماعية – الثقافية – التربوية) في عهد الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) هل بالإمكان معرفه مضامين التعليم والتربية الإسلامية وعناصرها (المتعلم – المعلم – المنهج - طرائق التعليم والتدريس) في الكوفة وهل بالإمكان توظيفهما كموجهات تعليميه وتريويه وعناصرها في الوقت الحاضر ؟

تساؤلات البحث :-

١-ما مضمون التعليم والتربية الإسلامية في الكوفة في عهد الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)؟

٢-ما مضمون العملية التربوية الإسلامية وعناصرها (المتعلم + المعلم + المنهج + طرائق التعليم او التدريس) في الكوفة في عهد الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)؟

٣-هل بالإمكان توظيف التعليم والتربية الإسلامية وعناصرها كموجهات تعليميه وتربوية في المستقبل؟

منهجيه البحث :-

اعتمد الباحث على اثبات الفرضية على المنهج الوصفي التحليلي للأدبيات التي تناولت مجال التعليم والتربية الإسلامية وعناصر العملية التربوية (المتعلم+ المعلم + المنهج + طرائق التعليم او التدريس) ومن ثم استنباط مؤشرات تفيد التعليم والتربية الإسلامية وعناصرها كموجهات في المستقبل

خطة البحث :-

يتناول البحث الحالي (٣) مباحث . اذا تناول المبحث الاول :- الكوفة من حيث الموقع والتسميه والمكان العلمية والتربوية وعلمائها في عهد الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام). وتناول المبحث الثاني مضامين التعليم والتربية الإسلامية في عهد الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) واما المحور الثالث تناول مضامين العملية التربوية الإسلامية وعناصرها (المتعلم + المعلم المنهج + طرائق التعليم او التدريس في عهد الامام علي ابي طالب (عليه السلام) تناول توظيف مضامين التعليم والتربية الإسلامية وعناصرها كموجهات تربوية وتعليميه وعناصرها مستقبلا (المبحث الاول)

المبحث الاول :- الكوفة من حيث :-

✓موقع الكوفة :-

تقع مدينه الكوفة بنحو (١٠) كم غرب النجف الاشرف . وغرب العاصمة بغداد بنحو (١٥٦) كم وموقعها الجغرافي عل الضفة اليمنى لنهر الفرات الاوسط (شط الهندية القديم) وترتفع المدينة بنحو (٢٢) م عن مستوى سطح البحر ومن الشرق ناحيه

السنيه وناحيه الصلاحية (محافظه بابل) ومن الشمال مدينه الكفل والغرب كري سعد ومن الجنوب (محافظة الديوانية) . ويبلغ سكانها حسب تقديرات عام ٢٠١٤ ب(٢٣٠) نسمه وبذلك فهي مركز قضاء رئيسا . وتتبع إداريا لمحافظة النجف الاشرف . وقد اتخذها الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) مركزا للخلافة الإسلامية بعد ان انتقلت الخلافة الإسلامية اليها .

✓تسميه الكوفة :-

من المعلوم ان الكوفة عرفت بعدة تسميات منها (التكوف) او (التجمع) وكذلك (كوفاني) اي المواضع المستديرة من الرمل . وبعضهم يسمي الارض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل (كوفة) وسميت (كوفان) بمعنى (البلاد والشر) اي (ما بين الدغل والقصب والخشب . وسميت (كوفة الجند) لأنها اسست لتكون قاعده عسكريه يجتمع فيها الجند . وقيل انها اسم (عربي) وقيل انها اسم (سرياني) اضافه الى ذلك قال الاثرم عن البلاذري (التكوف) يعني (الاجتماع) واورد ياقوت الحموي نفس ما ذكره البلاذري في معنى الكوفة

✓مكانه الكوفة العلمي والتربوي :-

من المعلوم ان الكوفة كانت مركز مهمات للعلم والآداب وكان الشعر فيها اكثر من البصرة . وكانت الكناسة مثل مربد البصرة مكانا للمناظرات والتنافس . كما ظهر فيها (الخط الكوفي) الذي اشتهر باسمها سنه (١٢٣٥) ه . ثم تطور الخط الكوفي . وهو يسمى الان (بالخط العربي القلقشندي)اي. ويذكر ان الخط العربي ذو الزوايا الحاده عرف لاحقا بالخط الكوفي الكلاسكي . اذ يرجع اصوله الى ما قبل بناء الكوفة بقن من الزمن

ومن المعلوم أيضا ان العربية قبل الاسلام كانت تكتب بأربعه خطوط او اقلام وهي :

أ-الحيرى (نسبه الى الحيرة)

ب-الانباري (نسبه الى الانبار)

ت-المكي (نسبه الى مكة)

ث-المدني (منسبه الى المدينة)

وكان في الكوفة مسجدا . يسمى مسجد الكوفة الذي تشرف الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في سنه (٣٦)ه وقد حفر فيها بئر ليس هناك اعذب من مائه. و قد استشهد الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) سنه (٤٠)ه ويحتوي المسجد على عدد من المراقد الدينية والمقامات مثل (هاني ابن عرو . ومسلم ابن عقيل . ومرقد المختار الثقافي ...

✓علماء الكوفة:-

يذكر انه برز عدد من علماء في الكوفة أمثال (العالم جابر ابن حيان الكوفي في الكيماء . والنعمان بن ثابت . والامام جعفر الصادق (عليه السلام) والكسائي . وعلي بن حمزه ابو الأسود الدولي في النحو . ويعقوب ابن اسحاق ببن السكيت في اللغة والكميت ابن زيد في الشعر . اوابو العتاهية . ودعبل الخزاعي في الشعر وابو الطيب المتنبي .(الشبكة العالمية – الانترنت :٢٠١٧)

(المبحث الثاني)

مضامين التعليم والتربية الإسلامية في الاسلام ولاسيما في عهد الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وشمل

المحور الاول:- التعرف على مضامين التعليم الاسلامي :-

لقد امر الإسلام بالعلم والتعليم، فقد نزلت اول الآيات على طلب العلم والتعليم والعمل بهما، استنادا الى قوله تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{٥} سورة العلق/٥ . وفي ضوء ما تقدم ، فقد دعا الاسلام الى محو الأميه بين المسلمين من العرب وغيرهم ، فالرسول الاعظم محمد (ص) قد جعل فداء الاسير الذي كان يعرف القراءة والكتابة في غزوة بدر ان يعلم جماعه (١٠) صبيان من المسلمين ويخلا سبيله

ان العلم والتعليم حق من حقوق الانسان وضرورة من ضروريات الحياة ، كالماء والهواء والغذاء ، فاذا ما اريد للإنسان ان يعيش يجب عليه ان يتعلم ، وبذلك شجع الاسلام على العلم والتعليم واكد على ان العلم فريضه استنادا الى قول الرسول الاعظم محمد (ص) (العلم فريضه على كل مسلم ومسلمه) كما اكد على طلب

العلم وفي قول الرسول الاعظم محمد (اطلب العلم ولوكان في الصين) وكذلك اكد على دور العلماء وفي قوله الرسول الاعظم محمد (ص) (مداد العلماء خير من دماء الشهداء) وكذلك قال الرسول الاعظم محمد (ص) (ان العلماء ورثه الانبياء)

وفي ضوء متقدم ان الاسلام اهتم بالعلم والبحث وكذلك اهتم بالعلماء لان للعلماء الاسلام لهم دور كبير فقد ساهموا في جميع الحقائق واستنباط الآراء والافكار وتطبيقها من خلال اجراء البحوث والدراسة، وعليه ان الاخذ بالعلم والتعليم والتربية يزداد المرء تعلما وعلما . وعن الرسول الأعظم محمد (ص) قال ((انما يزهد الرجل في علم يعلم فله انتفاعه بما علم) وقال الرسول الاعظم محمد (ص) ((لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا) وقال (ص) ((من اراد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا))

لذلك نقول ان زياده في العلم والتعليم والتربية يعني القضاء على الأميه ، يعني القضاء على الجهل و الأميه والفقر، مما يزدادا الحرف والمهن ، ونبني جيلا صالحا ، صالح في الجسم والعقل والبدن والروح ، فالجهل عله فالجهل والأميه عله العلل ، وسبب تخلف الامم والشعوب ، وان تطور التعليم والتربية هي الوسائل للرقي في كل نواحي الحياه فالإسلام هو دين وعلم ونور والعمل وفريضه على كل مسلم ومسلمه (الابراشي:١٩٧٤)

مفهوم التعليم الاسلامي ومن المعلوم ان التعليم (instruction) عرف بعدة تعاريف ومنها :-

١.هي عمليه اكساب المعارف والقيم والاتجاهات للفرد وفق قدراته واستعداداته تحت اشراف الموجه ، لأجل تحقيق الاهداف التربوية

٢.وهي عملية اكساب المعارف والقيم والاتجاهات للفرد والجماعة تحت اشراف الموجه مستخدم العمليات (الملاحظة التصنيف ، القياس ، الاستقراء ، الاستنتاج ، التواصل ، التنبؤ مع استخدام الارقام ، العلامات ، وضبط المتغيرات واستخدام لمختلف اساليب واستراتيجيات التي من خلالها تنميه المعلومات والمهارات والاتجاهات بشكل مقصود، وهو اوسع من التدريس واكثر شمولا لأجل تحقيق اهداف التعليم (علي :٢٠١١)

وكذلك التعليم ب(Teaching) ,ويعرف ايضا بعدة تعاريف وهي :-

▪وهي عمليه اكساب الفرد او الجماعة ، المعارف ، المفاهيم ، والقيم ، الاتجاهات ، والمهارات عن طريق تلقينها بطرق الأتية (الشرح ، التفسير ، الإشارة ، الايماء ، المقارنة ، الاستدلالات ، المطالعة ، واستخدام ادوات وفق قدرات المتعلمين (ابراهيم : ٢٠٠٣)

❖انماط التعليم هما :-

١-التعليم الفردي : وهو ما يكسبه الفرد من تعلم نفسه بنفسه دون ان يشارك فيه اقرانه ، ومتحرر من قيود الزمان والمكان والالتزامات التي يفرضها التعليمي الجماعي ومستخدما طرائق واساليب مناسبه لاكتساب تلك المعلومات والمهارات المطلوبة

٢-التعليم الجماعي :- وهو ما يكتسب الفرد من معلومات ومهارات من خلال الجماعة الصغيرة المتجانسة التي يتفاعل داخل الصف (حجازي :٢٠٠٥)

اذن ان التعليم يعني (هو اكساب الفرد مجموعه من المعارف والمفاهيم والمعلومات والعادات والتقاليد والنظم بمختلف انواعها عن طريق تلقينها للفرد باستخدام طرق البيان والشرح والتفسير والتميز ، الاشارة والايماء والمقارنة ، الاستنتاج وغيرها واستخدام الوسائل تساهم في تحقيق عمليه التعليم (ابراهيم :٢٠٠٣)

❖اهميه التعليم الاسلامي :- يمكن ايجاز اهميه التعليم الاسلامي :- ب

- احياء معالم الدين الاسلامي الصحيح القائم على توحيد الله سبحانه وتعالى والايمان به
- تهذيب النفس بالأخلاق الفاضلة التي يريدها الاسم الحنيف
- معرفه الانسان نفسه والطبيعة من حوله
- تنميه الجسد والنفس بالفضيلة والحكمة

اذن نستنتج ان التعليم الاسلامي هو (هي عمليه اكساب المعارف والقيم والاتجاهات الإسلامية المستمدة من القران الكريم اولا . واحاديث الرسول محمد (ص) واهل البيت (عليهم السلام) ثانيا والسلف الصالح في الامه الإسلامية ثالثا للفرد وفق قدراته واستعداداته مستخدم العمليات (الملاحظة ، التصنيف ، القياس ، الاستقراء ،

الاستنتاج ، التواصل ، التنبؤ مع استخدام الارقام ، العلامات ، وضبط المتغيرات واستخدام لمختلف اساليب واستراتيجيات التي من خلالها تنميه المعلومات والمهارات والاتجاهات بشكل مقصود ، عن طريق تلقينها بطرق الأتية (الشرح ، التفسير ، الإشارة ، الايماء ، المقارنة ، الاستدلالات ، المطالعة ....)

اقوال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب في العلم والعلماء

١-العلم ورثه كريمة ، والادب حلل حسان ، والفكرة مرأة صافيه ، والاعتذار منذر ناصح . وكفى بك ادبا تركك ما كرهته من غيرك) (امالي الطوسي ج١ ، ص١١٤ . ج ٢٩ . بحار الانوار ، ج١ . ص ١٦٩)

٢-الملوك حكام على الناس . والعلم حاكم عليهم . وحسبك من العلم ان تخشى الله ، وحسبك من الجهل ان تعجب بعلمك) (امالي الطوسي .ج١ ، ص٥٥ . بحار الانوار . ج ص٤٨ . ح ٧)

٣-العقول ائمه الافكار . والافكار ائمه القلوب . والقلوب ائمه الحواس . والحواس ائمه الاعضاء) (بحار الانوار ح ١ ص٩٦ ، ح٤٠)

٤-اعز العز العلم . لأنه به معرفه المعاد والمعاش . واذل الذل الجهل . لأنه صاحبه . اصم ، ابكم . اعمى . حيران) (نزهه الناظر وتنبيه الخاطر للحلواني . ص ٧٠ . ج ٦٥)

٥-جلوس ساعه عند العلماء . احب الى الله من عبادة الف سنه . والنظر الى العالم . احب الى الله من اعتكاف سنه في بيت الله . وزيارة العلماء . احب الى الله تعلى من سبعين طوافا حول البيت . وافضل من سبعين حجة وعمره مبرورة مقبولة . ورفع الله له سبعين درجة . وانزل الله عليه الرحمة . وشهدت له الملائكة ، ان الجنة وجبت له) (عدة الداعي . ص٧٥ . س٨ . بحار الانوار .ج ١ . ص٢٠٥ . ح ٣٣)

٦-ان العالم الكاتم علمه يبعث انتن اهل القيامة . تلعنه كل دابة من دواب الارض الصغار) (وسائل الشيعة ج ١٦ . ٢٧٠ . ح ٢١٥٣٩)

٧- العلم خير من المال ، لان العلم يحرسك . وانت تحرس المال . والعلم يزكو على العمل . والمال تنقصه النفقة . والعلم والمال محكوم عليه)

٨-كفى بالعلم شرفا ان يدعيه من لا يحسنه . ويفرح به اذا نسب اليه . وكفى بالجهل صنعه ان يتبرا منه هو فيه . ويغضب اذا نسبه اليه)

٩-من قراء القراء القران فاستظهره . فاحل حلاله وحرم حرامه . ادخله الله الجنة . وشفعه في عشرة من اهل بيته)

١٠-ما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى اداء

١١-العلم افضل من الصائم القائم الساجد . واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمه لا يسدها الا خلف منه

١٢-اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلموه ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين . فيذهب باطلكم بحقكم

١٣-ما الفخر الا لأهل العلم . انهم على الهدى لم استهدى ادلاء)

١٤-قيدوا العلم مرتين

المحور الثاني- التربية من حيث (اللغة – والمعنى) وشمل :-

(١)مفهوم التربية من حيث (اللغة):-

من المفيد ان نستهل هذا الموضوع في تبيان المدلول اللغوي لمفهوم التربية في اللغة التربية :- Education اذا مأخوذ من (ربى ولده . والصبي يربه رباه اي احسن القيام عليه حتى ادرك) فالتربية بمدلولها اللغوي تعني (تعهد الطفل بالرعاية والتغذية المادية والمعنوية حتى يشب . وبذلك اهتم علماء الفلاسفة والتربية بهذا المفهوم لقد شغلت التربية حيز واسعا في حياه الشعوب منذ القدم . وقام الأنسان بجهود وافره من اجل البناء والاصلاح سعت للتعبير نحو الافضل.

وفي ضوء ما تقدم تعرض مفهوم التربية وطبيعتها العلماء والفلاسفة والمربون وقد بذلوا جهودا من اجل توضيح مضامينها من خلال التنظير والتفكير والتأمل . وبهذا الصدد ان نوضح مفهوم التربية . من حيث اللغة والاصطلاح ولاسيما لمفهوم التربية الإسلامية.

-التربية : من حيث اللغة -:- من المعلوم ان التربية من حيث المعنى:-

- التربية :- تدل في اللغة من مصدر (ربي) الرباعي . وجاء مصدره على وزن تفعله لأنه معتل على وزن فعل تقول في الفعل (زكي تزكيه)

▪التربية في اللغة من حيث المعنى (التنمية) يقال نماه ، وربي فلانا غداه ونشاه ورب فلانا . تنمى قواه الجسمية والعقلية والخلقية . ولها اصول لغويه ثلاثة

▪الاول الاصل :- ربا : يربو بمعنى زاد ونما

▪الاصل الثاني :- ربي يربي بمعنى (نشا وترعرع)

▪الاصل الثالث :- رب . يرب بمعنى اصلحه وتولى امره وساسة وقام عليه ورعاه – الرب في الاصل بمعنى ((التربية)) تبليغ الشى الى كماله شيئا فشيئيا . ثم وصف به تعالى للمبالغة في تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل . وفي كتاب مفردات الراغب الاصفهاني المتوفي (٥٠٢) ه ورد ((الرب في الاصل التربية : وهوا نشاء الشى حالا فحالا الى حد التمام)

▪رب الولد : وليه وتعهده بما يغديه وينميه ويؤدبه . والفاعل زاد والمفعول مربوب . وريب . وربيه والمصدر تربيه

▪ وفي لسان العرب لابن منظور الافريقي (ت ٧١١) ه جاء ربا الشى . يربو ربوا ورباه زاد ونما .

▪وفي ضوء ما تقدم ان هذه الكلمات قريبه من كلمه تربيه وهي (تزكيه – تعليم – هدى – تأديب – رعاية)

▪ ومن المعلوم ان رعاية في اللغة العربية من حيث المعاني تأتي (الحفظ والحماية – التقويم – الائتمان – المراقبة – المرحلة – مراعاه الحقوق – التكفل بأمور الغير)

(٢) مفهوم التربية من حيث (المعنى):-

لقد تعددت التعاريف ولم نجد اتفاقا على تعريف موحد . بسبب تعقد العملية التربوي من جانب . وتأثيرها بالعادات والتقاليد والقيم والأديان والاعراف من جانب اخر . ولان مفهوم التربية يتأثر بالعامل النفسي والاجتماعي والديني والعلمي والثقافي لكل امه . وقد اورد بعض علماء التربية (تسعه) تعريفات للتربية . ومنها على سبيل المثال:-

١)التربية (هي الجهود المقصودة التي تبذل من الانسان بشكل خاص لأحداث تغييرات فيه مرغوبه والتربية في الآية الاولى تشير الى (مسؤوليه الوالدين في الرعاية من مراحل الطفولة

٢)التربية (هي التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي الى اعتناق الاسلام وتطبيقه كليا في حياه الفرد والجماعة ...) اما الآية الثانية فتشير الى التربية في الصغر (الطفولة) ايضا كما اشار فرعون ممتنا على موسى (عليه السلام) (حلباوي :٢٠١٠)

(٣) - وفي ضوء ما تقدم يمكن تعريف مفهوم التربية من حيث المعنى ب

اولا:- التربية :- (Education وتعرف بعدة تعاريف ومنها :-

أ-وهي عمليه تنميه ، تهذيب قوى الفرد والجماعة استنادا الى قدراتهم واستعداداتهم في نواحي سلوكهم

ب-هي نظام اجتماعي يحدد الاثر الفعال للأسرة والمدرسة في تنميه المتعلم في جوانب شخصيه المتعلم (العقلية + الجسمية + الوجدانية + المهاريه + الاجتماعية) حتى يتمكن ان يحيا حياه سوية في البيئة التي يعيش فيها

ت-وهي عمليه منظمة تساعد الفرد على التكييف بما يتلاءم وبناء الحضارة التي يعيش فيها الفرد . فهي عمليه خارجيه يقوم بها المجتمع لتنشئه أبناءه ليسيروا على مستوى حضاري (بدوي:١٩٧٧)

ث-فالتربية تعني بنمو الفرد وفق قدراته واستعداداته وميوله ورغباته والدوافع الفطرية والمكتسبة من البيئة ويستخدم في التربية عدة اساليب وطرق ومنها التدريب والتدريس والتوجيه والاشراف والتقويم فهي تبدا منذ ولادة الانسان وحتى مراحل العمرية اللاحقة من رعاية صحية واجتماعيه ونفسية وبيئية، فهي عملية تتداخل فيها عوامل داخلية وخارجيه يقوم به الفرد نفسه او المجتمع وقد تختلف حسب الزمان والمكان ومن جيل الى جيل اخر من عصر الى عصر اخر (الزبيدي : ٢٠١٤)

❖(٣) مفهوم التربية الإسلامية :- وتعني بلوغ الكمال بالتدرج) من خلال كمال الجسد والعقلي والروح والنفس والاخلاق. لان موضوع التربية هو (الانسان) والانسان هو خليفه الله على الارض والعالم الاسلامي جاء الإسلامية جاءت لتربيه الانسان تربيه تناسب مع مهمه الخلافة بكل جوانبها المختلفة وقالوا في التربية (علم. فلسفه . فن . صناعه . خدمة) وقالوا في علوم التربية (علم الاحياء . النفس . الفلسفة . الاجتماع . التاريخ . الاقتصاد . الدين . المنطلق (حلباوي :٢٠١٠)

اذن ان مفهوم التربية الإسلامية :- يمكن تعريفها استنادا الى اقوله تعالى (واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا{٢٤} سوره الاسراء/ ٢٤ وقوله تعالى (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ{١٨} / الشعراء /١٨)

وقد قام البحث بعرض مفهوم التربية الإسلامية :-

(وهي عمليه تنميه ، تهذيب قوى الفرد والجماعة استنادا الى قدراتهم واستعداداتهم في نواحي سلوكهم مستمده من القران الكريم واحاديث الرسول الاعظم محمد (ص) واهل البيت (عليهم السلام). وهي عمليه منظمة تساعد الفرد على التكييف بما يتلاءم وبناء الحضارة الإسلامية والإنسانية التي يعيش فيها الفرد . ويستخدم في التربية عدة اساليب وطرق ومنها التدريب والتدريس والتوجيه والاشراف والتقويم فهي تبدا منذ ولادة الانسان وحتى مراحل العمرية اللاحقة من رعاية صحية واجتماعيه ونفسية وبيئية، فهي عملية تتداخل فيها عوامل داخلية وخارجيه يقوم به الفرد نفسه او المجتمع وقد تختلف حسب الزمان والمكان ومن جيل الى جيل اخر من عصر الى عصر اخر (الزبيدي :٢٠١٤) وفي ضوء ما تقدم . ان التربية الإسلامية . بدأت مند اجتمع الرسول محمد (ص) بالمسلمين الاوائل في دار بن الارقم . حيث كان الرسول الاعظم محمد (ص) يشرح لهم تعاليم الدين الجديد . وفي ضوء ما تقدم بعد ان هاجر الرسول الاعظم محمد (ص) من مكة الى المدينة المنورة اقامه الرسول الاعظم محمد (ص) مسجدا له . اذا اصبح المسجد . المركز والمدرسة للدعوة الإسلامية الجديدة والتعليم والتربية على معلم الدين وتلاوة الآيات وشرحها ... وبذلك اصبحت التربية في المسجد شامله لكل جوانب الحياه . حيث حررت العقل من الوهم والانحراف والخوف والعبودية والجسم من الخضوع للذات والشهوات وعباده الله سبحانه وتعالى

❖مصادر التربية الإسلامية :- يذكر المهتمين بالشؤون التربية والتعليم ان اهم مصادر التربية الإسلامية التي اعتمدت عليها هي ":-

اولا:- القران الكران الكريم :- وهو كتاب المسلمين الذي انزله الله سبحانه وتعالى على خاتم الانبياء والمرسلين النبي محمد (ص) انه كتاب لم يفرط فيه من شيء ولا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فهو محفوظ ابدا الدهر من كل دس وتحريف استنادا الى قوله تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ{٤٢) سورة فصلت /٤٢

ثانيا:- السنه النبوية الشريفة :- ويقصد (السنه النبوية الشريفة)(اقوال رسول الله محمد (ص) وافعاله وتقديراته المبينة لأحكام كتاب الله والشارحة لتوجيهاته والمجسدة لتعاليمه . وبذلك فانه السنه النبوية المطهرة ثري في التوجيهات والمواعظ التي تفيد المسلمين في الدنيا والاخر . استنادا الى قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً{٢١} سورة الاحزاب /٢١

ثالثا:- التراث الفكري الاسلامي :- ويقصد بالتراث الفكري الاسلامي . تلك الكتب والمؤلفات الكثيرة التي زخرت بها المكتبة الإسلامية عبر تاريخها الطويل والتي لم تصل منها الا النزر اليسير . فهي موجهات في استنباط مفاهيم التربية والتعليم ومحطه للمفكرين المسلمين في الفقه او الفلسفة او للغة ...(سعيد . ابو طالب ورشراش :٢٠٠١))

❖مستويات التربية الإسلامية :- تهدف التربية الإسلامية الى تحقيق مستوين هما :-

اولا:- مستوى الفرد :- تهدف التربية الى تربيه الانسان المسلم وتكوينه الى انسان سوى ومتكامل من خلال :-

١) تكوين انسان مؤمن بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وملتزم بتعليم الاسلام وعامل على نشر الفضيلة . استنادا الى قوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ{٢٨٥} سورة القره /٢٨٥)

٢) تكوين انسان الفاضل والمحصن بالأخلاق والصفات الحميدة مقتدي برسول الله محمد (ص) استنادا الى قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ{٤} سورة القلم /٤)

٣)تكوين انسان متزن نفسيا منضبطا ومتحكم في شهواته . استنادا الى قوله تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى{٤٠} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى{٤١} سورة النازعات /٤٠-٤١

٤)تكوين انسان نشيط قادر على كسب معيشته عن طريق ايجاد مهنه او عمل ضارب في الارض استنادا الى قوله تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ{١٠} سورة الجمعة / ١٠)

ثانيا:- مستوى المجتمع :- تهدف التربية الى بناء مجتمع صالح قوامه (العدل ، والمساواة والتعاون على البر والتقوى والرحمة والخير والتكافل والانسجام والتعايش وقبول الأخر من خلال:-

١)غرس الفضل والقيم في نفوس الناشئة استنادا الى قوله (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ{١١٠} سورة ال عمران /١١٠)

٢) بناء مجتمع يسوده الامن والسلام و المحبة والحرية والاعتصام بحبل الله استنادا الى قوله تعالى(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ{٩٢} سورة الانبياء /٩٢ .

وكذلك اتسع الانتاج الفكري بالتجارب وقمت افاق المعرفة والبحث توصلوا بانها (انتاج فكري عملي لتحديد مسار التربية من حيث اللغة والمفهوم والمصطلح(حلباوي ٢٠١٠:)

❖اهداف التربية الإسلامية :- ان اهداف التربية الإسلامية تشتق من الخصائص والمميزات التي امتاز بها الفكر الاسلامي . فهي تربيه متوازنة جمعت بين اهداف التربية (اليونانية والرومانية) التي كانت تهدف الى الدنيا . والتربية المسيحية التي تهدف الى الاخرة . وبذلك وازنت بين (الدنيا والاخر) استنادا الى قوله تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ{٧٧) سورة القصص / ٧٧)

لذلك فان اهداف التربية الإسلامية فهي تقوم على تهذيب نفوس المتعلمين من قيم اختلاقيه المذمومة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة . فهي الوسيلة التي تصل الى بالإنسان الى درجات الكمال والتربية في نظر الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)و تهدف الى :-

١)التقرب الى الله تعالى من خلال دراسة القران الكريم واحاديث الرسول محمد (ص)

٢)تنميه شخصيه الانسان المسلم من خلال تعامله مع المجتمع . لذا فهو يستمد قيمه وعادات تقاليد وادأب ونظام ومبادى

٣)اصلاح الانسان في دنيا واخرته . لأنه يكتسب من القران الكريم واحاديث الرسول الاعظم محمد (ص) الاحكام والاحاديث النبوية لكي يسير بموجها الاسلام

❖مجالات التربية: الإسلامية - وقد قام البحث باستنباط وعرضها بالشكل الاتي:-

ومن المعلوم ان مناهج التربية الإسلامية تهدف الى بناء الانسان والمجتمع في كافه مجالات جوانب الشخصية الإسلامية (العقلية+ الجسمية + الوجدانية + المهاريه + الاجتماعية) فهي تستمد من (القران الكريم وسنه النبي محمد (ص) واهل بيته (عليهم) وبذلك تساهم المدرسة ومناهج في تزويد المتعلمين بالتربية الأتية:-

التربية الإيمانية :- من المعلوم ان التربية الإيمانية معناها هو ربط المتعلم بعقيدته الإسلامية واصولها ربطا روحيا ، وذلك بتعريف المتعلم (العبادات – قراءة القران الكريم واحاديث الرسول محمد (ص) واهل بيته الاطهار) وبالتالي نغرس في نفوس المتعلمين الخشوع والتقوى وترويضهم على حب الانسان وقبول الاخر ، واستخدام اسلوب الحوار ...

ب:- التربية الخلقية :- من المعلوم ان التربية الخلقية تهدف الى غرس القيم الأخلاقية الفاضلة والتي تؤكد على (الصدق ، الأمانة ، الاستقامة ، واحترام الكبير والصغير ، واكرام الضيف ، والاحسان الى الاخر) وبهذا الصدد يقول الرسول محمد (ص) ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذي) رواه الترمذي ،

أ- التربية الروحية :- تهدف التربية الى بناء الانسان والمجتمع على القيم ومنها (الايثار ،الفرائض الإسلامية ،(جزاء الله وثوابه ، الانفاق في سبيل الله ، جهاد النفس ، الجهاد في سبيل الله ، الصلاة ، الصوم ، الحج ، الزكاة ، الخمس ، التوبة ، حب اهل بيته (عليهم السلام) ويقول الرسول محمد ً) (ربوا اولادكم على ثلاث خصال (حب نبيكم ، حب اهل بيته ، قراءة القران) (كنز العمل ١٦ : ٤٥٦)

د-التربية الاجتماعية ، نهدف التربية الاجتماعية الى بناء العلاقات الاجتماعية السوية بين البشر وانعكاسها على جوانب الحياه العامة في المجال السياسي (نظام الحكم العادل

، والحكم شورى) وامرهم شورى بينهم)والمبادئ العدالة والانصاف ، والمساواة ، وبذلك شجع الاسلام على (الصدقة ، الزكاة ، الخمس) في المجال الاقتصادي

ه- التربية القرآنية :- من المعلوم ان القران الكريم هو الرسالة الإلهية الخالدة ومستودع الفكر والوعي ، ومنهج الاستقامة والهداية ، ومقياس النقاء والأصالة ، وبذلك ان التربية القرآنية تعلم الطفل الناشئ قراءة القران الكريم) معناه بناء شخصيه ايمانيه الصادقة تحب قراءة القران وتدبره ، وبذلك خلقنا سلوك مستقيم ، اضافه الى ذلك نعلم النطق الجيد وسناء خلق قائم على الخشوع لله سبحانه تعالى ، ويقول الرسول محمد (ص) (الحافظ للقران العامل به مع السفرة البررة)

و-التربية الأخلاقية : تهدف التربية الأخلاقية في الاسلام الى بناء الانسان على خلق عظيم وبالتالي بناء مجتمع قائم على القيم الأخلاقية الفاضلة ، ومعناه غرس القيم الأخلاقية الفاضلة التي يريدها الاسلام وهي (العدل ، المساواة ، الحرية ، الحوار والتعايش السلمي) وانعكاسها في مجالات الحياه العامة ، السياسية ، الاقتصادية ، والاجتماعية ، اضافه غرس القيم الصدق ، الأمانة ، اداء الواجب ، استثمار الوقت ، مساعده الناس ، الايثار ، والاعتماد على النفس ، وحب الناس

ز- التربية الجهادية :- تهدف التربية الجهادية الى اعداد مسلمين يكونوا قادرين على الدفاع عن الوطن والامه الإسلامية ضد الاعداء وحمايه الارض والعرض والمقدسات ، استنادا الى قوله تعالى (واعد لهم ما استطعتم من قوة ترهبون به عدو الله وعدوكم) ، وقولة الرسول محمد (ص) (من مات ولم يغزو في سبيل الله او لم ينو الجهاد مات ميته جاهليه)

ب- التربية الرياضية :- تهدف التربية الرياضية الى بناء البدن او الجسم القوي ، فهي تراعي في تكوين الجسم والعقل السليم والنفس بشكل متكامل ،اي تكامل بين القوى الروحية والجسدية ، وبذلك حث الاسلام على العناية بالجسم والغذاء والنظافة ، ومن المعلوم ان الاسلام هو الجمع بين القوة والفتوة ، فمشاركه ابناء المجتمع في هذه الأنشطة الرياضية بمعناه القضاء على التمييز العنصر والفئوي والقومي ، وبذلك نخلق التعايش

السلمي بين افراد المجتمع الواحد ، وكما يقال ان (الرياضة تجمع شمل ابناء الوطن)(الخاقاني : ٢٠٠١)

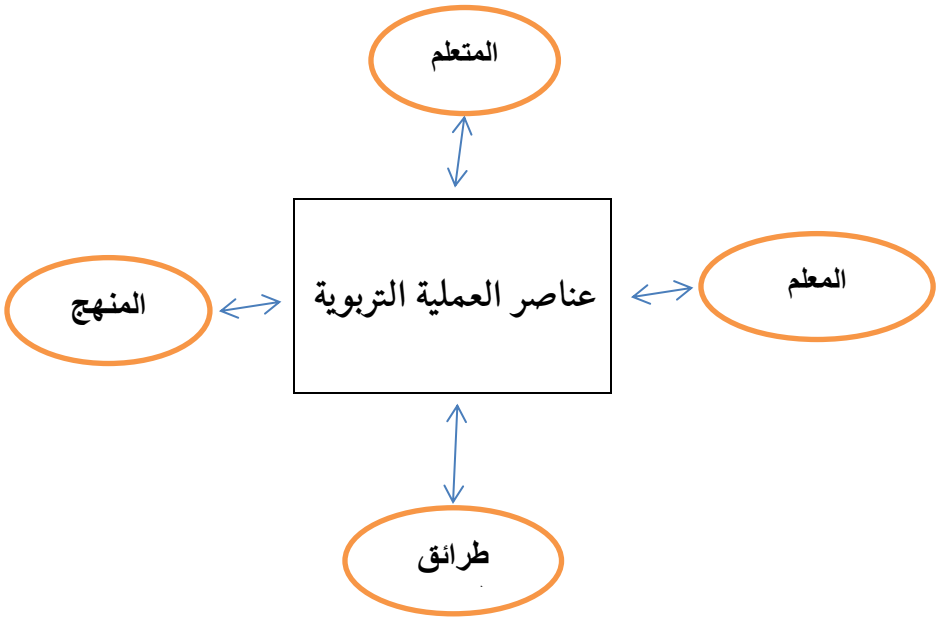
❖نظام التربية الإسلامية :-

من المعلوم ان النظام التربوي الاسلامي منبثق من نصوص القران الكريم والسنه النبوية المطهرة ومن اهدافها هي :-

- بناء انسان متكامل : تهمت ببناء الانسان المسلم بناء متكاملا من جميع جوانبه (الصحي والعقلي والروحي والنفسي والاجتماعي)
- بناء امه خير مؤمنه تخرج الناس من الظلمات الى النور
- بناء حضارة انسانيه اسلاميه (خلف الله سلمان)

(المبحث الثالث)

مضامين العملية التربوية الإسلامية وعناصرها في عهد الامام امير المؤمنين علي ابن اب طالب (عليه السلام) انظر الى العملية التربوية وعناصرها



اولا:- المتعلم المسلم :-

من المعلم ان الاسلام ينظر الى المتعلم على انه انسان متكامل شامل في تكوينه (الجسدي والمادي . والنفسي والروحي) وان النمو السليم يكون في شخصيته بشكل متكامل .

وفي ضوء ما تقدم يجب ان تلبي احتياجاته (المادية والروحية) بشكل متكامل ومتوازن استنادا الى فطرته الإنسانية وعناصر تكوينه فلا يطغوا حاجاته الجسمية على التسفيه ولا على النفسية ولا على الروح ولا الروح على الجسد والنفس ولا على الدنيا على الاخر . ولا نغمس في الدنيا متجاهل الاخر . وبذلك ان الانسان هو كائن محترم ومحكوم بالزمان والماكن ولا يمكن تكليفه على اكثر من طاقته بل تكون وفق استعداداته وقدراته وامكاناته البشرية .استنادا الى قوله تعالى (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)سورة البقرة /٢٨٦) وان الانسان حر في تفكيره وحر في عمله بما يدعم استقلاله وعدم الاعتداء عليه استنادا الى قوله تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ادع الى سبيل) سورة النحل /١٢٥ وكذلك التأكيد على تطبق العقيدة الإسلامية واقترانها بالسلوك استنادا الى قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ

(سعيد ابو طالب ورشراش)

وبهذا الصدد يقول الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) عن المتعلم المسلم :-

☒انا عبد من علمني حرفا واحد ان شاء باع وان شاء اعتق وان شاء استرق)

☒العمر اقصر ان تعلم كل ما يحسن بلك علمه فتعلم الاهم فآلامهم)

☒طوبى لمن ذل نفسه ، وطاب كسبه . وصلحت سريرته . وحسنت خليقته . وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من لسانه)

☒للمؤمن ثلاث علامات : علمه بالله . ومن يحب ، ومن يبغض . ولابد للعامل من ثلاث . اي ينظر في شانه . ويحفظ لسانه ، ويعرف زمانه)

ثانيا:- المعلم المسلم :- من المعلوم ان للمعلم منزلة كبيرة في الاسلام ، فقد نصب الرسول الاعظم محمد (ص) نفسه معلما للمسلمين ، وقال (ص) (انما بعثت معلما) وفال (ص) (من علمني حرفا ملكني عبا) ، فالمعلم من اشرف المهن ، فهو الذي يهذب نفوس الناس من الذنوب المذمومة وارشادهم الى الاخلاق الفاضلة ، ويقال ان المعلم يتصرف في قلوب البشر ونفوسهم . فهو اشرف موجود في الارض وعمله ان يكون قربه لله تعالى (الدينوري هجي ص ١٢) وتأسيسا على ما تقدم كانت منزله المعلم كبيره وهي محو الأميه ، اي تعليم الصبي القراءة والكتابة وخاصه قراءه القران الكريم وبعض العلوم الأولية تقيدهم في حياتهم اليومية ، وعلى المعلم ان يعامل الصبيان بالسوية فقيرهم مع غنيهم دون تمييز وان ولا ينشغل المعلم في اي شيء اثناء الوقت المخصص لهم في التعليم والدرس فالمعلم وهو المقوم بنيان اسس التربية والعنصر الاساسي الذي يشرف على العملية التربوية . فهو الذي يمثل الدول الناقل للمبادي من قيم واخلاق والتربئة العملية . فهو اسوة حسنه في التربية والاخلاق والنموذج . اي يقوم ببناء شخصيه المتعلم بوعي.

وبهذا الخصوص يقول الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) :-عن المعلم المسلم :-

- ☒لابنه الحسين (عليه السلام) (هلك من ليبس له حكيم يرشده)(كشف النعمة ج٢/ص٢٢٥ ص ١٣٥
- ☒تواضعوا لمن تتعلموا منه العلم ولمن تعلمونه ولا تكونوا من جباره العلماء (ميزان الحكمة ص ٦- /٤٨٦
- ☒قلب الحدث كالأرض الخالية اذا لقي فيها شيء قبلته
- ☒لا يستحي جاهل ان يسال ولا يستحي علم ان يعلم ان يقول الله اعلم والصبر من الايمان بمنزله الراس من الجسد ولأخير في جسد لا راس له و طالب ايمان لأصبر له
- ☒ وانما نفسي اروضها بالتقوى لتأملي امنه يوم الخوف الاكبر

☒ان الاكل من عرق اليد والجبين والكسب الحلال واصلاح السريرة والأمانة وحسن التخلق اثناء العمل . والانفاق في فضل اليد وعدم الخلف بالوعد والعهد والغش في البيع والخيانة والذم والمطامع بالبيع والاحتكار بالبيع والشراء

☒انا عبد من علمني حرفا واحد . ان شاء باع . وان شاء اعتق ، وان شاء استرق

ومن المعلوم ان المدرسة لا يمكن ان تقوم بوظيفيتها التربوية والتعليمية الا من خلال المعلم . فالمعلم هو المحور الرئيسي للمدرسة وعمدتها الأساسية . لان كل ما لها متأثر من افكار . معلومات . عقائد . امنيات .في بناء الانسان

وفي ضوء ما تقدم . اضافه الى المعلم لدى الطفل يقوم بدور الاب فهو القدوة والنموذج في سلوكه وانماط افكاره وطرق حياته واساليب نظامه . وبذلك فالمعلم يؤثر على سلوك المتعلمين بالتفكير والتقليد والاقتداء والتمثيل

وفي ضوء ما تقدم ان دور المعلم يشه دور الانبياء وهم معلمو البشرية لذا فدوره حساس جدا ومسؤوليه ثقيلة يخرجون الناس من الظلمات الى النور . وان المعلم الاول هو الله سبحانه وتعالى الذي يبلغ الانبياء والرسل في نشر القيم والمبادئ والعقائد السامية (حلباوي ص ١٩٢)

وبهذا الصدد يقول الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

خصائص المعلم المسلم في نظر الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

١) الايمان والاخلاص :- وهو ان الايمان الحقيقي بالله استنادا الى قولا الرسول الاعظم محمد (ص) ((الايمان معرفه القلب (الاقرار) والقول باللسان (الاعلان) وعمل الاركان . وقول الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)(الايمان من اصل الحق. والحق سبيل الهدى. وسيفه جامع الحلية . فديم العدة ... ان الايمان يستدل على صالح الاعمال وكذلك قول الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (ثلاث من كن فيه كمل ايمانه العقل والحلم والعمل)

٢) القدوة الحسنه : فالمعلم ان يكون قدوه في القول والفعل . استنادا الى قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً{٢١} سورة الاحزاب /٢١

٣) الصبر وسعه الصدر :- اي يتطلب من المعلم الجهد والتضحية . لان يتعامل مع المتعلمين يختلفون في الميول والاتجاهات والانفعالات والبيئات والعمل الناجح يتطلب من المعلم ان يتخطاها بالصبر .

وبهذا الشأن يقول الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

☒(الصبر على الم يؤدي الى اصابه الفرصة .)

☒ (الصبر عون على كل الامور وبالصبر تدرك معالي الامور وبالصبر الظفر)

ثالثا:- المنهج الاسلامي :- لقد تعدد تعاريف المنهاج ب

•المنهاج :- يعني (نهج) اي الطريق ، ونهجا ونهوجا . وضح واستبان

•المنهاج :- يعني الطريق الواضح ، وانتهج الطريق واستبانة وسلكه .والنهج : البين الواضح وفي التنزيل (و لكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) سورة المائدة /٤٨ .والنهج في اللغة العربية – الطريق الواضح ومثله النهج والمنهاج .وانهج الطريق : اي استبان وصار نهجا واضحا بينا : ونهجت الطريق ابنته واوضحته ، ونهجته ايضا اذا سلكته وفلان نهج سبيل فلان : اي يسلك مسلكه

❖المنهج في الاصطلاح :- هو خطوات منظمه يتخذها الباحث لمعالجه مساله او اكثر يتبعها للوصول الى نتيجة (خلف الله سلمان / ١٤٢٠ه)

أ-المنهج في الاصطلاح القديم :-هو مجموعه المقررات الدراسية التي تقدم للطلبة في العام الدراسي

ب-المنهج في الاصطلاح الحديث :- هو مجموع من الخبرات التربوية والاجتماعية والثقافية والسياسية والرياضية والفنية والعلمية التي تخططها المدرسة وتقديمها للطلبة داخل المدرس وخارجها بقصد تعديل سلوكهن وبناء شخصيتهم المتكاملة (العقلية + الجسمية + المارية + الوجدانية + الاجتماعية) طبقا للفلسفة التربوية التي تريدها الدولة والمجتمع (الزبيدي : ٢٠١٠) من المعلوم ان لكل عصر علوما ومنهاج ، وفي صدر الاسلام كان المنهج معتمد على قراءة القران الكريم والشرح وتفسير السور واحاديث الرسول الاعظم محمد (ص) ثم ترجمه الكتب من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ومنها (

الرومانية . الفارسية) وكذلك اللغة المسيحية ، اضافه الى مناهج اخرى الفقه ، كالحديث ، العلوم الطبيعية فيما بعد

والمنهج الاسلامي هو عباره عن (فكر وعمل) لذا فان هذا المنهج يدعو الى الايمان بالعلم . والدعوة الى العبادة مقرونه بالعمل . والدعوة الى التفكير والفكر والتأمل ومقرونه بالدعوة الى تنميه الروح والوجدان . والدعوة الى الغاية مقرونه بالنظر الى الوسيلة

رابعا:- طرائق التعليم او التدريس:-

تعد طريقه التدريس احد كمكونات المنهج المدرسي المتمثلة ب(الاهداف التعليمية . والمحتوي . الذي يختاره المختصون في المناهج) وعليه فان الطريقة تعد بمثابه همزة وصل بين (المتعلم ومكونات المنهج) ولأجل تكوين موقف تعليمي داخل الصف ناجح (سماحة السيد الصدر ٢٠١٧)

وطريقه التدريس . فهي مجموع الخطوات والقواعد والاجراءات التي يقوم بها المدرس . بقصد تنظيم عمله لبلوغ اهداف التعليمية والتربوية وبذلك فان الطريقة التدريس تمس مباشره (الفرد والمجتمع) ولها اثار ايجابيه اذا استخدمت بشكل صحيح (سعيد . ورشراش ص٩٦) وقد نالت طرائق التدريس حضروه في مناهج اعداد المعلمين و بها يقاس نجاحه اذا اصبحت الطريقة ركن اساسي من اركان التدريس وعنصر فاعل في العملية لتربيبيه حتى عبر احد المربين (بانها ساق من سيقان التربية والتعلم والساق الاخر هي المنهج . فلا تستطيع عمليه التعلم من السير على ساق واحد . فليس للمنهج والموضوعات الدراسية الاخرى قيمه اذا الم تنفذ بطريقه مثاليه تصل الى المتعلم) اذا من خلال طريقه التدريس وسلوك المعلم تستطيع ان تغير من سلوك المتعلم وبناء الانسان الحقيقي

لذلك عرفت الطريقة بانها (عباره عن خطوات يتبعها المدرس لتحفيظ طلابه اكبر قدر من المادة العلمية الموجودة في المنهج والكتاب) وعليه اصبحت طريقه التدريس (بانها الوسيلة لوضع الخطط وتنفيذها في مواقف الحياه يعتمدها المدرس والطالب لتحقيق اهداف التربية والمنهج (سماحه السيد حسين الصدر)

❖اتجاهات في تطوير العملية التربوية :- لقد حدد طرائق التدريس تحديد الاسلوب الافضل في استخدامها في طرائق التدريس وهي :-

أ-اسلوب الأبوة والشفقة: ان الذي يدرس طريقه التدريس هذه (ان يحول المعلم الى اب روحي)

ب-اسلوب الإثارة او الدافعية :- ان الذي يدرس طريقه التدريس هذه ان يحفز المتعلم بالمدح والتشجيع واللعب)

ت-اسلوب التعزيز :- ان الذي يدرس طريقه التدريس هذه(ان يراعي الاستعدادات والقدرات التي يتمتع بها الا المتعلم والمعلم)

ث-اسلوب التدرج والتوجيه : ان الذي يدرس طريقه هذه(ان يراعي ما يناسبه من العلوم)

ج-اسلوب القدوة :- ان الذي يدرس طريقه التدريس هذه (ان يكون قدوه حسنه في القول والعقل)

لقد اتبع المسلمين طرائق مختلفة في التعليم والتدريس ومنها

○الاملاء :- فقد كان المعلم يملي على المتعلمين المادة لعلميه

○المحاضرة :- كان المعلم يبقى المحاضرة على المتعلمين فيسرد لهم الكلام او الموضوع

○الشرح :- كان المعلم يشرح للمتعلمين ما علق او اشكل على المتعلمين من مفاهيم ومعلومات .

○المناقشة : كان المعلم يستمع للمتعلمين ويفسح المجال للمتعلمين في ابداء الراي

○المناظرة وابداء الراي، كان المعلم يترك للمتعلمين بطرح الأسئلة ومناظرة الاخرين في موضوعات مختلفة (الابراشي : ١٩٨٤)

اقوال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب في التعليم والتربية :-

وبهذا الصدد يقول امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في التعليم التربية

١-الحق جيد وان طالت الايام. والباطل مخذول وان نصره اقوام) (وسائل الشيعة ج ٢٥ ص٤٣٣ ح ٣٢٢٩٢)

٢-ما من يوم يمر على ابن ادم الا قال له ذلك اليوم . يأبن ادم انا يوم جديد وانا عليك شهيد . فقل في خيرا . واعمل في خيرا . اشهد لك به في القيامة . فانك لن تراني بعده ابدا) (اماني الصدوق . ص٩٥ . بحار الأنوار ج ٦٨ . ص١٨١ . ح ٣٥)

٣-اطعموا صبيانكم الرمان . فانه اسرع لا لسنتهم) (امالي الطوسي . ج١ . ص٢٧٢ . بحار الانوار . ج ٦٣ . ص١٥٥ . ج ٥)

٤-الزبيب يشد القلب . ويذهب بالمرض . ويطفيا لحراره . ويطيب النفس) (امالي الطوسي ج/١ ، ص٢٦٢ . بحار الانوار ج ٦٣ . ص١٥٢ . ج ٥)

٥-اطرقوا اهليكم في كل ليليه جمعه بشيء من الفاكهة . كي يفرحوا بالجمعة) (عدة الداعي . ص ٨٥ . بحار الانوار . ج ١٠١ . ص٧٣ . ج ٢٤)

٦-كلوا ما يسقط من الخوان . فانه شفا . من كل داء باذن الله عز وجل لمن اراد ان يستشفي به (مستدرك الوسائل . ج . ص ٢٩١ .ج ١٩٩٢٠)

٧-لا ينبغي للعبد ان يثق بخصلتين (العافية والغنى) بينا تراه معافا اذا سقم . وبينا تراه غنيا اذا افتقر) (بحار الانوار . ج ٦٩ . ص٦٨ . س٢ .ضمن ح ٢٨)

٨-للمرائي ثلاث علامات . يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان في الناس . ويزيد في العمل اذا اثني عليه . وينقص اذا ذم) (المحجة البيضاء . ج ٥ . ص ٤٤١ . تنبيه الخواطر . ص ١٩٥ . س١٦)

٩-اوصى الله تبارك وتعالى الى نبي من الأنبياء . قل لقومك لا يلبسوا لباس اعدائي . ولا يطعموا مطاعم اعدائي . ولا يتشكلوا بمشاكل اعدائي . فيكونوا اعدائي) (مستدرك الوسائل ج ٣ . ص ٢١٠ . ح ٣٣٨٦)

١٠-تفضل على من شئت . فانت اميره . واستغن عمن شئت فانت نظيره . وافتقر الى من شئت . فانت اسيره) (بحار الانوار . ج ٧٠ . ص٢١)

١١-يأبن ادم . لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك على يومك الذي انت فيه . فان يكن من اجلك . فان الله فيه يرزقك) (نزهه الناظر وتنبيه الخواطر للحلواني ص ٥٢ . ج٢٦)

١٢-قدر الرجل على همته ، وشجاعته على قدر نفقته . وصداقته على قدر مرؤته . وعفته على قدر غيرته) (٠ نزاهة الناظر وتنبيه الخواطر . ص ٤٦ . ح ١٢)

١٣- من شرب من سؤر اخيه تبركا به . خلق الله بينهما ملكا يستغفر لهما حتى تقوم الساعة) (الاختصاص للشيخ المفيد ص ١٨٩ . ص٥)

١٤-لا خير في الدنيا الا لرجلين . رجل يزداد في كل يوم احسانا ، ورجل يتدارك ذنبه بالتوبة . وانى له بالتوبة ، والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه الا بولايتنا . اهل البيت)(وسائل الشعبة ج١٦ . ح٥)

١٥-عجبت لابن ادم . اوله نطفه . واخره جيفه . وهو قائم بينهما وعاء للغائط . ثم يتكبر) (وسائل الشيعة ج/١ . ص٣٣٤ . ج ٨٨٠)

١٦-اياكم والدين . فانه هم بالليل . وذل بالنهار) (وسائل الشيعة . ج ١٨ . ص٣١٦ . ح٢٣٧٥٠)

١٧-يا كميل قل الحق على كل حال . ووادد المتقنين . واهجر الفاسقين . وجانب المنافقين . ولا تصاحب الخائنين) (تحف العقول . ص ١٢ . بحار الانوار ج ٧٧ . ص٢٧١ . ح١)

١٨-سل عن الرفيق قبل الطريق . وعن الجار قبل الدار) (بحار الانوار ج٧٦ . ص١٥٥ ح٣٦ . ص٢٢٩ .ح١٠)

١٩-اعجاب المرء بنفسه . دليل على ضعف عقليه) (اصول الكافي ج١ . بحار الأطوار ج١ . ص ١٦١ . ح ١٥)

٢٠-ايها الناس . اياكم وحب الدنيا . فأنها راس كل خطيئة . وباب كل بليه . وداعي كل رزيه) ٠تحف العقول . ص١٥٢ . بحار الانوار . ج٨٧ . ص٥٤ . ح٩٧)

٢١-السكر اربع سكرات . سكر الشراب ، سكر المال . وسكر النوم . وسكر الملك) ٠الخصال ج٢ . ص١٧٠ . بحار الانوار ج٧٣ . ص١٤٢١ .ح ١٨)

٢٢-يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم) (شرح نهج البلاغة . محمد عبده . ج٣ . ص١٦٥)

٢٣-في القران نبا ما قبلكم . وخبر ما بعدكم . وحكم ما بينكم) (شرح نهج البلاغة ، فيض الاسلام . ص١٢٣٥)

٢٤-نزل القران اثلاثا . ثلث فينا وفي عدونا . وثلث سنن وامثال .وثلث فرائض واحكام)(بحار الانوار ج ٧٠ . ص١٣)

٢٥-المؤمن نفسه من تعب . والناس منه في راحه) (بحار الانوار . ج٧٥ . ص٥٣ . ح١٠)

٢٦-كتب الله الجهاد على الرجال والنساء . فجهاد الرجل . بذل ماله ونفسه حتى يقتل في سبيل الله . وجهاد المرآه ان تصبر على ما ترى من اذى زوجها وغيرته) ٠ وسائل الشيعة ج ١٥ . ص ٢٣ . ح ١٩٩٣٤)

٢٧-من تقلب الاحوال . علم جواهر الرجال) (شرح نهج البلاغة ، فيض الاسلام . ص ١١٨٣)

٢٨-ان اليوم عمل ولاحساب . وغدا حساب ولا عمل)(شرح نهج البلاغة . محمد عبده . ج١ . ك٤١)

٢٩-اتقوا معاصي الله في الخلوات . فان الشاهد هو الحاكم) (شرح نهج البلاغة . محمد عبده . ج . ص ٢٣٤)

٣٠-اغتنموا الدعاء . عند خمسه مواطن . (عند قراءة القران . وعند الاذان . وعند نزول الغيث . وعند التقاء الصفين للشهادة . وعند دعوة المظلوم . فانه ليس لها حجاب دون العرش) (اماني الصدوق . ص٩٧ . بحار الانوار ج ٩٠ . ص٣٤٣ . ج١)

٣١- من اراد البقاء فليجود . الغذاء . وليأكل على نقاء . ويشرب على ظمأ

٣٢- يأبني اياك مصادقه الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك

٣٣- لا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة

٣٤- واعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لأخرتك كأنك تموت غدا

اولا:- الاستنتاجات :-

١-ان عهد الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) هو امتداد طبيعي لعهد الرسول الاعظم محمد (ص) في الحكم والسلطة والجانب التربوي والتعليمي الذي استند الى

احاديثه (طلب العلم فريضه على كل مسلم ومسلمه) وكذلك من سلك طريقا يلتمس فيه العلم سهل الله له طريقا الى الجنة . وكذلك اطلب العلم ولو كان في الصين . ان مداد العلماء خير من دماء الشهداء

٢-التعرف على ابرز جوانب القوة في عناصر العملية التربوية وتعزيزها في الوقت الحاضر

٣-التعرف على جوانب القصور في عناصر العملية التربوية وتصحيح مسار العملية التربوية في الوقت الحاضر

٤-اهميه الكوفة كحاضرة اسلاميه ومدينه العلم والسلطة والحكم في عهد الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

٥-توظيف مضامين التربية والتعليم وعناصرها في الكوفة في عهد الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وتوظيفها كموجات تروبيه وتعليميه في المستقبل

٦-لفد حث الاسلام على العلم والعمل في الدنيا والأخرة ، فالدنيا مزرعة الأخرة ، ولا يتم الدين الا بالدنيا) ومن المعروف ان الكتابة هي اساس الحضارة في تدوين العلوم والمعارف وتحفظ ثمرات العقول وتسهل التعلم والتعليم ، اي ان الاسلام دين علم ونور لا دين جهل و ظلمه فأول ايه نزل بها الوحي امر الرسول الاعظم محمد (ص) بالقراءة والكتابة والعمل به واستنادا الى قوله تعالى ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{٥} سورة العلق : ايه) استنادا الى قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً{٢١} الاحزاب /٢١) لذلك نقول ان اهل البيت (عليهم السلام) نشروا الدين الاسلامي والدعوة الإسلامية عن طريق الكلمة الطيبة والحوار البناء في اظهار الحقائق وفي معالجه كثير من المشكلات الخلافية وكذلك اعتمدوا على مفهوم التسامح والتعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين

٧-وعليه ان المناهج الدراسة الجامعية التي يدرسها الطلبة لها اثر كبير في توجيههم نحو الدراسة فهي تعلم التفكير وتسد الثغرات التي يحتاجها الطالب والمجتمع من معلومات

وقيم واتجاهات ايجابيه فهي تدري القران الكريم واحاديث الرسول الاعظم محمد (ص) واحاديث اهلي البيت (عليهم السلام) استنادا الى قول الامام

٨-ان الامام علي بي ابي طاليه (عليه السلام) هو تلميذ الرسول الاعظم (ص) الذي فرع علومه في صدره وعلمه ابواب العلم ، حتى قال الامام علي بي ابي طالب (عليه السلام)(لانا اعلم بالتوراة من اهل التوراة ، واعلم بالإنجيل من اهل الانجيل)وبذلك فهو عالم بالشريعة وتعاليم الاسلام والقضاء والفتوى ودرجات الايمان بالله ومعرفته نابعه من القران الكريم ومصاحبه رسول الله محمد (ص)

ثانيا :- التوصيات والمقترحات :-

١)على وزارة التربية والتعليم ضرورة تضمين اقوال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في مضمار التعليم والتربية والمناهج الدراسية لكي يتم تبصير الطلبة بمضمون مكانه العلم والعلماء في نظر امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) مستقبلا

٢)على وزاره التربية والتعليم تصميم كتيب تضم اقوال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) كمصدر يسترشد به المعلمين اثناء تدريس مستقبلا

٣)اقامة تعاون وتنسيق بين مراكز البحوث بين الجامعات في عقد مؤتمرات تسلط الضوء على اقوال الامام امير المؤمنين في ميدان اخرى مستقبلا

المصادر :-

-القران الكريم

١)الابراشي، محمد عطية ، الاسلام منقذ للإنسانية ، مكتبه مصر، مصر ،١٩٧٤م

٢)الزبيدي . صباح حسن عبد . مناهج وطرائق تدريس المواد الاجتماعية . دار المناهج للطباعة والنشر والتوزيع . الاردن . ٢٠١٠

٣)ا الزبيدي ، صباح حسن عبد ، التربية وعلم النفس وطرائق تدريسها ، دار الحسن للنشر والتوزيع ، الاردن ٢٠١٤

٤) الزبيدي . صباح حسن عبد (دور معلم البشرية الرسول الاعظم محمد (ص) في العلم والتعليم والتربية لبناء المجتمع الاسلامي الموحد – دراسة نظرية)) بحث مقدم الى

.للمشاركة في المؤتمر العلمي الرسول الاعظم محمد (ص) معلم البشرية ، الذي يقيمه مركز التنمية للدراسات والتدريب مع حزب الفضيلة الاسلامي ، ٢٠١٧/٢/١٢
٥)ابراهيم و نوفل ، الوجيز في مصطلحات التربية وعلم النفس ، دار الجندي ، سوريا ٢٠٠٣
٦)بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ١٩٧٧
٧)حجازي ، سمير سعيد ، معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ، نظرية المعرفة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٥
٨)خلف الله ، سلمان محمود حسين ، منهج النبي (ًص) في التعامل مع الناشئة، مكتبه الافكار الدولية
٩)علي ، محمد السيد ، موسوعة المصطلحات التربوية ، دار المسيرة ، الاردن ٢٠١١
١٠)الديوه جي ، سيعد ، التربية والتعليم في الاسلام دار الفرقان ، بيروت ١٩٨٢
١١)الصدر . السي حسين الصدر . اتجاهات في تطوير العملية التربوية . منشورات كليه صدر العراق ٢٠١٧
١٢)حلباوي . الشيخ الدكتور علي اسعد . التربية المدرسية ومنهجية التدريس . دار الصفوة . بيروت ٢٠١٠
١٣)السيد . كمال . اربعون حديثا واربعون رواية عن الامام امير المؤمنين علي (عليه السلام) مع قبس من السيرة والحياه . بيروت ٢٠٠٥
١٤)الخاقاني . فاطمه محمد محمد طاهر . الامن التربوي للطفل في الاسلام . دار المحجة البيضاء . لبنان ٢٠١١
١٥)سعيد . ابو طالب محمد . ورشراش انيس عبد الخالق . علم التربية التطبيقي. المناهج وتكنولوجيا تدريسها وتقويمها . دار النهضة العربية . بيروت ٢٠٠١

الكتب والمصادر الاخرى :-

•تاريخ التربية والتعليم في صدر الاسلام ، عامر جاد الله ابو جبله ، مطبعه السحاب و الاردن ١٩٩٨
•سنن ابن ماجد ١١٢١/٢/٣٣

•بحار الانوار،ج٢ ، ص ٦٨ .ج١٩

•بحار الانوار ج، ص ٦٨ ، ج١٧

ملخص البحث باللغة العربية والإنكليزية

the problem-:

The problem of research is to identify the contents of Islamic education and education and the elements of the Islamic educational process represented by (learner - teacher - curriculum - methods of teaching and teaching) in Kufa in the era of the Imam of the Faithful Ali Ibn Abi Talib (peace be upon them) and their employment at the present time as educational and educational guidance.

By asking the question. It was during the reign of Imam Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him) , whose rule was characterized by divine justice. Where he covered all areas of life (political - economic - social - cultural - educational) Kufa was the center of radiation, cultural and intellectual and educational contributed to the construction of Islamic civilization at that time gold. What are the most important aspects of education and education and its components in Kufa in the era of the dispute Imam Imam of believers Ali Ibn Abi Talib? Is it possible to employ them in the education of Islamic education and its elements as basic directions at present؟

Hypothesis Search

Al-Kufa was the center of cultural, intellectual, intellectual, cultural and educational radiance covering all aspects of life (political, economic, social, cultural, educational) in the era of the Imam of the Faithful Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him) Curriculum - methods of teaching and teaching) in Kufa and whether they can be employed as educational and educational guides and elements at the present time؟

Search questions

What is the meaning of Islamic education and education in Kufa during the reign of Imam Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him

٢- What is the content of the educational process and its components (learner + teacher + curriculum + methods of teaching or teaching) in Kufa in the era of Imam Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him؟(

٣- Is it possible to employ Islamic education and education and its components as educational and educational orientations in the future؟

Research Methodology-:

The researcher relied on proving the hypothesis on the analytical descriptive method of the literature which dealt with the field of education and Islamic education and elements of the educational process (learner + teacher + curriculum + teaching methods or teaching) and then devising indicators of education and Islamic education and its components as future directions

Search Pla -:

The current research deals with ٣ questions. The first topic: - Kufa in terms of location, design, scientific, educational and scientific place in the era of the Imam of the Faithful Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him). The third topic dealt with the contents of the educational process and Islamic elements (learner + teacher curriculum + methods of teaching or teaching during the reign of Imam Ali Abi Talib (peace be upon him) dealt with the contents of education and Islamic education in the era of the Imam of the Faithful Ali Ibn Abi Talib The use of the contents of education and Islamic education and its components as educational and educational orientations and elements in the future

التفكير فوق المعرفي في خطب الإمام علي " عليه السلام "
دراسة تحليلية

أ.م.د. جليلة صالح العلاق
أ.م.د. وسام أحمد شهاب المطيري
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

المقدمة:

الحمد لله الذي اختص بجلائل المآثر، والصلاة والسلام على نبيه وأهل بيته المتصفون بنفائس المفاخر.

وبعد...هذه وقفة متأملة أخرى عند من وصفة المصطفى ﷺ بقوله: " أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فَمنْ أرادَ المدينة فليأتِها من بابِها" [١]؛ لنقتبس من خطابه شذرات نسلط الضوء عليها من زاوية علَّها تمثل إطلالة جديدة ورؤية فكرية حديثة على ما أنتجه فكر ذلك الرجل الذي اجتمعت فيه سمات العالم الفيلسوف، ورجل الدين السياسي، والحكيم الواعظ والفارس المحارب ، شهد الدعوة منذ بزوغ فجرها وسار على نهجها، ناظر الأديان ، وواكب التيارات ، وواجه الصراعات مدافعاً بسيفه ولسانه ، فكان أفصح العرب بعد الرسول منطقاً، وأبرعهم حجةً ، تاركاً لنا نهجاً للبلاغة ، وصرحاً للحكمة والموعظة ؛ لذا كان حريّ بنا أن نقف وقفةً متأنيةً عند خطابه متلمسين استراتيجيات التفكير فوق المعرفي عنده ، ومستقصين الآليات والاستراتيجيات اللغوية والتداولية المعبرة عن ذلك المستوى المتفرد من التفكير.

وبعد استقراء الخطب وقع الاختيار على إنموذجين طبقت عليهما الدراسة التي كانت على قسمين:

الأول: استراتيجيات التفكير فوق المعرفي.

الثاني: استراتيجيات الخطاب.

يسبقهما التمهيد الذي تضمن بيان مفهوم التفكير فوق المعرفي ، ومفهوم استراتيجيات الخطاب، وتنتهي بخاتمة بين فيها الباحثان أهم ما توصل إليه البحث.

التمهيد

أولاً: استراتيجيات التفكير فوق المعرفي

يعد مصطلح الاستراتيجية مصطلحاً عابراً للتخصصات ، وتعود أصول استعماله إلى فنون الإدارة والحرب والعلوم السياسية والاقتصادية ، والذي يهمنا في ضبط المفهوم هو معرفة المقصود منه أساساً حتى نستطيع وضعه في علاقة تخصصية مع التفكير، ونستطيع فهمها بشكل عام على أنها فعل وإجراءات وخطوات يقوم بها الفرد ابتغاء غاية محددة تكون بمثابة الهدف له ، ولا يخلو هذا الطريق من صفة التخطيط على المستوى الذهني لدى الفرد، إذ لابد من تكوين تصور يقوم على أساسه الشطر الثاني من الاستراتيجية ، وهو الفعل الذي يكون على شكل سلوك ، ويرتكز العمل في كلا الشطرين على المتلقي فهو الذي يحلل السياق، ويخطط لفعله ؛ ليختار من الإمكانات ما يفي بما يريد فعله حقاً، ويضمن له تحقيق أهدافه [٢].

إن نقل هذا المفهوم إلى مجال (التفكير) يقود إلى التداخل مع كثير من المفاهيم ، ومنها علم النفس المعرفي والعلوم التربوية وغيرها من التخصصات ليس من شأن البحث الولوج فيها، إذ إنه من المفيد الإبقاء على المعنى الذي يصفه علم النفس المعرفي ، وهو الذي اشترط وجود هدف معين، ومقام تردد، وغاية للبت في الطروحات المعرفية والتي سنمر عليها في ثنايا دراستنا هذه ، وعليه فإن مصطلح (استراتيجية) لا يكون مبرراً إلا إذا كانت النشاطات العقلية مبسوطة لتحقيق أهدافها الخاصة ، التي تأخذ في مقامات معينة أهمية ، وعكس النشاطات العقلية لتصب في بودقة التفكير المتسم بالتخطيط والمراقبة والتقويم ، وبما أن قوانين التفكير هي مجموعة من القواعد والمسلمات التي بنيت دراستها على ملاحظة ظواهرية التحاور الإنساني مع المحيط[٣]، فإن الاستراتيجية المستعملة فيها لا يمكن كشفها إلا في ظل معرفة القواعد؛ لذلك يرى الباحثان ضرورة النظر في خصائص المحاورات الإنسانية المعرفية قبل الشروع في بحث الاستراتيجيات الخاصة بالتفكير فوق المعرفي ، التي هي قيد الدراسة ؛ لنكشف أهداف ومقاصد استعمال هذا النوع من التفكير عوضاً عن أنواع التفكير الأخرى ؛ كي نبين غايات

البحث ، وعلى هذا تكون هذه الاستراتيجية مؤدية للغايتين الأساسيتين في ظواهرية التحاور الإنساني اللتين أشرنا إليهما سابقاً .

إن تنفيذ التخطيط الاستراتيجي بطريقة عملية سليمة في ضمن رؤية مبتكرة تعكس رؤية (المرسل) ورسالته وقيمه التي تتمثل بتفكير الإمام علي " عليه السلام " ، إذ يتضمن هذا التخطيط الالتزام بصياغة الأهداف العامة للمؤسسة الدينية، إذ إن هدف هذه الاستراتيجية هو بناء مستقبل للأفراد والأمة كونهم يتمتعون بوعي حذق يتخذ منه التأمل والتحليل والمراقبة مادة له ، وينتج صور ذهنية قابلة للتحقيق، وعليه يجب أن تتصف هذه الاستراتيجية بمواصفات تضمن نجاحها في جميع المواقف والمشكلات الحياتية ، ويجب أن تكون شمولية إذ تضمن جميع المواقف والاحتمالات المتوقع حدوثها، وأن تكون مرنه قابلة للتطوير، إذ توفر إمكانية تطبيقها على عينات متعددة ومختلفة في نفس الوقت أو أوقات مختلفة (مستقبلية) ، ومن الأمور الهامة التي يجب توافرها منها: ارتباطها بالهدف (الديني، والسياسي، والاجتماعي، والوعظي، وغير ذلك) للموضوع المقصود بالبحث وعلى وفق استراتيجية التفكير فوق المعرفي ، كذلك تراعي فيها طريقة التفكير ونمطية أي فرد أو جماعه ، ولابد من مراقبة الإمكانيات المتاحة داخل بيئة المتلقي ، حتى يكون مبدأ تحقيق هذه الاستراتيجية متاحة للتطبيق في جميع الأوقات(٤) .

من المعروف أن المتلقين يتفاوتون في الفروق الفردية فيما بينهم في استقبال المعلومات وفي تنفيذ الواجبات بمختلف أنواعها، والأنشطة التطبيقية التي تعطى في الخطبة ؛ لتنفيذها من قبل المتلقي للخطاب ، وهذه الفروق يجب مراعاتها في تحديد الاستراتيجية ، إذ من شأنها أخذ وقت يختلف باختلاف نوع المتلقي فبعضهم ينتهي من تنفيذ ما طلب منه بوقت أقل وبعضهم الآخر لا ينتهي من التنفيذ لأسباب كثيرة : منها عدم فهم المراد تطبيقه ؛ أو لوجود إعاقات تتعلق بالبيئة الاجتماعية ذاتها(٥)؛ لذلك وضع أمير المؤمنين " عليه السلام " في الحسبان في هذه الاستراتيجيات أمثلة لبعض الأنشطة الإثرائية والعلاجية في خطته لتقديمها للمتلقين المؤمنين ، والأقل منهم إيماناً في وقت واحد.

يستطيع منظم هذه الاستراتيجية تضمين خطته في بعض الأنشطة الإثرائية التي يتم تنفيذها من قبل المتلقي خارج الوقت المقرر للخطبة ، وتكون هذه الأنشطة مكملة ومرتبطة بالدرس ، ويمكن تنفيذها ، إذ تتعلق بالدرس الروحي والتأمل في الخلق ، ومفاتحة النفس فيما فعلت ، ومحاسبتها فيما اقترفت ، إذ يمكن دراسة الأحكام العامة والخاصة في مواضع مختلفة ، وإكسابهم المهارات والخبرات التي تمكنهم من الإبداع والفوز بالجنة ، التي هي القصد من وراء السعي عند المؤمن بعد إرضاء الله عز وجل ، ووضوح العلاقات بين الدين والإنسان، وهذا يساعد في إغناء الخطبة ويسرع في تحقيق هدفها المتعلق بتنمية مهارات التفكير فوف المعرفي لديهم ، إذ إنه يدرك كيف نشأ الكون ، ومن خلال ذلك يستطيع أن يقدم للمتلقي الروعة في تشكيل الشكل الكلي للكون وبنائه ، وبيان نوعية هذا الشكل وأهميته في بناء العقل المؤمن عند المتلقي ، ونوعية العلاقة بين الخالق والمخلوق وأين تقع نقطة تلاشي المخلوق أمام جلال رب المخلوقات(٦).

إن استعمال هذه التقنيات السائدة في إيصال علاقة الخالق بالمخلوق ، وعلاقته مع المحيط في داخل البناء الديني ، وما هي آلية بناءها وعلاقاتها المتبادلة ، أنتج لنا مجموعة من المعلومات الفوق معرفية ، لابد لنا من فهمها على وفق استراتيجيات خاصة يمكن توظيفها في تعليم وتعلم مهارات التفكير فوق المعرفي فيما يأتي (٧) :

١-استراتيجيات الوعي بالذات

٢-استراتيجيات تنظيم الذات

٣-استراتيجيات مراقبة الذات

٤-استراتيجيات التقييم الذاتي

تصف الاستراتيجية الأولى قابلية المتلقي لإدراك التعاليم المتنوعة، وهل أنه مدرك لتفكيره ، أي أنه يصف ما يدور في ذهنه عندما يبدأ بعملية التفكير، ومعالجة المعلومات للإفادة منها في حل المشكلات.

بينما تعالج الاستراتيجية الثانية تنظيم تلك المعارف بحسب طبيعتها وتسابقها الزمني للمتلقي وأهميتها، فيكون الفرد منظماً ذهنياً، أي عدم حفظ المعلومات بشكل عشوائي

؛ لأن ذلك سيؤدي إلى استرجاع تلك الأفكار والمعلومات عشوائياً [٨]، إذ تعد هذه الاستراتيجية من الأهمية بمكان في عملية التفكير فوق المعرفي ؛ لذا يركز الدارسون والباحثون في هذا النوع من التفكير على اعتياد المتلقي عملية التنظيم لذاته ، أي تنظيم رفد حافظته المعرفية وترتيبها بالشكل الذي يجعل استدعاء تلك المعارف وتعريضها للمحاكمات العقلية والتجريبية سَلِساً هيناً عليه ، مع شرط وجود المراقبة الدقيقة لذات المتعلم حرصاً من انزلاقه في يم العند والدغماتية ، فالمراقبة تعني توليف صيغ المضامين متجهة من الجزيئات إلى الكليات غايته التحليل واستنباط المعنى ، وهو نشاط بنائي تركيبي استقرائي ، إذ إن التفكير سلوك هادف لا يحدث في فراغ وإنما يحدث في مواقف معينة ؛ لتحقيق الخطوة الأخيرة من عملية بناء التفكير فوق المعرفي ، وهي تقييم المنجز الدلالي والحكم عليه بالاستفهام هل أنجزت المهمة أم لا [٩] .

ثانيا: استراتيجيات الخطاب

اللغة كما يقول هاليدي، " تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه"[١٠]، وهذه المقاصد هي ما يعول عليه المرسل عند إنجاز اللغة ، وهي ما ينبغي تحقيقه عند إنتاجه الخطاب ، وعلى وفق هذه المقاصد بات للغة وظيفتان: الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية ، أي أنها تؤدي وظيفة تداولية إلى جانب دلالتها المرجعية التي تحيل على المدلول ، ومن خلال هاتين الوظيفتين يسعى الخطاب إلى تحقيق أهداف محددة ومقاصد معينة ؛ لذا يعمد المرسل إلى خطط معينة تتباين بتباين السياق وعناصره ، وهي ما نطلق عليه استراتيجيات ولكل واحدة آليات وأدوات منها أنساق لغوية، تجسدها كفاءة المرسل التداولية ؛ لأنها سلسلة من الإجراءات الذهنية التي يقوم بها متأثراً في كل ذلك بالعناصر السياقية وتغيرها وتباين الظروف الذي يتبعه تباين في الاستراتيجية المنتقاة لتحقيق الهدف، فيكون الخطاب نتيجة للتفكير النظري والإنجاز اللغوي الذي يجده المرسل أنه الأمثل من بين الإمكانات التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها [١١]؛ لذا عرفت الاستراتيجية بأنها : " طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات ، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة"[١٢] .

هذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطاباً منظماً ومخططاً له بصفة مستمرة وشعورية، ويتجلى كل ذلك عند التلفظ بالخطاب فيما يسمى بـ (استراتيجية الخطاب) ، وهناك معايير واضحة صنفت على أساسها استراتيجيات الخطاب ، وهي:

١- المعيار الاجتماعي:

يتعلق بالعلاقة بين طرفي الخطاب ، وقد تفرع عليه استراتيجيتان، هما : الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التوجيهية.

ففي (التضامنية) يحاول المرسل التقرب من المرسل إليه وتقريبه مجسداً بذلك درجة علاقته بالمرسل إليه ، ونوعها بإزالة معالم الفروق بينهما ، ورغبته في المحافظة عليها ، أو تطويرها[١٣]، وهناك آليات ووسائل لغوية يستعملها المرسل في الخطاب التضامني تعكس الدوافع النفسية والاجتماعية فيه ، مثل : (الضمائر، والألقاب، وعبارات التودد ، وغير ذلك)[١٤]، وقد تتطلب بعض السياقات استعمال (الاستراتيجية التوجيهية) ، متجاوزة (التضامنية) ، حين تقتضي المصلحة ذلك سواء مصلحة المرسل أو المرسل إليه ، كما هو الحال في الخطابات التي تتطلب من المرسل تحقيق أفعال إنجازية معينة بالأمر ، أو الابتعاد عن أفعال أخرى بالنهي عنها، أو التحذير أو النصح والإرشاد ، عند توافر عاملي السلطة ، وقصد الخطاب في تحقيق المصلحة[١٥].

٢-معيار شكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل، وتأسس عليه (الاستراتيجية التلميحية) ، وفيها يعدل المرسل عن المباشرة إلى التلميح بالقصد عبر دلالة يستلزمها مفهوم الخطاب المناسب للسياق ، ويفهمها المرسل إليه ، وتحتاج من المرسل إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد، كما يتطلب من المرسل إليه عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد[١٦]، وتتحقق هذه الاستراتيجية بأدوات لغوية ، مثل : (ألفاظ الكنايات، الأفعال اللغوية غير المباشرة، الاستعارة والكناية والتعبير الاصطلاحي وغير ذلك) ، وآليات شبه منطقية ، مثل : (المخالفة ، والموافقة ، والاستلزام ، ودلالة الإشارة).

٣- معيار هدف الخطاب

وتُأسس عليه (استراتيجية الإقناع) : وهي استراتيجية تداولية تهدف إلى " إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي"[١٧]، إذ يسعى المرسل من خلالها إلى إقناع المرسل إليه بما يراه ، وتحقيق أهداف المرسل النفعية ، التي تتفاوت بتفاوت مجالات الخطاب وحقوله ، ومن الخطاب الإقناعي الشفوي تقدم " الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد فيه الأولى طبيعته الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال"[١٨]، وهنا تكمن أهمية الإقناع بوصفه هدفاً واستراتيجية في الوقت ذاته يستعمل فيها المرسل آليات كثيرة وأدوات لغوية وغير لغوية ، مثل : (ألفاظ التعليل، والسمات الدلالية ، الحجاج بالتبادل، وتحصيل الحاصل) ، إلى جانب الآليات البلاغية ، والأدوات شبه المنطقية (السلم الحجاجي) وغيرها [١٩].

أولاً: استراتيجيات التفكير فوق المعرفي

تحليل الخطة (٥٢)[٢٠]

استراتيجيات التفكير فوق معرفي	النص	مقياس التفكير	التحليل الإجرائي لخط التفكير
استراتيجية الوعي بالذات	أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ	تنظيم المعرفة	إن الانتباه إلى الحالات الداخلية التي يعيشها الإنسان، وعلى وفق هذا التأمل النفسي يقوم العقل بملاحظة الموضوع ودراسته بما فيه من انفعالات. قدم الإمام المعرفة إلى المتلقي على شكل عمليات نفسية يساعده بذلك على تحويل المدخل الحسي إلى استدعاءات في مواقف مختلفة.

			ظهر الإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " كحالة خاصة في تحقيق العمليات الذهنية وتكوين صور واعية لدى المتلقي عن طريق سلسلة من مواقف التعليم المختلفة وجعل المتلقي دائم التفكير في تنظيم معرفته المكتسبة عبر الألفاظ الواردة في الخطبة علماً أن الألفاظ هي من المحيط الدارج للفرد.
	فَهِيَ تَحفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْوَاً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوَاً	معرفة المعرفة	تكمن قوة التخيل كقدرة عقلية ، إذ قدم الإمام نتاج التفكير للمتلقي عبر ألفاظ تحولت إلى صور ذهنية ليس بمقدور المتلقي حذف أي صورة ذلك أن التفكير الذي قدمه الإمام يخاطب الجزء الأيمن من الدماغ ، الذي يكون فيه التفكير مختلف عن النصف الأيسر منه، إذ يحدث التفكير فيه دون وعي لفظي، أي يتحول اللفظ بشكل مباشر إلى صور؛ لذا يكون المتلقي أقل شعوراً به ، فالعملية مقصودة من قبل الإمام ليتغلب على وعي المتلقي الرافض للهداية باستعمال وعيه الذهني وتجنب وعيه الحسي ، ويكون المتلقي عاجزاً عن التحكم بالصور ، أما إذا استعمل نوعاً آخرَ من التفكير استطاع المتلقي عن طريقه أن يجد

			ظروفاً تمكنه من استدعاء الصور الخيالية من محفظته المعرفية في الجانب الأيسر من الدماغ ؛ للوصول إلى وعي هو يريده وليس الإمام. لقد استعمل الإمام جانبي الدماغ في التفكير إذ استدعى عمليات التخطيط والمراقبة والتحكم من الجانب الأيسر، وهي عمليات تفكير فوق معرفية رئيسية، وقام بربط هذه العمليات بآليات غير لفظية عن طريق رسم الصور الذهنية للمتلقي.
	فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ أَوْ جِرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ	معالجة المعرفة	للغة وظيفة هامة في إدراك المعنى، إذ إنها تهيئ له فرص كثيرة للانتفاع بالمعاني في معالجة مشكلات الحياة، ويتم ذلك بشكل أساسي من خلال الانتباه للألفاظ التي تجعله يطل منها على العالم المادي المحسوس أو الغير محسوس (الآخرة)، فتزيد من فرص فهمه لها. لقد قدم الإمام مدار بحثنا درساً لغوياً فريداً من نوعه، وتتجلى أهميته في عمليات التفكير التي أشبعها والتي من خلالها قاد المتلقي إلى التطوير الحاصل في المعرفة الذهنية ليتم فهم المتلقي ما يتلقى من رسائل على وفق

			تسلسله الموضوعي أو الزمني ، وبالتالي إصدار الأحكام على ما سمع من كلام صادر عن المرسل (الباث). نظراً لأهمية معالجة المعرفة عند المتلقي ، شرع الإمام علي " عليه السلام " إلى تقصي الفهم العام لدى جموع المتلقين ، وأن يضع عنواناً مناسباً له ، وأن يتكلم بمفردات من محيطه ؛ ليتم فهم المعنى العام والمعنى التفصيلي والضمني من السياق ، ف (الخطابة) هي عملية قراءة بصفة عامة إذ يتكون الفهم عند المتلقي ، وهو ناتج من حسن تصور المعنى ، وجودة استعداد الذهن ؛ للاستنباط مما يجعل المتلقي يستدعي جميع العلامات الرمزية المرتبطة بموضوع القراءة ، وكذلك الصور الحسية والدلالية والعقلية المرتبطة بالموضوع ، وكلما امتلك المتلقي رصيداً وفيراً من هذه الصور كان بمقدوره فهم الموضوع بصورة أدق وأسرع.
استراتيجية تنظيم الذات (مخططات)	فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ	تنظيم المعرفة	قدم الإمام المعرفة للمتلقي على شكل نظائر مباشرة للأشياء والأفعال

	عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيْهَا الْأَمَدُ		، وتعتمد على الخصائص الحسية الإدراكية لهذه الأشياء. إن المتلقي يحاول معرفة الحقائق التي تحتويها الخطبة ، إذ يحاول ترجمة ما يسمع إلى صور معروفة لديه من خلال البناء الداخلي لديه ، وهي عملية تفكير متعددة الأبعاد قادها الخطيب ؛ ليتم اكتشاف معنى ما أراد إيصاله إلى المتلقي عبر التفاعل ما بين الخطيب والنص والسياق. إن الفهم عملية استراتيجية تمكن المتلقي من استخلاص المعنى ويتم تقييم الرسالة المرسلة من قبل المتلقي على مستوى المعلومات والتأمل والفحص والبحث عن مزيد من المعلومات ؛ لتوضيح موقف أو فهم هذا الموقف.
	فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِيْنَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الحَمَامِ ، وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ	معالجة المعرفة	عندما تكون الكلمات قابلة للتخيل فإن فرصة إحالتها إلى صور بصرية تكون أكبر وهذا الأمر يفسر التفوق الحاصل لدى أتباع الإمام وتمسكهم به رغم الاضطهاد الواقع عليهم. إن مجموعة الخبرات التي يمتلكها المتلقي تتيح الفرصة إلى مواكبة الخطبة واستعمال التشفير غير اللفظي ، وهو

	مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُوْ لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ ،		الأبقى أثراً في عقل المتلقي، إذ إن العقل البشري بشقيه الأيسر والأيمن يتمكن من إضفاء المعنى على الرموز ، وتكون هي وسائله المتاحة للفهم ؛ ولإيجاد العلاقة بين ما هو خارج بيئته وداخل عقله ، أي بين العالم المحدود والّا محدود. يستعمل الإمام البناء المعرفي لدى المتلقي كوسيلة لتخزين المعلومات وبرمجتها وتنسيقها في آن واحد، إذ إن هذه العملية تعد وسيلة لإدراك المعاني والأنماط والرموز التي تُعطى في الخطبة. يقوم المتلقي بعد سماع الخطبة بتبادل خبراته التصويرية والتخيلية حول الرسالة مع بعضهم البعض وفي هذا يتم تذكر بعض الصور المفقودة ، وإكمال الصور الأخرى يعني إكمال المعنى المقصود ، وربما يكون لدى بعض المتلقين صوراً أكثر دقة للمعنى الوارد في الخطبة .

استراتيجية مراقبة الذات	وَتَاللهِ لَوْ انْمَاثَتْ قُلُوْبُكُمُ انْمِيَاثاً، وَسَالَتْ عُيُوْنُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ وَرَهْبَةٍ مِنْهُ دِمَاءً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ – وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئَاً مِنْ جُهْدِكُمْ – أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ ، وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ" .	معالجة المعرفة	إن المناقشة البناءة بين المتلقين وإثارة الأنشطة التي تعتمد على إثارة التفكير وتنشيطه عند المتلقي ، ومراقبة الفرد لمسار تفكيره وبناء مخططات عقلية أو أطر معرفية حول موضوع معين تم طرحه في متن الخطبة ، وهذا من شأنه تنشيط المعرفة السابقة وبناء معرفة جديدة. ركز الإمام على البعد التأملي لدى المتلقي ، ومساعدته على مراقبة ذاته بمراقبة مسار تفكيره في أثناء تفاعلهم مع الخطبة وبعدها فضلاً عن مقدرتهم على الربط بين العالم المتخيل والعالم الواقعي الفعلي. إن استراتيجية التفكير عند الإمام ساعدت المتلقي على أمرين : الأول : تحليل موضوع الخطب إلى صور ذهنية للمفردات اللغوية (البنية السطحية) للخطبة ذاتها لتكوين ترابطات بين هذه المفردات والجمل والأفكار ؛ لتحويلها إلى شفرات لفظية .

			والثاني : إعادة تركيب أو بناء هذه الصور داخل عقولهم ، ومن ثم إعادة تنظيم بنيتهم المعرفية عبر تشفير غير لفظي للمعلومات الجديدة.
استراتيجية التقييم الذاتي		معالجة المعرفة	إن طرح الأسئلة تضع المتلقي أمام بعدين الأول وعي المتلقي الذهني والثاني طرح الأسئلة المتعددة لقياس فهم المتلقي لما تم طرحه عليه، ويتم ذلك عبر تقرير ذاتي لمجمل الصور الذهنية التي مر بها ذهن المتلقي عند إلقاء الخطبة عليه. إن المراحل المتعددة التي مر بها الإمام تتلخص بالآتي : ١- مستوى الفهم السطحي. ٢- مستوى الفهم التذوقي. ٣-مستوى الفهم الاستنتاجي. ٤- مستوى الفهم الإبداعي. ٥- مستوى الفهم الناقد. وتمت العملية عن طريق الاستعانة بمجموعة من الوسائل المدعمة للصور الذهنية ، التي هي من واقع المتلقي ذاته ، وهو استثمار للخلفية المعرفية لديه.

ثانياً : استراتيجيات الخطاب

في قول الإمام علي " عليه السلام " :

" أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا".

وظف الإمام الاستعارة في بيان أوصاف الدنيا ؛ لأنها أكثر الأساليب البلاغية تأثيراً في النفس، وإرهافاً للحس ؛ لذا عدت من آليات الخطاب الفاعلة في استراتيجيتي (الإقناع والتلميح) لما لها من أثر واضح في " تحريك همة المرسل إليه في تقويم الواقع والسلوك، وأن يتعرف على ذلك من المرسل ليكون سبب القبول والتسليم وليس التخييل والصنعة اللفظية"[٢١] فقط ، هذا إذا نظرنا إليها من منطق الحجاج والإقناع ، أما من المنطق البلاغي والإيحائي فإنها من أدق وأروع آليات التصوير البلاغي ، إذ تفضل على التشبيه وتعلو مرتبته ؛ لأنها أكثر منه توغلاً في أساليب البيان غير المباشرة[٢٢] ؛ لذا عرّفت " الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي " [٢٣]، وهو ما يريد المخاطِب تحقيقه ؛ ولأنها الأقوى والأبلغ وقع اختيار الإمام عليها ليبتدىء خطبته بها لما تحمله من شحنات إبلاغية وإيحائية استلزمت بيان قصدية الخطاب في تحقير الدنيا وتهوينها لدى المتلقي، فاستعار لها وهي أمر معنوي صفات المرأة وهي جنس بشري مادي ، لتنتقل الدلالة من معنى اللفظ في أصل الوضع إلى معنى المعنى[٢٤]، مفارقة المعنى الحرفي ومتجاوزة الأعراف اللغوية وابتنائها على ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به [٢٥]، بعد حذفه فضلاً عما تنتجه من تداخل وامتزاج في طبيعة الحدود بين الماديات والمعنويات المختلفة[٢٦] .

هذا من شأنه أن يثري الخطاب ويعزز التواصل بين المتكلم والمتلقي عبر قنوات الاتصال الفعال؛ لذا أورد الإمام هذه المتواليات الاستعارية في قوله : " تصرَّمت، أذنت، تنكّر معروفها، أدبرت ، تحفز، تحدو"، وفيها عمد الإمام إلى الاستعارة التشخيصية ، وكلها أفعال تحمل دلالة الاستمرار والتجدد، وقد انزاح المعنى فيها سالكاً مساراً منحرفاً عن المعنى الحقيق إلى المعنى المجازي ، وذلك إن القول الاستعاري "قول عملي وصفته العملية تلازم ظاهره البياني والتخيلي" [٢٧] ، وإن قوة الحجاج وأثره في المفردات تبدو

في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استعمالها لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن للاستعارات ذات الدور الحجاجي خاصية ثابتة ، ومن هنا تكون السمات الدلالية المحتفظ بها في عملية التخيير الدلالي الذي تقوم عليه هذه الاستعارات هي سمات قيميَّة [٢٨]؛ لذا آثر الإمام اعتمادها لتكون الآلية الأكثر شيوعاً وإشعاعاً في هذه الخطبة جاعلاً من الدنيا المستعار ، ومن المرأة المستعار منه لتقاربهما وانسجامهما في السمات الدلالية المبتغاة من الخطاب، فتقصد الإمام إيصال هذه المعاني الجامعة بينهما ؛ لأن الشبه بين الأصل والفرع كلما قوي ازدادت الصورة الاستعارية حسنا وجمالاً[٢٩] ، ثم يقول: " **وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْوَاً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوَاً**" موظفاً فناً بديعياً يمثل آلية أخرى من الآليات الحجاجية التي شكلت ملمحاً واضحاً في خطب الإمام وهي ظاهرة (الطباق) أو(المقابلة) [٣٠]، أو كما يطلق عليها حديثاً (الثنائيات المتضادة) ، أو التقابل الدلالي ولاسيما في سياق وصف الدنيا التي تتناقض حقيقتها مع ما تُوهِم من آمال لساكنيها ، فكانت مجالاً رحباً للثنائيات المتضادة ، إذ تتبدل من حال إلى آخر مناقض له تماماً ؛ لذا صاغ الإمام هذه المتناقضات بأسلوب بلاغي رائع، ضمنها بعضاً من هذه الأوصاف والأحوال التي تتغير من (الحلو إلى المر) ومن (الصفو إلى الكدر) ، وهذا لا يكون إلا ممن وصفها الإمام في إحدى خطبه بـ (الغرارة) ؛ لأنها تغر قاطنيها لتفاجئهم وتفجعهم وتحيلهم من حال إلى حال.

وقد أورد الإمام هذه المعاني المتناقضة في تركيبين متوازيين اتفقا في النمط التركيبي الذي وردت فيه عناصرهما، ولا يخفى ما لذلك من أثر دلالي وإيقاعي يضفي على النص جمالاً إيقاعياً تنساب فيه المعاني انسياباً، لشد المتلقي وانبهاره بهذا التوظيف الحجاجي المتقن على المستوى البنائي والدلالي والتداولي.

ثم يقول: " **فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ أَوْ جِرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصِّدِّيَانُ لَمْ يَنْقَعْ**".

هنا يستعمل الإمام الآلية التلميحية على مستوى المفردة متمثلة بالتشبيه لبيان قصده بطريقة غير مباشرة ذلك أن علاقة المشابهة والمماثلة تفترض أن يكون هناك شيئان أصل وفرع ، ولضبط العلاقة بينهما يحلل الأصل إلى مكوناته أو مقوماته أو صفاته الذاتية

والعرضية فيختار بعض منها لإسقاطه على الفرع على أن ما يسقط يجب أن يكون جامعاً متفقاً عليه بأنه وصف منضبط ، وكل ذلك يكون بعملية ذهنية سريعة جداً تنم عن كفاءته التداولية في اختيار السبل الاستدلالية المناسبة ، بعد استحضار السمات الدلالية للمشبه (الدنيا) ، وتحديد السمة الإضافية وهي (الوقت المتبقي منها)، وهو المعنى الأكثر تميزاً في هذا السياق، ثم يستحضر من معجمه الذهني من الموجودات التي تعد القلة من سماته ، فوجدها في (سَمِلَة الإدواة) : وهي بقية الماء التي تبقى في الإناء ، أو (جرعة المَقْلَة) ، والمَقْلَة حصاة تُلقى في الماء ليعرف قدر ما يسقي كل واحد منهم ، وذلك عند قلة الماء في المفازة ولقلته لو يمصّه العطشان لم يروَ[٣١]، خافياً وجه الشبه ليبقى الخطاب تلميحا، ولو أنه صرح به لانتقل من التلميح إلى التصريح ، مما يحيل استراتيجية الخطاب إلى الاستراتيجية المباشرة.

ثم يقول" عليه السلام " : "**فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هذه الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمَدُ**"، ينتقل الإمام هنا إلى الاستراتيجة التوجيهية فيعمد إلى ما يعرف بـ (التوجيه المركب) ، فيشكل خطابه التوجيهي من أساليب وبنى مختلفة بل تبدو متضادة في الظاهر إذ استعمل أسلوبي الأمر والنهي في آن واحد ، إلا أن اتحاد القصد سوغ اجتماعهما في سياق واحد، فكل منهما يفسر الآخر ويحدده ويعضده ، ذلك أن النهي معزو به يحذو حذو الأمر، إذ إن الأصل فيه أن يصدر ممن هو في مرتبة أعلى إلى من هو في مرتبة دونه ، فإن صادق ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب ، وكلاهما حظهما الفور[٣٢]؛ وللتأكيد على توجيه المخاطب لترك الأفعال اللغوية في (ولا يغلبنكم) ، (ولا يطولن) نجده السلام) يلحق الفعلين بـ (نون التوكيد الثقيلة) ؛ لأن النهي المقترن بأداة التوكيد يعلو النهي الذي " عليه السلام " يخلو منها ؛ لذا فان إيراد البنى التركيبية المؤكدة هنا يعد مؤشراً تداوليّاً يضفي على الخطاب الحجاجي قوة وتأكيداً بناءً على معرفة المرسل بالمرسل إليه وعناصر السياق [٣٣]، إذ يرتفع الخطاب إلى طبقات ودرجات بحسب السياق التداولي المؤكد، وأهمية الموضوع المنهي عنه ، ومعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف والقوة ، ومدى

الإنكار لديه، كل تلك الأمور تؤخذ بنظر الاعتبار في تحديد درجات التوكيد في التداول ؛ لذا نجد الإمام يوظف أداة واحدة للتوكيد ؛ لأن المرسل إليه غير منكر في هذا السياق.

وفي المقطعين الأخيرين من الخطبة يوكد الإمام " عليه السلام " خطابه بالقسم بلفظ الجلالة، فيقول: **" فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ ، وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ ، وَتَاللهِ لَوْ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثاً، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ وَرَهْبَةٍ مِنْهُ دِمَاءً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ – وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ – أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ ، وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ" .**

وقد ابتنى خطابه فيهما على (استراتيجية الاقناع) باستعمال السلم الحجاجي مشكلاً كلامه فيه على أساس المقدمة والنتيجة ، في تركيب شرطي ابتدأه بالأداة (لو) ، في متوالية من الحجج التي تتبعها النتيجة موظفاً بذلك مضمون الحجاج الذي عرّف بأنه : " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب" [٣٤]، ويمكن تمثيل حججه في المقطع الأول بالسلم الحجاجي الآتي: النتيجة : (لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه ، وأخاف عليكم من عقابه)

الحجة الأقوى

- وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد ، التماس القربة في ارتفاع درجة
- وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان
- ودعوتم بهديل الحمام
- حننتم حنين الوُلَّه العجال .

الحجة الأقل درجة

وقد تدرج فيه بالحجج من الأقل درجة إلى الأقوى ليصل إلى النتيجة المتمثلة بجواب الشرط ، مجلياً بذلك مجموعة من العلاقات المجازية بين المقدمات أو الدعاوى متمثلة هنا بالتشبيه البليغ في المقدمتين : الأولى والثالثة ، والاستعارة في المقدمة الثانية ، حين شبه

حنينهم بحنين النوق الوالهة الفاقدة أولادها ، واستعار لصوت دعائهم نوح الحمام ثم شبه ارتفاعه بصوت متبتلي الرهبان المنقطعين عن الدنيا [٣٥]، موظفاً الآليات البلاغية التي عمد إليها الإمام منذ ابتدائه الخطبة ؛ لتندمج عنده البلاغة بالحجاج ؛ لما لهذه الآليات البلاغية من أهمية في دعوة المتلقي للتمعن فيها ، ومن ثم إقناعه بدعوى المخاطِب ، وتوجيهه إلى تغيير سلوكه على وفق رؤيته ، وكأن هذه "الأساليب البلاغية قد تم عزلها من سياقها البلاغي ؛ لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب من سياق البلاغة) ، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية ، (كما هو مطلوب من الحجاج)، من هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول ؛ لأداء أغراض تواصلية ؛ ولانجاز مقاصد حجاجية ؛ ولإفادة أبعاد تداولية "[٣٦].

وقد تمثل " صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها بحسب قوتها ، إذ لا يثبت غالباً إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق ؛ ولذلك ينشد المخاطِب الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه"[٣٧]؛ ولتبرير الأفعال الإنجازية المفترضة ، التي اشترطها الإمام في خطابه الحجاجي ، وظّف أحدى ألفاظ التعليل متمثلة بالمفعول لأجله (التماس)، بناءً على سؤال مفترض مفاده : لماذا يفعلوا ذلك ؛ ليكون الجواب (التماس) القربة إليه مبيناً فيه سبب ما قبله أو علته ؛ ليكون لفعلهم سبب معقول ومقنع عن طريق الربط السببي الذي يبرر أفعال الكلام المنجزة في النتيجة المتمثلة في قوله:

" لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه، وأخاف عليكم من عقابه" إذ يوظف الإمام (الاستراتيجية التضامنية)، الأكثر تلطفا وتوداً ليجلب إقبال المخاطب لتفهم مراده وتلقيه بالقبول، ولتصبح العلاقة بين طرفي الخطاب أقوى مما كانت عليه في السياق السابق. ويتضح هنا أساس مهم في استعمال هذه الاستراتيجية ألا وهو شرط الإخلاص بقصد التضامن المنزه عن كل مصلحة وهنا تجسيد لتفاعل الإمام مع المجموعة، إذ يتوجه الخطاب " صوب اهتمامات المرسل إليه ورغباته وحاجاته وعلى ما يمتلكه"[٣٨]، وقد وظف الضمير المتصل (الكاف) كأداة لغوية للتضامن محولاً إياها " من وظيفتها الدلالية للدلالة على المرجع إلى وظيفتها التداولية بانعكاسها مؤشراً على قصده"[٣٩]؛ لدواع "

تتجاوز المستوى التصنيفي، أو المستوى الصوري فتعمل اتصالاً كأدوات تعكس" [٤٠]ما سينالوه من ثواب أو عقاب كنتيجة حتمية لما قدموه، وبذا تكون هذه الأداة قد أدت وظيفة تجاوزت دلالتها على المستوى اللغوي إلى المستوى التداولي ، وهي القصدية التي يفهمها المتلقي من السياق، وهي التضامن والتعاطف بدلالة الفعلين : (أرجو) و (أخاف) وما يتبعه من تأثير.

وهنا نلحظ كيف ربط الإمام بين المقدمات المتعددة وانتقاله من إحداها إلى الأخرى ثم ربطها بالنتيجة في تسلسل معين ، موظفاً أدوات لغوية معينة ، وهذا ما يسمى بـ(الحجة التداولية) ، التي تمنح فرصة التقويم لعمل ما أو حدث ، على وفق تتابعاتها المرغوبة أو غير المرغوبة ؛ لذا يكون لها دور مهم في تقويم الأعمال سواء في وضعها الحاضر أو في وضعها المستقبلي ، فضلاً عن دورها الذي يستثمره المخاطب في توجيه السلوك والفعل المستقبلي[٤١].

أما المقطع الثاني والأخير من الخطبة ، فقد اتبع فيه الإمام الاستراتيجية ذاتها في عرض المقدمة والنتيجية بتركيب شرطي يماثل التركيب في المقطع السابق ، وقد ابتدأه بالقسم الذي سبق فعل الشرط قائلاً: "وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثاً" : أي لو ذابت قلوبكم ذوباناً[٤٢] ثم أتبعها بالأفعال الأخرى ليصل إلى النتيجة التي عبَّر عنها بجملة جواب الشرط ، ويمكن تمثيل حججه بالسلم الآتي :

النتيجة : " ما جزت أعمالكم ...أنعمه عليكم...وهداه إياكم"

- وعمرتم بالدنيا ما الدنيا باقية
- وسالت عيونكم منه دما
- لو انماثت قلوبكم انمياثاً

وفيما تقدم نلحظ وضوح البعد التدولي في الحجج ، التي عمد فيها الإمام إلى استثمار ضمائر المخاطب ، متمثلة بقوله : (حننتم ، دعوتم ، جأرتم ، لكم ، عليكم ، عمرتم ، عيونكم) ، فكان خطابه يتفق مع المفهوم التداولي للحجاج الذي يرى أنه : " فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي ؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ، ومطالب إخبارية ، وتوجهات ظرفية،

ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة ، وهو أيضاً جدلي ؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البرهانية الضيقة"(٤٣)، وهو بذلك ينطبق على كل منطوق موجه إلى المتلقي لإفهامه فكرة أو دعوة مقصودة يحق له قبولها أو الاعتراض عليها (٤٤).

تحليل الخطة (١٥٣) [٤٥]

اولاً: استراتيجية التفكير فوق معرفي

استراتيجيات التفكير فوق معرفي	النص	مقياس التفكير	التحليل الإجرائي لخط التفكير
استراتيجية الوعي بالذات	**وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ بِلَا سَبِيْلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ**	تنظيم المعرفة	يبدأ العقل عبر آليات التفكير بالانتباه إلى الحالات التي تعبر عن الفعل الداخلي للإنسان نفسه أي عند المتلقي من النواحي الحسية. وقد اعتمد أمير المؤمنين " عليه السلام " على تقديم التصورات الذهنية عبر المعاني المقدمة في الخطبة ليساعد بذلك المتلقي على إنشاء مساحات ملائمة لاستدعاء المعرفة لديه. أكد الإمام على محاولة إيجاد وعي ذاتي لدى المخاطبين عن طريق حضور استراتيجيات التفكير فوق المعرفي لديهم دون درايتهم من خلال تنظيم المعرفة المكتسبة لديهم أصلاً من التصورات الذهنية المبثوثة لهم على شكل مفردات لغوية متنوعة ذات طابع تمثيلي.

	حَتَّى إذا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، واستَخْرَجَهُمْ مِنْ جلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرَاً، واسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ	معرفة المعرفة	استطاع الإمام باستثمار الاستنتاج كمهارة تفكير فوق معرفي على تقديم نتاج الألفاظ المتوافرة في الخطبة على شكل صور ذهنية لا يستطيع المتلقي انتقاء الصورة الملائمة له ونفي الصور الأخرى كونها مترابطة بشكل يصعب الانتقاء من بينها عبر ملاحة دماغية إن صح التعبير غاية في التعقيد والترابط استعملها الإمام ليتم استنتاج الأحكام بشراكة فصي الدماغ وتحويل اللفظ المسموع إلى واقع متخيل، وهذا لا يتحقق بوجود نوع آخر من التفكير إذ يستطيع المتلقي أن ينتقي بوجود أي نوع آخر من التفكير. إن استعمال الإمام لهذا النوع من التفكير يتيح لدماغ المتلقي من مراقبة الألفاظ وتحويلها إلى صور ذهنية، إذ يعمل الجانب الأيسر على رسم الصور باستعمال التخطيط والمتابعة .

	وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، والضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَو تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوِ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ	معالجة المعرفة	إن تحويل الألفاظ إلى معاني يشكل فرصة لإنتاج المعرفة الجديدة بالانتفاع من سلسلة الأفكار المهداة من الإمام ؛ لإيجاد فرص غير محسوسة عند المتلقي لفهم المعنى إن الفخامة اللغوية التي يقدمها الإمام والدلالات الفريدة قادت المتلقي باستثمار استراتيجيات التفكير إلى تطوير مهاراته المعرفية عبر تسلسل موضوعي للأحداث وبالتالي قيادته إلى إصدار أحكام هامة تعد غاية في الأهمية في عملية إصدار الأحكام. استعمل الإمام الألفاظ المناسبة لجموع المخاطبين والتي تتلاءم مع الواقع الميداني ليتسنى لربط الأفكار والتصورات الذهنية للمتلقين مع ما يريد إيصاله وهي عملية معالجة للمعرفة عند المتلقي دون إجباره على تغيير مفاهيمه أي عملية لا إرادية سلطها الإمام على المتلقين ليستحوذ على مساحة كبيرة وهامة من أدمغتهم ويتم استدعاء الرموز والدلالات في الفص الأيسر وتحويلها إلى معاني جديدة في الحافظة المعرفية لديه.

استراتيجية تنظيم الذات (مخططات المفاهيم)	فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ،	تنظيم المعرفة	نظم الإمام المعرفة عند المتلقي بعد اعتماده تشكيل الأفعال الكلامية وربطها بالخصائص الإدراكية. يتم تحويل تلك الدلالات إلى صور معرفية غير محسوسة في دماغ المتلقي عبر الاستنتاج والتحويل المعرفي للمفردات وهي من النوادر التي استعملها الإمام في التفكير دون وقوع عمليات الشرود الذهني عند المتلقي. إن إيصال المتلقي إلى آليات التفكير العليا من تحليل وتركيب وتقويم ، سبقتها عمليات للبحث والتأمل ، عملية غاية في الدقة تحققت بفعل استراتيجية التفكير فوق المعرفي عند الإمام لإيصال مدى أهمية المواقف لدى المتلقي.

	ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، والضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَو تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ	معالجة المعرفة	عمد الإمام إلى تقديم الألفاظ القابلة للتخيل مما يشكل معرفة بصرية يبث من خلالها الإمام المناظر التي يريد إيصالها إلى المتلقي. إن تلك المعارف التي يبثها الإمام لجموع المتلقين تشكل الخبرات المستقبلية لدى المتلقين وهي بالتالي تحتل مكان الخبرات القديمة في جانبي الدماغ ، التي يعمل بها المتلقي لإنتاج المعرفة الجديدة. إن البناء المعرفي يشكل استراتيجية جيدة لتخزين المعلومات ، وإعادة تنسيقها في الحافظة المعرفية للمتلقي. إن تبادل المعرفة بين المتلقين أنفسهم يشكل مساحة هامة لفهم المعارف وتذاكر الصور وإتمام الصور المفقودة عند المتلقين

استراتيجية مراقبة الذات	ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، والضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أو تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أو تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ	معالجة المعرفة	إن إثارة المناقشات العقلية بين جموع المتلقين استراتيجية قادها الإمام " عليه السلام " لإثارة العقل وتشكيل المعارف الجديدة ومعالجة المعرفة القديمة عن طريق تشكيل الصور الذهنية للموقف المعين عند الإمام أصلا والذي يريد تغيير المفهوم لدى المتلقي عن طريق وضعه في مواقف مختلفة جديدة. أبعد الإمام الركن العاطفي عند المتلقي وركز على الركن التخيلي بدلا عنه، لمعالجة المواقف التي تقود القلب في المواقف التي تقود العقل ، إذ إن المعارف التي يقودها العقل هي الأكثر حظاً في البقاء لفترات طويلة في الحافظة المعرفية. إن الابتعاد عن المعاني المجردة للمفردات الكلامية التي يبثّها الإمام في الخطبة، والإيغال في المعاني الداخلية واستعمال استراتيجية جديدة في التفكير تختلف عن الاستراتيجيات المستعملة في تلك الحقبة واستعارة الألفاظ شكل انعطافه غاية في الأهمية عند المتلقين لإنتاج المعارف والتعلق بوحدوية الخالق .

استراتيجية التقسيم الذاتي	فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ مِمَّا لابُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالِفْ مِنْ خَالَفَ ذلكَ إِلى غَيْرِهِ وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَضَعْ فَخْرَكَ وَاحْطُطْ كِبْرَكَ وَإِذ كُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ	معالجة المعرفة	إن الصور الذهنية المشكلة عند المتلقي بفعل استراتيجية التفكير فوق المعرفي المستعمل عند الإمام " عليه السلام " صور ذات تقنية البعد الثالث ، أي أن المتلقي أمام حقائق يجب التعامل معها على أنها حقائق تثير المتلقي وتقوده إلى الاعتقاد بها بقيت المراحل المتعددة التي مر بها الإمام تتلخص بالآتي : ١- مستوى الفهم السطحي. ٢- مستوى الفهم التذوقي. ٣- مستوى الفهم الاستنتاجي. ٤- مستوى الفهم الإبداعي. ٥- مستوى الفهم الناقد.

ثانياً : استراتيجيات الخطاب

في هذه الخطبة يصف الإمام الضال قائلاً :

((**وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِيْنَ بِلَا سَبِيْلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ** " ، ابتدأ المقطع بتركيب اسمي، وأنهاه بتركيب اسمي آخر، لمناسبة هذا النمط التركيبي لقصدية الخطاب وطبيعة السمات الدلالية التي يريد الإمام بيانها وقد تخلل هذه التراكيب الاسمية تركيبان فعليان متوازيان هما:

(يهوي مع الغافلين) ، و (يغدو مع المذنبين) ، للدلالة على استمرار صدور الفعل وتجدده ، موظفاً فيهما إحدى الآليات الحجاجية، وهي (الوصف) الذي تمثل في لفظتي : (الغافلين) و(المذنبين)، اللتين وردتا بصيغة (اسم الفاعل) للدلالة على ثبوت هذه الصفة ودوامها فيهم ؛ لأنه "من نماذج الوصف التي يحاجج المخاطِب بها ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد أن تنبني عليه النتيجة التي يرومها"(٤٦)، ثم يعود " عليه السلام " لتوظيفه مرة أخرى في قوله:

(بلا سبيل قاصد ولا إمام قائد)، جاعلا منه وصفاً (للسبيل ، والإمام) ، هذان الوصفان اللذان فقدهما (الضال) فيما سلكه من سبيل ؛ لأنه طريق الغافلين والمذنبين الذي "لا يؤدي إلى المطلوب"(٤٧).

هكذا جعل الإمام من هذه الآلية الحجاجية أداة لإصدار حكمه على الموصوف بعد جعلها مركزاً لحجته ، لما تؤديه من أبعاد دلالية تؤكد ثبوت هذه الصفات ودوامها ؛ لبيان حال الموصوف ، وضلال السبيل الذي كان يسلكه.

وفي ذكره صفات الغافلين، يورد الإمام " عليه السلام " حججاً أخرى موظفاً أداة (التعليل السببي في التراكيب الشرطية)(٤٨) في استراتيجية الإقناع قائلاً:

" **حَتَّى إذا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، واسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، واسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ**".

مبيناً حالهم بعد أن كشف الله سبحانه لهم حال الموت عن دلائل الشّقوة والعذاب إذ إنفتحت أعين أبصارهم عند مفارقة الدنيا ليروا مقرهم من الجنة أو النار ، فكأنهم بين الغفلة والذهول في لباس نُزِعَ عنهم (٤٩) ، وعندها عرفوا ما أنكروا ، وأنكروا ما عرفوا إذ " استقبلوا أمراً كان في ظنهم واعتقادهم مدبراً عنهم ، وهو الشقاء والعذاب ، واستدبوا مقبلاً : أي تركوا وراء ظهورهم ما كانوا خولوه من الأولاد والأموال والنعم " (٥٠)، وقد قدم الأداة (حتى) وهي من الأدوات الحجاجية ؛ لدورها في ترتيب منزلة العناصر؛ ولما لمعانيها من سلمية (٥١)، وقد اشتمل التركيب الشرطي على مقدمتين حجاجيتين مثلتا سبباً لما سيؤول إليه حالهم الذي بينته النتيجة الأولى، وهي:

(استقبلوا مدبراً، واستدبروا مقبلاً) ؛ لتكون هذه النتيجة بمثابة مقدمة للنتيجة الثانية التي تبعت تلك المقدمة: (فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم، ولا بما قضوا من وطرهم). بهذا التتابع بين المقدمات والنتائج ، يمكن ربط المقدمة الأولى، والنتيجة الأخيرة، فيكون الكشف عن جزاء معصيتهم، واستخراجهم من جلابيب غفلتهم، مقدمة لعدم انتفاعهم.

لقد جاءت النتيجة الثانية منفية إذ نفيت الفائدة والانتفاع بما أدركوا، وبما قضوا من وطرهم لغفلتهم، ذلك ان ثبوت المقدمة الأولى يفترض أن يؤدي إلى ثبوت النتيجة الأخيرة ، إلا أن طبيعة فعلهم باستقبال المدبر، واستدبار المقبل أفضى إلى النتيجة الأخيرة ، و "الأصل في هذا القانون الحجاجي ، هو قاعدة تخاطبية مقتضاها إن المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أن العلاقة بين المقدم والتالي علاقة شرط طرداً وعكساً لا طرداً فحسب" [٥٢]، هذا من جانب ومن جانب آخر فان النفي يعد تقنية أخرى من تقنيات الحجاج التي يعمد إليها المرسل لتدعيم حججه بالقصد التلميحي، بدلا من تقريرها بطريقة مباشرة، ثم يقول: **" وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّمَا الْبَصِيْرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ "** .

هنا يقدم الإمام " عليه السلام " تنازلاً واضحاً عن سلطته مستعملاً الاستراتيجية التضامنية في خطابهم معهم ، إذ نجده يقلص المسافات ، ويقلل الدرجات محاولاً المساواة بين درجات أطراف الخطاب فينزل نفسه إلى مستوى المتلقين ؛ ليشمله التحذير الذي أورده في خطابه التوجيهي إليهم ؛ ليتيقنوا أن الإمام يميل إليهم ميلاً طبيعياً خالياً من أي دوافع أو أغراض منفعية ، وهذا هو عين التأديب في الخطاب الذي " مقتضاه أن يأتي بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته القريبة، ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به ، فلا يخفى أن هذا الضرب من التهذيب يولي الأهمية في التخاطب لعملية التبادل، ...

؛ لذلك تجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصاً على أن يحفظ عرى التواصل حتى يجلب أقصى ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسه ولمخاطبه"[٥٣]

ففي هذا المقطع من الخطبة يخلق الإمام نوعاً من التكافؤ المفترض الذي من شأنه أن يربط بين الإمام والمتلقين ؛ ليشاركهم في تمثيل ذاتهم[٥٤]

، وهم يستشعرون مدى إخلاصه المنزه عن أي منفعة ذاتية ، ومن هذا المنطلق ، نجد الإمام يعمد إلى استعمال الفعل (أحذركم) بصيغة الفعل المضارع بدلاً من فعل الأمر (احذروا) ؛ مراعاة للعلاقة مع المتلقين ؛ لأن استعمال درجة الصرامة في أسلوب الأمر في الصيغة الثانية تعد تدنياً في هذه المراعاة ، لما تتصف فيه من قوة ، نجد الإمام يستعمل كلا المستويين للتعبير عن القصد ذاته للتلطف من حدة أحدهما بمرونة الآخر النسبية ، إذ نجده " عليه السلام " يقول وبأسلوب مباشر:

"فلينتفع امرؤ بنفسه"، متدرجاً في مستويات الخطاب التوجيهي الذي اقترب في بدايته من الخطاب التضامني بدليل قوله : (إني أُحذركم و نفسي) إذ أشرك شخصه الكريم " عليه السلام " مع المرسل إليهم في الخطاب نزولا منه إلى مستوى المتخاطبين ، وليس هذا فحسب بل نجده يقدم الضمير الدال على المخاطبين على نفسه ، بعد أن بدأ التغيير بتركيب ضم الضمير الذي يعود عليه، في قوله : (إني) ومن المعروف إن المتكلم يتخذ أولوية في الخطاب قبل المخاطب ، الذي يأتي في ترتيبه بعد المتكلم، مثلما كان المخاطب الذي هو أقرب من الغائب ، أولى أن يبدأ به قبله[٥٥] ، في حين يعمد الإمام إلى تقديم الضمير الدال عليهم في (أحذركم) على الضمير الدال عليه في قوله : (ونفسي)، وكأنه " عليه السلام " يقدم مصلحة المخاطبين على مصلحته ، بعد تضامنه معهم وتخليه عن درجته العليا، وهو الإمام المعصوم ؛ لتحقيق الأثر المبتغى من الخطاب، وبهذا يتجاوز هدف الإسناد إلى هذه الضمائر معيار الوظيفة النحوية البحتة إلى المعيار التداولي، وبذا يؤدي استعمال هذه الإشاريات ولاسيما الضمائر الشخصية الإفرادية والجمعية إلى إنجاز الوظائف الرمزية ذات المستوى الرفيع[٥٦] ، إلى جانب وظائفها التركيبية.

بعدها ينتقل الخطاب تداولياً إلى توظيف إشاري جديد وهو الاستعمال الإفرادي لضمير الغائب، ليضع المتلقين وجهاً لوجه أمام الغاية التي سيق من أجلها الخطاب ، وهي

حصول المنفعة وذلك في قوله : " فلينتفع امرؤ بنفسه" ، موجهاً كلامه في خطاب مباشر وبصيغة تتسم بأنها أقل وطأة من فعل الأمر الصريح ، وقد دلت عليها القرينة البنيوية : اللام + الفعل المضارع (ينتفع).

وقد تَدرَّج الإمام في توظيفه لدرجات الاستراتيجية التوجيهية فيؤثر الأسلوب التوجيهي غير المباشر بدلا من إنجاز الأمر بشكل مباشر أو باستعمال الأدائيات الصريحة، فيورد الأسلوب الإخباري الذي ضمنه أسلوب الشرط في سلسلة من الملفوظات المؤكدة ذات النمط المشترك في قوله : (فإنما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر وانتفع بالعبر) ، وقد مثل فيه أسلوب الشرط محورية السياق الذي دارت حوله الدلالات المتعددة المختلفة ، وفيها تتضح الكفاءة اللغوية بإيراد هذه السلسة المتتابعة من الأفعال الكلامية التوجيهية تتخللها الكفاءة التداولية بتوظيفها لتوجيه جملة من الدلالات التي أراد الإمام إيصالها إلى المتلقي.

ويستمد الإمام في الأسلوب الإخباري لإنجاز فعل التوجيه يدعم ذلك تمتعه بالسلطة ببعديها التقريري الشرعي والسياسي ، مؤكدا على قصدية التضامن عبر هذه الوسيلة التي تعد من أهم وسائل القصدية بتوظيف الجمل فيقول: " ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي، والضلال في المغاوي ، ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق ، أو تخويف في نطق ، أو تخويف من صدق".

بهذا نجد في الخطاب الواحد يوظف الإمام " عليه السلام " المعنى الحرفي المستلزم من الفعل الكلامي غير المباشر في الأسلوب الإخباري ؛ ليأتي السياق بشحنتين إجرائيتين هما: الإخبار والأمر.

ثم يوجه الإمام جملة من أفعال الأمر المباشر للمتلقي الذي يتضح من خلال السياق حضوره العيني لحظة التلفظ بالخطاب ، ويطلق عليه (المتلقي الفعلي) : وهو الذي " يتلقى النص فعلاً في زمان بعينه ، ومكان بعينه "[٥٧]، وهو (المتلقي الأول) ، ويسمى في اصطلاح الحجاج (الجمهور الخاص أو الضيق)[٥٨] فيقول: " **فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، واسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، واخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى**

لسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ مِمَّا لابُدَّ منْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالفُ منْ خَالَفَ ذلكَ إلى غَيْرِهِ وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَضَعْ فَخْرَكَ واحْطُطْ كِبْرَكَ واذكُرْ قَبْرَكَ، فَإنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ" .

إذ يختار الإمام الأدوات والآليات اللغوية المناسبة لتوجيهه ، والتي تتفق مع السمات الشخصية لديه والمعرفية المشتركة بينه وبين الإمام " عليه السلام " ، ولو كان المرسل إليه متخيلا لتطلب الخطاب نمطية معينة تتفق مع عدم حضوره(٥٩)، أما في الخطاب المتقدم فقد دلت القرائن اللفظية، مثل : (أيها السامع)، وفي السياق اللاحق : (أيها المستمع) ، (وأيها الغافل) على حضوره العيني؛ لأن الاستماع يستلزم ذلك ، ومما لاشك فيه أن يستعمل الإمام أكثر من منبه أو مؤشر ليدل على قصده ، منها اللغوية ، ومنها غير اللغوية ، كالتنغيم الذي يصاحب التلفظ في الخطاب والإماءات التعبيرية الأخرى لتتظافر جميعا لشد انتباه المتلقي والتأثير فيه ، وإيصاله إلى الغاية المبتغاة من الخطاب وهي الإقناع ؛ لذا ضمن الإمام خطابه أسلوب النداء مع أداة التنبيه ؛ لما يؤديه من أغراض منها : إقامة علاقة مع الآخر من أجل الدعوة أو الحوار، وفيه حث على الاهتمام في الموضوع أو المنادى(٦٠)، فهو إنجاز تلفظي يؤدي إلى طلب المدعو واستحضاره ؛ ليقبل على الداعي ويحفزه المرسل إليه لرد فعل المرسل ، إلى جانب كونه مدخلاً للأفعال الكلامية الأخرى من أمر ونهي واستفهام ، كما أن الأمر مدخلاً لها فيتظافر معها لتحقق الأفعال الكلامية الغاية الإنجازية والتأثيرية لها (٦١)، فيكون النداء " أول فعل كلامي يقوم به المخاطب ؛ ليتمكن بعد ذلك من تحديد مقاصده ... وإن حمل كل هده الآليات على بعدها التداولي يعطيها بعداً دينامياً "(٦٢)؛ لذا أورد الإمام بعده مجموعة من الأفعال التوجيهية التي جاءت بصيغة فعل الأمر المباشر الذي يتلاءم مع قصدية الخطاب في النصح والتحذير، الأمر الذي يتطلب الاستراتيجيات المباشرة ؛ لأن الخطابات المرنة لا تتلاءم مع مثل هذا السياق الذي كان النصح والتحذير من أولوياته ، فكان الخطاب التوجيهي أكثر حضوراً فيه من الاستراتيجيات الأخرى ، وعند تدقيق النظر في مجموع الأفعال الإنجازية التي أوردها الإمام في خطابه ، نلحظ أنها في جملتها تقصد إلى توجيه المتلقي إلى إنجاز الفعل في المستقبل بسب قيامه بأفعال مغايرة في الزمن الذي يسبق الخطاب ، فيكون توجيه الإمام اعتراضاً ونقداً على ما صدر منه من أفعال

بهدف تعديل سلوكه ، وقد وظف استراتيجيات أخرى ولكن بدرجة أقل من المباشرة، كما في قوله:

" **وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ ، وَمَا قَدَّمْتَ اليوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ ، وقَدِّمْ لِيوْمِكَ**" ، ففي هذا المقطع من الخطبة يستدعي الإمام آلية أخرى من الآليات الحجاجية وهي (الحجاج بالتبادل) وفيه يُوصَف " الحال نفسه لوضعين في سياقين متقابلين ، وذلك ببلورة علاقات متشابه بين السياقات"[٦٣]، ويمثل السياق المتقدم نقلاً لوجهة نظر المرسل ساقها بهيئة أمثال معروفة ومتفق عليها لتقوية الحجة وإقرارها ؛ لإقناع الطرف الآخر، ففي قوله مثلاً:(كما تدين تدان)، يصف الإمام حال المرسل في وضعين متناقضين يكون في الأول منها مديناً، وفي الثاني مداناً، وكذا في قوله : (كما تزرع تحصد) ، وهو" معنى قد قاله الناس بعده كثيراً"[٦٤]، وفي قوله في تركيبين متقابلين في سياقين متناقضين : (ماقدمت عليه اليوم تقدم عليه غداً) محاولاً تطبيق مبدأ (العدل) وهذا ما يميز هذا النوع من الحجاج بترسيخ هذا المبدأ بين المرسل والآخرين بقصد إقناعه عن طريق جملة من النصائح، ثم يقول :

" **فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ ، والْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الغَافِلُ**"، وهنا نجد الإمام يستعمل أسلوبين يسيران في اتجاهين متعاكسين ، وهما : (التحذير و التحضيض) جامعاً بينهما في إحدى الآليات التوجيهية التي توصف بأنها أقل مباشرة باستعمال (التركيب الموجه)، إذ جمع فيه بين التحذير في قوله: (الحذر الحذر)، والتحضيض في قوله : (الجد الجد) ، في بنية تركيبية وظَّف فيها أسلوب التكرار بأبعاده الدلالية والإيقاعية التي ألقت بظلالها على الخطاب التوجيهي لإعطائه نوعاً من المرونة التي تتفق مع العطف الذي يستشعره الإمام إزاءهم ، لاسيما وأن الخطاب في جملته تتجه فيه المنفعة والمصلحة صوب المخاطب الذي يبغي الإمام نصحه وتحذيره وانتشاله من غفلته ؛ لذا نجده " عليه السلام " يحذر المتلقي من أفعال أشار إليها في السياق السابق لإبعاده عنها ، وفي الوقت ذاته يحاول دفعه باتجاه ما يحمد.

لتقوية الخطاب أورد الإمام دليلاً قرآنياً، ليس على سبيل التلاوة بل هي حجة لدعم دعواه ، وتحقيق الغاية من الخطاب وهي إقناع المتلقي بما يعرف بـ (حجة الدليل)، فيذكر

الآية الكريمة : "**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**"(٦٥)، في سياق تبدو فيه براعة الإمام وأهليته في توظيفها في السياق المناسب ، وبطريقة انسيابية تبدو فيها الآية الكريمة وكأنها جزء من النص، إذ ترد مترابطة المعنى والمبنى مع ما يسبقها، " وتسهم هذه الآلية في رفع ذات المخاطب إلى درجة أعلى ، وبالتالي منحها قوة سلطويَّة بالخطاب ، عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله ، عندما يتبوأ المخاطب بخطابه مكانة عليا "(٦٦)، ثم يقول " **إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللهِ فِي الذِّكْرِ الحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً – وإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ – أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا:**

- **أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ.**
- **أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسِهِ.**
- **أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ.**
- **أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ.**
- **أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ.**
- **أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ ، اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ**" ، جاعلاً " ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه في أنها لا تغفر إلا بالتوبة ، وهذا هو معنى قوله : (اعقل ذلك) ، فإن المثل دليل على شبهه : أي هكذا الحكم بعدم المغفرة لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عام ، والواحد دليل على ما يماثله ويشابهه "(٦٧)، وفي هذا المقطع من الخطبة، يقدم الإمام النتيجة : (لا ينفع عبداً) ، على المقدمة التي تمثل العلة أو السبب الذي يبرر به تلك النتيجة وهي: (أن يخرج من الدنيا لاقياً ربه بخصلة من هذه الخصال) ، وأخذ يعددها ، وقد ضمن خطابه تركيباً شرطياً كان بمثابة المقدمة التي تضم الأفعال الإنجازية: (وإن أجهد نفسه وأخلص فعله) ، والتي تعد في اعتقاد المتلقي مقدمة يفترض أن تنتهي إلى الانتفاع ، إلا أن حصول العلة التي أوردها الإمام تبين عدم إمكانية حصولها للأسباب التي ذكرها ، والتي مثلت مجموعة من الأفعال السلوكية المُنهى عنها، فكان التركيب الشرطي بمثابة جواب لسؤال مفترض في حوار متوقع وفي قوله: (أو يلقى الناس بوجهين، أو يمشي فيهم بلسانين)، يوظف الإمام آلية من آليات الاستراتيجية

التلميحية ، وهي (التعابير الاصطلاحية)، التي يرتبط بها القصد باللفظ بصورة دائمية والتعبير الاصطلاحي "نمط تعبيري خاص بلغة ما يتميز بالثبات، ويتكون من كلمة أو أكثر، تحولت عن معناها الحرفي إلى معنى مغاير اصطلحت عليه الجماعة اللغوية"(٦٨)، وقد مثلته في خطاب الإمام لفظتي (بلسانين و بوجهين)، ففي كل لفظة منهما معنين: معنى حرفي (قضوي)، وهو أن يكون له وجهين ولسانين وهذا غير ممكن، ومعنى مستلزم الذي تدل عليه الوحدات أينما وردت ويتمثل هنا بـ (النفاق) وهو المعنى المرجح ؛ لأنه يمثل قصد المتكلم ، الذي عبر عنه بتعابير تنضوي تحت صنف أعلى من التعابير اللغوية التي تسمى اللغة المجازية ، أو ذات معنى غير حرفي(٦٩)، موظفاً المعرفة المشتركة بينه وبين المتلقي بهذه الوحدات المأثورة التي ألفها كلا الطرفين فكانت جزءاً من معجمه الذهبي .

وفي المقطع الأخير من الخطبة يقول :

" إِنَّ البَهَائِمَ هَمَّهَا بُطُونُهَا ،
وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا ،
وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا والْفَسَادُ فِيهَا ،
وَإِنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ مُسْتَكِينُونَ ،
وَإِنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ مُشْفِقُونَ ،
إِنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ خَائِفُونَ ،
إِنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ ذَاكِرُونَ ".

أورد الإمام مجموعة من التراكيب الاسمية في متوالية لفظية متوازنة تتفق جميعها بالعناصر التركيبية التي وردت في نمط واحد يسبقه أداة التوكيد (إن) ، وقد اختار التركيب الاسمي في بيان صفات الموصوف المتقدمة لدلالتها على الثبوت والدوام أي صفة كل منها دائمة ثابته فيهما، وقد جعل كلامه في محورين خصص المحور الأول لبيان السمات الدلالية للبهائم والسباع والنساء مبيناً ما يهم كل منها، إذ " أراد " عليه السلام " أن يومئ إلى ذكر النساء للحال التي كان وقع إليها من استنجاد أعداه بامرأة ، فذكر قبل ذكر النساء أنواعاً من الحيوان تمهيداً لقاعدة ذكر النساء"(٧٠)

أما المحور الثاني فكان لبيان صفات المؤمنين الذين وصفهم بالصيغ الاسمية متمثلة بأسماء الفاعلين : (مستكينون، مشفقون، خائفون، ذاكرون)، بما تحمله هذه الصيغ من أبعاد دلالية تتفق وحقيقة هذه الفئة المؤمنة التي اتصفت بصفات ثابته دائمة لا يحيدون عنها حتى أصبحت سمات يستدل بها عليهم.

ولا يخفى ما لأسلوب التوازي من بعد إيقاعي حققته المتواليات الاسمية ولاسيما في حرف المد (الواو) الذي منح السياق بعداً دلالياً وزمانياً يأخذ المتلقي إلى آفاق بعيدة لتبقى هذه المعاني تلوح في ذهنه حتى بعد انتهاء الخطبة ؛ لأن أصداءها لازالت تترد ممتدة بامتداد هذا الصوت وتكراره.

وهو بذلك يختتم خطبه بالوصف باسم الفاعل الذي ابتدأ الخطبة به في وصفه للغافلين والمذنبين الذين تبعهم الضال بلا سبيل قاصد ولا إمام قائد ، ولما كان المقام مقام محاججة فيه إبطال وإثبات فإن هذه الأوصاف والتراكيب لم تكن مجرد أوصاف لهذه الفئة أو تلك ، وإنما هي حجة استثمرها المخاطب للتأثير في المتلقي وجذب انتباهه وإقناعه ، لا سيما وقد وردت في متواليات متوازية متناسقة من الناحية البنيوية والإيقاعية .

الخاتمة:

بعد هذه الوقفة الممتعة في رحاب خطاب الإمام علي " عليه السلام " ، يمكن تسجيل أهم النتائج والملاحظات التي توصل إليها البحث وهي:

أولا: استراتيجية التفكير فوق المعرفي

١- يشكل التفكير فوق المعرفي البنية الأساسية التي ينطلق منها الإمام على مختلف استراتيجيات الخطاب التي يعتمدها.

٢-قاد الإمام تفكير المخاطبين عبر إعداد الإدراك المباشر للمحسوس ، والمحدد بالصيغ الزمانية والمكانية لديهم برؤية حدسية تقوم على أساس إدراك مفاهيم وصور كلية ذات أبعاد روحية ووجدانية ، وهذا ما ترتب عليه ابتعاده عن الموضوعات الواقعية المجردة.

٣- يعد التفكير فوق المعرفي مستحصل مباشرة من قوى متعددة ، والمعرفة الحسية واحدة من هذه القوى وفي الخطب المتقدمة لم تعرض المعرفة الحسية نفسها بصيغة إدراك حسي محض، بل تظهر بفعل التفكير فوق المعرفي متضامنة مع قوى عقلية وتخيلية.

٤-تعد المخيلة القوة المعرفية السائدة على المعرفيات الأخرى التي تتشكل منها بنية التفكير في الخطب.

٥-شكل الإدراك العقلي والتصورات الناتجة عن الخطب إحدى القوى الفاعلة في الاستراتيجية المتبعة من قبل الإمام في التفكير فوق المعرفي ، وقد انعكس على بنية التشكيل وعلاقتها المجردة وصولاً إلى صورة المثال العقلي المجرد.

ثانيا: استراتيجيات الخطاب :

١- لما كان اختيار الاستراتيجية المناسبة للسياق يستلزم عمليات ذهنية كثيرة ، فإن ورود الخطاب بهذا المستوى الرائع والمتّقن من الناحية البنائية والدلالية والتداولية يكشف عن الكفاءة اللغوية والتداولية عند الإمام .

٢-وظف الإمام استراتيجيات الخطاب المتعددة للتعبير عن مقاصده ، فنجده " عليه السلام " تارة يستعمل الاستراتيجية المباشرة التي تتطابق فيها اللغة ودلالة الخطاب الظاهرة ، فيتضح القصد من دون عمليات ذهنية للاستدلال عليه ، وتارة يعدل إلى أسلوب غير مباشر في (الاستراتيجية التلميحية)، إذ يلمح فيه إلى القصد بدلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المتلقي فجاء خطابه بين التصريح والتلميح أو الظاهر والباطن.

٣- خاطب الإمام عقول المتلقين من خلال إيراد الحجج التي صاغها في قوالب لغوية إلى جانب الآليات غير اللغوية : (البلاغية وشبه المنطقية) ؛ لذا لم تختصر وظيفة الخطاب عند الإمام على التبليغ والتواصل ، بل تجاوزها إلى الوظيفة الحجاجية التي تهدف إلى استمالة نفوس المتلقين ، والتأثير على سلوكياتهم ، فكان الخطاب الحجاجي المحور الأساس في خطاباته الموجهة التي قامت على الجدل موظفاً بذلك مجموعة من التقنيات التي من شأنها إقناع المتلقي وحمله على التسليم لما يطرحه الإمام من أفكار وحجج ، فكانت (استراتيجية الإقناع) الأداة الأكثر وروداً لإحداث التغيير في الأفكار والمعتقدات بدلاً من وسائل الإرغام الأخرى التي كانت بعيدة عن سياسة الإمام.

٤-جاءت الاستراتيجية التوجيهية بالدرجة الثانية في خطاب الإمام الذي يهدف في جلّه إلى الوعظ والإرشاد والتحذير وبيان العواقب بداع من سلطة الإمام السياسية والدينية

من جانب ومصلحة المرسل إليه من جانب آخر، وقد اتسمت هذه الخطابات بالمباشرة والوضوح وابتعادها عن الغموض الذي يتطلب التأويل لمعرفة القصد، فلا يدع للمرسل إليه فرصة عدم الاستجابة المستلزمة للفعل التوجيهي.

٥-لم تتخذ (الاستراتيجية التضامنية) حيزاً ذا أهمية في خطاب الإمام كالذي وجدناه في الاستراتيجيات الأخرى ؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الإمام يعتد بالمصالح والأهداف النفعية فيعطيها الأولوية فيما بُني الخطاب لأجله، ألا وهو التبليغ والتوجيه.

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة طبيعية التفكير فوق المعرفي في خطاب الإمام علي (عليه السلام) ، على وفق استراتيجيات محددة في التفكير، مع بيان أثرها في اختلاف الدلالات المستلمة عند المتلقي الذي يتعامل في الأنشطة فوق المعرفية مع الأنشطة العقلية العليا التي توجه البيانات والمعلومات عبر عمليات متسلسلة يستخدمها المفرد للسيطرة أو التحكم في الأنشطة المعرفية التي يقوم بها أو عندما يخطط ، أو يراقب أو يقوم تعليمه على وعي فردي ذاتي أثناء القيام بهذه المهمات ، بينما يقوم الإمام بالإشراف على تحقيق الهدف أو ضمان مستوى تحقق هذا الهدف ، عن طريق تدريب المتلقي لإظهار تفكيره المرئي والتحكم فيه ، والتمكن من الأنشطة المعرفية والعقلية ، ورفع مستوى الوعي لديه لكل ما يقوم به .

وقد حاول البحث بيان أثر التفكير فوق المعرفي في اختيار استراتيجيات الخطاب سواء (التضامنية ، أوالتوجيهية أو التلميحية ، أو الإقناعية)وكيفية تطويعها بما يتناسب ومتطلبات السياق وتقلباته لما للخطاب من دور في إيضاح الحقائق وتوجيه المتلقي صوب الوجهة التي يقصد إليها الإمام .

الهوامش:

[١]) المستدرك على الصحيحين في الحديث : ٣/ ٢٦.
[٢]) ينظر: موسوعة المصطلحات التربوية : ٢٠٣.
[٣]) ينظر: علم النفس المعرفي : ١٩٦.
[٤]) ينظر: علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق: ٢٠٧.
[٥]) ينظر: أصول علم النفس : ١٨٤.
[٦]) ينظر: الفنون البصرية وعبقرية الإدراك : ١٤٢.
[٧]) ينظر: أثر التدريب عل استراتيجيات ما وراء المعرفة في مواقف تعاونية في تنمية مهارارت الفهم القرائي لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم بالمرحلة الابتدائية : ١٧٧ .
[٨]) ينظر: فاعلية تصميم تعليمي وعلاقتهما بالتفكير وتنمية الوعي : ٨٩.
[٩]) ينظر: سيكولوجية التفكير والوعي بالذات : ٣٢ ٤٠.
[١٠]) Geoffrey Leech : Prenciples Ofprgmantics, Ibid, P٥٦.
[١١]) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية: ٥٢،٥٣.
[١٢]) ميشيل فوكو(مسيرة الفلسفة): ٢٠٠٠.
[١٣]) ينظر : استراتيجيات الخطاب: ٢٥٧.
[١٤]) William Bright: International Encgclopedia Of Linguistics , P٢٣.
[١٥]) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية: ٣٢٣.
[١٦]) ينظر : آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي: ٢٣.
[١٧]) البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص: ٦٤.
[١٨]) المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي: ١١.
[١٩]) ينظر : الحجاج مفهومه ومجالاته : ٧٩/١ .
[٢٠]) نهج البلاغة : ١١١، ١١٢ .
[٢١]) استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية: ٤٩٦.
[٢٢]) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها: ٢٦٣/٢.
[٢٣]) اللغة والحجاج : عمر أوكان : ١٣٤ .
[٢٤]) ينظر : دلائل الاعجاز: ٦٧.
[٢٥]) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/ ٧٣ – ٧٤.
[٢٦]) ينظر : التصوير المجازي: ٦٧.

[٢٧]) اللسان والميزان و التكوثر العقلي: ٣١٣.
[٢٨]) ينظر : الاستعارة والحجاج : ٨٧ ، ٨٨ .
[٢٩]) ينظر : الأسس النفسية: ٢٢٤.
[٣٠]) ينظر :البديع تأصيل وتجديد : ١١٥ ، الحجاج مفهومه ومجالاته :١/ ١٣٩ .
[٣١]) ينظر :شرح نهج البلاغة :٣/٢٦٤ .
[٣٢]) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٢٠.
[٣٣]) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية: ٣٥٠.
[٣٤])اللغة والحجاج ، د.أبو بكر العزاوي : ١٦ .
[٣٥]) ينظر: شرح نهج البلاغة : ٣/ ٢٦٤ .
[٣٦]) التداولية والحجاج :٥٠ ، وينظر حوار الأديان في القرآن الكريم دراسة في ضوء التداولية : ١٠٠.
[٣٧]) الحجاج مفهومه ومجالاته : ١/ ٩٥.
[٣٨]) استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية: ٢٦٨.
[٣٩]) المصدر نفسه : ٢٨٧.
[٤٠])John Wilson: Politically Speaking P٤٦
[٤١]) ينظر : الحجاج مفهومه ومجالاته : ٨٣.
[٤٢]) ينظر: شرح نهج البلاغة : ٣/٢٦٤ .
[٤٣]) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام :٦٥ .
[٤٤] ينظر: اللسان والميزان و التكوثر العقلي: ٢٢٦.
[٤٥]) نهج البلاغة : ٢٨٣ – ٢٨٥ .
[٤٦]) الحجاج مفهومه ومجالاته : ١/ ٨٩ .
[٤٧]) شرح نهج البلاغة : ١٢٧/٩ .
[٤٨]) ينظر : الحجاج مفهومه ومجالاته : ٨٢/١ .
[٤٩]) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٩/ ١٢٨ .
[٥٠]) المصدر نفسه : ٩ / ١٢٨ .
[٥١]) ينظر : النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب : ٩ .
[٥٢]) اللسان والميزان والتكوثر العقلي: ٢٩٧.
[٥٣]) المصدر نفسه: ٢٢٣
[٥٤]) . William Bright: International Encglopedia Of Linguistics , P٢٥٨
[٥٥]) ينظر: الكتاب : ٢/ ٣٦٤.

[٥٦]) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية: ٢٨٨.
[٥٧]) النص الأدبي والمتلقّي : ٤١ .
[٥٨]) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : ٤٢.
[٥٩]) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية: ٣٢٣.
[٦٠]) ينظر: مجازات النداء وحقيقته وأغراضها في الخطاب القرآني : ٦/ ١٠٦ .
[٦١]) ينظر حوار الأديان في القرآن الكريم دراسة في ضوء التداولية : ١٥٦ .
[٦٢]) دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم :١٢ .
[٦٣]) الحجاج مفهومه ومجالاته :١/ ٨٧ .)
[٦٤]) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٢٩ .
[٦٥]) فاطر: ١٤ .
[٦٦]) الحجاج مفهومه ومجالاته :١٢٨/١ .
[٦٧] شرح نهج البلاغة : ٩/ ١٢٨ .
[٦٨]) التعبير الاصطلاحي : ٣٤.
[٦٩] (Titon&Connine on the compositional and noncompositional nature f idiomatic expression Ibid, P١٦٥٥.
[٧٠]) شرح نهج البلاغة : ٩/ ١٣١ .

المصادر والمراجع :

- القران الكريم

١-آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، أحمد المتوكل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرياض ، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٥ لسنة ١٩٩٣ م .

٢-استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤.

٣- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

٤-أصول علم النفس ، أحمد عزت راجح ، الاسكندرية ، المكتب المصري الحديث ، ط٨ ، ٢٠٠٨ .

٥-البديع تأصيل وتجديد ، د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، مركز دلتا للطباعة ، الإسكندرية ، مصر ،١٩٨٦م .
٦-البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هزيش بليث، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، دراسات (سال)، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م.
٧- البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريق وليد، التغيير الاصطلاحي، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٤١٥م.
٨- التصوير المجازي ، أياد عبد الودود، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٤ ، ٢٠٠١م.
٩-الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، د. عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٧م.
١٠- الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) ، د. حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، ط١، ١٤٣١ه ،٢٠١٠م .
١١- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤١٠هـ.
١٢- سيكولوجية التفكير والوعي بالذات، سعاد جبر سعيد ، عمان ، دار جدار الكتاب العالمي، ٢٠٠٨.
١٣-شرح نهج البلاغة الجامع لخطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " ، لابن أبي حديد المعتزلي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المركز الثقافي اللبناني (د.ت) .
١٤- علم النفس المعرفي ، مهند محمد عبد الستار، عمان ، دار غيداء ، ٢٠٠١.
١٥- علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق : عدنان يوسف العتوم، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ٢٠١١م.
١٦- فاعلية تصميم تعليمي وعلاقتها بالتفكير وتنمية الوعي، نادية حسين العفون ، عمان، دار صفاء للنشر، ٢٠٠١م.

١٧-الفنون البصرية وعبقرية الإدراك ، شاكر عبد الحميد، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨م.
١٨-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
١٩- الكتاب : سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.
٢٠- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.
٢١- اللغة والحجاج ، د. أبو بكر العزاوي ، العمدة للطبع ، دار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٦م .
٢٢-اللغة والحجاج ، عمر أوكان ، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠١م .
٢٣- المثل السائر في آداب الكتاب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر، الفجالة ، القاهرة ، (د.ت).
٢٤-المستدرك على الصحيحين في الحديث ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) ،مجلس دائرة المعارف النضامية ، الهند ، ١٣٤١هـ.
٢٥-مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.
٢٦-موسوعة المصطلحات التربوية ، محمد السيد علي، عمان ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
٢٧- ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية) ، اوبيير دريبفوس وبول رابينوف، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة وشروح مطابع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيرت.
٢٨- النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب ، محمد الصغير بناني ، دار الحداثة بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .

٢٩-نهج البلاغة، وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب " عليه السلام " ، تحقيق: الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات ، قم ، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

ثانيا: المصادر والمراجع الأجنبية:(نقلاً عن: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية)

١. Bright، William: Iteratioal ecgclopedia linguistics.Volume ١,٢،١٩٩٢.

٢. Wilso،Joh:Politically speaking. Asil lack well ، oxford،Uk،١٩٩٠

٣.Leech Geoffrey.Priciples of prag Matics،group Limited،Lodo، ١٩٩٦

الرسائل الجامعية :

- حوار الأديان في القرآن الكريم دراسة في ضوء التداولية ، رسالة ماجستير ، رغد عبد أبو جاسم الحميداوي ، إشراف : أ.د.عبد الكاظم الياسري١٤٣٧ه ، ٢٠١٦ م .

البحوث والدوريات العربية:

- أثر التدريب على استراتيجيات ما وراء المعرفة في مواقف تعاونية في تنمية مهارارت الفهم القرائي لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم بالمرحلة الابتدائية: عبد الناصر أنيس عبد الوهاب ، مجلة القراءة والمعرفة ،ع٨١، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة ،٢٠٠٨.

- الاستعارة والحجاج ، ميشيل لوجون ، مجلة المناظرة ، المغرب ، السنة الثانية ، العدد٤ ، شوال ١٤١١ه ، ١٩٩١م .

- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية ، أ. أبو قرومة حكيمة ، مجلة الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، دار الأمل للطباعة والنشر ، الجزائر ، العدد ٣ ، ٢٠٠٨م.

- مجازات النداء وحقيقته وأغراضها في الخطاب القرآني ، د. ظافر بن غرمان العمري ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، العدد ٦ ، ذو الحجة ١٤٢٩هـ

- المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مجلة دراسات، العدد الخامس، ١١م.

- النص الأدبي والمتلقي ، عبد النبي اصطيف ، مجلة علامات في النقد ج٢١ ، مج ٦ جدة ١٩٩٦م .

البحوث والدوريات الأجنبية:

• Tilo، Dera A& coic، cythia m: o the compositional ad ocompositioal ature of idiomatic expression، Joural of pragmatics، Volume ٣١ ، No. ١٢ ovemer ١٩٩٩٠.

المؤرخ التونسي هشام جعيّط ورؤيته للمدينة الاسلامية (الكوفة انموذجاً)

أ.م.د. محمود صالح سعيد
جامعة الموصل / كلية الاداب / قسم التاريخ

المقدمة

يعد المفكر والمؤرخ هشام جعيط [١] من أبرز المثقفين والباحثين التونسيين العرب المشغولين باشكاليات الفكر العربي. إذ ينتمي الى جيل ثقافي عربي متنوّر ومنفتح نضج مبكراً وتميّز بافاقه المعرفية وتنوّع قراءاته وثقافته وتوجهاته الفكرية وانغماسه بالهموم القومية والقضايا الوطنية والشعبية، ومواجهة الغزو الثقافي وخلق ثقافة عقلانية متنوّرة مستوعبة حضارياً لمفردات ثقافات انسانية أخرى.

ولج هشام جعيط عالم البحث والكتابة التاريخية متسلحاً بما يملكه من فكر ووعي وثقافة ومنهجية نقد، خاتماً بالكثير من الأسئلة التي تفتح على مزيد من النقاش والجدل الفكري والثقافي والسياسي، فهو ومنذ سبعينيات القرن المنصرم وهو يسعى الى تجديد البحث العلمي العربي وتطوير الحوار بين العقل والتاريخ ، وبين النقد التاريخي والنصوص المتناقضة ، موضحاً أن العالم العربي الاسلامي بحاجة ماسة الى حداثة العقل والعلم والتقدم والثورة وقيم التنوير والحرية والديمقراطية، ودفع الحراك الاجتماعي وتسريع دينامية التقدم والتطور العلمي[٢].

وضع هشام جعيط كتبه وأبحاثه بالفرنسية التي ترجمت فيما بعد إلى العربية والى لغات أخرى ، وله الكثير من البحوث الأصيلة الواسعة العميقة التي يتجه فيها نحو اتجاهين، الأول اتجاه فكري وفلسفي يعالج فيه القضايا الكبرى المطروحة على الضمير العربي في السياسة والمجتمع والدين، كما في كتابه" الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي"، والثاني : اتجاه نحى فيه منحى المؤرخ الصارم للأسلام المبكر ، كما في كتابة (الكوفة ، نشأة المدينة العربية الاسلامية) . وفي هذا الكتاب يستعيد تاريخ الفتح العربي ومعاركه، ويتطرق الى تخطيطات المدينة ونظرة الاستشراق الى المدينة الاسلامية، وصولاً الى "مصير الكوفة وهويتها".

وهكذا فإن المؤرخ هشام جعيط يمثل اطلالة عربية مشرقة على الفكر الغربي المعاصر ، فبالاضافة الى امكانياته اللغوية (حيث يتقن من اللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية فضلاً عن العربية) فقد اتسمت كتاباته بالروح العلمية ، وتوخي الموضوعية في الطرح ، والمنهج النقدي التحليلي ، متجاوزاً اسلوب السرد القصصي المحض الى محاولة سبر اغوار المصادر التاريخية ، ونقدها للتعرف على العلل التي تقف وراءها ، والمحركات الديناميكية الاساسية التي استفزت احداثه .

قدّم جعيّط مجموعة من الدراسات التاريخية الاكاديمية المهمة عالج خلالها قضايا مفصلية من تاريخ الاسلام ، وكانت المدينة الاسلامية واحدة من ابرز الموضوعات التي عالجها من خلال مؤلفه الضخم (**الكوفة : نشأة المدينة العربية الاسلامية**) والمؤلف من نحو (٥٠٠) صفحة. وهو اذ اختار الكوفة عنواناً لأبرز كتبه انما هو تعبير صادق عن اهمية هذه المدينة ووعي لدورها الحضاري ، كونها تمثل اول مدينة اسلامية يؤسسها العرب خارج نطاق الجزيرة العربية ، فقد تاسست سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) .

قدّم جعيط مدينة الكوفة من زوايا عدة : إذ ناقش مسألة الفتح الاسلامي ، وتأسيس الكوفة كونها تمثل دار هجرة ثانية بعد المدينة المنورة اكثر من كونها مستقر للفاتحين ، كذلك قدم جعيّط لموقف المستشرقين من المدن الاسلامية عموماً ومدينة الكوفة بشكل خاص ، بعد ذلك يبدأ ببحث التاثيرات الحضارية للمدن السابقة على الكوفة كبابل ومكة ، فضلاً عن التاثيرات الهيلينية بعدها ناقش الاداور الحضارية التي مرّت بها الكوفة ، واسماها دور الاستقرار ودور التمدن ودور التطور ودور الاستكمال ، وبحث تاثيراتها السياسية ودورها التاريخي.

لم يكتف جعيّط بمعالجة هذه القضايا بل اخذ يقدم رؤية مقارنة للمدن الاسلامية الاخرى فيقارن الكوفة ببغداد ، والكوفة بواسط والكوفة بمكة والمدينة والفسطاط والقيروان ، ويبحث في هويتها ، ووجهها المديني ، وأبرز ساكنيها من القبائل العربية الاصيلة واسهامات علماءها في الحضارة الاسلامية ، كل ذلك من زاوية مقارنة مع بقية المدن . كل هذا وهو يراجع المصادر الاساسية وكتب التراث وآخر ما انتجته الثقافة

الغربية من اصدارات اجنبية ومخطوطات عربية ، فضلاً عن اطلاعه على الاثار والعمارة وكتب التاريخ المعاصرة لتاريخ هذه المدينة .

لقد جمع هشام جعيط بين الرصانة العلمية والحماس للقضايا الفكرية، وبحسه العربي والاسلامي العميق وتكوينه التاريخي الصميمي وهو مؤهل للكتابة في ميادين الدين والسياسة، بعيداً عن التقليدية كما عن أي فكر تحديثي تبسيطي، ولا شك أن أعماله ومؤلفاته البحثية تثري المكتبة العربية التاريخية التي ما زالت هزيلة ، وتندرج في مسار جعيط الطويل الدائب بحثاً عن الهوية وتفتق الوجدان.

أولاً : أهمية المدينة الاسلامية عند هشام جعيّط

يمكن ارجاع الاصل اللغوي لكلمة المدينة الى كلمة (دين) وان لها اصلاً ارامياً وعربياً فكل المواضع التي اطلق عليها لفظ مدينة كان عليها حكام أو ملوك وفيها صيغ قضائية ودينية وادارية وسياسية وذلك تمييزاً لها عن القرية [٣].

والمدينة الاسلامية تمثل واحدة من أبرز مظاهر الحضارة الاسلامية ، إذ تمثل البوتقة التي انصهرت فيها كل الاشكال الحضارية والانشطة الثقافية والعلمية . ومما هو جدير بالاشارة ان نشأة المدن الاسلامية ارتبطت في اغلب الاحيان بعمليات الفتح الاسلامي أو هي نتاج لها ، إذ شكلت المدينة الاسلامية ركيزة اساسية على تخوم البلاد المفتوحة بمثابة معسكر ودار اقامة للسكان الجدد .

لذلك فالمراد بالمدن الإسلامية ما بناه المسلمون من المدن لأنفسهم، وهي غير ما افتتحوه من مدائن الروم والفرس. والمدن الإسلامية عديدة في العراق والشام ومصر وأفريقية والأندلس وغيرها ومنها ما لم يزل عامراً إلى اليوم كالبصرة وبغداد والقاهرة ومنها ما انقرض وعفت آثاره كالفسطاط والزهراء. [٤].

وقد اتسمت المدينة الاسلامية بمجموعة من الخصائص العامة والصفات المشتركة فالجامع، و الساحة، والميدان، والسوق والفناء الداخلي هي الملامح الاصلية للمدينة العربية الاسلامية، و بمرور الزمن و مع التوسعات الكبيرة التي شهدتها معظم المدن الاسلامية، تأثرت هذة الملامح و تداخلت فيها استعمالات الارض بانماط مغايرة تمام عن النمط التقليدي [٥].

والحقيقة أن هذا الكتاب، الذي لم يلق ما يستحقه من اهتمام لدى صدوره، ولا يمكن عده كتاباً عادياً عن مدينة عادية. بل هو من تلك الكتب التي تؤسس وتشتغل على لب الموضوع التاريخي الذي لا يكتفي بالسرد والوصف ليطلع باستنتاجات يغلب عليها الطابع الأيديولوجي كما اعتاد أن يكون هذا النوع من الكتب في الثقافة العربية المعاصرة. بل هو يبدو لنا أقرب إلى ما يدعو إليه «التاريخ الجديد» كما عبّرت عنه مدرسة «الحوليات» الفرنسية[٦]، من اهتمام بالتفاصيل وتوقف عند الأبعاد الاقتصادية والثقافية وضروب الحياة اليومية العائدة إلى الموضوع المؤرَّخ، وفي نوع من الصلة بين التاريخ والجغرافيا[٧].

ثانياً : هشام جعيط ورؤيته الحضارية لمدينة الكوفة

طمح هشام جعيط في كتابة هذا الكتاب إلى أن يكون إحياءً لمدينة الكوفة ودورها الحضاري ، ذلك أنها تمثل أولى الحواضر العربية الكبرى [٨]، زمنياً ، خارج الجزيرة العربية التي وُلدت مع الفتح ، وكانت أحد المراكز الحساسة في الدولة الاسلامية العتيدة. أن الكوفة عند جعيط تمثل تاريخ الحضارة الإسلامية في أقدم تعابيرها وأهمها التي يُحكى عنها الكثير ويُعرف عنها القليل من حيث حياتها النابضة التي تتراءى في آخر المطاف مثيرة للخيال اليوم ، وكيف لا تثير مثل هذا الخيال مدينة عرفت كيف تكون خلال القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الإسلامي- وقبل أن يبدأ دمارها على أيدي القرامطة ثم إهمالها على أيدي العباسيين-، مركز إشعاع فكري وأدبي وبخاصة لغوي، حيث أنها كانت مع توأمها البصرة، وانطلاقاً من جغرافيتها القريبة من مناطق سكنى البدو من العرب الأقحاح، مركز انطلاق أولئك الباحثين في شتى الشؤون الفكرية من الذين كانوا يقصدون عرب الصحارى لكي يتعلموا على أيديهم قواعد اللغة وتواريخ الشعراء الأقدمين وتفاصيل الفكر والإبداع اللذين ارتبطا بتلك العصور التي دعاها المسلمون بـ «الجاهلية»[٩].

لقد مثلت الكوفة في حقيقتها خزانة حضارة لا تضاهى إذ أنها وصلت عبر تطور اللغة وحفظ الأشعار والتلاقح بينهم وبين الأعراب إلى استعادة ذلك الإرث والحفاظ على جذوره العربية. عن هذا يحدثنا هشام جعيط في هذا الكتاب لكنه كأساس لأطروحاته

. ان الكوفة التي أسسها في الأصل أبناء قبائل جنوب الجزيرة العربية، لا سيما يمانيو الأصل منهم، أولئك الذين قصدوا بلاد السواد (العراق) في جيوش الفتح وأرادوا الاستيطان بها .

ينطلق جعيط في تاريخه لمدينة الكوفة من نظرة ناقدة حاذقة تعتمد أساليب البحث التاريخي ويستند الى معطيات مادية واثارية فضلاً عن المصادر الاصلية ويشتغل على مئات المصادر العربية القديمة والحديثة، بخاصة منها تلك التي أرخت لتكوّن مدينة الكوفة متحوّلة مما يشبه المعسكر إلى تلك المدينة المزدهرة فكريا والتي أنجبت كباراً من الشعراء والمفكرين العرب ومنهم بالطبع أبو الطيب المتنبي[١٠]

أن غاية جعيط الأساسية من كتابة مؤلفه عن الكوفة إنما كانت إقامة حوار حقيقيّ بين حضارة الكوفة العربية والحضارات التي تقدّمتها كالبابلية والفارسية والهلنستية والرومانية . والحال أنه يظلّ متيقّظاً للإسهام العربي الصرف، وهو يتخطى الكوفة ليقوم باستجواب البصرة وواسط وبغداد وصولاً إلى الانكباب على حركة نشوء المدينة الإسلامية ذاتها . والحقيقة أن في هذه العبارة الأخيرة يمكننا أن نجد مفتاح هذا الكتاب ككل حيث أن في تاريخ الكوفة كل المقدمات التي تؤشر إلى الولادة الخالصة للمدينة الإسلامية التي تولد لضرورات عملية من دون أن تقوم على بنيان سبقها. ومن هنا ما يبدو واضحاً كيف أن العرب الأقحاح الذين اختاروا المكان وهندسوه، إنما قسموه، أوّل ما فعلوا، انطلاقاً من توزعاتهم القبلية. وهو أمر بالغ الأهمية يعكسه لنا المؤلف في خريطة- مفترضة- للتوزع السكاني يوم التأسيس حيث قُسّمت المدينة ذات الشكل المربع على النقيض من الشكل الدائري الذي تتخذه المدن عادة، إلى مجموعة من أحياء تحيط بالمركز الذي يشغله الجامع، المشترك والمركزي، إلى جانب القصر والأسواق.

ولعل أول ما نلاحظه في ذلك التقسيم عدم وجود تراتبية معينة بين عبس وقيس والأنصار ومحارب وكنانة وجهينة وعبد قيس وربيعة وكندة ومذحج وهمدان وغيرها من القبائل التي استوطنت الكوفة وبنتها عند التأسيس. ولعلنا لا نحتاج هنا إلى طويل بحث حتى نتنبه إلى أن معظم هذه الأقوام إنما أتت من اليمن وما يحاذيه، ما يدفع دائماً إلى التساؤل حول ما يمثله ذلك المخزون اليمني من البشر، خصوصاً إن نحن تذكرنا هنا

أن تلك الاندفاعة اليمنية الإسلامية نحو الشمال الشرقي ستوازيها بعد عقود قليلة من السنين اندفاعة يمنية أخرى نحو شمال أفريقيا ومنها نحو الأندلس حيث يمكننا أن نلاحظ بسهولة أن جذور كبار المفكرين الأندلسيين تعود إلى اليمن أيضاً. لكن هذا، وكما هو واضح، ليس موضوع هذا الكتاب وإن كان لا يفوت المؤلف أن يشير إليه. فموضوعه هو هنا بناء وسقوط تلك الحاضرة العربية التي يتساءل منذ البداية عما إذا كانت معسكراً أم مدينة حقيقية، قبل أن ينتقل بعد قليل إلى دراسة مسألة التمدن والاستقرار وصولاً إلى اعتبار الكوفة نموذجاً في هذا السياق ليختم دارساً الوجه المدني لتلك المدينة التي يطمئن نفسه في الختام بقوله إن «ما من مدينة تنتهي أبداً من بنائها الذاتي لأن نبضات حياتها ترتبط بالمادة البشرية الموجودة داخلها»، فهل نحن أمام دعوة دائمة لعودة الكوفة[١١]؟

ثالثاً : الجوانب الحضارية للكوفة وفقاً لرؤية جعيط

قدم جعيط في دراسته لمدينة الكوفة جوانب مختلفة لأبعاد هذه المدينة الحضارية واذا ما حاولنا رسم الخطوط العريضة لتلك الجوانب سيتضح ان دراسته تتسم بالشمول والعمق والابتعاد عن السطحية والسرد التقليدي متتبعاً المنهج الحداثي في دراسة التاريخ وهو منهج مدرسة الحوليات الفرنسية التي تركز على التفاصيل دون اهمال الخطوط العريضة للموضوع . ولعل ابرز تلك الجوانب هي :

- **الفتح الاسلامي وعلاقته بنشأة المدن الاسلامية**

يربط جعيط بين الفتح الاسلامي وعملية انشاء المدن الاسلامية ويرى ان هذه العلاقة طبقت على العراق اكثر مما طبق على اية جهة اخرى [١٢]. واضحت الكوفة التي انشأت سنة ١٧ هـ رمزاً للعروبة الجديدة التي تختلف عن تلك العروبة التي جسدتها مدينة الحيرة طيلة القرون الماضية . ومن هذا المنطلق يرى جعيط في مدينة الكوفة مدينة اسلامية ذات بعد عروبي مغاير لمدينة الحيرة من حيث الاهداف ، فالحيرة كانت تمثل منطقة متقدمة او بمثابة دولة حاجزة (Buffer state) بين الدولة الساسانية والدولة البيزنطية أي ان دورها ثانوي ، وان هدف انشاءها كان حماية الساسانيين من هجمات البيزنطيين اما الكوفة فوضعها مختلف ، فهي مدينة تاسست كشبه معسكر ومقر هجرة ثم تصبح

عاصمة للدولة الاسلامية . وهنا يصر جعيط على ان تاسيس الكوفة لم تكن لاغراض عسكرية بحته بل شبه عسكرية .

فاختيار الكوفة بوصفها انموذجاً للمدينة الاسلامية كان اختياراً ذو نتائج كبيرة ذلك ان كان بداية لتحكمه في بنية الحضارة الاسلامية ، حيث ارتبط نشأتها بالعمل العسكري ومثلت احدى الحواضر الجوهرية وان رجالها ساهموا في انشاءها وتوسيعها والمحافظة ، عليها فالجيش المقيم في الكوفة لم يكن مجرد حامية كما في الثغور بل قوات جاءت لتستقر دون ابداء اية نية للعودة [١٣].

شاركت مدينة الكوفة بقسطها من التاريخ العربي وفي صميم مشاكل الدولة العربية الاسلامية فكانت مسرحاً لأعظم الحركات على اختلاف دوافعها وارهاصاتها [١٤].

يرى جعيط ان الكوفة مرت بمراحل عديدة اثناء تشييدها فحدد مدة خلافة عمر بن الخطاب (١٧-٢٣ هـ / ٦٣٨-٦٤٣م) وولاية زياد بن ابيه (٥٠-٥٣هـ / ٦٧٠-٦٧٢م) وعدهما مدتان رئيسيتان ، ومن ثم ولاية خالد القسري (١٠٥-١٢٠هـ / ٧٢٣-٧٣٧م) والعصر العباسي الأول (١٣٢-١٩٧هـ / ٧٤٩-٨١٣م) ، والعصر العباسي الثاني وهي تمتد مدة طويلة (١٩٧-٣٣٤هـ / ٨١٣-٩٤٥م) ، وهذه الحقب كما يقول جعيط تنسجم تماماً مع ما توصل إليه علم الآثار من نتائج ، حيث جاء علم الآثار مؤيداً للتاريخ في اصطفاء العصر الأموي عصراً اساسياً في وجود الكوفة ولم يكن ذلك على الصعيد المعماري فحسب بل على كافة الصعد ، بيد ان العصر العباسي شهدت الكوفة هجرة الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية الى بغداد وتراجع مركز الكوفة . أما ما يخص المدة الاولى والتي تنتهي باستشهاد الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فان الكوفة مثلت القاعدة في هندسة المدينة والاساس . حيث رسم هذا العصر بنية وجود الكوفة ، فالكوفة قبل الامويين كانت اكثر تاريخية من الكوفة في عهد الامويين التي صارت مهمشة لكنها اكثر تاريخية من الكوفة في العصر العباسي [١٥].

- **موقف جعيط من الرؤية الاستشراقية للمدينة الاسلامية**

وفيما يخص رؤيته لموقف الاستشراق من المدينة الاسلامية فانه ينتقد الرؤية الاستشراقية للمدينة الاسلامية ، لان الرؤية الاستشراقية لم تنظر الى مسألة تطور المدن الاسلامية

واسباب هذا التطور ، ولأنهم لم يتمعنوا في اوضاعها ، أو أنهم فضلوا دراسة العصور اللاحقة على العصور المبكرة لنشأة المدينة الاسلامية وتطورها [١٦].

ووفقاً لذلك يحاول جعيط تصحيح العديد من الفرضيات الاستشراقية المسبقة من ذلك تلك الفرضية التي يعتنقها قسم من المستشرقين والتي تفترض تشبه المدن الاسلامية بالمدن القديمة اليونانية والفارسية والبابلية والبيزنطية ، وبالتالي هي مدن بدون ذات أو ان هذه المدن التي تاسست في العصور الاولى للاسلام تمثل ارادة شخص او مجرد عمل اعتباطي غير ممنهج أو في اقصى حد تشكل استثناء في تاريخ الاسلام ، فتكون هذه المدن مجرد مدن اميرية او مقراً للقصر ومرتبطة بوجود اسرة حاكمة أي انها مؤقتة ومفتعلة [١٧] وينتقد جعيط هذه الاراء ويرد عليها بالتاكيد على ان نشأة الكوفة جرى بعد عملية تخطيط لفضاء المدينة وتوزيعها بين مركز سياسي ديني وبين حزام للسكن وتهيئة مرتبة لمناهج الاتصال . فبعد عملية معاينة وانطلاقاً من تحليل دقيق للمصادر يظهر بجلاء ان تخطيط الكوفة جاء بعد عملية التمصير مباشرة والتمصير مفهوم يستند الى مشروع اقرار مجموعة بشرية في تجمع سكني مهما كان شكله ، ويؤكد جعيط أنه لا يرى هنا ما يشبه المعسكر ، فيقول ((إذ لا يمكن وصف هذا الجيش بمفاهيم معهودة كأن نقول بأنه جيش نظامي دائم وجهاز لدولة وجدت قبله ، ينفذ سياستها التوسعية ، بل الامر يتعلق بعناصر قبلية كاملة هاجرت باسلحتها وامتعتها ونساءها واطفالها ، وكان لهم حرية الاختيار ، ولم تقم الدولة إلا بتنظيم هذه العناصر ، فعرضت عليهم بناء المستقبل))[١٨].

وهكذا ، وبخلاف الرؤية الاستشراقية يرى جعيط ان سنة ١٧ هـ تمثل سنة انفراج وتنظيم للمكاسب واقامة هياكل المستقبل ، فقد كان هم الفاتحين الجدد ان يجدوا موطناً للاستقرار وداراً للهجرة ووطناً يحققوا حلمهم بالاستقرار ، بمعنى ان يعودوا الى الحياة المدنية مع بقاء الخيار العسكري قائماً ، لكن دون صرامة الجيوش ، فكانت فترة موجزة تم تجاوزها بسرعة فظهرت رغبة ملحة للاستقرار ابداها المقاتلون فحل دور التخطيط سريعاً . .

ويخلص جعيط بعد مناقشته لآراء المستشرقين الى تقرير القول بأن الكوفة ليست معسكراً تحول ببطء إلى مدينة مخططة تحسن بناؤها بمقتضى تصورها الأول وبالتالي فإن المدينة

بمعناها الكامل اقيمت في عهد سعد بمناهجها وخططها وهكذا تبدو الكوفة عند جعيط بمثابة حلقة اولى من سلسلة هائلة من الانشاءات جدت في القرن الأول والقرن الثاني للهجرة وفي بلاد الرافدين اكثر من غيرها [١٩].

- تاثيرات المدن السابقة على الكوفة

يعتقد جعيط ان ثمة تعددية في انماط المدن في الشرق بين مؤثرات هيلنستية كمدينة سلوقية أو شرقية صافية كمدينة بابل . ومن هذا المنطلق يجري جعيط مقارنة حضارية بين مدينة الكوفة ومدينة بابل رغم ان الفجوة تفصل بينها لأكثر من ألف سنة ، فبابل تمثل التجسيم الاعلى لنموذج بلاد الرافدين التي اجملت كافة المكاسب الحضارية للشرق المركزي في صفائه وهي محور مشع ضمن كوكبة من مدن بلاد الرافدين كاشور وخورسباد وكركوك ، فكانت بابل مربعة الشكل مثل الكوفة والبصرة واسعة الشوارع مرتبة . وكانت تستخدم في البناء اللبن والاجر ، وكانت مدينة ومعبد ولها اراضيها الخاصة ومخازن حبوبها كما هو الحال بالنسبة لدار الرزق في الكوفة حيث توجد عناصر متشابهة في بابل ما نجده بالكوفة على المستوى الطوبغرافي وحتى على مستوى الوظيفة المدينية فمثلاً عرض الشوارع والتخطيط حسب الاتجاهات الاربعة واستقامة تظهر بوضوح اكبر ضمن المقارنة بالكوفة الاولية .

إن المؤثرات البابلية كما يرى جعيط تسربت في بناء الحضارة الاسلامية بالكوفة والبصرة وبغداد ذلك ان المصادر تتحدث بوضوح عن دور شخص من الحيرة أو من همذان يدعى رَوْذَبة (الطبري ، ج٤ ، ص٤٨) وقد ظهر هذا التاثير في البنية المربعة الشكل في مخطط الكوفة التي ليست بالمستطيلة كما في مدن سلوقية ولا بالمستديرة كما في مدينة طيسفون [٢٠].

كما يصف مدن الشام بأنه عالم يتقبل كل ما يرد عليه وبين عالم بلاد الرافدين العريق في القدم والذي ينشأ فيه النموذج الشرقي وبعكس مصر التي شيدت حواضر فاقدة للاحزمة المحصنة أما بلاد الرافدين فإن مدنها تمثل مراكز للعظمة والحرب [٢١]. بيد ان الكوفة كما يرى جعيط اقتبست كثيراً من اليمن وان ارث اليمن انتقل إلى الكوفة لا سيما وان اليمنيين هاجروا بكثرة الى الكوفة واستوطنوها [٢٢]. اما ما يخص تاثيرات

فارس على الكوفة في عملية انشاءها الاولى فيؤكد أنه ((لا اسلوب التخطيط ولا بنية الفضاء الكوفي الاول يبدوان مقتبسين من الارث الفارسي ، فالكوفة كانت مربعة الشكل وليست مستديرة كأصفهان وعلى الرغم من مشاركة بنائين من فارس ، وفي العصر الاموي فسوف يظهر الايوان البارثي – الساساني كواحدة من العناصر الاساسية لبنية القصر ..))[٢٣].

أما ما يخص مكة المكرمة فيرى ان تقسيمها الى ارباع يشبه ارباع مكة . أما المدينة المنورة فيجدها نموذجاً لكافة مدن الحضارة الاسلامية حيث المسجد أولاً وهو مجاور لمقر الحكم بالنسبة للكوفة في حين كان مركز الحكم في عصر الرسالة المسجد نفسه بينما الحكم في الكوفة يمارس في المسجد ايضاً إلى جانب القصر حيث تتجمع الأموال والقوى ، لكن الفرق ان الكوفة تواجد العامل السياسي والديني في نوع من جدلية التواصل والانفصال في حين كانت الوحدة تامة في المدينة زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع تفوق المسجد على الدار [٢٤] .

- التمدين والاستقرار ذروة الكوفة عند جعيط:

يؤكد جعيط على مسألة اكتساب الكوفة لوجهها الحقيقي في العصر الأموي أما قبله فلم يظهر إلا أشياء قليلة وكذلك الأمر بالنسبة الى العصر العباسي الذي لم تشهد سوى عملية تجميلية أو ترميمية وهذا ما اثبته علم الآثار ، لذا بقيت الكوفة وحدة مدينية إلى نهاية العصر الموي فظهرت مجموعة من المدن الاميرية تحيط بالكوفة الحقيقية فقد ظهرت مدينة ابن هبيرة والهاشمية شرقاً والرصافة إلى الجنوب الغربي فقد كان هناك مسعى لدى السلطة الأموية لتاكيد السلطة وهيبة الدولة لا سيما في اثناء ولاية زياد [٢٥].

وقد استند في تحليلاته عن الكوفة الى مصادر اساسية كالطبري والبلاذري في فتوح البلدان وياقوت الحموي كما ضعف رأي المستشرق ماسينيون وبقية المستشرقين حول الموضوع ، ولم يكتف بذلك فقد استند الى معطيات علم الاثار اثناء حديثه عن مكتشفات علم الاثار لقصر الامارة في الكوفة حيث اكد انه كشف عن ثلاث مستويات المستوى الاول مطابق لما بني في عهد سعد أما المستوى الثاني ففي العصر الاموي ويعده

الاهم أما الاخير فهو في العصر العباسي الذي لم يكن سوى ترميم لما تم انجازه في عهد زياد [٢٦].

إن المدة التي اتت بعد زياد إلى ثورة الاشعث بن قيس والتي امتدت خمسة وعشرون سنة تقريباً استقر فيها النسق الاجتماعي على الرغم من الازمات السياسية التي انتابتها ، فكانت مدة طويلة صلّبت خلالها المدينة واكتسبت مظهر الرشد ، فقد سدت الثلمات في كل مكان دون ان تمحى البنية الاصلية لطرق المرور وبالمحافظة على الفضاءات الخالية فكثف السكن وضاقت الشوارع ونزعت المدينة الى اسلوب المتاهة ، ولم تمنع كل هذه التدابير ان تبقى الطرق الكبرى الاولى ، فبقيت في الجملة الكوفة الهندسية وبقيت اجهزتها الاصلية الجامع والقصر المحصن حيث اتجه كل شيء اليهما وعمرت الدور وخلف ذلك تبدأ الطرق الكبرى الفاصلة بين الخطط التي كانت الشوارع تخترقها [٢٧].

وحاول ان يحدد خارطة توزيع سكن القبائل في الكوفة واماكن استقرارها فاستند الى المعلومات التاريخية الواردة في اثناء ثورة المختار وثورة الاشراف واستنبط من خلالها توزيع القبائل وتحديد اماكن اقامتهم ، كذلك استند في تحديد بعض المعالم الطبغرافية للكوفة من احداث تاريخية كحركة شبيب الخارجي سنة ٨٦هـ وهو بمثابة استطلاع ثان لأهمية الكوفة وخصائصها الطوبغرافية حيث يؤكد جعيط ان اقتفاء اثر حركة شبيب الخارجي افادت في الاحاطة بالتركيبة الطوبغرافية للكوفة حيث عمقت هذه المعلومات الواردة عنه الحركة من المعرفة بمناطق محددة من الكوفة كمنطقة السبخة والجسر ودار الرزق وملاحظات مهمة عن السكك . فيخرج جعيط من خلال استقراء المصادر الى حصيلة تصور تشير إلى مجموعة ملاحظات قيمة يمكن اجمالها بالاتي :

- ينبغي التمييز بين الكوفة بالمعنى الدقيق – المركز والحزام السكني – وامتداداتها المباشرة التي من المفروض ان تكون خارج السور .
- تبدوالكوفة كثيفة العمران وتشكل الدور المتلاصقة جداراً لا يمكن تجاوزه بالنسبة للاطراف وذلك لتلاحمها وامتدادها .

- ان التحكم في افواه السكك اصبح عنصراً حاسماً وفعالاً دائماً للدفاع ويعتقد جعيط انه لم يكن يوجد أي جهاز تحصيني بهذه المداخل كالابراج ونحوها فكان المدافعون يجتمعون على سطوح الدور او يكمنون بمداخل السكك [٢٨] .

-الكوفة بصفتها نموذجاً لبقية المدن الاسلامية :

ثم يختم جعيط حديثه عن الكوفة بوصفها نموذجاً لبقية المدن الاسلامية وفيهذا الصدد يقول انه اذما ما اتفقنا ان الكوفة كانت حاضرة منذ البداية ولكن ما هو النموذج الذي جسدته بالنسبة لكل مدينة اسلامية مقبلة ، وهنا يقوم جعيط بتقديم نماذج عن تاثير الكوفة على بقية المدن الاسلامية وفي هذا الصدد يستقرأ المصادر القديمة والحديثة فالبصرة اختطت على نمط الكوفة وكذلك اسواق بغداد قلدت اسواق الكوفة من حيث الهندسة المعمارية والوظائف [٢٩].

ويخلص جعيط كلامه عن الكوفة بالقول ان اهميتها تكمن اكثر من غيرها من المدن بانها تمثل لحظة عبور وتحول من العروبة القديمة الى الاسلام المنظم ، وهي لحظة ذات اهمية مؤكدة بالنسبة للمؤرخ ومحيرة اطلاقاً بالنسبة للخيال العادي [٣٠].

الخاتمة

أظهرت دراسة جعيط للمدينة الاسلامية انها دراسة تتسم بالعمق والموضوعية . كما اظهرت انه اتبع المنهج التحليلي في وصف طوبغرافية المدينة وطبيعة البنية الاساسية لتشكلها عبر التاريخ . وقد افاد من المعطيات الاثارية الى جانب المصادر الاساسية عن المدينة واحاط باغلب المصادر الصميمة وذات العلاقة بالموضوع . وحاول ان يوظفها لشرح اهمية هذه المدينة وابعادها الحضارية وتاثيرها وتاثرها بالمدن السابقة والمعاصرة واللاحقة لها . كما انه نقد موقف المستشرقين من بعض الجوانب النقدية لهم للمدينة الاسلامية فحاول ان يفندها واحدة تلو الاخرى باسلوب موضوعي يعتمد الدقة في الملاحظة والاستناد الى الدليل العلمي المطلق .ولم يفته الحديث عن بنيتها الداخلية والفضاء المركزي لها والتطورات التي الحقت بها . وبرهن في النهاية على ان الكوفة عاشت عصرها الذهبي في العصر الاموي رغم التطورات السياسية التي شهدتها المدينة

. وكان يصر دائماً على وصف الكوفة بانها مدينة شبه عسكرية وان تاسيسها لم يكن لاغراض عسكرية بحته بل شبه عسكرية .

وفي الختام يظهر البحث ان دراسة هشام جعيط للمدينة الاسلامية ولا سيما الكوفة كانت من الاهمية بمكان انه اعاد تشكيل هذه المدينة حضارياً وفقا للرؤية الاكاديمية ، والنظرة التحليلية للواقع التاريخي المعاش لها ، والبعيدة كل البعد عن التحيز او التحزب او المغالاة لذا فهي دراسة جديرة بالقراءة والبحث والجدة.

ملخص البحث :

في النية المشاركة في المؤتمر العلمي السابع عشر الذي ينظمه مركز دراسات الكوفة – جامعة الكوفة بالتعاون مع امانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به للمدة ١٤-١٥ / ٣ / ٢٠١٨ ، ونظراً لأهمية المدينة الاسلامية وابرازاً لدورها الحضاري في المساهمة في تشكيل وجه العراق الحضاري فقد ارتأى الباحث المشاركة في هذا المؤتمر وتناول تاريخ هذه المدينة من زاوية فلسفية وحضارية وفقاً لما قدمه واحدا من ابرز المؤرخين العرب الحداثيين الذين امتلكوا رؤية فلسفية وحضارية واعية لأهمية المدن الاسلامية ودورها الحضاري في بناء الحضارة الاسلامية ذلك هو المفكر والمؤرخ التونسي هشام جعيّط

يمثل المؤرخ جعيّط اطلالة عربية مشرقة على الفكر الغربي المعاصر ، فبالاضافة الى امكانياته اللغوية (حيث يتقن من اللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية فضلاً عن العربية) فقد اتسمت كتاباته بالروح العلمية ، وتوخي الموضوعية في الطرح ، والمنهج النقدي التحليلي ، متجاوزاً اسلوب السرد القصصي المحض الى محاولة سبر اغوار المصادر التاريخية ، ونقدها للتعرف على العلل التي تقف وراءها ، والمحركات الديناميكية الاساسية التي استفزت احداثه .

قدّم جعيّط مجموعة من الدراسات التاريخية الاكاديمية المهمة عالج خلالها قضايا مفصلية من تاريخ الاسلام ، وكانت المدينة الاسلامية واحدة من ابرز الموضوعات التي عالجها من خلال مؤلفه الضخم (**الكوفة : نشأة المدينة العربية الاسلامية**) والمؤلف من نحو (٥٠٠) صفحة. وهو اذ اختار الكوفة عنواناً لأبرز كتبه انما هو تعبير صادق عن اهمية هذه المدينة ووعي لدورها الحضاري ، كونها تمثل اول مدينة اسلامية يؤسسها العرب

خارج نطاق الجزيرة العربية ؛ ان لم تكن الاولى على الاطلاق. فقد تاسست سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) .

قدّم جعيط مدينة الكوفة من زوايا عدة : إذ ناقش مسألة الفتح الاسلامي ، وتأسيس الكوفة كونها تمثل دار هجرة ثانية بعد المدينة المنورة اكثر من كونها مستقر للفاتحين ، كذلك قدم جعيّط لموقف المستشرقين من المدن الاسلامية عموماً ومدينة الكوفة بشكل خاص ، بعد ذلك يبدأ ببحث التاثيرات الحضارية للمدن السابقة على الكوفة كبابل ومكة ، فضلاً عن التاثيرات الهيلينية بعدها ناقش الاداور الحضارية التي مرّت بها الكوفة ، واسماها دور الاستقرار ودور التمدن ودور التطور ودور الاستكمال ، وبحث تاثيراتها السياسية ودورها التاريخي.

لم يكتف جعيّط بمعالجة هذه القضايا بل اخذ يقدم رؤية مقارنة للمدن الاسلامية الاخرى فيقارن الكوفة ببغداد ، ويبحث في هويتها ، ووجهها المديني ، واسهامات علماءها في الحضارة الاسلامية ، كل ذلك من زاوية مقارنة مع بقية المدن . كل هذا وهو يراجع المصادر الاساسية وكتب التراث وآخر ما انتجته الثقافة الغربية من اصدارات اجنبية ومخطوطات عربية ، فضلاً عن اطلاعه على الاثار والعمارة وكتب التاريخ المعاصرة لتاريخ هذه المدينة .

وعلى أمل استكمال البحث في موعده فلا يسعني الا ان اتقدم بجزيل الشكر للسادة القائمين على هذا المؤتمر وتجشمهم عناء قراءة الملخص . ومن الله التوفيق

الهوامش:

---

(١) ولد في تونس عام ١٩٣٥ ودرس في المدرسة الصادقية ثم وفي سنة ١٩٦٢ حصل على الإجازة في التاريخ. وتخصص في التاريخ الإسلامي ، وقام بنشر العديد من الأعمال ، صدرت سواء في العالم العربي أو أوروبا. أحرز سنة ١٩٨١ على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة باريس. وظل حتى آخر حياته أستاذا شرفيا بجامعة تونس، وأستاذ زائر بكل من جامعة ماك غيل (مونتريال) وجامعة كاليفورنيا، بركلي وبمعهد فرنسا. يتولى منذ ٢٠١٢ رئاسة مجمع بيت الحكمة بتونس . من مؤلّفاته : الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، بيروت، دارالطليعة، ١٩٨٤ . و الكوفة: نشاة المدينة العربية الإسلامية، بيروت، دارالطليعة، ١٩٨٦. الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، بيروت، دارالطليعة، ١٩٩٢. أزمة الثقافة الإسلامية، بيروت، دارالطليعة، ٢٠٠٠. في السيرة

النبوية. ١: الوحي والقرآن والنبوة، بيروت، دارالطليعة، ١٩٩٩. تأسيس الغرب الإسلامي، بيروت، دارالطليعة، ٢٠٠٤. في السيرة النبوية. ٢: تاريخية الدعوة المحمدية، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٦. أوروبا والإسلام: صدام الثّقافة والحداثة، بيروت، دارالطليعة، ٢٠٠٧. في السيرة النبوية.٣: مسيرة محمد في المدينة وإنتصار الإسلام، بيروت، دار الطليعة، ٢٠١٤.

(٢) شاكر فريد حسن ، هشام جعيط: المفكر العربي الساعي الى تطوير الحوار النقدي ، http://www.diwanalarab.com

(٣) مصطفى الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ،(بغداد : ١٩٨٢) ، ص٣٥٥.

(٤) المدينة الاسلامية على الموقع :http://www.alshirazi.com

(٥) كامل الكناني ، تخطيط المدينة العربية الاسلامية الخصوصية و الحداثة ، على الموقع :

http://urpiplanner.blogspot.com

(٦) للتفاصيل ينظر : فرانسوا دوس ، التاريخ المفتت من الحوليات الى التاريخ الجديد ، ترجمة : محمد الطاهر المنصوري (بيروت : ٢٠٠٩) .

(٧) ابراهيم العريس ، الكوفة لهشام جعيط ، مقالة منشورة على الموقع:

http://ebn-khaldoun.com

(٨) تجدر الاشارة الى ان مدينة الكوفة بناها سعد بن أبي وقاص عام (١٧هـ / ٦٣٨م) . غربي نهر الفرات وقد بنيت بيوتها في البداية من القصب وعندما التهمتها النيران أمر الخليفة عمر بن الخطاب أن تبنى بيوتها من اللبن وبني فيها مسجدا كبيرا ودارا للإمارة ثم ازدهرت بالمباني التي أنشأها بناءون من الفرس والعرب حتى غدت قصبة العراق واتخذها الخليفة علي بن أبي طالب مقرا لخلافته بعد أن نقلها من المدينة في الحجاز لكثرة أنصاره في الكوفة ، ولتوسطها في الأراضي الإسلامية الجديدة إلا أن نجاح معاوية في تأسيس الدولة الأموية حرمها من هذا المركز السياسي لتحل محلها دمشق عاصمة للدولة الأموية ثم اتخذت الكوفة مقرا للخلافة العباسية أول نشأتها حتى بني الخليفة العباسي الأول مدينة الهاشمية. للتفاصيل ينظر : سليمان ابو خضر ، المدينة الاسلامية . على الموقع :https://sites.google.com/site/tarekharab/almdenah

(٩)ابراهيم العريس ، الكوفة لهشام جعيط ، مقالة منشورة على الموقع:

http://ebn-khaldoun.com

(١٠) ولد أبو الطيب المتنبي عام ٩١٥ للميلاد بمدينة الكوفة في العراق. نال المتنبي قدراً طيباً من التعليم في مدينة دمشق بالشام، وهو التعليم الذي تمكن من تحقيقه جزئياً بفضل موهبته الشعرية. تزعم حركة ثورية وادعى النبوة وقاد ثورة في مسقط رأسه الكوفة عام ٩٣٢. وقد قمعت هذه الحركة ووضع هو

في السجن. وفي هذه المرحلة من حياته بدأ بكتابة أولى قصائده. وكان يطمح طوال حياته لاكتساب النفوذ السياسي رغم أن طموحاته لم يكتب لها التحقيق أبداً. رحل من العراق إلى الشام ومصر وفارس بحثاً عن حاكم كبير الشأن يمكن أن يجعله عاملاً له على أحد الأقاليم. وقد لقي المتنبي مصرعه حين هاجمته قريباً من بغداد عصابة من قطاع الطرق في طريق عودته إلى العراق. " نبذة عن حياة الشاعر القدير المتنبي...الخميس نوفمبر ٢٩، ٢٠٠٧: موقع : http://hashm.logu٢.com

(١١) ابراهيم العريس ، «الكوفة» لهشام جعيّط: دعوة لاستعادة المدينة الأولى في الإسلام؟ الاثنين ٢٨ ربيع الثاني ١٤٣٩هـ - ١٥ يناير ٢٠١٨م ، مقالة منشورة على الموقع:

http://ebn-khaldoun.com

(١٢) هشام جعيط ، الكوفة ، نشأة المدينة العربية الاسلامية (الكويت : ١٩٨٦) ، ص١٨ .

(١٣)المصدر نفسه ، ١٠٣-١٠٤ .

(١٤)المصدر نفسه ، ص١١٢ .

(١٥) جعيط ، المصدر السابق ، ص١١٤-١١٦.

(١٦) للتفاصيل عن موقف جعيط من الاستشراق والمستشرقين ينظر : محمد المزوغي ، الاستشراق والمستشرقون في فكر هشام جعيط ، (دار الجمل : ٢٠١٦) .

(١٧)المصدر نفسه ، ص١٩٣-١٩٥ ، ص١٩٨ ..

(١٨) جعيط ، المصدر السابق ، ص٢٠٢-٢٠٤ .

(١٩)المصدر نفسه ، ص٢٠٤-٢٠٧ .

(٢٠) جعيط ، المصدر السابق ، ٢١٤-١١٨

(٢١) المصدر نفسه ، ٢١١-٢١٣ .

(٢٢)المصدر نفسه ، ٢٦٣-٢٦٥ .

(٢٣)المصدر نفسه ، ٢٣٣-٢٣٤ .

(٢٤)المصدر نفسه ، ص٢٧٢.

(٢٥) جعيط ، المصدر نفسه ، ص٢٧٨-٢٨١ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص٢٨٢-٢٨٥ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص٣٠٣-٣٠٤ .

(٢٨) للتفاصيل ينظر : جعيط ، المصدر السابق ، ص٣٥٣-٣٥٧ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص٤٢٣-٤٢٥ .

(٣٠) جعيط ، المصدر السابق ، ص٤٥٢ .

النَخَعيون ودورهم في الحركة العلمية في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري

أ.م.د. نايف محمد شبيب
جامعة الموصل / قسم التاريخ / كلية الآب

المقدمة

بعد خروج العرب من شبه الجزيرة العربية فاتحين ناشرين للإسلام اقتضت الضرورة انشاء امصار جديدة لاستقرار الجنود الفاتحين فيها ، والذين بدأوا يصطحبون عوائلهم معهم ، فكلما تقدمت مسيرة الفتح كان من الصعوبة العودة الى بلادهم لرؤية عوائلهم ، فكانت الكوفة اول الامصار التي بناها العرب المسلمون سنة ١٧ هـ ابان فتح العراق ، وكانت في بداية تأسيسها معسكرا للجيش العربي الاسلامية بقيادة سعد بن ابي وقاص الذي امر ببنائها لتكون قاعدة انطلاق القوات التي اكملت تحرير العراق في ما بعد [١] ، ثم اصبحت من اهم المدن العربية الاسلامية ولا سيما في زمن خلافة الامام علي رضي الله عنه الذي اتخذها عاصمة للدولة الاسلامية ، فهاجر اليها كثير من الصحابة والقبائل العربية واصبحت مقصدا اولياً لطلبة العلم من كل مكان .

ومن خلال تتبع حركة القبائل العربية التي استوطنت الكوفة وجدنا ان لقبيلة النخعيين دور كبير في الحياة السياسية والعلمية فيها ، وما يهمنا هنا دور النخعيين في الحياة العلمية في الكوفة اذ كان منهم علماء كبار تميزوا في كثيرة من العلوم الشرعية ولا سيما رواية الحديث والفقه والقراءات ، وقد اشاد كتاب التراجم والطبقات الذين ترجموا لهم بما قدمه النخعيون في هذا المجال .

وفي هذا البحث سنسلط الضوء على سير اهم العلماء النخعيين الذين استوطنوا الكوفة مع بيان دورهم في الحركة العلمية واهم العلوم التي اشتهروا بها حتى نهاية القرن الثاني الهجري..

تعريف النخعيين

النخعيين سموا بذلك نسبة الى النخع ، ومعنى النخع في اللغة : القطع ، يقال نخع الشاة اي قطع نخاعها [٢] ، والناخعُ : الَّذِي قَتَلَ الأَمْرَ عِلْماً ، وَقِيلَ : هُوَ المُبِين للأُمور [٣] ، وقيل ان أصل النخع في اللغة
العظيم من الأبل [٤] .

والنَّخَعُ ، بفتح النون والخاء : لقب لجد قبيلة يمنية وهو جسر ابنُ عَمْرِو بنِ عُلَةَ بنِ جَلْدِ ابنِ مالك بن أُدَدٍ [٥] .

والمراد بها هنا قبيلة كبيرة احد فروع قبيلة مذحج اليمنية ، قال اهل الانساب : النَّخعِيّ بِفَتْح النُّون وَالْخَاء وَبعدهَا عين مُهْملَة هَذِه النِّسْبَة إِلَى النخع وَهِي قَبيلَة كَبِيرَة من مذْحج وَاسم النخع جسر بن عَمْرو بن عِلّة بن جلد بن مالك بن أدد وقيل لَه النخع لأنهُ أنتخع من قومه أَي بعد عنهم [٦] .

قال النويري : بنو النخع حي من كهلان من القحطانية ، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم النخع ، وهم بنو النخع واسمه جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، ... وسمي النخع لأنه انتخع عن قومه أي بعد [٧] .

ولد النخع بن عمرو بن علة : مالك وعوف ، ومن بطونهم

صهبان ، ووهبيل ، وجسر ، وجذيمة ، وقيس ، وحارثة ، بنو سعد بن مالك بن النّخع ، وبطون غير هؤلاء كثيرة ، منهم : عمرو بن زرارة بن قيس بن الحارث وابراهيم بن الاشتر وغيرهم [٨] .

ووفدوا على رسول الله ﷺ ، وهم آخر الوفود ، في نصف المحرم سنة احدى عشرة ، في مائتي رجل، فنزلوا دار الضيافة ، ثم جاءوا رسول الله (ص) مقرين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل ، لما بعثه رسول الله (ص) الى اليمن [٩] .

العلماء النخعيين

خرج من قبيلة النخع الكثير من العلماء والعُبّاد وكان لهم الدور الكبير في دعم الحركة العلمية في الكوفة وغيرها من البلدان الاسلامية ، وما يهمنا هنا الذين استوطنوا الكوفة من النخعيين وبرزوا في مجالات عدة من العلوم ومنهم :

اولاً _ علقمة بن قيس النخعي

هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل بن بكر بن عوف بن النخع من مذحج ويكنى أبا شبل [١٠] ، وقيل ان الذي كناه بأبي شبل عبد الله بن مسعود [١١] ، وهو عم الأسود بن يزيد بن قيس ولكنه اصغر منه سناً [١٢] ، كان

مخضرما اذ ادرك الجاهلية والاسلام [١٣] ، وكما وصفته بعض المصادر فانه يشبه الرسول محمد ﷺ ، فحسب بعض الروايات ان عبد الله بن مسعود كان اكثر الناس شبها بالرسول ﷺ وان علقمة كان اكثر الناس شبها بعبد الله بن مسعود [١٤] .

وروي عن علقمة " أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين ثم قال اللهم ارزقني جليسا صالحا فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت قال من أهل الكوفة قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ [١٥] ، فقال علقمة والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى فقال أبو الدرداء لقد حفظتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال بي هؤلاء حتى شككوني ثم قال ألم يكفكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره والذي أجير من الشيطان على لسان رسول الله ﷺ صاحب الوساد ابن مسعود وصاحب السر حذيفة ، والذي أجير من الشيطان عمار بن ياسر [١٦] .

عُد من فقهاء التابعين [١٧] ، وقيل كان مقدما على اقرانه بالفقه والحديث [١٨] ، طلب العلم والجهاد ، نزل الكوفة ولازم ابن مسعود حتى اصبح من اكثر الناس علما واجدهم عملا [١٩] فضلا عن كونه قارئا ذو صوت حسن ثبتا حجة في حديثه [٢٠] .

روي عن الشعبي قوله : كان الفقهاء بعد اصحاب رسول الله ﷺ في الكوفة اربعة هم علقمة وعبيدة وشريح ومسروق [٢١] .

روى عن عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابي الدرداء وابي مسعود الانصاري رضي الله عنهم اجمعين [٢٢] ، وأبي موسى الأشعري وسلمان الفارسي وخباب بن الأرت وعائشة [٢٣] ، وسعد بن ابي وقاص وخالد بن الوليد وابي الدرداء وسلمة بن يزيد الجعفي و ومعقل بن سنان وغيرهم [٢٤] .

روى عنه أَبُو وائل شقيق بن سلمة وعامر الشعبي وإبراهيم بن يزيد النخعي ومحمد بن سيرين وعبد الرحمن بْن الأسود والمسيب بن رافع وإبراهيم بن سويد النخعي والحسن العرني وأبو ظبيان الجنبي وأبو الضحى مسلم بن صبيح [٢٥] ، وعبد الرحمن بن يزيد بن قيس وابو الرقاد النخعي وابو وائل شقيق بن سلمة وسلمة بن كهيل وهنى بن نويرة وقيس بن رومي، والقاسم بن مخيمرة وغيرهم [٢٦] .

عن أبي السفر عن مرة قال كان علقمة من الربانيين [٢٧] ، وقال عنه ابن حبان كان راهب أهل الكوفة عبادة وعلما وفضلا وفقها [٢٨] ، وقال الصفدي : كان فقيها مقرئا طيب الصوت ثبتا حجَّة [٢٩] ، وقال الذهبي : فقيه الكوفة ، وعالمها ، ومقرئها ، الإمام ، الحافظ ، المجود ، المجتهد الكبير [٣٠] .

رافق الامام علي رضي الله عنه الى المدائن وقاتل مع الخوارج في النهروان ، وقد رؤي يوم النهروان وسيفه مخضب بدماء الخوارج ، كما قاتل في جانب الامام علي في معركة صفين [٣١] .

كان حافظا للقران يقرأه كاملا كل خمسة ايام [٣٢] ، وعرف بجمال صوته وحسن تلاوته ، روي عنه قوله " قال : كنا جلوسًا مع عبد الله [٣٣] ، ومعنا أبو حدير ، ودخل علينا خباب ، قال : يا أبا عبد الرحمن كل هؤلاء تقرأ ؟ قال : فقال : إن شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك ، فقال : أجل ! فقال لي : اقرأ ، قال ابن حدير : تأمره يقرأ وليس بأقرئنا ! فقال : أما والله إن شئت أخبرتك ما قال رسول الله ﷺ لقومك وقومه ، قال: فقرأت خمسين آية ، فقال : أحسنت ، فقال عبد الله ما أقرأ شيئًا إلا وهو يقرأه ... وفي رواية اخرى عنه ، قال : قال لي عبد الله : اقرأ ، فقرأت ، فقال : رتل فداك أبي وأمي [٣٤] .

وقال :كنت رجلًا قد أعطاني الله حسن صوت بالقرآن وكان ابن مسعود يستقرؤني ويقول : لي اقرأ فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن حسن الأصوات يزين القرآن [٣٥] .

وقد قدمه اهل الكوفة لإمامة الصلاة والفتيا بعد استشهاد الامام علي و وفاة عبد الله بن مسعود ، وكان طلبته يسألونه ويستفتونه على الرغم من وجود بعض الصحابة مما يدل على المكانة العلمية التي وصل اليها [٣٦] .

" عن قابوس بن أبي ظبيان ، قال : قلت لأبي : لأي شيء كنت تأتي علقمة وتدع أصحاب النبي ﷺ قال : أدركت ناسا من أصحاب ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه"[٣٧] .

وقال ابن عون : سألت الشعبي عن علقمة ، والأسود ، فقال :

كان الأسود صواما ، قواما ، كثير الحج ، وكان علقمة مع البطيء ، ويدرك السريع[٣٨].

كما كان يكره التردد على مجالس الامراء والحكام ويقول اخاف ان ينتقصوا مني اكثر مما انتقص منهم [٣٩] .

توفي سنة ٦٢ [٤٠] ، وقيل سنة ٦٥ او ٦٣ [٤١] ولم يترك عقبا لأنه كان عقيما [٤٢]

ثانياً _ الأسود بن يزيد النخعي

هو ابو عمرو الاسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل بن بكر بن عوف بن النخع من مذحج [٤٣] ، أمه مليكة بنت يزيد النخعي [٤٤] ، ادرك النبي ﷺ في حياته الا ان النبي لم يره [٤٥] ، عُدّ من فقهاء التابعين [٤٦] .

وصفه الذهبي [٤٧] بـــ (الامام القدوة) ، وقال عنه ابن عبد الهادي : الإِمام أبو عَمْرو النَّخَعيُّ ، الفقيهُ ، الزَّاهد ، العابد ، عالمُ الكوفة [٤٨] ، هو أخو عبد الرحمن بن يزيد ، ووالد عبد الرحمن بن الأسود ، وابن أخي علقمة بن قيس ، وخال إبراهيم النخعي فهؤلاء أهل بيت من رؤوس العلم والعمل وكان الأسود مخضرما ، أدرك الجاهلية والإسلام [٤٩] .

وكان الاسود صواما وقواما حج بين أربعين حجة وعمرة [٥٠] وقيل ثمانين بين حجة وعمرة [٥١] ، عابدا زاهدا وكان الصوم احب العبادات الى قلبه حتى انه كان يواصل الصوم ولا يتركه الا ما ندر اذ روي عنه انه كان يواصل الصوم في ايام الحر اللهيبة التي لا تحتملها الجمال حتى ان لون لسانه وهو صائم يصبح اسودا من شدة الحر [٥٢].

وكان عمه علقمة وهو اصغر منه سناً يقول له : لماذا تعذب جسدك فيقول انما اريد له الراحة [٥٣] .

وروي عن رياح بن الحارث النخعي قوله : سافرت مع الاسود الى مكة فكان اذا حضرت الصلاة نزل مباشرة ولا يؤخرها حتى وان كان المكان خشنا او كانت الارض وعرة لا تصلح للصلاة [٥٤] ، وانه عندما يكون في منزله كان يهرول الى الصلاة [٥٥].

وكان الأسود يقرأ القرآن كاملا في شهر رمضان في ليلتين ويختم في سوى رمضان في ستة ايام [٥٦]

روى عن معاذ بن جبل [٥٧] وأبي بكر وعمر وعلى وابن مسعود وحذيفة وبلال وعائشة وأبي السنابل بن بعكك وأبي محذورة وأبي موسى رضي الله عنهم اجمعين وغيرهم[٥٨].

روى عنه ابنه عبد الرحمن وأخوه عبد الرحمن وابن أخته إبراهيم بن يزيد النخعي وعمارة بن عمير وأبو إسحاق السبيعي وأبو بردة بن أبي موسى ومحارب بن دثار وأشعث بن أبي الشعثاء [٥٩] و الشعبي وغيرهم [٦٠] .

اجمع كثير من العلماء على انه ثقة ، وقال ابن سعد : كان ثقة وله أحاديث صالحة [٦١].

وقيل انه كان لا يصل على من توفى وهو ميسور الحال ولم يحج [٦٢] .

وفي ايامه الاخيرة كان يوصي احد اصحابه لقّني عند الموت حتى يكون اخر كلامي لا اله الا الله ولا تضعوا في قبري آجُرَا ، ولا تتبعوني بصوت او نواح [٦٣] ..

فلما احتضر بكى

فقيل له : ما هذا الجزع ؟

فقال : ما لي لا أجزع ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله ، لأهمني الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحيا منه [٦٤] .

توفي سنة ٧٥ [٦٥] .

ثالثاً _ عبد الرحمن بن الاسود

هو عبد الرحمن بن الاسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل بن بكر بن عوف بن النخع من مذحج [٦٦] ، كان حسن المنظر يهتم بمظهره كثيرا يلبس الخز و يخضب شعره ويركب على برذون ، حتى قيل انه دهقان من دهاقين العرب في لبسه وعطره ومركبه [٦٧] ، ومع ذلك كان بعيدا عن التكبر اذ كان يبادر بالسلام على كل من يقابله حتى من اهل الملل الاخرى [٦٨] .

قال عنه العجلي : كوفي ثقة في الحديث [٦٩] ، وعده ابن حبان من الثقات ايضا [٧٠] ، وقال عنه ابن معين والنسائي : ثقة ، وزاد ابن خراش بقوله : انه من خيار الناس [٧١].

روى عن ابيه الاسود وعم ابيه علقمة [٧٢] ، وعن عائشة وابن ام اوفى [٧٣] ، وابن الزبير [٧٤] ، وانس بن مالك [٧٥] .

روى عنه أبو إسحاق الهمداني وطارق بن عبد الرحمن ومالك بن مغول وبيان وجابر الجعفي [٧٦] ، والاعمش واسماعيل بن ابي خالد ومحمد بن اسحاق وحجاج بن ارطأة ، وزبيد اليامي وابو اسرائيل الملائي وابو بكر النهشلي وعبد الرحمن المسعودي [٧٧] ، وهارون بن عنترة وعاصم بن كليب وليث بن ابي سليم وغيرهم [٧٨] .

كان كثير التعبد ولا سيما في رمضان اذ كان يصلي في قومه صلاة التراويح اثنتي عشر ركعة وبين كل ركعتين يصلي بمفرده اثنتي عشرة ركعة وكان يقوم ليلة الفطر ويقول انها ليلة عيد [٧٩] .

شوهد انه صلى في احد ايام الجمعة قبل الصلاة ستا وخمسين ركعة ، وروي عن ابن اسحاق ان عبد الرحمن قدم حاجا فاعتلت رجله فصلى على قدم واحدة حتى اصبح[٨٠].

وروي انه كان كثير الصيام حتى احرق الصوم لسانه [٨١] .

وعندما قربت وفاته كان يبكي وهو على فراش الموت ، فقيل له ما يبكيك ، فقال : اسفا على الصلاة والصيام [٨٢] ، وبقي يتلو القران حتى مات [٨٣] .

قيل ان وفاته كانت سنة تسع وتسْعين ، وقيل إِنَّه مات فِي عهد والي العراق خالد بن عبد الله القسري (١٠٥ _ ١٢٠ه) وانه هو من صلى عليه [٨٤] .

رابعاً _ ابراهيم النخعي

هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج ، ويكنى أبا عمران [٨٥] ، امه مليكة بنت قيس عمة الاسود بن يزيد بن قيس [٨٦] ، قال عنه الذهبي : الامام الحافظ فقيه العراق [٨٧] .

كان هو والشعبي مفتيا اهل الكوفة ، وكان من الاعلام الصالحين فقيها متوقيا قليل التكلف [٨٨] .

روى عن خاله الاسود بن يزيد ومسروق وعلقمة بن قيس وعبيدة السلماني وأبي زرعة البجلي وخيثمة بن عبد الرحمن والربيع بن خثيم وأبي الشعثاء المحاربي وسالم بن منجاب وسويد بن غفلة والقاضي شريح وشريح بن أرطاة وأبي معمر عبد الله بن

سخبرة وعبيد بن نضيلة وعمارة بن عمير وأبي عبيدة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن السلمي وخاله عبد الرحمن بن يزيد وهمام بن الحارث [٨٩] .

روى عنه : الحكم بن عتيبة وعمرو بن مرة وحماد بن أبي سليمان وسماك بن حرب ومغيرة بن مقسم وأبو معشر بن زياد بن كليب وأبو حصين عثمان بن عاصم ومنصور بن المعتمر وعبيدة بن معتب وإبراهيم بن مهاجر والحارث العكلي وسليمان الأعمش وابن عون وشباك الضبي وشعيب بن الحبحاب وعبيدة بن معتب وعطاء بن السائب وعبد الرحمن بن أبي الشعثاء المحاربي وعبد الله بن شبرمة وعلي بن مدرك وفضيل بن عمرو الفقيمي وهشام بن عائذ الأسدي وواصل بن حيان الأحدب وزبيدٌ اليامي ومحمد بن خالد الضبي ومحمد بن سوقة ويزيد بن أبي زياد وأبو حمزة الأعور ميمون [٩٠] .

عده كتاب التراجم فقيها للعراق لما كان يملكه من علم وفطنة بحيث جاوز كثير من علماء التابعين المشهود لهم اذ كان سعيد بن المسيب يقول لمن يستفتيه من الناس : اتستفتوني وفيكم ابراهيم ؟ [٩١] .

" قال أبو حمزة الثمالي : كنت عند إبراهيم النخعي ، فجاء رجل ، فقال :

يا أبا عمران ، إن الحسن البصري يقول : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار

فقال رجل : هذا من قاتل على الدنيا ، فأما قتال من بغى ، فلا بأس به

فقال إبراهيم : هكذا قال أصحابنا عن ابن مسعودٍ

فقالوا له : أين كنت يوم الزاوية [٩٢] ؟

قال : في بيتي

قالوا : فأين كنت يوم الجماجم [٩٣] ؟

قال : في بيتي

قالوا : فإن علقمة شهد صفين مع علي

فقال : بخٍ بخٍ ، من لنا مثل علي بن أبي طالبٍ ورجاله " [٩٤] .

وكان الشعبي وابراهيم وابو ضحى وغيرهم يجتمعون في المسجد للمذاكرة فاذا جاءت مسألة ليس فيها عندهم رواية اومأوا بأبصارهم الى ابراهيم لحلها [٩٥]

وروي عن زوجته هنيدة ان إبراهيم كان يصوم يوما ويفطر يوما [٩٦] .

روي عن الاعمش قوله : ما ذكرت حديثا لإبراهيم الا وزادني فيه [٩٧] .

وقال محمد بن سيرين : ان ابراهيم كان فتا صغيرا يحضر معنا مجلسنا عند مسروق للعلم كأنه ليس معنا وهو معنا [٩٨] .

وكان رحمه الله ذو حافظة قوية قلما امتلكها غيره فلم يعتمد مطلقا على الكتابة وقال عن نفسه ما كتبت يوما قط [٩٩] ، وروي عنه قوله " إنه قل ما كتب إنسانٌ كتابا إلا اتكل عليه وقل ما طلب إنسانٌ علما إلا آتاه الله منه ما يكفيه " [١٠٠] .

ومن كثرة علمه وتفقهه وروايته وورعه كانت له بين الناس هيبة الامراء [١٠١] ، وعلى الرغم من ذلك كان متواضعا لا يتباها بعلمه اذ كان يقول " تكلمت ولو وجدت بدا لم اتكلم وإن زمانا اكون فيه فقيها لزمان سوء " [١٠٢] .

ولما ظهرت فكرة الارجاء [١٠٣] بين المسلمين وتبناها بنو امية لأنها تخدم مواقفهم السياسية كان لإبراهيم النخعي موقفا صارماً من الارجاء والمرجئة :

روي عنه قوله الارجاء بدعة ، وكان يطرد من يقول بالإرجاء من مجلسه ، وكان يحذر اصحابه وطلابه من المرجئة وينهاهم عن مجالستهم [١٠٤] .

روي عن سعيد بن جبير ان ابراهيم كان يقول : " لأنا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة [١٠٥] " [١٠٦] ، وقال ان ترك المرجئة لهذا الدين امر ارق من الثوب الرقيق ، وقال الاعمش ان ابراهيم كان يقول ان المرجئة ابغض الي من اهل الكتاب [١٠٧] .

وكان لإبراهيم مسجد وله مؤذن خاص اسمه اكليل ابو حكيم [١٠٨] .

وقيل انه لما حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا ، فقيل له في ذلك ، فقال : وأي خطر أعظم مما أنا فيه ، أتوقع رسولا يرد علي من ربي ، إما بالجنة ، وإما بالنار، والله لوددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة [١٠٩] .

وروي عن ابن عون قال : لما توفي إبراهيم أتينا منزله فقلنا : بأي شيء أوصى ؟ قالوا : أوصى أن لا تجعلوا في قبري لبنا عرزميا وألحدوا لي لحدا ولا تتبعوني بنار [١١٠] .

وعن ابن عون ايضا قال : أتيت الشعبي بعد موت إبراهيم فقال لي : أكنت فيمن شهد دفن إبراهيم ؟ فالتويت عليه فقال : والله ما ترك بعده مثله قلت : بالكوفة ؟ قال : لا بالكوفة ولا بالبصرة ولا بالشام ولا بكذا ولا بكذا [١١١] ، وفي رواية اخرى عن شعيب بن الحبحاب ، قال :كنت فيمن دفن إبراهيم النخعي ليلا سابع سبعة ، أو تاسع تسعة ، فقال الشعبي : أدفنتم صاحبكم ؟ قلت : نعم ، قال الشعبي : أما إنه ما ترك أحدا أعلم منه ، أو أفقه منه ، قلت : ولا الحسن ، ولا ابن سيرين ؟ ، قال : نعم ، ولا من أهل البصرة ، ولا من أهل الكوفة ، ولا من أهل الحجاز ، وفي رواية : ولا من أهل الشام[١١٢] وأجمع اكثر من ترجم له على أنه توفي في سنة ست وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك بالكوفة وهو ابن تسع وأربعين سنة لم يستكمل الخمسين ، وقيل : مات توفي وهو ابن نيف وخمسين سنة ، وقال أبو نعيم : سألت ابن بنت إبراهيم عن موته فقال : بعد الحجاج بأشهر أربعة أو خمسة ، قال أبو نعيم : كأنه مات أول سنة ست وتسعين [١١٣].

كان واسع الرواية ، فقيه النفس ، كبير الشأن ، كثير المحاسن رحمه الله [١١٤] .

خامساً _ الحسن بن الحر

أبو الحكم النخعي ، وهو ابن أخت عبدة بن أبي لبابة [١١٥] ، وخال حسين بن علي الجعفي [١١٦] ، قال عنه الذهبي[١١٧] : كوفي ، امام ، عابد . وروي عن يحيى بن معين أنه قال : الحسن بن الحر ثقة [١١٨] ، وقال الحاكم : ثقة مأمون [١١٩] ، روى له ابو داود والنسائي في سننهم [١٢٠] ، وقال ابن حجر [١٢١] ، كان بليغا جواداً .

روى عن الشعبي والقاسم بن مخيمرة والحكم بن عتيبة وحبيب بن أبي ثابت وعبد الله بن عطاء [١٢٢] ، وابي طفيل وخاله عبدة بن ابي لبابة [١٢٣] ، ونافع مولى بن عمر وهشام بن عروة [١٢٤] .

روى عنه ابن عجلان وزهير بن معاوية وابن ثوبان ومحمد بن أبان وحسين الجعفي [١٢٥] وعبد الله

بن عبد العزيز الاموي [١٢٦] ، وحميد بن عبد الرحمن الرواسي [١٢٧] ، وابو خثيمة الجعفي وابن اخته حسين بن علي والاوزاعي وغيرهم [١٢٨] .

كان كريما جوادا سخيا ينفق على الفقراء والمحتاجين ، كان كلما رأى الجوالين من الفقراء واصحاب رؤوس الاموال القليلة يعطيهم مالا اكثر مما عندهم ليتمكنوا من زيادة بضائعهم ليزداد ربحهم ، روي عن ابن اخته حسين الجعفي قال : كان الحسن بن الحر إذا مر به من يبيع ملحا ، أو من رأس ماله نحو درهمين ، فيعطيه خمسة ، يقول : اجعلها رأس مالك ، وخمسة أخرى ، فيقول : خذ بها دقيقا وتمرا ، وخمسة أخرى ، فيقول : خذ بها قطنا للمرأة [١٢٩] .

قال زهير بن معاوية : اقترض أبي من الحسن بن الحر ألفا ، ثم وجه بها إليه ، فردها ، وقال: اشتر بها لزهير سكرا [١٣٠] .

رحل الى دمشق للتجارة واستقر بها [١٣١] .

قال محرز بن حريث : كتب الحسن بن الحر إلى عمر بن عبد العزيز : إني كنت أقسم زكاتي ، فلما وليت ، رأيت أن أستأمرك ، فكتب إليه عمر : ابعث بها إلينا ، وسم لنا إخوانك ، نغنهم عنك [١٣٢] .

وقال الأوزاعي : ما قدم علينا من العراق مثل الحسن بن الحر ، وعبدة بن أبي لبابة ، وكانا شريكين [١٣٣] .

مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة [١٣٤] .

سادساً _ الحسن بن عبيد الله

هو ابو عروة الحسن بن عبيد الله بن عروة النخعي الكوفي [١٣٥] .

روى عن ابراهيم النخعي [١٣٦] ، وابي عمر الشيباني والشعبي وأبي الضحى [١٣٧] ، ومحمد بن شداد [١٣٨] ، وشقيق ابي وائل وزيد بن وهب [١٣٩] ، وابراهيم بن سويد النخعي وابراهيم بن يزيد التميمي وابي عمر الشيباني وابي ضمرة جامع بن شداد وسعد بن عبيدة وأبي الضحى وأبي زرعة بن عمرو بن جرير وغيرهم [١٤٠] .

روى عنه جعفر بن غياث [١٤١] ، وسفيان بن عيينة [١٤٢] ، ومحمد بن عبد الملك [١٤٣] ، وسفيان الثوري وجرير بن عبد الحميد [١٤٤] ، وزائدة وأبو إسحاق الفزاري وعبد الله بن إدريس وعبد الواحد بن زياد وجرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل وغيرهم [١٤٥].

وثقه كثير من العلماء [١٤٦] ، ووصفه الساجي بالصدوق [١٤٧] .

توفي في عهد الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور [١٤٨] ، قيل سنة ١٣٩ وقيل سنة ١٤٢ [١٤٩] ، والتاريخ الاول هو الارجح لقول الكثير من اهل التراجم به [١٥٠] .

سابعاً _ الحجاج بن أرطأة

هو ابو ارطأة الحجاج بن ارطأة بن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب بن سلامان بن عامر بن حارثة بن سعد بن مالك النخعي [١٥١] .

ولد في حياة انس بن مالك وغيره من صغار الصحابة [١٥٢] .

قال عنه الذهبي : الامام العلامة مفتي الكوفة الفقيه احد الاعلام [١٥٣] .

وكان شريفا سريا [١٥٤] من اصحاب الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور [١٥٥] .

روى عن عكرمة وعطاء والحكم ونافع ومكحول وجبلة بن سحيم والزهري وقتادة والقاسم بن أبي بزة وعمرو بن شعيب وابن المنكدر وزيد بن جبير الطائي وعطية العوفي والمنهال بن عمرو وأبي مطر ورياح بن عبيدة وأبي إسحاق وسماك وعون بن أبي جحيفة وخلق [١٥٦] ، جعفر بن عمرو بن حريث المخزومي [١٥٧] ، داود بن أبي حريث الأسداني [١٥٨] ، سميع مولى عمرو بن حُرَيث [١٥٩] ، سعيد بن زيد بن عقبة الْفَزارِي [١٦٠] .

روى عنه منصور بن المعتمر - وهو من شيوخه - وقيس بن سعد وابن إسحاق وشعبة - وهم من أقرانه - والحمادان والثوري وشريك وزياد البكائي وعباد بن العوام والمحاربي وهشيم ومعتمر وغندر ويزيد بن هارون وعبد الله بن نمير [١٦١] ، وبشير بن عاصم [١٦٢] ، خالد بن عبد الملك الباهلي [١٦٣] .

انتقده بعض علماء الجرح والتعديل قيل لانه كان متكبرا وانه قليل الحفظ الا انه لم يُترَك[١٦٤]

روي عن يحيى بن معين قوله : الحجاج بن أرطأة كوفي ليس بالقوي [١٦٥]

وعندما كان يقال له في التجمعات والجلسات ارتفع إلى صدر المجلس ، كان يقول أنا صدر حيث كنت [١٦٦] .

وكان يقول : قتلني حب الشرف [١٦٧] ، وما خاصمت أحدا قط ، وَلا جلست إِلَى قوم يختصمون [١٦٨] .

روي عن المطعم بن المقدام عن عطاء قال سيد شباب أهل العراق الحجاج بن أرطأة[١٦٩].

ومما يدل على مكانته العلمية بين الامصار الاسلامية وان صيته سبقه اليها ما روي عن حماد بن زيد قال : قدم علينا جرير بن حازم من المدينة فأتيناه فسلمنا عليه فما برحنا حتى تذاكرنا الحديث فقال في بعض ما يقول : حدثنا قيس بن سعد عن الحجاج بن أرطاة فلبثنا ما شاء الله فقدم علينا الحجاج ابن ثلاثين _ أو إحدى وثلاثين _ فرأيت عليه من الزحام ما لم أر على حماد بن أبي سليمان رأيت عنده مطرا الوراق وداود بن أبي هند ويونس بن عبيد جثاة على أرجلهم يقولون له : يا أبا أرطاة ما تقول في كذا ؟ يا أبا أرطاة ما تقول في كذا ؟ [١٧٠] .

وكان الحجاج يقول : استفتيت وأنا ابن ست عشرة سنة [١٧١] .

وقيل لنه كان يرسل الحديث في كثير من الاحيان (أي انه لا يلتزم بسلسة الاسناد) [١٧٢] ، كما انه كان يوري الحديث بالمعنى أي يزيد فيه بعض الكلمات او يغيرها [١٧٣].

وعلى الرغم من ان الذهبي اورد معظم اراء منتقدي الحجاج الا انه لم يكن مقتنعا بها فقال : " وهذا ليس بجيد ، وقد قدمنا عبارات هؤلاء في الحجاج - نعوذ به تعالى من التهور في وزن العلماء _ " [١٧٤]

ورحل الى البصرة وولي فيها القضاء [١٧٥] .

قال سفيان بن عيينة : سمعت ابن أبي نجيح يقول : ما جاءنا من الكوفة مثله [١٧٦].

وقال حفص بن غياث : قال لنا سفيان الثوري يوما : من تأتون ؟

قلنا : الحجاج بن أرطاة .

قال : عليكم به فإنه ما بقي أحد أعرف بما يخرج من رأسه منه [١٧٧].

وقال حماد بن زيد : حجاج بن أرطاة أقهر عندنا بحديثه من سفيان [١٧٨] .

وقال سفيان الثورِي : ما رأيت أحفظ من حجاج بن أرطأة [١٧٩] .

توفي سنة ١٤٩ ه [١٨٠] .

ثامناً _ حفص بن غياث

هو ابو عمر حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة بن عامر ابن ربيعة بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخعي [١٨١] .

ولد سنة ١١٧ ه [١٨٢] .

كان ثقة مأمونا ثبتا الا انه كان يدلس [١٨٣] وقال العجلي [١٨٤] : ثقة مأمون فقيه ، وروي عن يحيى بن معين قوله ، حفص بن غياث ثقة [١٨٥] .

قال الخطيب البغدادي " وكان حفص كثير الحديث ، حافظا له ، ثبتا فيه " [١٨٦] .

وكان حافظا قل مثيله روي عن يحيى بن معين ان حفصا لم يعتمد على كتاب ما بل اعتمد على حفظه كُتِب عنه ما يقارب اربعة آلاف حديثا كلها من حفظه لم يقرأها من كتاب [١٨٧] .

كان عفيفا كريما سخيا [١٨٨] .

روى عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد وأبا إسحاق الشيباني وسليمان الأعمش وجعفر بن محمد بن علي وليث بن أبي سليم وداود بن أبي هند والحسن بن عبد الله وأشعث بن عبد الملك وأشعث بن سوار وابن جريج ومسعر بن كدام وسفيان الثوري [١٨٩] ، وعاصم الاحول وسليمان التيمي ويزيد بن ابي عبيد والعلاء بن المسيب ومحمد بن يزيد بن المهاجر وابي مالك الاشجعي وحبيب بن ابي عمرة وبريد بن عبد الله وعبيد الله بن عمر وهشام بن حسان والعلاء بن خالد وجده طلق وغيرهم كثير [١٩٠] .

روى عنه ابنه عمر وأبو نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلم وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وأبو خيثمة زهير بن حرب والحسن بن عرفة وإسحاق بن راهويه [١٩١] ، و يحيى بن سعيد القطان [١٩٢] ، وابن عمه طلق بن غنام وابن مهدي ويحيى بن يحيى واولاد ابن ابي شيبة ، واحمد الدورقي وسفيان بن وكيع وسلم بن جنادة وسهل بن جندلة وصدقة بن الفضل وابو سعيد الاشج وعلي بن خشروم وعمرو الناقد .... [١٩٣] ، وعامة وأهل العراق [١٩٤] .

ولاه هارون الرشيد القضاء في بغداد ثم في الكوفة وبقي في منصبه الى ان مات [١٩٥].

وله في ذلك قصص عدة منها انه " لما جيء بعبد الله ابن إدريس وحفص بن غياث ووكيع بن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليهم القضاء دخلوا عليه فأما ابن إدريس فقال : السلام عليكم وطرح نفسه كأنه مفلوج فقال هارون : خذوا بيد الشيخ لا فضل في هذا وأما وكيع فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أبصرت بها منذ سنة _ ووضع أصبعه على عينه _ وعنى أصبعه فأعفاه وأما حفص بن غياث فقال : لولا غلبة الدين والعيال ما وليت " (١٩٦) .

يقصد انه لم يقبل بمنصب القضاء لولا الفاقة التي كان يعشها حتى انه يروى عنه " والله ما وُليت القضاء حتى حلت لي الميتة " (١٩٧) .

وقيل انه لما سمع قاض القضاة ابو يوسف بتولي حفص القضاء قال لأصحابه تعالوا نكتب نوادر حفص فلما وردت احكامه على ابي يوسف قال له اصحابه اين النوادر التي وعدتنا بها فقال لهم ويحكم ان حفصاً اراد الله فوفقه (١٩٨) .

وكان وكيع يُسأل عن الشيء فيقول اذهبوا الى قاضي الكوفة فاسألوه (١٩٩) .

لما كانت مسؤولية القضاء كبيرة على العلماء فقد كان حريصا جدا على اتمامها بأفضل صورة ولذلك فأنها اخذت منه مأخذا كبيرا لكنه لم يكن يخشى فيها لومة لائم اذ تذكر بعض المصادر ان الخليفة هارون الرشيد ارسل في طلب القاضي حفص فرض الذهاب مع رسول الخليفة وقال لن اذهب حتى افرغ من فض نزاعات المتخاصمين (٢٠٠) .

ولذلك كان ينبه الناس على عدم الولوج في هذه المسلك " لأن يدخل الرجل أصبعه في عينه فيقتلعها فيرمي بها خير له من أن يكون قاضيا " (٢٠١) .

وقال والله تمنيت اني مت قبل ان الي القضاء (٢٠٢) .

وتروي المصادر قصة في ورعة وحرصه على الحلال في الرزق انه مرض في احدى المرات مرضا اطال رقاده في البيت لمدة خمسة عشر يوما ولما استلم راتبه اعاد نصفه الى العامل وقال تلك ايام لم احكم فيها بين المتخاصمين فلا يحق لي اخذها (٢٠٣) .

روي عن ابنه عمر بن حفص بن غياث يقول : لَمّا حضرت أبي الوفاة أغمي عليه ، فبكيت عند رأسه ، فأفاق فقال : ما يبكيك ؟ قلت : أبكي لفراقك ، ولِمَا دخلت فيه

من هذا الأمر (يعني القضاء) فقال : لا تبك فإني ما حللت سراويلي على حرام قط ، ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من توجه الحكم منهما [٢٠٤] .

ومات يوم مات ولَم يخلف درهما ، بل عليه تسعمائة درهم دينار [٢٠٥].

وقيل انه ولي القضاء في بغداد سنتين وفي الكوفة ثلاث عشرة سنة [٢٠٦] ، ولم يأتي بعده احد بصلاحه وفطنته وحكمته في ادارة منصب القضاء حتى قيل ختم القضاء بحفص بن غياث [٢٠٧].

توفي سنة ١٩٤ ه [٢٠٨] .

وصلى عليه الفضل بن العباس امير الكوفة آنذاك [٢٠٩].

تاسعاً _ معمر بن سليمان

ابو عبد الله معمر بن سليمان الرقي النخعي [٢١٠].

قال عنه الذهبي ، الامام القدوة [٢١١] ، وثقه يحيى بن معين ، وذكر احمد بن حنبل من فضائله ، وقال عنه ابو عبيد القاسم بن سلام : كان من خير ما رأيت [٢١٢].

روى عن إسماعيل بن أبي خالد وحجاج بن أرطاة وخصيف وزيد بن حيان الرقي وعبد الله بن بشر الكوفي وعلي بن صالح المكي وعبد السلام بن حرب [٢١٣] .

روى عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو جعفر النفيلي وداود بن رشيد وأيوب بن محمد الوزان والحكم بن موسى وعبد الرحمن بن الأسود وعلي بن حجر وعلي بن ميمون العطار الرقي ومحمد بن الصباح الجرجرائي وأبو سعيد الأشج وسعدان بن نصر [٢١٤] ، واحمد بن حنبل ، وابي بكر بن ابي شيبة وسعدان بن نصر [٢١٥] ، وابن نفيل وابن الطباع وايوب بن محمد الرقي وعمر بن محمد الناقد وابراهيم بن موسى ومحمد بن مهران الجمال ومحمد بن سلام [٢١٦] ، وادم بن ابي اوفى [٢١٧] .

كان ورعا يتجنب مجالسة الحكام اذ تروي المصادر انه وقع في حاجة احد الحكام فقيل له لم لا تذهب اليه فقال اردت ذلك فتذكرت القران والعلم فأكبرتهما عن ذلك [٢١٨].

توفي سنة ١٩١ ه في خلافة هارون الرشيد[٢١٩] .

عاشرا _ طلق بن غنام

هو ابو محمد طلق بن غنام بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك النخعي [٢٢٠] .

وصفه الذهبي بالمحدث الحافظ [٢٢١] ، وقال ابن سعد ثقة صدوق [٢٢٢] ، وقال ابو داود صالح الحديث [٢٢٣] .

روى عن شريك النخعي وقيس [٢٢٤] ، وزائدة وشيبان والمسعودي ومالك بن مغول وهمام بن يحيى وشريك بن عبد الله وجماعة [٢٢٥] .

روى عنه القاسم بن دينار وأحمد بن عثمان بن حكيم وأبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة [٢٢٦] ، وأحمد بن حنبل وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة وأبو كريب وأبو أمية الطرسوسي وعباس الدوري وعبد الله بن الحسين المصيصي [٢٢٧] ، والبخاري واحمد الدورقي وآخرون [٢٢٨] .

هو ابن عم القاضي حفص بن غياث ، وكان كاتبه على القضاء [٢٢٩] ، وقيل كان كاتبا للقاضي لشريك [٢٣٠] ، توفي سنة ٢١١ ه في خلافة المأمون [٢٣١] .

الخاتمة

في الحقيقة ان هناك الكثير من علماء الكوفة من يعود اصلهم الى قبيلة النخع في المدة التي نحن بصدد الحديث عنها ممن لم نذكرهم لعدم وجود تراجم وافية لهم ي كتب التاريخ والطبقات الا بعض الاشارات الطفيفة ومنهم عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله [٢٣٢] ، وعابس بن ربيعة النخعي [٢٣٣] ، و عتاب بن سماك بن قربا النخعي [٢٣٤].

لقد زخرت مدينة الكوفة بالكثير من العلماء في كل عصور الدولة الاسلامية ولا سيما بعد ان اتخذها الامام علي رضي الله عنه عاصمة للدولة الاسلامية ، واستوطنها الكثير من اهل البيت والصحابة فأصبحت مقصدا لطلبة العلم من كافة ارجاء المدن الاسلامية الاخرى ، وان ما تم بيانه في هذا البحث هو فقط الحديث عن علماء قبيلة واحدة من القبائل التي استوطنت الكوفة فما بالك بالقبائل الاخرى التي لا يقل علماؤها عن علماء قبيلة النخع ، هذا فضلا عن الموالي من غير العرب الذين برز منهم علماء كثر

استوطنوا الكوفة ، بحيث يمكن القول ان الكوفة اصبحت مركزا علميا بارزا انجب الكثير من العلماء الذين ساهموا في بناء الحضارة الاسلامية وفي المجلات كافة .

وعلى الرغم من ان اصل قبيلة النخعيين من عرب الجنوب من القبائل القحطانية في اليمن _ كما مر ذكره _ الا انهم اندمجوا مع عرب الشمال من قريش وغيرها وساهموا بشكل كبير في ابراز المكانة العلمية لمدينة الكوفة بما قدموه من علماء شهد لهم علماء الامصار الاسلامية الاخرى ، وحفلت كتب التاريخ والتراجم بالحديث عنهم وعن علاقاتهم الطيبة مع اخوانهم من القبائل الاخرى والموالي من غير العرب .

الملخص :

بعد خروج العرب من شبه الجزيرة العربية فاتحين ناشرين للإسلام اقتضت الضرورة انشاء امصار جديدة لاستقرار الجنود الفاتحين فيها ، والذين بدأوا يصطحبون عوائلهم معهم ، فكلما تقدمت مسيرة الفتح كان من الصعوبة العودة الى بلادهم لرؤية عوائلهم ، فكانت الكوفة اول الامصار التي بناها العرب المسلمون سنة ١٧ هـ ابان فتح العراق ، وكانت في بداية تأسيسها معسكرا للجيش العربي الاسلامية بقيادة سعد بن ابي وقاص الذي امر ببنائها لتكون قاعدة انطلاق القوات التي اكملت تحرير العراق في ما بعد ، ثم اصبحت من اهم المدن العربية الاسلامية ولا سيما في زمن خلافة الامام علي رضي الله عنه الذي اتخذها عاصمة للدولة الاسلامية ، فهاجر اليها كثير من الصحابة والقبائل العربية واصبحت مقصدا اولياً لطلبة العلم من كل مكان .

ومن خلال تتبع حركة القبائل العربية التي استوطنت الكوفة وجدنا ان لقبيلة النخعيين دور كبير في الحياة السياسية والعلمية فيها .

والنخعيون قبيلة كبيرة احد فروع قبيلة مذحج اليمنية ، قال اهل الانساب : النَّخعِيّ بِفَتْح النُّون وَالْخَاء وَبعدهَا عين مُهْملَة هَذِه النِّسْبَة إِلَى النخع وَهِي قَبيلَة كَبِيرَة من مذْحج وَاسم النخع جسر بن عَمْرو بن عِلّة بن جلد ابْن مَالك بن أدد وَقيل لَهُ النخع لِأَنَّهُ أنتخع من قومه أَي بعد عَنْهُم

وما يعنينا هنا دور النخعيين في الحياة العلمية في الكوفة اذ كان منهم علماء كبار تميزوا في كثيرة من العلوم الشرعية ولا سيما رواية الحديث والفقه والقراءات ، وقد اشاد كتاب التراجم والطبقات الذين ترجموا لهم بما قدمه النخعيون في هذا المجال .

وفي هذا البحث سنسلط الضوء على اصل هذه القبيلة ونسبها ومن ثم الحديث عن سير اهم العلماء النخعيين الذين استوطنوا الكوفة ، مع بيان دورهم في الحركة العلمية واهم العلوم التي اشتهروا بها حتى نهاية القرن الثاني الهجري .. ويأتي في مقدمة العلماء النخعيون في ذلك العصر عائلة قيس بن عبد الله بن مالك النخعي ومنهم (علقمة بن قيس ، و الاسود بن يزيد بن قيس ، وعبد الرحمن بن الاسود بن يزيد بن قيس ، وابراهيم النخعي ابن اخت الاسود بن يزيد بن قيس) وغيرهم الكثير من العلماء .

الهوامش:

(١) احمد بن يحيى البلاذري ، فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت : ١٩٨٨) ٢٧٠ .

(٢) ابو الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير واخرون ، دار المعارف (القاهرة : د / ت) ٨ / ٣٤٨ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ٨ / ٣٤٩ ؛ محمد بن محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، دار الهداية (الاسكندرية : د / ت) ٢٢ / ٢٣٦ .

(٤) احمد بن علي القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبنانيين (بيروت : ١٩٨٠) ٢١٣ .

(٥) القاموس المحيط ، ٧٦٥ _ ٧٦٦ .

(٦) عز الدين بن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب ، دار صادر ، بيروت ، ٣ / ٣٠٤ ؛ نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، ٧٦ .

(٧) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ٧٦ .

(٨) ابن حزم الاندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق مجموعة باحثين ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٨٣) ، ١ / ٤١٤ _ ٤١٥ .

(٩) عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٩٤) ، ٣ / ١١٧٦ .

(١٠) ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري ، الطبقات الكبير ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٠) ٨ / ٢٠٧ .

(١١) شمس الدين احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة باحثين ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٨٥) ٤ / ٥٥ .

(١٢) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ٨ / ٢٠٧ ؛ وسيتم الحديث عن الاسود لاحقاً .

(١٣) صلاح الدين خليل ايبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار التراث (بيروت : ٢٠٠٠) ٢٠ / ٤٨ .

(١٤) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧) ١٢ / ٢٩٤ .

(١٥) سورة الليل ، الآية ١ .

(١٦) ابو القاسم علي بن الحسن بن عساكر ، تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر (بيروت : ١٩٩٥) ٤١ / ١٥٦ .

(١٧) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ومن بعدهم ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي (حلب : ١٣٦٩ ه) ص ٣٩ .

(١٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٢ / ٢٩٥ .

(١٩) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٤ / ٥٤ .

(٢٠) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٠ / ٤٨ .

(٢١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٤ / ٥٦ .

(٢٢) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ٦ / ١٤٦ .

(٢٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٢ / ٢٩٣ .

(٢٤) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، (الهند : ١٣٢٦ ه) ٧ / ٢٧٦ .

(٢٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٢ / ٢٩٣ .

(٢٦) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٧ / ٢٧٦ .

(٢٧) ابو الحسن احمد بن عبد الله العجلي ، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم ، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي ، مكتبة الدار (المدينة المنورة : ١٩٨٥) ٢ / ١٤٧ .

(٢٨) الثقات ، ٥ / ٢٠٨ .

(٢٩) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٠ / ٤٨ .

(٣٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٣ .

(٣١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٢ / ٢٩٥ .

(٣٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٧ .
(٣٣) يقصد عبد الله بن مسعود .
(٣٤) العجلي ، الثقات ، ص ٣٤٠ .
(٣٥) ابو الخير شمس الدين بن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر برعاية برجستراسر سنة ١٣٥١ ه ، ١ / ٥١٦ .
(٣٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٤ .
(٣٧) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٩ .
(٣٨) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٧ .
(٣٩) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٨ .
(٤٠) محمد بن حبان بن أحمد البُستي ، الثقات ، دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد : ١٩٧٣) ٥ / ٢٠٨ ؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، تحقيق أكرم البوشي إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٦٩) ١ / ١٠٠ .
(٤١) خليفة بن خياط ، الطبقات ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت : ١٩٩٣) ص ٢٤٨ .
(٤٢) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٧ / ٢٧٨ .
(٤٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٦ / ١٣٤ .
(٤٤) ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٤) ١ / ٢٣٤ .
(٤٥) ابن الاثير ، اسد الغابة ١ / ٢٣٤ .
(٤٦) النسائي ، تسمية فقهاء الامصار ، ص ٣٩ .
(٤٧) سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٠ .
(٤٨) ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ١ / ١٠٥ .
(٤٩) سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٠ .
(٥٠) ابن حبان ، الثقات ، ٤ / ٣١ .
(٥١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥١ .
(٥٢) ابن سعد ، الطبقات ٦ / ١٣٤ .
(٥٣) ابن سعد ، الطبقات ٦ / ١٣٥ .
(٥٤) ابن سعد ، الطبقات ٦ / ١٣٥ .
(٥٥) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ١٣٨ .
(٥٦) ابن حبان ، الثقات ، ٤ / ٣١ .

(٥٧) سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٠ .
(٥٨) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ١ / ٣٤٢ .
(٥٩) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ١ / ٣٤٢ _٣٤٣ .
(٦٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٠ .
(٦١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ١ / ٣٤٣ .
(٦٢) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ١٣٦ .
(٦٣) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ١٣٨ .
(٦٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢ .
(٦٥) ابن حبان ، الثقات ، ٤ / ٣١ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٣ .
(٦٦) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٩٤ .
(٦٧) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٩٥ .
(٦٨) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٩٥ .
(٦٩) العجلي ، الثقات ، ص ٢٨٨ .
(٧٠) الثقات ، الثقات ، ٥ / ٧٨ .
(٧١) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٦ / ١٤٠ .
(٧٢) ابن ابي حاتم ، اجرح والتعديل ، ٥ / ٢٠٩ .
(٧٣) ابن حبان ، الثقات ، ٥ / ٧٨ .
(٧٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥ / ١١ .
(٧٥) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٦ / ١٤٠ .
(٧٦) ابن ابي حاتم ، اجرح والتعديل ، ٥ / ٢٠٩ .
(٧٧) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥ / ١١ .
(٧٨) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٦ / ١٤٠ .
(٧٩) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٩٥ .
(٨٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥ / ١١ _ ١٢ .
(٨١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥ / ١٢ ؛ الصفدي الوافي بالوفيات ، ١٨ / ٧٣ .
(٨٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥ / ١٢ .
(٨٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٥ / ١٢ ؛ الصفدي الوافي بالوفيات ، ١٨ / ٧٤ .
(٨٤) ابن حبان ، الثقات ، ٥ / ٧٨ .
(٨٥) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٧٩ .

(٨٦) ابن حبان ، الثقات ، ٤ / ٣١ .
(٨٧) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٠ .
(٨٨) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢١ .
(٨٩) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٠ .
(٩٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢١ .
(٩١) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٧٩ ؛ ابن عبد الهادي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي الصالحي ، طبقات المحدثين ، تحقيق أكرم البوشي ، إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٦٩) ١ / ١٤٦ .
(٩٢) المعارك التي وقعت في منطقة الزاوية سنة ٨٢ ه بين ابن الاشعث و الحجاج بن يوسف . محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٠٧) ٣ / ٦٢٧ ما بعدها.
(٩٣) المعارك التي وقعت في منطقة دير الجماجم سنة ٨٣ ه بين ابن الاشعث و الحجاج بن يوسف . الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ / ٦٢٩ وما بعدها .
(٩٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٦ .
(٩٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٢ .
(٩٦) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٨٣ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٣ .
(٩٧) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٧٩ .
(٩٨) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٧٩ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٢ .
(٩٩) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٧٩ .
(١٠٠) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٨٠ .
(١٠١) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٨٠ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٢ .
(١٠٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٦ .
(١٠٣) الارجاء يعني التأخير ، والمراد به تأخير العمل عن النية ، وكذلك تأخير الحكم على صاحب الكبيرة الى يوم القيامة وقال اصحاب هذا الرأي لا يضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة وهذه الافكار ظهرت في القرن الاول الهجري . ينظر : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة (بيروت : ١٤٠٤ ه) ١ / ١٣٩ .
(١٠٤) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٨٢ .
(١٠٥) فرقة من الخوارج اصحاب نافع بن الازرق الذين خرجوا معه من البصرة الى الاحواز وسيطروا عليها ، ولهم آراء عدة شذوا بها عن اجماع المسلمين وكانوا يكفرون صاحب الكبيرة . الشهرستاني ، الملل ، ١ / ١١٧ .

(١٠٦) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٨٢ .

(١٠٧) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٨٢ .

(١٠٨) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل (بيروت : ١٩٩٢) ٣ / ١١٣٠.

(١٠٩) ا الذهبي ، سير اعلام النبلاء ٤ / ٥٢٨ .

(١١٠) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٩٠ .

(١١١) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٩٠ .

(١١٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢٧ .

(١١٣) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٢٩١ .

(١١٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٤ / ٥٢١ .

(١١٥) ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ١٦١ . وعبدة بن ابي لبابة مولى لبني اسد احد علماء الكوفة المشهورين روى عنه الكثير من العلماء وكان تاجرا كبيرا ، توفي في حدود سنة ١٣٠ ه . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٩ / ٢٢٦ _ ٢٢٧ .

(١١٦) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ٨ . وحسن الجعفي من مشاهير زهاد الكوفة اعرض عن الدنيا حتى انه ابى ان يتزوج كان حافظا للقران حسن الصوت في قراءته ، عالما برواية الحديث ، واهل الكوفة يعظمونه ، توفي سنة ٢٠٣ ه . ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٦٦ .

(١١٧) سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٢ .

(١١٨) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ٨ .

(١١٩) نقلا عن الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٣ .

(١٢٠) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١١ / ٣١٨ .

(١٢١) تهذيب التهذيب ، ٢ / ٢٦٢ .

(١٢٢) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ٨ .

(١٢٣) سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٣ .

(١٢٤) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٢ / ٢٦٢ .

(١٢٥) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ٨ .

(١٢٦) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٨ / ٣٤٢ .

(١٢٧) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٣ .

(١٢٨) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٢ / ٢٦٢ .

(١٢٩) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٣ .

(١٣٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٣ .
(١٣١) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١١ / ٣١٨ .
(١٣٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٣ .
(١٣٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب، ٢ / ٢٦٢
(١٣٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٥٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٢ / ٢٦٢.
(١٣٥) ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ١٦٠ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٤٤ .
(١٣٦) العجلي ، الثقات ، ص ١١٥ .
(١٣٧) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ٢٣ .
(١٣٨) ابن حبان ، الثقات ، ٧ / ٣٩٢ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٣ / ٥٧٩ .
(١٣٩) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٤٤ .
(١٤٠) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٣ / ٢٩٢ .
(١٤١) العجلي ، الثقات ، ص ١١٥ .
(١٤٢) ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ١٦٠ .
(١٤٣) ابن حبان ، الثقات ، ٩ / ٤٩ .
(١٤٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٤٥ .
(١٤٥) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٣ / ٢٩٢ .
(١٤٦) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٣٦ ؛ العجلي ، الثقات ، ص ١١٥ ؛ ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ٢٣ .
(١٤٧) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٣ / ٢٩٢ .
(١٤٨) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٣٦ .
(١٤٩) ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ١٦٠ .
(١٥٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٦ / ١٤٥ .
(١٥١) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٤٢ .
(١٥٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٨ .
(١٥٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٨ .
(١٥٤) السري : من السروة ، المروة والشرف ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣ / ٢٠٠١ .
(١٥٥) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٤٢ .
(١٥٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٩ .
(١٥٧) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٢ / ٤٨٤ .

(١٥٨) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ٤٠٩ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ٢٧٩ .
(١٥٩) ابن حبان ، الثقات ، ٤ / ٣٤٢ .
(١٦٠) ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ٣٥٨ .
(١٦١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٩ .
(١٦٢) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٢ / ٣٧٧ .
(١٦٣) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ٣٤٢ .
(١٦٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٩ .
(١٦٥) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ١٥٦ .
(١٦٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٧٤ .
(١٦٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٨ / ٢٢٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٧٤.
(١٦٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٨ / ٢٢٧ .
(١٦٩) ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ٣٨٠ .
(١٧٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٨ / ٢٢٧ .
(١٧١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٨ / ٢٢٧ .
(١٧٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٩ .
(١٧٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٧٠ .
(١٧٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٧٤ .
(١٧٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٩ .
(١٧٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٩ .
(١٧٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٢٢٧ .
(١٧٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٢٢٨ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٦٩ .
(١٧٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٢٢٧ .
(١٨٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧ / ٧٥ .
(١٨١) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٦٢ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٥ _ ١٨٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٢ .
(١٨٢) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٦٢ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٩٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٢ .
(١٨٣) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٦٢ .
(١٨٤) الثقات ، ص ١٢٥ .

(١٨٥) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ١٨٥ .
(١٨٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٩٠ .
(١٨٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٩١ .
(١٨٨) العجلي ، الثقات ، ص ١٢٥ .
(١٨٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٥ .
(١٩٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٢ .
(١٩١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٥ .
(١٩٢) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٣ / ١٨٥ .
(١٩٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٣ .
(١٩٤) ابن حبان ، الثقات ، ٦ / ٢٠٠ .
(١٩٥) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٦٢ ، الخطيب البغدادي ، ٨ / ١٨٥ .
(١٩٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٦ .
(١٩٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٩ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٦ .
(١٩٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٩ .
(١٩٩) العجلي ، الثقات ، ص ١٢٥ .
(٢٠٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٧ .
(٢٠١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٦.
(٢٠٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٨ .
(٢٠٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٧ .
(٢٠٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٧ .
(٢٠٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٩ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٦ .
(٢٠٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ١٨٩ .
(٢٠٧) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢٦ ؛ ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ١ / ٤٣٠
(٢٠٨) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٦٢ ؛ خليفة بن خياط ، الطبقات ، ص ٢٩٠ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ١ / ٥٩٨
(٢٠٩) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٣٣ .
(٢١٠) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ١٠ / ٢٤٩.
(٢١١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢١٠ .
(٢١٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٩ / ٢١٠ ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ١٠ / ٢٥٠.

(٢١٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ١٠ / ٢٤٩ _ ٢٥٠.
(٢١٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ١٠ / ٢٥٠ .
(٢١٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠ / ٢١٠ .
(٢١٦) ابن ابي حاتم / الجرح والتعديل ، ٨ / ٣٣٧ .
(٢١٧) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٢ / ٢٦٨ .
(٢١٨) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ١٠ / ٢٥٠ .
(٢١٩) ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ٣٣٧ ؛ ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٨ / ٣٧٢ .
(٢٢٠) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٧١ .
(٢٢١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠ / ٢٤٠ .
(٢٢٢) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٧٢ .
(٢٢٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠ / ٢٤٠ .
(٢٢٤) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٤ / ٤٩٢ .
(٢٢٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠ / ٢٤٠ .
(٢٢٦) ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ٤ / ٤٩٢ .
(٢٢٧) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠ / ٢٤٠ .
(٢٢٨) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٢ / ٣٤٥ .
(٢٢٩) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٧١ .
(٢٣٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٠ / ٢٤٠ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٦ / ٢٨٢.
(٢٣١) ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٧٢ .
(٢٣٢) ابن حبان ، الثقات ، ٨ / ٣٧٥ .
(٢٣٣) أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن الكلاباذي ، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، تحقيق ، عبد الله الليثي ، دار المعرفة (بيروت : ١٤٠٧) ٢ / ٥٩٤ .
(٢٣٤) ابن حبان ، الثقات ، ٧ / ٢٩٥ .

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الاثير ، عز الدين
اللباب في تهذيب الانساب ، دار صادر ، بيروت : د / ت) .
أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية(بيروت : ١٩٩٤) .
البلاذري ، احمد بن يحيى
فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت : ١٩٨٨) .
الذهبي ، شمس الدين احمد بن عثمان بن قايماز
سير اعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة باحثين ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٨٥).
ابن الجزري ، ابو الخير شمس الدين
غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر برعاية برجستراسر سنة ١٣٥١ هـ .
ابن حبان ، محمد بن أحمد البُستي
الثقات ، دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد : ١٩٧٣) .
ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي
تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، (الهند : ١٣٢٦ هـ).
ابن حزم الاندلسي ، ابو محمد علي بن احمد
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق مجموعة باحثين ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٨٣).
الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي
تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤١٧).
ابن خياط ، خليفة
الطبقات ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت : ١٩٩٣) .
ابن سعد ، ابو عبد الله محمد بن منيع الزهري
الطبقات الكبير ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٠).
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم
الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة (بيروت : ١٤٠٤هـ) .

الصفدي ، صلاح الدين خليل ايبك
الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار التراث (بيروت : ٢٠٠٠) .
الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير
تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٠٧) .
ابن عبد الهادي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الصالحي
طبقات علماء الحديث ، تحقيق اكرم البوشي وابراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٩٦) .
العجلي ، ابو الحسن احمد بن عبد الله
معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم ، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي ، مكتبة الدار (المدينة المنورة : ١٩٨٥) .
ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن
تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر (بيروت : ١٩٩٥).
القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم
الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل (بيروت : ١٩٩٢) .
القلقشندي ، احمد بن علي
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبنانيين (بيروت : ١٩٨٠)
كحالة ، عمر رضا
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٩٤) .
الكلاباذي ، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن
الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، تحقيق ، عبد الله الليثي ، دار المعرفة (بيروت : ١٤٠٧) .
مرتضى الزبيدي ، محمد بن محمد

تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، دار الهداية (الاسكندرية : د / ت)
ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم بن على
لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير واخرون ، دار المعارف (القاهرة : د/ ت).
النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب
تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ومن بعدهم ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي(حلب : ١٣٦٩ هـ) .

ملامح ومصادر الشخصية العلمية والفكرية للإمام علي (ع) وأثرها في المجتمع الكوفي

ا.م. فضيلة صبيح نومان الخزاعي
جامعة القادسية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين المصطفى الامين محمد وعلى أل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ... وبعد

بمناسبة مرور ١٤ قرنا على اختيارالامام علي (ع) مدينة الكوفة عاصمة للعالم الاسلامي وهي ذكرى عزيزة لتكريم هذه العاصمة الفكرية الخالدة التي طمس تاريخها ونكب تراثها فنسيت اوكادت تنسى اذ حاولت ايادي السوء محوالذاكرة الغنية بالمجد لهذه الحاضرة العظيمة لكونها ترتبط بصاحب الذكرى امام الاتقياء وسلطان الاولياء ولكن(يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ)[1]. فأصبحت بحق عاصمة الإمام علي (ع) بعد ان اعاد للكوفة سابق عزها وبعد ان اتخذها موطنا وحرما وسكنها مع ولديه النورين الاماميين الحسنيين والعقيلة زينب(عليهم السلام) لأمر اراده الله إذ ان الكوفة هي موطن اجداده واصله الذي تنتسب اليه(قريش) يوم كانت مرابضها على ضفتي الفرات من سُرّة السواد

فمن جانب اننا نواجه غزوا فكريا وحضاريا يهدف الى تهديم شخصيتنا وذلك بتدمير مقوماتها من العقيدة والحضارة والتاريخ ، ومن جانب آخر نعاني من تمزقات وصراعات تستنزف قوى الأمة وتجعلها عاجزة عن التصدي لاعداءها ، ولذلك كان الإمام علي (ع) رجل رسالة استوعبت الحياة كلها تنظيما وتشريعا ومنهاجا وهي رسالة ذات طابع عالمي ممتدة في هذا الزمان الى اخر الزمان اراد الله تعالى لها ان تكون دينا للإنسان تقوده نحو التكامل الذي يحقق له التوازن والتسامي وهي رسالة الاسلام التي تقوم على العلم والمعرفة وترفض الجهل لأنه تتيح لأعداءها ان يتسللو في ظلماته الى قلوب اتباعها المؤمنين بها وعقولهم فيشوهون ويحركون عقائدها وشرائعها ومناهجها ويضللون بعد ذلك اتباعها المؤمنين بها وذلك حين يلبسون لهم الحق بالباطل والصواب بالخطأ .

ومن هنا كان الإمام علي (ع) في حركة تعليمية دائمة لمجتمعه وخواص أصحابه الذين كانوا علماء ينشرون علمهم ووعيهم بين الناس بالحديث والخطابة وحلقات الدرس والتعليم ، فكان هذا البحث الحالي الذي احتوى على مقدمة ومبحثين كان الاول بعنوان : ملامح ومصادر الشخصية العلمية والفكرية للأمام علي(ع) واثرها في المجتمع الكوفي ، والمبحث الثاني بعنوان : عالمية الامام علي (ع) من وجهة نظر غير المسلمين ، كذلك تضمن البحث خاتمة ونتائج عامة وخاصة واخيرا المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي رفدت البحث بالمادة العلمية الرصينة.

المبحث الأول

ملامح ومصادر الشخصية العلمية والفكرية للإمام علي (ع) في مدينة الكوفة

اولا : القران الكريم :

يتمثل النور الالهي في الارض ببضعه من الآدميين شاء لهم الله ان يمتازوا عن سائر الخلق بذلك ، فهم مشاعل الخير والهداية على مر العصور والاجيال وقادة الامم والمجتمعات نحو السعادة والصلاح اختارهم الله فكانوا نور الله في الارض يملأونها قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا .

فكان الامام علي (ع) فبحق الف باء الرسالة المحمدية وسورة الدهر والنبأ العظيم في القران الكريم والنور الالهي المنبعث للبيت العتيق ليضيء سماء الاسلام ، ويأتي القران الكريم في مقدمة هذه المصادر التي استقى منها الامام معرفته التاريخية ، وقد اشتمل القران على نصوص كثيرة منبثه في تضاعيف السور تضمنت الحياة الإسلامية بكل مجالاتها العامة والخاصة وذلك من خلال عرض القران الكريم لحركة النبؤات في تاريخ البشرية ، وحكايته لكيفية استجابة الناس في كل امة وجيل لرسالات الله تعالى التي بشر بها الانبياء (سلام الله عليهم اجمعين).

والتأثير القرآني شديد الوضوح في تفكير الامام (ع) من حيث المنهج ومن حيث المضمون ، وقد حدث الامام في هذا الشان قائلا : " والله مانزلت اية الا وقد علمت فيم انزلت ، واين انزلت ، ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا"[٢]

واما روايات اصحابه التي ذكرت هذا ، ماروي عن عبد الله بن مسعود ، قال : " ان القران انزل على سبعة احرف ، مامنها حرف الا ظهر وبطن ، وان علي بن ابي طالب (ع) عنده علم الظاهر والباطن[٣] .

ثانيا : مصاحبته للرسول (ص) :

وقد وردتا اقوال للرسول (ص) في الامام علي (ع) ومنها : قال رسول الله (ص) لعلي : " ياعلي انت حجة الله وانت باب الله ، وانت الطريق الى الله ، وانت النبأ العظيم ، وانت الصراط المستقيم ، وانت المثل الاعلى ياعلي انت امام المسلمين وانت امير المؤمنين وسيد الوصيين ، ياعلي انت الفاروق الاعظم وانت الصديق الاكبر ، ياعلي انت خليفتي على امتي وانت قاضي ديني وانت منجز عداتي .

ولاشك ان العلم والعدل هما المصدران المهمان للقيادة الحقيقية في أي مجتمع ، فكيف اذا كان في مجتمع يقوده امام الاولياء وهو المجتمع الكوفي ، ولا مجال لمن لاعلم له ان يدير سور الامة ، لانه سيكون جاهلا بما من شانه ان يقوم ادارته ، وينجح قيادته ولاتقويم ولا نجاح بدون المعرفة والعلم .

فكانت مصاحبة الامام علي (ع) للرسول الاكرم (ص) ، لايمكن لاحد ان يغفلها لما بينهما من ارتباط وثيق بين العالم والمتعلم ، وان دل هذا على شي فهو يدل على ان الرسول (ص) يعتني علميا بخليفة من بعده على وفق منهجية دقيقة . تتكون من ركائز مهمة وهي : السماح للامام علي (ع) بالدخول عليه في اوقات لايمكن ان يدخل فيها غيره ، كذلك المشاركة الرسالية بجديد القرآن واسرار الافكار الرسالية المحمدية الجديدة ، كذلك الاحكام والالزام والشمولية الشرعية والفكرية واستيعاب كل جوانب الشريعة ، فضلا عن الاستمرارية ، ولذلك قال الرسول (ص)[٤] : " اخصمك ياعلي بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع لايحاجك فيها احد من قريش ، انت اولهم ايمانا ، واوفاهم بعهد الله ، واقومهم بامر الله ، واقسمهم بالسوية ، واعدلهم بالرعية ، وابصرهم بالقضية ، واعظمهم عقد الله مزية"[٥] ، وها قد شبه الرسول الاكرم (ص) في منزلة الامام منه بالكعبة قائلا : (انت مني بمنزلة الكعبة يؤتى ولاتاتي)[٦]

اذن هذه شهادة علمية الهية وهي بمثابة اجازة علمية لاستلام الاستراتيجي للمرحلة المقبلة .

ثالثا : الموروث الثقافي :

ونقصد به المدونات التاريخية التي قرأها الامام علي(ع) المدونه باللغة العربية او بغيرها من اللغات التي كانت متداولة في المنطقة التي شهدت نشاطه ، ولاسيما بعد ان انتقل من الحجاز الى العراق ، واضطرته مشكلات الحكم والفتن الى هذه التنقلات .

رابعا : مارواه الحسن والحسين " عليهما السلام ":

فقال الحسن "عليه السلام" " فكان ابي اول من استجاب لله تعالى ةلرسوله واول من امن وصدق الله ورسوله ، فقد قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه المرسل :" {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ }[٧]. كذلك ذكر الامام الحسن " عليه السلام" فضل ابيه من حيث انه السابق لكل شي ، فقال : " " وقد قال الله عز وجل : " {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ }[٨] فكان ابي سابق السابقين الى الله عز وجل والى رسوله واقرب الاقربين[٩] .

وقال الامام علي (ع) مؤكدا على تعليم الشخص لنفسه قبل تعليم غيره ، قائلا : " من نصب نفسه للناس اماما ، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تاديبه بسيرته قبل تاديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم " [١٠].

فنجد انه (ع) قد حدد العهد بعمق ووضوح لكل مايتطلبه المجتمع الكوفي ، وماينبغي للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القيادية ، كي يستجيب لطموحات الامه التي يدير دفة حياتها ، وهكذا : " تتماسك هذه الصفات الكريمة في سلسلة لاتنتهي وبعضها على بعض دليل ، ومن اروع حلقاتها الصدق والاخلاص[١١] " .

افليس من متممات هذه الصفات النبيلة ومن مزايا الفروسية العلوية ومن متممات العبقرية الادبية ان تقترن جميعا بهذه الثقة بالنفس التي عرف بها الامام[١٢] .

خامساً : السفر الخالد نهج البلاغة :

سواء اكان صقل حروفه على يد علي ابن ابي طالب ام كان على يد مقحم فنان فانه يبقى دائما تعبير عميق البلاغة عن نفسية رجل واحد يسمى بـ(علي ابن ابي طالب)[١٣].

وعلى الرغم من كل هذا ، فقد استطاع الامام علي (ع) ان يرفع اضوأ مشعل للعلم في سماء الثقافة والمعرفة ، فهذا كتاب نهج البلاغة وهوم جزء من اربعة وعشرين جزء من خطب الامام وكلماته الحكيمة ورسائله القيمة وهذه الكمية هي التي حفظها التاريخ ولا تسال عن الخطب والعلوم التي ضاعت ولم تلتقطها الادمغة ولم تسجلها مسجلات التاريخ ، فقد روي ان علياً(ع) خطب في الناس يوما من بعد صلاة الصبح الى قبيل الظهر فكان الامام يفيض على الخلائق العلوم بشتى انواعها طيلة ست ساعات تقريبا[١٤].

واما المنهج المتبع فهو المنهج التاريخي ، اذ انه من اكثر المواريث ابداعا يتوائم مع مساحة كل مستحق والمحتوى السايكولوجي وهو منهج خاص بالشخصيات والمواضيع الكلامية ، أي انه يتحرك داخل المنهج التاريخي ، فيذكر لنا تكوينات افعال لبعض الرموز سلبا او ايجابا من اجل الاستدلال الوعظي او التحفيزي بغض النظر عن ارتباطه بمنهج السيرة الذاتية للشخصية[١٥] .

واما موضوعات هذا السفر ، اغلبها في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر ولاتكاد تعرف بان من كتب هذا الكلام هو فارس كان مصلتا سيفه في الحروب وهذه الموضوعات تعكس اهمية الدراسة الموضوعاتية على خدمة التاريخ ومواجهة النص ، وهذا يوضح بعضها البعض بصورة متبادلة تكشف وجها من تاريخ الافكار ، فضلا عن وجود واقعين داخل النص هما : الواقع المرجعي والواقع الافتراضي[١٦] .

وكثرة موضوعات نهج البلاغة تدل على ان الامام علي (ع) ، كان يكتب في المواضيع جميعها لسعة ادراكه في كافة الشؤون العامة وحقائق الكون والحيلة ويبين هذا ان الموضوع هو احد المبادىء المنظمة للنص ، فضلا عن تعددية الموضوع داخل النص الواحد .

ويبقى الهم الكبير للامام علي (ع) كقائد رسالي بعد رسول الله (ص) هو محاولة تطبيق الصيغة الاسلامية الصحيحة للحياة الانسانية على المجتمع الكوفي والعربي لغرض بناء الانسان المتكامل والمجتمع المتماسك [١٧] .

كما ان التميز العلمي في شخصية الامام علي (ع) فريد جداً ، اذ ان الامام لم ينهض في ميدان دون اخر ، بل كان السبات في جميع صنوف المعرفة ... وكان العهد العلوي

يغطي مساحة واسعة ويحيط بكل قيم الحياة في الحكم والعدل مع الرعية واحقاق الحقوق والمساواة بين الناس وعدم البغي والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسحق الفساد والشر ونشر الفضيلة في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والادارية لينعم المجتمع بالخير والرفاه كما اراد الله سبحانه وتعالى لعباده[١٨] .

وفعلا كان الامام علي (ع) امة مستقلة بذاتها ، تحكي عقيلة الدهر ، وتعبر عن نضج الزمان ، وتصور نهاية المراحل من سمو البشرية ، وقمة المجد ، فليس من الصحيح ان يقاس علي (عليه السلام) بافراد ،فهو نسيج وحده ، من الخطأ ان يقاس علي (ع) بافراد ، لانه نسيج وحده ومن الخطأ ان يقال عن علي : انه كانا ورعهم ... او اتقام .... وانبلهم ... وانت تعرض السيرة العظماء ، والمزايا الانسانية مثلما اننا لانستطيع ان نشبه الارض بالقمر بهاءاً[١٩] ، فكان الامام لانقارنه بالافراد لانه اول ائمة المؤمنين وولاة المسلمين وخلفاء الله تعالى في الدين بعد رسول الله الخليل الصادق الامين"[٢٠] ، وان كلامه (عليه السلام) هو : " الكلام الاذي عليه مسحه من العلم الالهي وفيه عبقه من الكلام النبوي "[٢١]

المبحث الثاني :

الامام علي (ع) في مدينة الكوفة من وجهة نظر غير المسلمين .

ولايفوتنا القول ان محور عظمة الامام علي (ع) انما هو الايمان المطلق بكرامة الانسان وحقه المقدس في الحياة الحرة الشريفة وبان هذا الانسان متطورا ابدا ، وان الجمود والتقهقر والتوقف عند حال من احوال الماضي او الحاضر ليست الا نذير الموت ودليل الفناء[٢٢] .

ونجد في شخصية الامام علي (ع) من المزايا النفسية والخصائص الشريفة والملكات الروحية من التي منحها الله تعالى له ، مما اصبح للمسلمين وغيرهم كضوء النهار الباهر والقمر الزاهر فصار طريق الله المستقيم وحبلة القويم والطريق الواضح ... وراية الهدى وعلم التقى والدال لله تعالى[٢٣] .

وكانت هناك علاقة وثيقة بين المدينة الفاضلة في ذهن افلاطون وبين المدينة الاسلامية التي رسمها الامام علي (ع) من خلال الانموذج في المجتمع الكوفي : " لطالما كانت فكرة

الجنة تشغل ذهن الانسان مدى التاريخ ولهذا لانجد دينا او فلسفة تخلو من الاعتقاد بالجنة حتى الفلسفات غير الدينية تبني لنفسها (المدينة الفاضلة (ابو توبيا) افلاطون ، (مدينة الله) توماس مور ، (سن سيته) جان ايزوله ، ان هؤلاء قوم لم يتعرضوا قط الى جنة ماوراء الطبيعة ، ولربما انكر ومامن راي بيد ان حاجتهم المستمرة والقلق والعوز والاختناق في هذا العالم حرم الى تصور وافتراض عالم المطلق الجميل وبناء (المدينة الفاضلة) ، و(مدينة الله) والمدينة المقدسة كما فعل جان ايزوله"[٢٤] .

فهذه هي العلاقة الوثيقة بين الامام علي (ع) والمدينة المعاصرة وحضارة اليوم .

وكل هذا الامام علي (ع) ظل كما هو – نفسا ازكى جميع النفوس بعد رسول الله (ص) وانسانا تمثلت فيه كل عناصر الانسانية ، لتخلد ماخلد الدهر مثلا للشهامة والعفة والرأفة والحنان والعدل والادب الذي ماعرف له نظير بعد من ادب القران الكريم ، ومثلا لعقلية جبارة حار في وصفها الاقدمون[٢٥] .

وبطولات الامام مااقتصرت يوما على ميادين الحرب ، فقد كان بطلا في صفاء بصيرته وطهارة وجدانه ، وسجر بيانه ، وعمق انسانيته وحرارة ايمانه ، وسمو دعنه ونصرته للمحروم والمظلوم من الحازم والظالم ، وتعبده للحق اينما تجلى له الحق ، وهذه البطولات مهما تقادم بها العمر لاتزال مقلعا غنيا نعود اليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتد بنا الوجد الى بناء حياة صالحة فاضلة[٢٦] .

وقد وصفه المفكر الايراني علي شريعتي بقوله : " انه يحمل روحا اكبر بكثير من الكون كل الكون ، ولهذا فانني لااستطيع ان اتصور ان معاناة المدينة ومعاناة العرب والمجتمع العربي بل وحتى المجتمع الاسلامي ، وحتى اصحابه وانصاره يمكن ان تضيق على عليّ وتجعله يئن بهذه الصوره ...ان علي اكبر من ذلك كله ولابد ان يكون الالم والمعاناة من القوة بحيث اثرت في هذه الروح وجعلتها تتململ وتتضور[٢٧]" .

ومعنى هذا الوصف انه بالرغم من كل الانقسامات التي شهدها عهد الامام علي (ع) ، فهو اكبر منها ومن كل الانشقاقات والخلافات ، وقد ذكر المفكر اربع مصطلحات هي (معاناة المدينة) و(معاناة العرب) و (المجتمع العربي) و (المجتمع الاسلامي) ، وان دل هذا على شي انما يدل على ان الامام علي (ع) شخصية عالمية زامنت ورافقت

واثرت في كل المجتمعات والفئات واللغات وبضمنها المجتمع الكوفي الذي هو الاخر اكتسب الصفة العالمية .

وهذا المفكر اللبناني المسيحي سليمان كتاني يؤكد ويقول :" ولو ان البحار مداد والاشجار اقلام وجميع الخلائق كتاب فما استطاعوا ان يجمعوا الا النذر اليسير من صفاته واينما يدور علي يدور الحق معه ... فلا تسوحش الطريق وان قل سالكيه ، فطريق علي هو طريق الحق والصدق والمستقبل بعلي فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام"[٢٨] .

كذلك قد صور الشاعر والكاتب اللبناني جبران خليل جبران صورة رائعة للامام علي (ع) بالرغم من وصفه لحاله شهادته ، فقال : " مات علي ابن ابي طالب شهيد عظمته ... مات والصلاة بين شفتيه ..... وفي قلبه الشوق الى ربه ... انني اتمثله مبتسما قبل ان يغمض عينيه عن هذه الارض " [٢٩].

وهذه هي اسباب عظمة الامام علي (ع) التي كان من اثارها ان تظل شخصية علي اربعة عشر قرنا وستظل عشرات القرون ... بل ومئات القرون .... كما لو كانت شخصية عظيمة جديدة ... لاعهد للمؤلفين والمؤرخين ومستعرضي السير بمثيلها في تاريخ البشرية[٣٠] .

وقد وصفه الشاعر الكبير المسيحي بولس سلامة في ملحمته الخالدة عن امير المؤمنين ، قائلا[٣١]

ياسماء اشهدي ويااارض قريّ
واخشعي انني ذكرت عليا

وقال ايضا

هو فخر التاريخ لا فخر شعب
يدعيه ويصطفيه وليا
لاتقل شيــعة هواه علي
ان في منصف شيعيا

وقول الشاعر المسيحي (هو فخر التاريخ لافخر شعب يدعيه ويصطفيه وليا) انما هذه هي الالمية بعينيها ، فالامام علي (ع)هو فخر لكل الشعوب والاحضارات وكل القلوب والعقول ترنو اليه .

وقلة اولئك الرجال الذين هم على نسيج علي ابن ابي طالب تنهد بهم الحياة موزعين على مفارق الاجيال ، كالمصابيح تمتص حشاشتها لتغنيها هديا على مسالك العابدن ، فهذا هو اللبناني المسيحي شبلي شميل من طلائع النهضة العربية ، يقول : الامام علي بن ابي طالب ، عظيم العظماء ونسخه مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الاصل لاقديما ولا حديثا[٣٢] .

وهذا هو الشاعر المسيحي جوزيف الهاشم من اشهر شعراء الزجل والوزير اللبناني السابق يقول واصفا الامام علي[٣٣] .

هو الامام حسام الدين فارسه
مازغرد السيف الا بين قبضته
يد النبوة شدت عزم ساعده
واطلقته اماما من طفولته
سيد البيان وباب العلم مشترعا
والفقه مذ كان نهج من بلاغته
هو العلي وصي الارض فانتهجوا
ووزعوا البشر واحكو عن ولايته

اذن حقا ان عليا لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان[٣٤] ، فمنهم من جعل الامام نسخه فريدة ليست لها صورة طبق الاصل قديما ولاحديثا ومنهم من اطلقه اماما منذ طفولته ومرافقته للنبي (ص) ، ومنهم من جعله المفكر في كل زمان ومكان ، اليست هذه والله العالمية الكبرى التي ليس لها مثيل ولم تتحقق هذه العالمية لولا كثير من المؤهلات توفرت في الامام علي (ع) ، وهي الايمان المطلق والتقوى المتجسده وهو اقوى رجل يستطيع السيطرة على عصابه وعواطفه وهو الذي لاتاخذه في الله لومة لائم

وهو الحق المحض الذي لايشوبه شي ، ونستطيع ان نقول : ان تطبع نفسية الامام علي (ع) على العدالة والتزامه بها بالغا مابلغ هو السبب الوحيد الذي فرق عند ذوي الاطماع والاغراض .

كما انسيرة الامام علي (ع) تلتقي بالفكر ... كما تلتقي بالخيال والعاطفة لانه صاحب اراء في التصرف والشريعة والاخلاق التي سبقت جميع الاراء في الثقافة الاسلامية ولانه احجى الخلفاء الراشدين ان يعد من اصحاب المذاهب الحكيمة بين حكماء العصور ولانه اوتي من الذكاء ماهو اشبه بذكاء الباحثين والمكنقبين منه بذكاء الساسه المتغلبين فهو الذكاء الذي تحسه في الفكرة والخاطئه قبل ان تحسه في نتيجة العمل ومجرى الامور[٣٥] .

ونجده يؤكد على قضايا مجتمعه المهمة في كثير من حياتنا اليومية واهمها موضوع العلم والعلماء فعن ابي حمزة الثمالي ، عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي ..... قال : العلم حاكم والمال محكوم عليه ... ياكميل ... مات خزان المال ... والعلماء باقون مابقي الدهر[٣٦] .

فقد كان الامام (ع) هو المعلم والباعث للروح العلمية ، وهو الذي فتق ابواب العلوم في الاسلام ... كعلم الفلسفة والكلام والتفسير والفقه والنحو وغيرها من العلوم التي تربو على ثلاثين علما ، واليه تستند ازدهار الحركة العلمية في العصور الذهبية في الاسلام بحسب مانص عليه المحققون[٣٧] .

وعلى ضوء عالمية الامام علي (ع) لابد لنا من : اعادة صياغة هويتنا الدينية التاريخية ، واعادة الصياغة يعني فيما يعني من تعيم ثقافة المواطنة التي اوصى بها الدين الاسلامي واكد عليها مرارا وتكراراً مما يوجب القاء الضوء الى الله تعالى بعدد انفاس الخلائق مما يفتح الباب على مصراعيه لقبول الاخر واحترام قيمه ومشاركته في حضارته فالتنوع لايكون تهديداً وانما فائده وغنى ، علما ان المسيحية والاسلام ، اوسع الاديان انتشارا واكثرها تقارباً[٣٨] .

واغلب هؤلاء المفكرين البارزين الذين تناولوا شخصية الامام علي (ع) ، لم يقيمو جسور التواصل الفكري مع رموز الطائفه الشيعية الا بعد ان اكتشفوا في ادب اهل

البيت القيم الاخلاقية والمثل الروحية العليا التي فرضت نفسها عن طريق الحديث من القلب الى القلب لا عن طريق السيف والنار ... وفي هذا السياق يقول الكاتب المسيحي اللبناني الشهير جورج جرداق ذو الاطلاع الواسع في ثقافات العالم ، لقد وجدت في شخصية الامام علي بن ابي طالب (ع) علما شاملا ونبوغا ساحراًوبلاغه اسرة وخلقاً وخلقاً نقياً ومثالاً رائعاً في قيادة الامة ، انه كان قوياً في ايمانه ووداعته وعدله وزهده وتقواه حتى رايته وكانما هو قرآن بعد القرآن واقرب خلق الله بعد الله"[٣٩] . اذن فهي منظومة الاخلاق المتميزة عن اسلام اهل البيت ، قد دفعت بالكثير من ادباء الشرق المسيحي وغيرهم للكتابة بصورة وجدانية عن ادب ائمة الشيعة .

واما الحضارة الغربية فقد كانت لاتعرف شيئا عن حقوق الانسان في ماضي الزمان الى جاءت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ اذ وضعو وثائق حقوق الانسانومن هنا يمكن القول ان القيم الاخلاقية التي اعلنها الاسلام في القرن السابع الميلادي ظهرت في الغرب بعد قرون عديدة بمصطلح (حقوق الانسان)[٤٠] .

ولقد جذبت شخصية الامام علي (ع) مختلف المذاهب والطوائف باعداد لاتحصى من المفكرين الغرب ، فهذا الكاتب الاسكتلندي والناقد والمؤرخ توماس كاريل يقول : (اما علي فلايسعنا الا ان نحبه ونتعشقه ، فانه فتى شريف القدر كبير النفس يفيض وجدانه رحمة وبرا ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة وكان اشجع من ليث) .[٤١]

واما المفكر والمتخصص بالدراسات الاسلامية ويلفريد ماديلونغ يقول : " لا اهتم بالطابع بالاديلوجي او الاقتصادي وحتى التاريخي بفترة حكم الامام علي (ع) مايهمني هو شخصيته وماحملته من قيم ايجابيه او سلبية هادفة او ضارة ، بلاشك فانه شخصية عظيمة"[٤٢]

الخاتمة:

١- ان محاولة الحديث عن ابعاد الشخصية العلمية والفكرية عند الامام علي (ع) مهما اعطيت من التوفيق ، يستحيل عليها ان تحد الفكر العلوي العظيم ، وتحيط بابعاد معرفته التي تميز بها (ع) وعلو شانه في دنيا الفكر الاسلامي ، وانه لم يترك مجالا من مجالات المعرفة الصحيحة إلا ووضع اسسه وحدد معالمه ، وترك الباب مفتوحا لرواد المعرفه ان

ينهلوا منه . وماهذا كله إلا حصيله طبيعية للاعداد الخاص الذي توفر له من لدن رسول الله (ص) منذ طفولته (ع) حتى آخر ساعة من حياة الرسول (ص) .

٢- ولرفد الامة المسلمة بجميع فرقها ان تنهل من علم وفكر الامام علي (ع) في دنيا الفكر الاسلامي لاجتمعت الكلمة وتوحد الصف والهدف ، وماشهدت دنيا المسلمين أي لون من الوان الشطحات والانحرافات المضلة التي جنح اليها رهط من اتباع المدارس الفكرية عند المسلمين .

٣- وقد سبق الامام علي (ع) علم الاجتماع الحديث في دراسة للمجتمع وتحديد المؤثرات فيه بزمن طويل ، مما يستحق ان يحمل بجدارة لقب مؤسس علم الاجتماع والواسع للبنانه الاولى من خلال ارساء المبادىء والمقومات الناجحه لارساء المجتمع الكوفي .

٤- ان الشعب العربي الذي اعطى منذ بضعة عشر قرنا ، ثائرا كعلي ابن ابي طالب ، يمكنه اليوم ان يعطي ثائرين كثيرين على مجتمعاتنا البائسه التي ليست بكثيرها افضل من المجتمع الذي ثار عليه علي بن ابي طالب (ع) .

٥- ان مراحل تاريخنا التي كان بطلها علي بن ابي طالب احد عظماء الانسانية الذين اسهموا في الاعلان عن حقوق الانسان اسهاما سوف نكشف عنه في حينه ، ليكون لتاريخنا شرفا ولحاضرنا حافزا على التقدم .

٦- نجد ان الأوربيون يدرسون كل كثير وكل قليل في حياة مفكريهم القدماء ليس في ارائهم ومذاهبهم ولكنهم لايقفون عند هذه الافكار وهذه الاراء وحدها مهما كان من شانها عظيماً ، بل يطلعون عليها ليتمكنوا من ضبط حلقات التاريخ ومعرفة سير الانسان من مرحلة الى اخرى ثم لياخذوا منها حافزا على التقدم لاعلى الجهود ، وعلى هذا نفيد نحن اليوم من دراسة علي (ع) وسقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم من ابطال الانسانية القدامى . ولان الامام علي (ع) هو رساله ... وتاريخ .... وحضارة وامة فقد خسرت الامة بفقده بطولة تحدث انشودة للزمان وشجاعة ماحلم التاريخ بمثلها .

٧- يبدو ان اختيار الكوفة عاصمة للدولة العربية قد جاء لمتطلبات الواقع الملحة لبناء دولة قوية متماسكة تستطيع ردع جميع الاخطار واهمها الانقسامات والانشقاقات التي

نشبت في زمن الخليفة عثمان بن عفان وتطورت في زمن خلافة الامام علي بن ابي طالب (ع) ، ولعل الموقع الجغرافي للكوفة وقربها من الشام بالنسبة للحجاز قد ساهم بشكل كبير في اختيار مقراً ، اذ ان الضرورة الاسلامية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعسكرية هي التي دفعته لاختيارها كي يفوت الفرصة على معاوية من اجتياح للعراق ، ومنطقة المشرق برمته .

٨- كما كان الاسلام ثورة على مجتمع جاهلي مجمد ، كان وجود الامام علي ابن ابي طالب ثورة على قوم شاؤوا ان ينحرفوا عن الغايات الاجتماعية الطيبة التي كان من اجلها الاسلام يومذاك ، فهو بهذا ممثل هذه الثورة بعد النبي الاكرم (ص) ، وواضع قوانينها ، والمعلن عن غاغياتها ، والساعي في تعميم خيراتها ، اذن هذه الانتقاله من مجتمع جاهلي الى مجتمع اسلامي منفتح متطور اجتماعيا وفكريا وحضاريا ، وذلك هو المجتمع الكوفي العالمي .

ملخص بحث بعنوان:

ملامح ومصادر الشخصية العلمية والفكرية للإمام علي (ع) وأثرها في المجتمع الكوفي

بمناسبة مرور ١٤ قرناعلى اختيارالامام علي (ع) السلام مدينة الكوفة عاصمة للعالم الاسلامي وهي ذكرى عزيزة لتكريم هذه العاصمة الفكرية الخالدة التي طمس تاريخها ونكب تراثها فنسيت اوكادت تنسى اذ حاولت ايادي السوء محوالذاكرة الغنية بالمجد لهذه الحاضرة العظيمة لكونها ترتبط بصاحب الذكرى امام الاتقياء وسلطان الاولياء ولكن(يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) ٣٢ التوبة . فأصبحت بحق عاصمة الامام علي (ع) بعد ان اعاد للكوفة سابق عزها وبعد ان اتخذها موطنا وحرما وسكنها مع ولديه النورين الاماميين الحسنيين والعقيلة زينب(عليهم السلام) لأمر اراده الله اذ ان الكوفة هي موطن اجداده واصله الذي تنتسب اليه(قريش) يوم كانت مرابضها على ضفتي الفرات من سُرّة السواد

فمن جانب اننا نواجه غزوا فكريا وحضاريا يهدف الى تهديم شخصيتنا وذلك بتدمير مقوماتها من العقيدة والحضارة والتاريخ ، ومن جانب اخر نعاني من تمزقات وصراعات تستنزف قوى الامة وتجعلها عاجزة عن التصدي لاعداءها ، ولذلك كان الامام علي

(ع) رجل رسالة استوعبت الحياة كلها تنظيما وتشريعا ومنهاجا وهي رسالة ذات طابع عالمي ممتدة في هذا الزمان الى اخر الزمان اراد الله تعالى لها ان تكون دينا للإنسان تقوده نحو التكامل الذي يحقق له التوازن والتسامي وهي رسالة الاسلام التي تقوم على العلم والمعرفة وترفض الجهل لأنه تتيح لأعداءها ان يتسللو في ظلماته الى قلوب اتباعها المؤمنين بها وعقولهم فيشوهون ويحركون عقائدها وشرائعها ومناهجها ويضللون بعد ذلك اتباعها المؤمنين بها وذلك حين يلبسون لهم الحق بالباطل والصواب بالخطأ .

ومن هنا كان الامام علي (ع) في حركة تعليمية دائمة لمجتمعه وخواص أصحابه الذين كانوا علماء ينشرون علمهم ووعيهم بين الناس بالحديث والخطابة وحلقات الدرس والتعليم ، فكان هذا البحث الحالي الذي احتوى على مقدمة ومبحثين كان الاول بعنوان : ملامح ومصادر الشخصية العلمية والفكرية للأمام علي(ع)، والمبحث الثاني بعنوان : عالمية الامام علي (ع) من وجهة نظر المسلمين وغير المسلمين ، كذلك تضمن البحث خاتمة ونتائج عامة وخاصة واخيرا المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي رفدت البحث بالمادة العلمية الرصينة.

ملحق

قصيدة المفكر العالمي السوري المعاصر أنطوان بارا

بعنوان

إمام البشرية

إمام البشرية

نطق الرسول فاهتزت مسامعهم
هذا خليفتي واسمه عليا
وهذي حجتي قبل وداعكم
وهذه وصيتي قبل مضيا
جبريل لما قصد هاتفا
يامحمد بلغ الامر الالهيا
حجتك للوداع التبليغ توأمها

فاختم رسالتك وسم الوليا
لارسل بعدي فيكم
وامانتي اودعتها الهاشميا
من بايع ربيبي اماما
حاز مجدا مؤثلا عليا
امير التقى مبغضه شقي
ومواليه هو العبد التقيا
ذرية الانبياء من اصلابهم
وذريتي من صلب هذا الوصيا
ساداتٌ .. الامامة لهم وقف
الى يوم المبعث والتناديا
حبهم دين وبغضهم كفر
ائمة قداسة وسادة البرية
وابوهم اخي وباب علمي
وامهم امي فاطم البتوليا
هم عترتي سفينة نجاة
من تعلق بها صار نجيًا
ورضاهم حبل الى السماء
من حاز كان رضـيا
موالاتهم حصن للقاسطه قلوبهم
وجنة خلد حزاء سرمديا
وبغضهم خسران لمنكري فضل
فاصبح الدين عنهم قصيا

ياسيد العرب حسبك شرف
اصطفائك لامة نبيك رعيًا
وياوليد كعبة الرحمن
وابا السبطين فخرنا الابديا
محلك من سيد الخلائق
كمحل هارون لموسى النبيا
دوحة النبوة انت سادنها
الزهراء وابناءها ثمارها النديه
اهواكم وقلبي مسكون بكم
الى جوارعيسى وامه الطوبيه
علي يانعمة السماء
يا امام خلق البشرية
محمد راى فيك اخاه عيسى
فعددناك امام للمسيحية
من ربوع شام الزينبية
قوم عيسى يبلغونك التحية
فان كان حبك تشيعا
شرف ان اكون شيعا
يالائمي بحب علي
دع عنك الملامة وتضيا
قالها شاعر الغدير سلامة
فكان قوله اللحن الشجيا
لاتقل شيعة هواة علي

ان في كل منصف شيعيا
جلجل الحق بالمسحي حتى
عد من فرط حبه غلويا
ابا الحسن ياوعاء الحكمة
بنهج بلاغتك يلفت الجليا
سفرك كما الانجيل ملهمي
وديدن روحي صبحا وعشيا
الهب مني العقل والهخا
واسرتني التماعاته النبوية
امم الارض جنت لالئه
وضمت لشرائعها سواطقة السنية
فسلام عليك يوم ولدت
ويوم مت ويوم تبعث حيا

المفكر السوري العالمي
د. انطوان بارا
مهرجان عيد الغدير العالمي
العتبة العلوية المقدسة / النجف الاشرف
٢٠١٤/١٠/١٩

الهوامش:

[١] التوبة٣٢

[٢] الطبقات الكبرى (ابن سعد) ، ج٢/ قسم ٢: ١٠١ ، وحلية الاولياء : ٦٧/١

[٣] حلية الاولياء : (ابو نعيم الاصبهاني) : ٦٥/١

[٤] مسند الامام الرضا (ع)٣٠/١ عيون اخبار الرضا (الشيخ الصدوق : ٢٠٨/٢ ، مناقب الامام علي (ع) (ابن المغازلي ، ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٩٢ ، الخصائص العلوية (النطنزي) : ٢٧ ، ٣٠ ، المناقب الخوارزمي :٧٢ ، ٨٥ ، ١١٢

[٥] حلية الاولياء : ٣١٢/١

[٦] وسائل الشيعة (الحر العاملي) : ٣٢/١١

[٧] هود : ١٧

[٨] التوبة : ١٠٠

[٩] ينظر : بلاغة الامام الحسن (ع) (عبد الرضا الصافي) : ٢٩

[١٠] ينظر : شرح نهج البلاغة (لابن ابي الحديد " ج١، نص ٧٣

[١١] علي بن ابي طالب (ع) والخلق العظيم (جورج جرداق) ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ، ح١، عدد/٣٢ : ص ٥

[١٢] المصدر السابق

[١٣] ينظر : الامام علي نبراس ومتراس (سليمان كتاني): ٢٦

[١٤] ينظر : الامام علي (ع) من المهد الى اللحد (السيد محمد كاظم القزويني) : ٩٥

[١٥] ينظر : في نهج البلاغة (الاديب علي حسين الخباز) : ٧

[١٦] ينظر : المصدر السابق .

[١٧] ينظر : دراسات في نهج البلاغة (محمد مهدي شمس الدين): ١٧

[١٨] ينظر: الامام علي نموذج الانسانية (صباح محسن كاظم) : ٤٣ : ١٨٣

[١٩] ينظر : كلمات الامام علي امير المؤمنين (للسيد علي الخطيب) : ١٥٩

[٢٠] الارشاد (للشيخ المفيد) : ١٣

[٢١] نهج البلاغة (شرح الشيخ محمد عبده) : ١١

[٢٢] ينظر : الامام علي صوت العدالة الانسانية (جورج جرداق) : ١٢

[٢٣] ينظر : الامام علي نبراس ومتراس : المقدمة

[٢٤] الامام علي (ع) (علي شريعتي) : ٦٢

[٢٥] الامام علي نبراس ومتراس :٥٩

[٢٦] ينظر : الامام علي صوت العدالة الانسانية : ١٨

[٢٧] الامام علي (علي شريعتي) : ١٤

[٢٨] الامام علي نبراس ومتراس : ٦-٧

[٢٩] ينظر : الامام علي نبراس ومتراس :١١

[٣٠] ينظر : الامام علي نبراس ومتراس: ٢٨

[٣١] ينظر : المصدر نفسه: ١١

[٣٢] ينظر : علي في الكتاب والسنة والادب (للحاج حسين الشاكري) : ٤٤٣/٥

[٣٣] يظر : الامام علي في الفكر المسيحي المعاصر (راجي انور هيفا) : ١٧٤

[٣٤] ينظر : الامام علي صوت العدالة الانسانية (جورج جرداق) : ٢٢٩/١

[٣٥] ينظر : عبقرية الامام علي (عباس محمود العقاد) : ٧

[٣٦] الجوهرة في نسب الامام علي واله (محمد بن ابي بكر الانصاري البزي) : ٨٣

[٣٧] حياة الامام الحسين (ع) (باقر شريف المقدسي) : ٤١٧/١

[٣٨] ينظر : المواطنة في فكر الامام علي (ع) قراءة معاصرة (الشيخ محمد عسيران) مجلة الموسم والانسكلوبيديا العلوية ، ج ١١٠ : ١٥٣ .

[٣٩] ينظر : قراءة اكاديمية في علم مهارات لينة غير ملموسة (SOFT SkIIIS) من هو مؤسس هذا العلم ؟ الامام علي (ع) ام علماء الغرب (البرفيسور تقي بن عبد الرضا العبدواني) : ١٨٨-١٨٩.

[٤٠] ينظر : المصدر السابق : ١٨٨

[٤١] ينظر الامام علي (ع) في الفكر المسيحي المعاصر : ١٢٩

[٤٢] ينظر : قراءة في علم مهارات غير غير ملموسة : ١٦٨ .

ثبت المصادر والمراجع

- القران الكريم

أ- المصادر والمراجع

-أ-

- الامام علي (علي شريعتي) ، تز : علي الحسيني ، دار الكتاب الاسلامي ، ط١، مطبعة نمونه ، ١٣٧٩هـ -٢٠٠٠ م .
- الامام علي نبراس ومتراس (سليمان كتاني) ، تم : هاشم محمد الباججي ، الناشر : العتبة العلوية المقدسة ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، ط٢ ، ١٤٣٢ هـ -٢٠١٠ م
- الامام علي من المهد الى اللحد (السيد محمد كاظم القزويني) ، دار القارىء ، ط١٦ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م .
- الامام علي في الفكر المسيحي المعاصر (راجي انور هيفا) ، ط١، بيروت –دار العلوم ، ٢٠٠٧م .
- الامام علي (ع) صوت العدالة الانسانية ، ج١، بيروت – دار المهدي ، منشورات منشوراتذوي القربى ، مطبعة كيميا، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م .
- الامام علي نموذج الانسانية (الاستاذ صباح محسن كاظم)العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، شعبة الاعلام ، وحدة الدراسات والنشرات ، مطبعة دار الضياء – النجف الاشرف ، ط٢، ١٤٣٣ هـ -٢٠١٢ م
- الارشاد (للشيخ المفيد) ، ط ، قم ، ١٤٢٨م .

ب-

- بلاغة الامام الحسن (ع) (الشيخ عبد الرضا الصافي) ، منشورات مكتبة الحكمة ، كربلاء ، مطبعة الاداب – النجف الاشرف ، د.ت . .

-ج -

- جنة الماوى (الفقيه الكبير الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء) تح : سيد محمد علي القاضي الطبطائي ، تقديم وترتيب مهدي الانصاري القمي ، مؤسسة الشهيد الانصاري القمي لاحيائ التراث ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ .

- الجوهرة في نسب الامام علي واله (محمد بن ابي بكر الانصاري التلمساني المعروف بالبزي ، تح : محمد التونجي ، مطبعة قم ، مؤسسة انصار بان للطباعة والنشر ، ايران ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م .

- ح -

- الحضارة الاسلامية المؤرخ الهندي خودا بخش ، ترجمة وتعليق دكتور علي حسين الخربولي ، مدرس التاريخ الاسلامي ، جامعة عين شمس ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٨٠ هـ -١٩٦٠ م

- حلة الاولياء (ابو نعيم الاصفهاني) دار الكتب العلمية ، اصفهان ، ط١ ١٩٨٨ م .

حياة الامام الحسين (ع) (باقر شريف علي القريشي) ج١ ، انتشارات مدرسة الايرواني ، ط١ ، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢ م ، مطبعة باقري .

- خ -

- الخصائص العلوية على سائر البرية (ابو الفتح محمد بن احمد بن علي النطنزي) ، تح علي ال كوثر ،مجمع احياء الثقافة الاسلامية ، ط١ ، قم ، ١٤٣٣ هـ ٢٠١١ م .

- د-

- دراسات في نهج البلاغة(محمد مهدي شمس الدين) ، الناشر : الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٩٨١م .

-ش –

شرح نهج البلاغة – لابن ابي الحديد ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ م .

- ط -

- الطبقات الكبرى (ابن سعد محمد بن منيع) ت ٢٣٠ هـ ، ٨٤٤ م) ، ط بيروت ، ١٩٩٦ م ، بيروت ، مكتبة دار التربة ، د. ت .

- ع -

- عبقرية الامام علي (ع) (عباس محمود العقاد) ، مطبعة منير ، دار الفكر للطباعة والنشر بغداد ، بيروت ، مكتبة دار التربة ، د. ت .

- عيون اخبار الرضا (ع) (الشيخ الصادق ابي جعفر محمد علي بن الحسين بن موسى بن بابويه العميري) (ت ٣٨١- ٩٩١ م) بيروت ، ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م .
- علي في الكتاب والسنة والادب (الحاج حسين الشاكري) ، ج٥ ، ط١ ، ١٤١٨ .

- ف -

- في نهج البلاغة (الاديب علي حسين الخباز) ، سلسلة قراءات انطباعية / العتبة العباسية المقدسة ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية – مطبعة دار الطباعة – النجف الاشرف ، ط ٣، ١٤٣هـ - ٢٩٠ م .

- ك -

كلمات الاعلام في شخصية الامام علي امير المؤمنين (ع) (للسيد الخطيب) المؤسسة الاسلامية للبحوث والمعلومات ، قم ، ط١، ١٤٢٨هـ .

- م-

- مسند الامام الرضا (ع) (علي بن موسى الرضا ٢٠٣ هـ -٨١٨م) جمعية الشيخ عزيز الله العطار ، ط، بيروت ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م) .
- مناقب الامام علي بن ابي طالب (ابن المغازلي ، علي بن محمد الشافعي ت ٤٨٣هـ - ٨٠٩ م) تح الميرزا محمد باقر البهيوي ، ط٣ ، ٤٢٤ هـ -٢٠٣ م
- المناقب (الخوارزمي)الموفق احمد بن محمد المكي ت ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢ م) ط ١، قم ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

- ن -

نهج البلاغة (شرح الشيخ محمد عبده) ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٧ م

- و -

وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة (محمد بن الحسن الحر العاملي) ت ١٠٣٣ -١١٠٤ هـ ، تح : مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، ايران – قم – ط١ ، مطبعة مهر ، ١٤١٤ هـ .

ب- البحوث والدراسات

- ق -

قراءة اكاديمية في علم مهارات لينة غير ملموسة (SOFT SKILLS) من هو مؤسس هذا العلم الامام علي (ع) ام علماء الغرب (أ د تقي عبد الرضا العبدواني : عميد كلية الخليج ، سلطنة عمان) ، مجلة – الموسم الانسكلوبيديا العلوية ، ج١١٠ ، ٢٠١٥ م

-ع-

- علي بن ابي طالب (ع) والخلق العظيم (الباحث الاستاذ جورج جرداق) ، م مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ، عدد خاص بجائزة وارث علم النبيين امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (ع) للابداع الفكري ، ١٣ رجب ١٤٣٥ – ١٣ مارس ٢٠١٤ م ، السنة التاسعة ، عدد/٣٢ ، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥ م .

- م-

المواطنة في فكر الامام علي (ع) قراءة معاصرة (مفتي صيدا في لبنان الشيخ محمد عسيران) ، الموسم الانسكلوبيديا العلوية ، موسوعة فصلية تعنى بالاثار والتراث السنة الثامنة والعشرون ، ٢٠١٥ م

الدور العلمي والثقافي لمدينة الكوفة

م. د. خمائل شاكر الجمالي
جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

مقدمة :

تعدّ الكوفة من أهم المدن التي لعبت دوراً بارزاً في التاريخ العربي الإسلامي ، فهي مدينة المدينة العربية الإسلامية الثانية التي أسست في العراق بعد البصرة ، إذ خطت المدينة في العام (١٧) للهجرة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بعد أن خطت البصرة في العام (١٥) للهجرة .

وايضاً تعد الكوفة من المدن التي أقامها العرب لأغراض عسكرية ؛ إلا أنها ما لبثت أن تطورت حتى غدت واحدة من المدن العلمية الثقافية المهمة ؛ فازدحمت بصنوف شتى من الناس الذين قدموا إليها من كل حدب وصوب ومن بينهم عدد من أصحاب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، حيث ساهموا في إشاعة العلم والمعرفة وأدى ذلك إلى خلق مناخ ثقافي امتزجت فيه الثقافة السائدة في الكوفة مع الثقافة العربية الإسلامية الجديدة وقد شجع ذلك على ظهور الدراسات الدينية والدنيوية المختلفة كدراسات القرآن والتفسير والحديث والفقه والعربية والشعر والتاريخ وغير ذلك ، وقد تطورت هذه الدراسات فيما بعد لتصبح الكوفة واحدة من المراكز العلمية المهمة في العالم ، وارتقت مدينة الكوفة سلم الرقي والتحضر حتى غدت وحدة من أهم المراكز الحضارية في العالم الإسلامي اجتذبت إليها صنوف الناس من ضروب الملل والنحل والقوميات في ظل مجتمع يسوده حركة فكرية زاخرة بألوان شتى من الثقافات

المبحث الأول

الدور العلمي والثقافي لمدينة الكوفة

كانت المدن ولا تزال دون الريف والقرى ، مركزاً للعلم والفن والأدب ، لأنها أوفر مؤناً وأوسع عمراناً ، تتوفر فيها الوسائل المهيأة للحركة الفكرية أكثر من غيرها ،لأن العمران ووسائل العمران تستتبع شيئاً من الغنى والرفاهية ، وهذه تستتبع شيئاً من الرقي في الفكر والعاطفة والذوق ، وعند ذلك يحدث الرأي وتبتدع الطريقة فينشأ العلم ويعمّر

الأدب ، نعم إن الشؤون وآداب الشؤون تستدعي قوانين تنتظم علوماً يحصل بها رقي للعقل .[١]

فلا شكّ في أنّ الثقافة الإسلامية تختلف عن ثقافات الأديان الأخرى، فهي ثقافة تدور حول محور الدراسات الأدبية ؛ على أنّ مَن أراد أن يفهم الإسلام وتشريعاته وتعاليمه ؛ لابدّ من أن يفهم علوم العربية وآدابها أولاً، وعلى هذا كانت الدراسات الإسلامية في المدينة المنورة في عهد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قبل أن تنتقل إلى البصرة وغيرها من أمصار الفتح الإسلامي لتبلغ ذروتها في الكوفة، بعد أن اتخذها الإمام علي (عليه السلام) عاصمة للدولة الإسلامية ، وأسّس في مسجدها المعظّم أولّ مدرسة تُعنى بعلوم الشريعة والفكر واللغة والأدب .

وفي أثناء ذلك ((بقيت الكوفة تصبُّ في بحر النجف((التي بدأت العمارة تتسع فيها، وبدأ السكن ينمو تدريجياً، مع ظهور قبر الإمام علي(عليه السلام) في القرن الثاني الهجري . [٢]

وكان لموقع الكوفة الجغرافي وعناصر السكان العرب فيها واحتكاكهم بالأقوام الأجانب الذين ساكنوهم ثم اقتباس ما ورثوه من حضارات سابقة ومعارف قديمة اثر في تحديد الاتجاه الثقافي والفكري لها .

وشجع الاستقرار في الكوفة على ظهور الاهتمام بالعلم والمعرفة ، وهو ما حثّ عليه الإسلام ، وكان ذلك ايذاناً بظهور الاتجاهات الأولى للثقافة العربية الإسلامية في الكوفة ، وهي اتجاهات كانت تستند على تيارين أساسيين هما التيار الإسلامي المتمثل بدراسات القرآن والحديث والفقه والتيار القبلي المتمثل في الاهتمام بالشعر والأيام والأنساب واللغة . [٣]

وكان الاهتمام بالقرآن أمراً ملحاً خلال الفترة الأولى من الاستقرار بوصفه القاعدة الأساسية للإيمان ، لذلك حاولت الخلافة إرسال عدد من القراء إلى الأمصار الجديدة لتعليم الناس وتبصيرهم . [٤]

ولعب لصحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الدور المهم في تطور الحياة العلمية والثقافية في الكوفة فقد كان عبدالله بن مسعود يخطب في مسجد الكوفة كل

خميس ويذكر الناس بدينهم ودنياهم وودّ بعضهم لو أنه خطب كل يوم فقال له أحدهم :" يا أبا عبد الرحمن لوددتُ أنك ذكرتنا كل يوم " .

وأرتبط الاهتمام بالقرآن بالاهتمام بالتفسير وكانت المحاولات الأولى عبارة عن شروحات لبعض النصوص اللغوية ولزمن نزول الآيات والموضوعات التي عالجها وقدّ أفيد من هذا المجال من الشعر والنثر الذي ساد في الفترة التي سبقت الإسلام ، فضلاً عن أحاديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأقوال الصحابة وإشارات أهل الكتاب . (٥)

وقد تصدى للتفسير في الكوفة عدد من أصحاب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد لله بن مسعود . (٦)

ثم أصبح الإمام الصادق (عليه السلام) اعلم علماء عصره بعد الإمام الباقر (عليه السلام) على الاطلاق ، وإن عصر الإمام الصادق (عليه السلام) قد شهد نهضة فكرية ، ففيه اتسع نطاق الحركة الإسلامية ، وكانت مدرسة الإمام في المدينة المنورة مشهورة تشد إليها الرحال ، وترسل إليها البعثات ، إذ ارسلت " الكوفة والبصرة وواسط والحجاز ، إلى جعفر بن محمد افلاذ اكبادها من كل قبيلة ، فقد درج الإمام بعد كل درس أن يفسح المجال لطلابه من سائل أو ناقد أو مستوضح ، وكان من عادة الإمام أن ينتهي من دروسه عند حلول صلاة الظهر ، فيؤم الناس للصلاة ثم ينصرف إلى داره ، حتى وصل عدد طلابه إلى (أربعة الاف) ما بين راوٍ ومستفيد وفي الرحلات الكوفية إلى الإمام الصادق يذكر الحكم بن عيينة قال :" قال أبو عبد لله (عليه السلام) لرجل من أهل الكوفة : ((وسأله عن شيء لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دورنا ، ونزوله على جدى بالوحي والقرآن والعلم ، فيستسقى الناس العلم من عندنا فيهدونهم وضللنا نحن ؟ هذا محال". (٧)

وقد تميزت الكوفة باعتمادها على الرأي في التفسير وقد سمي أصحابها بأهل الرأي لكثرة مناقشتهم للمسائل وإبداء الرأي فيها ، ولعل من أبرز تلاميذ الكوفة في التفسير علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد ، وعامر بن شراحيل ، وشريح بن الحارث الكندي

، وإبراهيم بن يزيد النخعي ، وقد لاقى التفسير في الكوفة تطوراً فيما بعد ، إذ أصبحت مدرسة الكوفة واحدة من أبرز مدارس التفسير في العالم الإسلامي . (٨)

وحظي الحديث بالاهتمام في الكوفة نظراً لدوره في تفسير ما ورد في القرآن الكريم ، وقد تميزت الفترة الأولى من الاستقرار في الكوفة بقلة الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . فقد كان كبار الصحابة خلال هذه الفترة يخشون كثرة الرواية لئلا يقع الرواة في الخطأ والنسيان ، فينسبون إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أحاديث لم يقلها ، كما أن رواية الحديث تبعد الناس عن الاهتمام بالقرآن الكريم ، وقد أوصى الخليفة عمر بن الخطاب أصحابه الذين بعث بهم إلى الكوفة بالإقلال من رواية الحديث فقال لهم : " أنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن ، ونقلوا الرواية عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) . (٩)

وقد عرف عن عبد الله بن مسعود قلة روايات الحديث ، وكان مع تلاميذه (يتحرى في الأداء ويشدد في الرواية) .

على أن شيوع الوضع في الحديث ووفاة عدد كبير من حفظته دفع إلى الاهتمام به وتدقيقه ، وقد برز في الكوفة خلال هذه الفترة عدد من الرواة للحديث مثل الأسود بن يزيد ، وسويد بن غفلة ، وزر بن حبيش ، وعمرو بن أبي ليلى ، وشريح بن الحارث ، وشريح بن هاني ، وقيس بن أبي حازم ، وعمرو بن ميمون ، والمعرور بن سويد ، وعامر بن شراحبيل ، وأبي اسحق السبيعي وغيرهم كثير ويكفي أن هذا العلم كان عدد طلابه في نهاية القرن الأول الهجري في الكوفة وحدها ستة الآلاف فيما يقال ولا نعتقد أن في هذا مبالغة كثيرة فقد ألف البخاري كتاباً ضخماً ذكر فيه أسماء المعروفين من رواة الحديث في القرنيين الأول والكتاب مكون من ثمان مجلدات ضخمة فيها أسماء الآلاف ممن رأى أنهم يستحقون الذكر .

كما حظي الفقه باهتمام ملحوظ ايضاً وكان الفقهاء في الكوفة يعتمدون في أحكامهم على ما يجدونه في كتاب الله والصحيح من السنة النبوية ، وإذا لم يجدوا ذلك اعتمدوا

الرأي والقياس وسيلة لإحكامهم ، وقد تميزت الكوفة باعتمادها الرأي مقابل المدينة التي اعتمدت الحديث وفضلت الضعيف منه على الاجتهاد . (١٠)

وبرز في الكوفة عدد من القضاة مثل عروة بن الجعد البارقي وسلمان بن ربيعة ، وجبر بن القشعم الكندي ، وشرجيل بن جبر ، وأبو قرة الكندي ، وعبد الله بن مسعود ، وذكر أن أول من قضى في الكوفة أبو قرة الكندي ثم سليمان بن ربيعة ثم استقصى عمر بن الخطاب عبد الله بن مسعود . وكان عبد الله يقرئ القرآن في المسجد ثم يجلس بعد ذلك يفتي الناس . (١١)

ومن بين القضاة اللامعين في الكوفة شريح بن الحارث ، ومسروق بن الأجدع ، والحارث الأعور ، وعامر الشعبي ، وأبو عبد الله سعيد بن جبير ، ويزيد بن الأسود ، والحكم بن عينية ، وعبيدة السلماني ، وقد وصف بعض هؤلاء بتظلعهم في القضاة فقد وصف مسروق بن الاجدع بأنه " اعلم بالفتوى من شريح وكان شريح يستشيره إذا شكل عليه أمر . (١٢)

وفضلاً عن هؤلاء جميعاً يعد الإمام علي (عليه السلام) من بين الفقهاء والقضاة اللامعين وقد نقل عنه الكثير من الأحكام التي حملها عنه أهل الكوفة . إن اهتمام الكوفة بالفقه جعلها واحدة من المدن التي حظيت بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة.

وأولت الكوفة اهتماماً بالعربية ، ويبدو أن اختلاط العرب بالأجانب واندماج بعضهم ببعض وفتح بيوتهم للسبايا أدى إلى إحداث تغير في ملكتهم وظهور اللحن في لغتهم وتسرب العجمة إلى لسانهم ، وانعكس ذلك في قراءتهم للقرآن الكريم ظهر للحن واضحاً بين الأعراب والأعاجم على حد سواء وقد أعرب الخليفة عثمان بن عفان عن تخوفه من ذلك فقد ورد في إحدى خطبه " بعد اجتماع ثلاث فيكم ، تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن".

وكان ذلك دافعاً لوضع الأسباب التي يمكن من خلالها الحفاظ على العربية وقد أشار إلى ذلك الزبيدي فقال " حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقيدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن ذاعت عنه . (١٣)

ويعدّ النحو من بين القواعد التي وضعها العرب لضبط العربية ، وقد وردت روايات عديدة فيما يتعلق بنشأة هذا العلم ، وقد أجمع عدد من الباحثين على أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع أسس هذا العلم . ويرى الدكتور جواد علي " إن علم العربية كان معروفاً في العراق ، وأنه كان يدرس في مدارس الحيرة وعين التمر والانبار وربما في مواضع أخرى كانت غالبية سكانها من العرب النصارى كان يدرسه لهم رجال الدين الذين يتقنون الآرامية ، وكانوا قد اخذوا علومهم في النحو من اليونان بتأثير النصرانية ودراسة الأناجيل والكتب الدينية المؤلفة باليونانية ، ولما كان لأهل المواضع المذكورة من العرب فلا يستبعد ظهور جماعة من رجال الدين النصارى العرب اتخذت من مبادئ النحو التي وضعت للسريانية والمنقولة عن اليونانية قواعد لضبط العربية بموجبها . [١٤] ، ولا يستبعد احتمال وقوف الإمام علي(عليه السلام) أو أبي الأسود الدؤلي على تقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف وقفاً عليه باتصالهم بالحيرة أو بعلماء من أهل العراق كانوا على علم بالنحو وعلوم اللغة في ذلك العهد وقد كان ذلك في الأسس والمبادئ ، فلما جاء الإسلام واخذ المسلمون علم العربية على المتقدمين زادوا فيه وفرعوا واستقصوا وقاسوا واخذوا حسن كلام العرب ومن الشعر حتى تضخم النحو فبرز على الصورة التي نجدها في كتاب سيبويه وفي الكتب التي وضعت بعده . [١٥] لقد اهتم الكوفيون بدراسة النحو واستفادوا كثيراً من البصريين الذين تقدموا عليهم في هذا المجال (فكان كثير من رجال العلم الكوفيين يشدون الرحال إلى حلقات الدرس في البصرة وكان بعض أهل العلم من البصريين يقصد الكوفة ويتصدر التدريس فيها .

أبرز علماء الكوفة

١- **في الفقه :** الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ت ٤٠ه) ، والإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (ت١٤٨ه) .

٢- **في النحو :** أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٧ه) .

٣- **في اللغة :** حماد بن هرمز ، المفضل بن محمد الضبي (ت ١٦٨ه) .

٤- **في الشعر :** ابو العتاهية (ت٢١١ه) ، أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤ه) .

٥-في الرواية والحديث : البراء بن عازب (ت ٧٢ه) .

٦-في الكيمياء : جابر بن حيان الكوفي . [١٦]

المبحث الثاني

الدور العلمي والفكري للإمام الصادق (عليه السلام) في الكوفة

إن الأثر العلمي والفكري للإمام الصادق (عليه السلام) ترويه الكثير من أمهات الكتب ، وفيه الكثير من الروايات التي تكاد لا تحصى ، حيث سعة إلى إكمال مسيرة آبائه وأجداده في نشر العلوم الإسلامية روى الشيخ المفيد [١٧] " وكان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) من بين إخوته خيفة أبيه محمد بن علي (عليه السلام) ووصيه والقائم بالإمامة من بعد ، وبرز على جماعتهم بالفضل وكان أنبههم ذكراً وأعظمهم قدراً وأجلهم في العامة والخاصة ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وأنتشر ذكره في البلدان ولم ينقل عن أحد عن أبي عبد الله (عليه السلام) فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة ألاف رجل " . [١٨]

إن جود الإمام الصادق (عليه السلام) في مدينة الكوفة ، التي هي واحدة من أشهر المدن الإسلامية ، التي ازدهرت الحركة العلمية والفكرية فيها منذ باكورة ولادتها يقول الحموي [١٩] : "وقال سفيان بن عيينة : خذوا المناسك عن أهل مكة ، وخذوا القراءة عن أهل المدينة ، وخذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة".

كذلك إن الإمام الصادق (عليه السلام) قد اغتنم وجوده في مدينة الكوفة فسعى إلى نشر العلوم الإسلامية ، وقد ساعده في ذلك عدة أمور منها : إن الخلافة العباسية كانت جديدة العهد بعد سقوط الدولة الأموية ، ولم يكن للعباسيين يومذاك قدرة على الوقوف في وجه الإمام لانشغالهم بأمور الدولة ؛ بالرغم من المضايقات الكثيرة التي حصلت للإمام من الخليفة أبي جعفر المنصور ، فساعد ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) على نشر علوم جمة ، وتخرج على يديه الكثير من الطلبة النابغين . [٢٠]

وإن مدينة الكوفة تناصر أهل البيت (عليهم السلام) وتتشيع لهم مما ساعد الإمام الصادق (عليه السلام) على نشر العلوم الإسلامية ، فضلاً عن أن الكوفة قد زخرت

بالموالي ، فكان لهم أثر محسوس في تطور الحياة العلمية والفكرية والاجتماعية في مدينة الكوفة [٢١] ، وكانوا يميلون إلى أهل البيت (عليهم السلام) لعدة أسباب منها ولائهم لأهل البيت فضلاً عن شعورهم بالضغط والإكراه من الدولة تجاه الطرفين معاً (أهل البيت (عليهم السلام) والموالي) ، الأمر الذي دفعهم إلى اللجوء إلى أهل البيت لطلب العلم والمعرفة ، لذلك عند تصفح أسماء أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) أو الرواة عنه في كتب الرجال تجد الكثير منهم من الموالي وبالأخص الكوفيين . ومن الدلائل التي تثبت إن الإمام الصادق (عليه السلام) ، قد ترك الأمور السياسية واتجه اتجاهاً مباشراً نحو نشر العلم ، لأنه يعلم علم اليقين إن الخلافة لن تؤول إلى العلويين قط ، ما رواه أبو الفرج الأصفهاني [٢٢] ."

سعى الإمام الصادق (عليه السلام) إلى نشر العلوم الجمة التي يمتلكها بين المسمين ، وكان في حله وترحاله ، يعقد المجالس والندوات ويناظر العلماء والفقهاء ، فشكل مدرسة لعلوم أهل البيت (عليهم السلام) سار فيها منتهجاً نهج أبائه وأجداده (عليهم السلام) ومكملاً لمسيرتهم العلمية التي ابتدت بالنبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والإمام علي (عليه السلام) ومن ثم الأئمة من بعده الإمام الحسين ، والإمام علي بن الحسين ، والإمام محمد بن علي (عليه السلام) حتى جاء الدور إليه (عليه السلام) . وبعد إن استدعي الإمام الصادق (عليه السلام) إلى مدينة الكوفة من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، كما جاء في جاء في رواية الاربلي [٢٣] ، وربما يكون الإمام الصادق (عليه السلام) قد ذهب إلى مدينة الكوفة في أيام أبي العباس السفاح ، إلا أن ذلك لم يكن باستدعاء السفاح له ، لكن برغبة الإمام الصادق (عليه السلام) .

ومن الروايات التي توضح الأثر العلمي للصادق (عليه السلام) في الكوفة ما ذكره الشهرستاني [٢٤] : " وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه له أسرار العلوم ، ثم دخل لعراق وأقام بها مدة ، ما تعرض للإمامة قط ولا نازع أحداً في الخلافة قط ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط"

روى بن شهر آشوب : " عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر : إن المنصور قد هم بقتل أبي عبد الله (عليه السلام) غير مرة . فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقتله ، فإذا

نظر إليه هابه ولم يقتله ، غي أنه منع الناس عنه ومنعه من القعود للناس ، فلا يكون علم ذلك عندهم ولا يصلون إليه فيعتزل الرجل فشق ذلك على شيعته وصعب عليهم حتى ألقى الله عز وجل في روع المنصور أن يسأل الصادق (عليه السلام) ليتحفه بشيء من عنده لا يكون لأحد مثله ، فبعث إليه بمخصرة كانت للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) طولها ذراع ففرح بها فرحاً شديداً ، وأمر أن تشق له أربعة أرباع وقسمها في أربعة مواضع ، ثم قال له : " ما جزاؤك عندي إلا أن أطلق لك وتفشي علمك لشيعتك ولا أتعرض لك ولا لهم فأقعد غير محتشم وأفت الناس ولا تكن في بلد أنا فيه ، ففشى العلم عن الصادق وأجاز في المنتهى " . فمن الروايات السابقة يتبين إن الإمام الصادق (عليه السلام) كان يقيم الدروس العلمية وحلقات المناظرة في الكوفة كلما استدعي من المنصور وبعد رجوعه إلى المدينة يشيعه أهل العلم والفضل ، فكانت مدرسة الكوفة من أشهر المدن الإسلامية آنذاك بفضله (عليه السلام) . وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يجلس كثيراً لطلبة العلم ، ويفيدهم بذكر الأحاديث النبوية ، وتفسير الآيات القرآنية ، والإحكام الفقهية والشرعية والدينية . [٢٥]

وكان طابع مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام)) الذي طبعت عليه ، ومنهجها الذي اختصت به من بين المدارس الإسلامية ؛ هو استقلالها الروحي ، وعدم خضوعها لنظام السلطة ولم تفسح المجال لولاة الأمر ، بأن يتدخلوا في شؤونها أو تكون لهم في توجيهها وتطبيق نظامها ، لذلك لم يتسن لذوي السلطة استخدمها في مصالحهم الخاصة ، أو تتعاون معهم في شؤون الدولة .[٢٦] ، ومن الازدهار العلمي لهذه المدرسة العلمية والفكرية في مدينة الكوفة يروي النجاشي هو وجود تسعمائة شيخ في المسجد كل يقول حدثني جعفر بن محمد وكان هذا الشيخ عيناً من عيون الطائفة " [٢٧].

من هذه الرواية نستطيع أن نتبين الدور العلمي الكبير الذي قام به الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في مدينة الكوفة ، حيث أن وجود تسعمائة شيخ كل واحد منهم يحدث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يدل على الجهد الكبير الذي بذله الإمام في نشر العلوم الإسلامية في مدينة الكوفة ، وكذلك تبين الازدهار العلمي والفكري لمدينة الكوفة ، فضلاً عن أن الإمام الصادق (عليه السلام) قد تمكن من أن

يغرس نواة من العلماء والفقهاء والمحدثين للعلوم الإسلامية المختلفة بالرواية عن ائمة أهل البيت (عليهم السلام) .

خاتمة :

شهدت مدينة الكوفة تطوراً علمياً وثقافياُ منذ تأسيسها حتى عهد الإمام الصادق (عليه السلام) ، إذ ازدهرت ازدهاراً ملحوظاً بفضل الجهود العلمية والفكرية ، فأصبحت مدينة الكوفة مركزاً علمياُ كبيراً لنشر العلوم الاسلامية بفنونها كافة ؛ نتيجة الدور العلمي والثقافي الفكري الواسع الذي تميزت به بعد تأسيسها ، إذ ازدهرت مختلف العلوم الدينية والدنيوية كالقرآن والحديث والتفسير واللغة والنحو والشعر والتاريخ وغيرها .

وقدّ أهلها دورها كي تمتزج ثقافتها العربية الإسلامية مع الثقافات الأخرى ما جعلها تتميز عن ثقافات المدن الأخرى . ويمكن القول أن ثقافة الكوفة حددت اتجاهات الثقافة في العراق في الفترات اللاحقة .

الملخص:

كانت المدن ولا تزال دون الريف والقرى ، مركزاً للعلم والفن والأدب ، لأنها أوفر مؤناً وأوسع عمراناً ، تتوفر فيها الوسائل المهيأة للحركة الفكرية أكثر من غيرها ،لأن العمران ووسائل العمران تستتبع شيئاً من الغنى والرفاهية ، وهذه تستتبع شيئاً من الرقي في الفكر والعاطفة والذوق ، وعند ذلك يحدث الرأي وتبتدع الطريقة فينشأ العلم ويعمّر الأدب ، نعم إن الشؤون وآداب الشؤون تستدعي قوانين تنتظم علوماً يحصل بها رقي للعقل .

فلا شكّ في أنّ الثقافة الإسلامية تختلف عن ثقافات الأديان الأخرى، فهي ثقافة تدور حول محور الدراسات الأدبية ؛ على أنّ مَن أراد أن يفهم الإسلام وتشريعاته وتعاليمه ؛ لابدّ من أن يفهم علوم العربية وآدابها أولاً، وعلى هذا كانت الدراسات الإسلامية في المدينة المنورة في عهد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قبل أن تنتقل إلى البصرة وغيرها من أمصار الفتح الإسلامي لتبلغ ذروتها في الكوفة، بعد أن اتخذها

الإمام علي (عليه السلام) عاصمة للدولة الإسلامية ، وأسّس في مسجدها المعظّم أولّ مدرسة تُعنى بعلوم الشريعة والفكر واللغة والأدب .

وفي أثناء ذلك ((بقيت الكوفة تصبُّ في بحر النجف((التي بدأت العمارة تتسع فيها، وبدأ السكن ينمو تدريجياً، مع ظهور قبر الإمام علي(عليه السلام) في القرن الثاني الهجري .

الهوامش:

(١) الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، د.ت ، ج٢، ص ٣٤٢ .

(٢) جعيط ، هشام . الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ٧٧ .

(٣) علوان ، عبد الجبار . الشواهد والاستشهاد في النحو، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ١٨ .

(٤) الدوري ، عبد العزيز نشأة الثقافة العربية الإسلامية ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، مجلد ١ ، ع ٢ ، الأردن ، ١٩٧٨ ، ص ٥٧ .

(٥) البخاري ، أبو عبد الله بن أسماعيل . صحيح البخاري ، بيروت ، د.ت ، ج ١/ ٣٧ .

(٦) الدوري ، المصدر السابق ، ص٦١ .

(٧) المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ه / ١٧٠٠ م) . بحار الأنوار لدرر لأئمة ، لأطهار ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، والسيد محمد باقر البهبوتي ، ط٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣ ه ، ص ٨٩- ٩٦ .

(٨) السامرائي ، خليل إبراهيم . دراسات في الفكر العربي ، الموصل ، ١٩٨٣ ، ص ١٧١.

(٩) السامرائي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .

(١٠) العلي ، صالح احمد . نشأة الحركة الفكرية واتجاهاتها في صدر الإسلام ، ج٢، مدريد ، ١٩٧٩، ص ٨-٩ .

(١١) بن وكيع ، محمد بن حيان . أخبار القضاة ، صححه وعلق عليه عبد العزيز مصطفى ، القاهرة ، ١٩٤٧، ج٢، ص ١٨٤- ١٨٥ .

(١٢) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد . معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، د.ت ، ص ٤٤- ٤٥ .

(١٣) الدجيني ، فتحي عبد الفتاح . أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ، الكويت ، ١٩٧٢ ، ص ١٦- ٢٠.

(١٤) الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن . طبقات النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص١١ .
(١٥) المخرومي ، مهدي . مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ٤٧ .
(١٦) علي ، جواد المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، ١٩٧٨، ج٩، ص ٤٩.
(١٧) الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٤٨ه) ، أعلام الورى بأعلام الهدى ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ٢٠٠٤ ، ص ٢٧٦ .
(١٨) المفيد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت٤١٣ه) . الإرشاد ، ط١، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٦٢ .
(١٩) الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦ ه) . معجم البلدان ، د. ط ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ج ٤ ، ص ٤٩٣ .
(٢٠) السبحاني ، جعفر . دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) إيران ، ١٤١٣ ه ، ص ١٢٢ .
(٢١) أسد حيدر . الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ط٣، مطبعة خورشيد ، منشورات مكتبة الصدر ، إيران ، ١٤١١ه ، ج٣، ص ٣٠.
(٢٢) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ه) . مقاتل الطالبين ، تحقيق احمد صقر، ط١ ، منشورات دار الزهراء ، أيران ، ١٤٢٨ ه ، ص ١٨٥- ١٨٧.
(٢٣) الأربلي ، أبي الحسن علي بن عيسى بن ذي الفتح (ت ٦٩٣ ه) . كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ط١ ، دار الأضواء للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ج٢، ص ٣٨٢ .
(٢٤) ابن شهر آشوب ، محمد بن علي بن شهر آشوب المازنداني (ت ٥٨٨ه) . مناقب آل أبي طالب ، تحقيق يوسف البقاعي ، ط٢ ، مطبعة سليمان زادة ، إيران ١٤٢٧ ه ، ج٤ ، ص ٢٥٩ .
(٢٥) الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد (ت ٥٨٤ ه) . الملل والنحل ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا وعلي حسين فاعور ، ط٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ج١ ، ١٩٩٣ ، ص ١٩٤ .
(٢٦) اسد حيدر ، المصدر السابق ، ص ٦٨- ٦٩ .
(٢٧) النجاشي ، أبو العباس احمد بن علي بن احمد الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠ه) . كتاب رجال النجاشي ، ط١ ، شركة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ١٣٦ .

المصادر:

١- ابن شهر آشوب ، محمد بن علي بن شهر آشوب المازنداني (ت ٥٨٨ه) . مناقب آل أبي طالب ، تحقيق يوسف البقاعي ، ط٢ ، مطبعة سليمان زادة ، إيران ١٤٢٧.

٢-الأربلي ، أبي الحسن علي بن عيسى بن ذي الفتح (ت ٦٩٣ ه) . كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ط١ ، دار الأضواء للطباعة ، بيروت ، ج٢، ٢٠٠٠.

٣- أسد حيدر . الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ط٣، مطبعة خورشيد ، منشورات مكتبة الصدر ، إيران ، ج٣ ، ١٤١١ه .

٤- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ه) . مقاتل الطالبين ، تحقيق احمد صقر، ط١ ، منشورات دار الزهراء ، أيران ، ١٤٢٨ ه.

٥-البخاري ، أبو عبد الله بن أسماعيل . صحيح البخاري ، بيروت ، ج١ ، د.ت.

٦-بن وكيع ، محمد بن حيان . أخبار القضاة ، صححه وعلق عليه عبد العزيز مصطفى ، القاهرة ، ج٢ ، ١٩٤٧.

٧- جعيط ، هشام . الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٣ .

٨- الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦ ه) . معجم البلدان ، د. ط ، دار صادر ، بيروت ، ج٤ ، د.ت .

٩-الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، ج٢ د.ت .

١٠- الدجيني ، فتحي عبد الفتاح . أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ، الكويت ، ١٩٧٢.

١١- الدوري ، عبد العزيز نشأة الثقافة العربية الإسلامية ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، مجلد ١ ، ع ٢ ، الأردن ، ١٩٧٨ .

١٢- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد . معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، د.ت .

١٣- الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن . طبقات النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

١٤- السامرائي ، خليل إبراهيم . دراسات في الفكر العربي ، الموصل ، ١٩٨٣.
١٥- السبحاني ، جعفر . دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) إيران ، ١٤١٣ ه .
١٦- الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد (ت ٥٨٤ ه) . الملل والنحل ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا وعلي حسين فاعور ، ط٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٣.
١٧-الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٤٨ه) ، أعلام الورى بأعلام الهدى ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ٢٠٠٤.
١٨-المفيد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت٤١٣ه) . الإرشاد ، ط١، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
١٩- علوان ، عبد الجبار . الشواهد والاستشهاد في النحو، بغداد ، ١٩٧٦ .
٢٠- علي ، جواد المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، ج٩ ، ١٩٧٨.
٢١- العلي ، صالح احمد . نشأة الحركة الفكرية واتجاهاتها في صدر الإسلام ، ج٢، مدريد ، ١٩٧٩.
٢٢-المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ه / ١٧٠٠ م) . بحار الأنوار لدرر لأئمة ، لأطهار ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، والسيد محمد باقر البهبوتي ، ط٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣ ه .
٢٣- المخرومي ، مهدي . مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، بغداد ، ١٩٥٥ .
٢٤-النجاشي ، أبو العباس احمد بن علي بن احمد الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠ه) . كتاب رجال النجاشي ، ط١ ، شركة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٠ .

الرسم القرآني المنسوب إلى مصاحف أهل الكوفة في كتاب "المقنع في رسم مصاحف الأمصار" لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ).

م. د كريم حمزة حميدي العيساوي
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)/ أقسام بابل

المقدِّمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الذي رسمَ لعباده منهجَ التسديد والتوحيد في كتابه الكريم، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ الأنام، سيدنا محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد...

فإنَّ الكوفةَ من أوائل الحواضر العلميَّة التي اهتمتْ بالقرآن الكريم جمعًا ورسمًا وتفسيرًا وإعرابًا، فكان لعلمائها الدور الأكبر في تدوين القرآن وديمومة البحث فيه. ومن نتائج ذلك ما عُرِفتْ به من مصاحف قرآنية هي إحدى المصاحف الخمسة المشهورة في الأمصار الإسلامية التي شاعتْ في زمانها. وقد امتازتْ تلك المصاحف برسمٍ خاص، لذا ظهر لدينا عدد من العلماء المهتمين برسم هذه المصاحف، ومن هؤلاء أبو عمرو الداني، الذي يُعدُّ الحجة والعمدة لكل الدارسين بعده، والحلقة المتينة في سلسلة التصانيف في هذا العلم، ولا سيَّما كتابه (المقنع في رسم مصاحف الأمصار).

من هنا شرعتُ بإحصاء مواضع الرَّسم القرآني التي عُرفتْ بها مصاحفُ أهل الكوفة في كتاب المقنع، ووجدتُ أنَّها جديرةٌ بالبحث والدراسة، فجاء البحث على تمهيدٍ تحدثتُ فيه عن الرسم القرآني والمصاحف القرآنية، وثلاثة مباحث، تناولتُ في الأول منها ما قرأت به مصاحف أهل الكوفة بزيادة الحرف، في حين تناولتُ في المبحث الثاني ما قرأت به مصاحف أهل الكوفة بحذف الحرف، وأمَّا المبحث الثالث، فتناولتُ فيه ما قرأت به مصاحف أهل الكوفة باختلاف الحرف، وهي مسألةٌ واحدةٌ، ثم خاتمة البحث التي تضمنت أهم ما جاء فيه. وكان المنهجُ في الدراسة قائمًا على التحليل والمناقشة لِما عُرفت به مصاحفُ أهل الكوفة من رسم في الكتاب المذكور مع ذكر اختلافات مصاحف الأمصار بالاستعانة بأهم المصادر القرآنية ولا سيَّما كتب القراءات. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

التمهيد: الرسم القرآني والمصاحف القرآنية

الرَّسْمُ في اللغة بمعنى الأثر، جاء في معجم (العين): "الرَّسْمُ بقيّة الأَثَرَ. وتَرَسَّمتُ: نَظَرْتُ إلى رُسُومِ الدّارِ والرَّوْسَم: لوَيْحٌ فيه كتاب منقُوشٌ يُختَم به الطَّعام"[١]. فكأنَّ الرَّسم من شدَّة ثباته يشبهُ اللوحَ الذي نُقِشَ فيه شيءٌ ما، لذا قيل للناقة رَسومٌ؛ لأنَّها تؤثِّر في الأرض من شدّة الْوَطْء. وقد رسمت ترسم رسيما[٢].وَيُقالُ: الثَّوْبُ الْمُرَسَّمُ: الْمُخَطَّطُ[٣]. لذا سنرى أنَّ القرآنَ الكريم عُرِفَ برسمٍ خاصٍّ به، وهو ما عُرِفَ بـ(الرَّسم القرآني).

أمَّا الرَّسمُ القرآنيُّ في الاصطلاح، فهو الرسم والضبط في القرآن الكريم، ويقصد العلماء بهما رسم المصحف أو الرسم العثماني كما يسميه بعض منهم، وهما شيئان مرادفان للمصحف الإمام، وإن كان الضبط يدخل في شكل الكلمات وإعجامها[٤]. وجاء في مناهل العرفان: "رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه. والأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير. لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق"[٥].

إن الرسم القرآني يضع أمامنا انموذجًا صادقًا لما كانت عليه الكتابة العربية في النصف الأول من القرن الهجري الأول، حين كان الناس في تلك الأيام لا يحسُّون بفرقٍ بين كتابتهم وما يجدونه في المصحف، وكان أكثر العلماء يوافقون الرسم المصحفي في كل ما يكتبونه، ولو لم يكن قرآنًا ولا حديثًا، واستمرَّ الأمر على ذلك إلى أن ظهر علماء البصرة والكوفة، وأسَّسُوا لهذا الفن ضوابط وروابط بنَوْهَا على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية، وسمَّوْهَا علم الخط القياسي أو الاصطلاحي المخترَع، وسموا رسم المصحف بالخطِّ المتَّبَع[٦]. وتنحصر معرفة الرسم القرآني في ست قواعد[٧]:

- الحذف: وهو مطرد في الألف، والياء، والواو، واللام، وأحياناً في النون.
- الزيادة: وهي مطردة في الألف، والياء، والواو.
- الهمزات: ولها أوضاع خاصة في أول الكلمة، ووسطها، وآخرها.

- الإبدال: وهو مطرد في إبدال الألف واواً أو ياء، أو تاء التأنيث المربوطة تاء مفتوحة، أو إبدال الثلاثي الواوي ألفاً، أو نون التوكيد الخفيفة ألفاً، وورد في موضعين.
- المقطوع والموصول: نحو قطع (أن لا) أو وصلها.
- ما فيه قراءتان فكتب على إحداهما

واختُلفَ في واضع الرسم القرآني، فبعضهم نسبه إلى الصحابة، وبعضهم نسبه إلى الرَّسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أمَّا قبوله، أو مخالفته بناءً على الرسم القياسي، أي ما يسمَّى بتوقيفية الرسم القرآني من عدمها، فالرَّأي الذي يجب أن يحظى بالقبول هو مذهب الجمهور في وجوب التزام الرسم القرآني في المصاحف، في كل زمان ومكان؛ وذلك خشيةَ تَسَرُّب الفوضى والاضطراب إلى رسمه، لو قمنا بكتابته بالرسم الإملائي المعاصر، قال ابن درستويه: "ووجدنا كتاب الله عز وجل لا يُقاس هجاؤه، ولا يُخالَفُ خطُّه، ولكنه يُتَلَقَّى بالقبول على ما أودع المصحف"(٨).

وإذا أردنا الحديث عن المصاحف القرآنية، فإن من أقعد القواعد في صرح التأليف في الرسم القرآني ومصاحف الأمصار هو كتاب المقنع للإمام أبي عمرو الداني ٤٤٤هـ، وهو ميدان دراستنا في هذا البحث؛ إذ إنَّه الحجة والعمدة لكل الدارسين بعده، والحلقة المتينة في سلسلة التصانيف في هذا العلم، لا يسع الدارس التحدث عن الرسم القرآني أو البحث فيه بمعزل عن كتاب أبي عمرو. والمصاحف العثمانية(٩): هي التي أمر عثمان بنسخها، لما رأى اختلاف الناس في القراءات، فنسخت من المصحف الذي كان محفوظًا بالصدور- ولا شك عندي أنَّه أي: المصحف قد كُتبَ في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وتولى النسخ رجال من قريش وغيرهم. وكانت طريقة الرسم فيها أنهم كانوا إذا وجدوا كلمة فيها أكثر من قراءة، كتبوها صورة تحتمل القراءات المختلفة، وجردوها من النقط والشكل. أما إذا وجدوا أن صورة الكلمة لا يمكن أن تحتمل أكثر من قراءة؛ فرَّقوا في كتابتها، فكتبوها في مصحف وفق قراءة، وفي مصحف آخر وفق قراءة أخرى، وبعد نسخها أمر عثمان بإرسالها إلى الأمصار المشهورة، فوجه بمصحف إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وثالث إلى الشام، ورابع إلى مكة، وترك مصحفًا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفًا وهو الذي يسمى بالإمام، وأرسل عثمان مع كل مصحف قارئًا من

الصحابة يقرئهم، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي مع المصحف الشامي، وأبا عبد الرحمن السُّلمي، وعامر بن عبد القيس مع البصري. فقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم، وقد أجمعت الأمة على ما تضمنته هذه المصاحف من وجوه الرسم وتركوا ما خالفها.

ونحنُ في ضوء الاختلاف في روايات تعدد المصاحف، وعدد الأمصار التي زوّدت بهذه المصاحف لا يعنينا من هذا الخلاف سوى الرسم القرآني الذي عرفت به الكوفة في كتاب المقنع الذي يُعدُّ من المصادر المهمة التي دوّنت الاختلافات في رسم المصحف بين الأمصار.

المبحث الأول: ما قرأتْ به مصاحفُ أهل الكوفة بزيادة الحرف

نظرًا لأهمية الكوفة كحاضرة من حواضر العلم والمعرفة، ولا سيَّما في الحقل القرآني؛ إذ إنَّها كانت من أهم الأمصار التي احتضنت المصحف القرآني رسمًا وتفسيرًا وإعرابًا وقراءةً، ممَّا انعكس فيما بعد ليكون الغالب في كتابة المصاحف الخط الكوفي حتى القرن الخامس الهجري، ثم كُتبت بخط الثلث حتى القرن التاسع الهجري، ثم كتبت بخط النسخ حتى وقتنا الحاضر. وممَّا قرأتْ به مصاحفُ أهل الكوفة بزيادة الحرف الآتي:

١. رسم قوله: "ما تشتهيه الأنفس" بهاءين

غلَّط أبو عمرو الداني بعض شيوخه ليقول إنَّ قراءة مصاحف أهل الكوفة وسائر المصاحف هي "تشتهي" بهاءٍ واحدة، مستندًا في قوله إلى كلام أبي عبيد الذي رآها في مصحف عثمان بهاءين، وفي سائر المصاحف بهاءٍ واحدة، قال: "في مصاحف أهل المدينة والشام "ما تشتهيه الأنفس" بهاءين ورأيت بعض شيوخنا يقول إذ ذلك كذلك في مصاحف أهل الكوفة، وهو غلط، قال أبو عبيد: وبهاءين رأيته في الإمام وفي سائر المصاحف "تشتهي" بهاء واحدة"[١٠].

ويبدو أنَّ أبا عمرو قد جانب الصواب بترجيحه مصحف الإمام يعني عثمان، وتغليطه قول شيوخه؛ ذلك أنَّ حفصًا الكوفي من قُرَّاء الكوفة المشهورين قد قرأ بقراءة المصحف أي: "تشتهيه" بهاءين، وكذلك كثير من القُرَّاء، قال الأزهريُّ بعد ذكره الآية: "قرأ نافع

وابن عامر وحفص (مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) . وقرأ الباقون (مَا تَشْتَهِي) بغير هاء. قال: القراءتان صحيحتان نزلتا في غرضين، والمعنى متقارب"[١١]. وهذا لا يمنع بحسن حذف الهاء من قوله: "تشتهيه" على قراءة بقيَّة القرّاء، ذلك أنَّ حَذْفَ الْهَاء قد جاء على الاخْتصَار، وَالْأَصْل فِي هَذَا إِثْبَات الْهَاء ولكنَّ الحذفَ قد جاء للتَّخْفِيف، وَهُوَ حسن كَمَا تَقول: (الَّذِي ضربت زيد)، وَكَانَ الأَصْل (الَّذِي ضَربته زيد)، فَإِن شِئْت أثبت الْهَاء وَهُوَ الأَصْل؛ لِأَن الْهَاء هُوَ اسْم الْمَفْعُول، وَإِن شِئْت حذفت ذَلِك وحجتهم قَوْله: {أَهَذا الَّذِي بعث الله رَسُولا} وَلم يقل بَعثه الله[١٢].

٢. رسم قوله: "بوالديه إحسانا " بزيادة ألف قبل الحاء وبعد السين

وافق رسم مصاحف أهل الكوفة الرَّسم القرآني في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً﴾ ﴿سورة الأحقاف/ من الآية: ١٥﴾، وأكَّد أبو عمرو الداني ذلك في كتابه المقنع، قائلًا: "وفي الأحقاف في مصاحف أهل الكوفة "بوالديه إحسانا" بزيادة ألف قبل الحاء وبعد السين وفي سائر المصاحف "حُسنا" بغير ألف"[١٣]. قال الفرَّاء: "قرأها أهل الكوفة بالألف، وكذلك هِيَ فِي مصاحفهم، وأهل المدينة وأهل البصرة يقرءون: (حُسْنًا)، وكذلك هِيَ فِي مصاحفهم، ومعناهما واحد والله أعلم"[١٤].

وهناك قراءة ثالثة رواها النحاس عن عيسى بن عمر، قائلًا: إنَّه قرأ: (حَسَنا) بفتح الحاء والسين، فأما «حسنى» بغير تنوين فلا يجوز في العربية؛ لأن مثل هذا لا تنطق به العرب إلّا بالألف واللام الفضلى والأفضل والحسنى والأحسن. وإحسان مصدر أحسن وحسنا بمعناه، وحسن على إقامة النعت مقام المنعوت أي فعلا حسنا"[١٥].

٣.رسم قوله: " قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ " بألف بعد القاف

ذكر أبو عمرو الداني أنَّ مصاحفَ أهل الكوفة جاءت موافقة لقراءة المصحف في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ ﴿سورة الأنبياء/ من الآية ٤﴾ بخلاف سائر المصاحف التي وردت من دون ألف بعد القاف، قال: "وفي الأنبياء في مصاحف أهل الكوفة " قال ربي يعلم القول " بألف وفي سائر المصاحف " قل ربي " بغير ألف"[١٦]. وهذا ما ذكره أبو داود في مصاحفه، قائلًا: "وَفِي الْأَنْبِيَاء أَهْلُ الْكُوفَة {قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ} ﴿الأنبياء: ٤﴾ ، وَأَهْلُ الْمَدِينَة وَأَهْلُ الْبَصْرَة (قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ)"[١٧].

ونُسبَ مثل هذا الرسم إلى قراءة حَمْزَة والكسائي وَحَفْص عَن عَاصِم، وهم كوفيون أيضًا، قال ابنُ مجاهد: " اخْتلفُوا في قَوْله {قَالَ رَبِّي يعلم القَوْل} فَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر وَعَاصِم في رِوَايَة أَبى بكر: (قل ربى يعلم)، وَقَرَأَ حَمْزَة والكسائي وَحَفْص عَن عَاصِم {قل رَبِّي} بِألف، وَكَذَلِكَ هي في مصاحف أهل الْكُوفَة"[١٨]. ووقف النَّحاس عند هذه القراءة، مبيّنًا أيّهما أولى استنادًا إلى السياق، قائلًا: "وفي مصاحف أهل الكوفة قالَ رَبِّي، فقيل: إنّ القراءة الأولى أظهر وأولى؛ لأنهم أسرّوا هذا القول فأظهر الله عليه نبيّه وأمره أن يقول لهم هذا. قال أبو جعفر: والقراءتان صحيحتان. وهما بمنزلة الآيتين، وفيهما من الفائدة أنه صلّى الله عليه وسلّم أمر وأنه قال كما أمر"[١٩].

وثَمَّة فرقٌ لغويّ بين الرَّسمين، ففي رسم أهل الكوفة يكونُ الفعلُ ماضيًا، في حين يكون الفعل في رسم بقية المصاحف أمرًا، فضلًا عن أنَّ رسمَ الفعل في صيغة الأمر يترتبُ عليه إدغام الفعل بما بعده، وهذا ما أشار إليه الأزهري في قوله: " مَنْ قَرَأَ (قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ) فهو فعل ماض وَمَنْ قَرَأَ (قُلْ ربِّي) فهو أمر للنبي صلى الله عليه، واللام مدغمة في الراء عند جميع القراء على قراءة مَنْ قَرَأَ (قُل ربِّي)" [٢٠].

٤. رسم قوله: " أو إن يظهر في الأرض الفساد " بزيادة ألف قبل الواو

اختلف رسمُ المصاحف بين زيادة الألف قبل الواو، وقراءته: (أو)، وبين حذف الألف وقراءة العبارة: (وأن يظهر)، جاء في المقنع: "وفيها في مصاحف أهل الكوفة " أو إن يظهر في الأرض الفساد " بزيادة ألف قبل الواو وروى هارون عن صخر بن جويرية ويشار الناقط عن اسيد إن ذلك كذلك في الإمام مصحف عثمان ابن عفان رضي الله عنه وفي سائر المصاحف " وان يظهر " بغير ألف"[٢١]. وذكر الفراء عددًا ممَّن قرأ بالرسمين، جاء في معاني القرآن: "وأهل المدينة والسلمي قرءوا: ﴿وأن﴾ يُظهرَ فِي الأرض الفسادَ، نصبوا الفساد، وجعلوا يظهر لموسى. وأهل المدينة يلقون الألف الأولى يقولون: وأن يظهر، وكذلك ﴿هِيَ﴾ فِي مصاحفهم. وفي مصاحف أهل العراق: «أَوْ أن يَظْهَرَ»"[٢٢]. ولكنَّه نسب الرَّسم إلى مصاحف أهل العراق دون الكوفة، وكذا فعل ابن داود[٢٣]. وهذا أمرٌ بدهيٌّ بما أنَّ مركز الدراسة القرآنية في العراق كانت الكوفة.

وكان للنحاس توجيهٌ لطيفٌ لرسم مصاحف أهل الكوفة، أو ما يسمّيه هو قراءة أهل الكوفة، بقوله: "وقراءة الكوفيين أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ وكذا في مصاحف الكوفيين بألف وإليه يذهب أبو عبيد، قال: لأن قد تكون بمعنى الواو؛ لأن في ذلك بطلان المعاني، ولو جاز أن يكون بمعنى الواو لما احتيج إلى هذا هاهنا لأن معنى الواو إني أخاف الأمرين جميعا، ومعنى «أو» لأحد الأمرين أي إنّي أخاف أن يبدّل دينكم فإن أعوزه ذلك أفسد في الأرض"(٢٤). فهو ينفي أن تكون أو بمعنى الواو؛ لأنَّ المعنى لا يحتاجُ إلى ذلك؛ لأنَّ الواو تدل على اجتماع الأمرين معًا، بخلاف أو التي تدل على اختيار أحدهما.

ويترتبُ على هذين الرَّسمين اختلافٌ في الحركات البنائية والإعرابية رصده ابن خالويه بقوله: "قَوْله تَعَالَى أَو أَن يظْهر فِي الارض الْفساد يقْرَأ بِأَو وبالواو وبضم الْيَاء وَفتحهَا وبنصب الْفساد وَرَفعه فالحجة لمن قَرَأَ بِأَو أَنه جعل الْحَرْف لأحد الْحَالين على طَرِيق الشَّك اَوْ الْإِبَاحَة لَان لأو فِي الْكَلَام اربعة اوجه الشَّك والاباحة والتخيير وايجاد اُحْدُ الشَّيْئَيْنِ منْهَا كَقَوْله: وأرسلناه الى مائَة الف اَوْ يزِيدُونَ، وَالْحجّة لمن قَرَأَ بِالْوَاو انه جعل الْحَرْف للحالين مَعًا فَاخْتَارَ الْوَاو؛ لأنها جامعة بين الشَّيْئَيْنِ"(٢٥).

المبحث الثاني: ما قرأت به مصاحف أهل الكوفة بحذف الحرف

اشتهرتْ مصاحفُ أهل الكوفة برسمٍ خاص لم يكن العلماء المهتمون برسم المصحف غفلًا عنه؛ ومن مظاهر الرّسم القرآني ظاهرة الحذف؛ وظاهرة الحذف من الظواهر اللغوية التي لا تخلو منها لغة إنسانية، ولكنَّها في العربية أكثر استعمالًا من غيرها، فـ"ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات، لِمَا جُبلت عليه العربية في خصائصها الأصيلة من ميل إلى الإيجاز"(٢٦). ولا تخلو مصاحف أهل الكوفة من هذه الظاهرة في رسم المصحف، ومن مظاهرها:

١. رسم "إبراهيم" بحذف الألف والياء

ذكر أبو عمرو الداني أنَّ معظم المصاحف رسمت لفظ "إبراهيم" بحذف الألف والياء، وبعضها رسمه بقلب الياء ألفًا. قال: "هذا ما اختلف فيه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل المدينة وأهل المدينة السلام وأهل الشام في كتاب المصاحف كتبوا في سورة البقرة

إلى آخرها في بعض المصاحف "إبرهم" بغير ياء، وفي بعضها بالياء قال أبو عمرو وبغير ياء وجدت أنا ذلك في مصاحف أهل العراق في البقرة خاصة"[٢٧]. ويبدو أنَّ هذا الاختلاف في الرَّسم لا يؤثر في دلالة الاسم، فهو لا يعدو أن يكون اختلافًا في الرَّسم وحسب، قال ابنُ مجاهد: "وَاخْتلفُوا فِي قَوْله {إِبْرَاهِيم} فِي الْألف وَالْيَاء، فَقَرَأَ ابْن عَامر "إبرهم" فِي جَمِيع سُورَة الْبَقَرَة بِغَيْر يَاء وَطلب الْألف وَقَرَأَ الْقُرَّاء جَمِيعًا بياء {إِبْرَهِيمُ} وَقَالَ الْأَخْفَش الدِّمَشْقِي عَن ابْن ذكْوَان عَن ابْن عَامر "إبرهام" بِألف بعد الْهَاء"[٢٨]. ومِمَّا يدلُّ على احتفاظه بدلالته الاسمية مهما اختلف بناؤه ما ذكره الآلوسي في تفسيره نقلًا عن الكرماني قائلًا: "وحكى الكرماني في عجائبه أنه اسم عربي مشتق من البرهمة وهي شدة النظر"[٢٩]. فلم يشر إلى شيء في ما يتعلَّق بمعناه سوى هذا المعنى.

وإنَّ السبب الرئيس باختلاف رسم اسم "إبراهيم" هو أعجميَّته؛ إذ إنَّ "إِبْرَاهِيم" اسْم أعجمي دخل فِي كَلَام الْعَرَب، وَالْعرب إِذا أعربت اسْما أعجميا تَكَلَّمت فِيهِ بلغاتها[٣٠]. فنطقتهُ العرب بلهجاتها المختلفة بحسب أدائها الصوتي للحروف.

٢. رسم قوله: " قل كم لبثتم " و " قل إن لبثتم " بحذف الألف بعد القاف

لقد تقدَّم الحديث في مبحث الزيادة عن زيادة الألف بعد القاف في "قال"، ومِمَّا لا شك فيه أنَّ الزيادةَ والحذف مِمَّا يترتبُ عليه تغييرٌ في الدلالة النحويَّة والسياقية. وفي مصاحف أهل الكوفة ورد حذف الألف بعد القاف في قوليه: " قل كم لبثتم " و " قل إن لبثتم "، قال أبو عمرو الداني: "وفيها في مصاحف أهل الكوفة " قل كم لبثتم " و " قل إن لبثتم " بغير ألف في الحرفين وفي سائر المصاحف " قال " بالألف في الحرفين وينبغي إن يكون الحرف الأول في مصاحف أهل مكة بغير ألف والثاني بالألف لأن قراءتهم فيهما كذلك ولا خبر عندنا في ذلك عن مصاحفهم إلا ما رويناه عن أبي عبيد انه قال ولا اعلم مصاحف أهل مكة إلا عليها يعني على اثبات الألف في الحرفين"[٣١]. ونسب الفرَّاء هذا الرَّسم إلى قراءة أهل الكوفة[٣٢]. وعدَّ أبو عبيد اختلاف الرَّسم في هذه الآية من الحروف الخمسة التي اختلفت فيها مَصَاحِفُ الْكُوفَة عن مصاحف الْبَصْرَة[٣٣].

وقد فصَّل ابن زرعة رسم الآيتين بصيغة الأمر، مبيِّنًا اختلاف دلالتي الأمر والمضي، قائلًا: " قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ : "قل كم لبثتم فِي الأَرْض" "قل إِن لبثتم" بِغَيْر ألف فيهمَا

على الْأَمر وَدخل ابْن كثير مَعَهُمَا فِي الأول، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {قَالَ} {قَالَ} على الْخَبَر عَمَّا هُوَ قَائِل أَو من أحب من عباده أَو مَلَائِكَته للمبعوثين يَوْم الْقِيَامَة سَائِلًا لَهُم عَن لبثهم بعد وفاتهم وَهُوَ فعل منتظر وَجرى بِمَعْنى الْمُضِيّ لِأَن أَخْبَار الْقِيَامَة وَإِن كَانَت لم تأت بعد فَهِيَ بِمَنْزِلَة مَا قد مضى إِذْ لَيْسَ فِيمَا مضى شكّ فِي كَونه ووجوبه فَجعلت أَخْبَار الْقِيَامَة فِي التَّحْقِيق كَمَا قد مضى، وَحجَّة من قَرَأَ {قل} أَن الْمَعْنى فِي ذَلِك أَن أهل النَّار قيل لَهُم قُولُوا: {كم لبثتم فِي الأَرْض عدد سنين} على الْأَمر لَهُم بِأَن يَقُولُوا ذَلِك فَأخْرج الْكَلَام على وَجه الْأَمر بِهِ للْوَاحِد وَالْمرَاد الْجَمَاعَة إِذْ كَانَ الْمَعْنى مفهوما وَالْعرب تخاطب الْوَاحِد ومرادهم خطاب جمَاعَة إِذا عرف الْمَعْنى كَقَوْلِه: "يَا أَيهَا الْإِنْسَان مَا غرَّك بِرَبِّك الْكَرِيم" و {إِنَّك كَادِح} وَالْمعْنَى مُخَاطبَة جَمِيع النَّاس"[٣٤]. فدلالة المضي تجعل الحديث عن يوم القيامة مستمرًّا لا يقتصرُ على زمنٍ دون زمن، في حين أنَّ دلالة الأمر تخرجُ الكلام من الواحد إلى الجماعة، وهي أساليبٌ لغويَّةٌ تتسمُ بها لغةُ القرآن الكريم.

٣.رسم قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ بحذف الهاء بعد التاء

جاء في رسم مصاحف أهل الكوفة في قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿سورة يس/ من الآية: ٣٥﴾ حذف الضمير (الهاء) من الفعل (عَمِلَ)، قال أبو عمرو: "وفي يس في مصاحف أهل الكوفة " وما عملت ايديهم " بغير هاء بعد التاء وفي سائر المصاحف " وما عملته " بالهاء"[٣٥]. قال الفرَّاء عن هذين الرَّسمين: كُلٌّ صواب؛ لأنَّ العربَ تضمر الْهَاء فِي صلة الموصول وتظهرها[٣٦]. وحجةُ الكوفيين في حذف الهاء إِجْمَاع الْجَمِيع على حذف الْهَاء فِي قَوْله {مِمَّا عملت أَيْدِينَا أنعاما} و {مَا} فِي قَوْله ليأكلوا من ثمره وَمَا عملت فِي مَوضِع خفض الْمَعْنى ليأكلوا من ثمره وَمِمَّا عملته أَيْديهم[٣٧]. ومِمَّا يُلاحظُ في رسم هذه الآية أنَّ حفصًا قد خالف أهل الكوفة في ما شاع في مصاحفهم. وهذا يعني عدم توافق قرَّاء الكوفة في رسم المصحف، وإن وسم الرسم إلى مصاحف أهل الكوفة إطلاقًا.

٤. رسم قوله: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ﴾ بقلبِ الياء ألفًا وحذف التاء بعد الياء

جاء رسم قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿سورة يونس/ من الآية ٢٢﴾ بحذف التاء من (أَنْجَيْتَنَا) في مصاحف أهل الكوفة، قال أبو عمرو: "في مصاحف أهل الكوفة " لئن انجانا من هذه " بياء من غير تاء وفي سائر المصاحف "لئن انجيتنا" بالياء والتاء وليس في شيء منها بعد الجيم"(٣٨). والملاحظُ في كلام أبي عمرو أنَّه قال بياء "أنجانا" علمًا أنَّها غير مذكورة في مصاحف أهل الكوفة كما يزعم المختصون في رسم المصحف؛ إذ قال ابنُ داود: "وَفِي الْأَنْعَامِ أَهْلُ الْكُوفَةِ {لَئِنْ أَنْجَانَا} ﴿الأنعام: ٦٣﴾، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ (لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا)"(٣٩). فضلًا عن ذلك أنَّه لم يذكرها في رسم الآية، بل اكتفى بالقول: "أنجانا".

ولا حجةَ للكوفيين في اختيار هذا الرَّسم سوى أنَّها وردت في مصاحفهم. أمَّا أصحاب المصاحف الأُخَر وكثيرٌ من القُرَّاء فاحتجوا بورود رسمٍ مثله، قال ابن زرعة بعد أن ذكرَ عددًا من قُرَّاء الرَّسمين: "قَرَأَ عَاصِم وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ {لَئِن أنجانا من هَذِه} بِغَيْر تَاء على لفظ الْخَبَر عَن غَائِب بِمَعْنى لَئِن أنجانا الله وحجتهم أَنَّهَا فِي مصاحفهم بِغَيْر تَاء. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {لَئِن أنجيتنا} بِالتَّاءِ على الْخطاب لله أَي لَئِن أنجيتنا يَا رَبنَا وحجتهم مَا فِي يُونُس {لَئِن أنجيتنا من هَذِه} وَهَذَا مجمعٌ عَلَيْهِ فَردُّوا مَا اخْتلفُوا فِيهِ إِلَى مَا أَجمعُوا عَلَيْهِ"(٤٠).

المبحث الثالث: ما قرأت به مصاحف أهل الكوفة باختلاف الحرف

يترتَّبُ على اختلاف الحرف اختلافٌ في البنية والإعراب أحيانًا، واختلف رسم مصاحف أهل الكوفة عن المصاحف الأُخر من حيث اختلاف الحركة في مواضع قليلة، منها:رسم: " ذي " بالألف دون الياء في قوله: " والجار ذا القربى "

من الثوابت النحويَّة أنَّ (ذا) من الأسماء الستة، التي تُلازمُ الإضافةَ، وتُعربُ بالحروف(٤١). ويُضاف إلى اسم ظاهر، ولا يُضافُ إلّا إلى اسمِ جنسٍ ظاهر غير وصف(٤٢)، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿سورة البقرة/ من الآية ١٠٥﴾، ومن الآيات التي اختُلفَ في رسم (ذو) منها قوله تعالى: وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ؛ إذ رُسمت بالجر؛ لأنَّها نعتٌ للفظ (الجار) المجرور أصلًا. ولكنَّها رُسمتْ في مصاحف أهل الكوفة بالألف دون الياء، جاء في المقنع: "وفي النساء قال الكسائي والفرَّاء في بعض

مصاحف أهل الكوفة "والجار ذا القربى" بألف ولم نجد ذلك كذلك في شيء من مصاحفهم ولا قرأ به أحد منهم"[٤٣]. وعلى وفق هذا الرَّسم ينبغي نصب (الجار)، قال الفرَّاء: "وفي بعض مصاحف أهل الكوفة وعتق المصاحف "ذا القربى" مكتوبة بالألف. فينبغي لمن قرأها على الألف أن ينصب (والجار ذا القربى)"[٤٤].

وهناك توجيهٌ آخر لنصب (ذا)، وهو أن يكون على الاختصاص، قال الآلوسي: "وقرىء- والجار ذا القربى- بالنصب أي وأخص الجار، وفي ذلك تنبيه على عظم حق الجار"[٤٥]. وقد سبق الآلوسي الزمخشريُّ في هذا التوجيه، قائلًا: "وقرئ: (والجار ذا القربى)، نصبا على الاختصاص. كما قرئ: (حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى) تنبيها على عظم حقه لإدلائه بحق الجوار والقربى"[٤٦]. وهو توجيهٌ جديرٌ بالاحترام لما فيه من إشارةٍ إلى حق الجار، وإلزام معاملته بالحُسنى.

فعلى الرَّغم من اختلاف بناء (ذو) أصلًا عند النحويين؛ إذ قال المرادي: "مذهب سيبويه أن "ذو" بمعنى صاحب وزنها فَعَلَ بالتحريك، ولامها ياء، ومذهب الخليل أن وزنها فَعْل -بالإسكان- ولامها واو، فهي من باب قوة. وقال ابن كيسان: محتمل للوجهين جميعا"[٤٧] غير أنَّ اختلاف الإعراب يأتي من اختلاف حرف إعرابها بين الواو والألف والياء.

خلاصة البحث:

بعد رحلةٍ قصيرةٍ في رحاب رسم المصحف وصلتُ إلى عددٍ من النتائج التي لخصت ما جاء في البحث على النحو الآتي:

- اختُلفَ في واضع الرسم القرآني، فبعضهم نسبه إلى الصحابة، وبعضهم نسبه إلى الرَّسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أمَّا قبوله، أو مخالفته بناءً على الرسم القياسي، أي ما يسمَّى بتوقيفية الرسم القرآني من عدمها، فالرَّأي الذي يجب أن يحظى بالقبول هو مذهب الجمهور في وجوب التزام الرسم القرآني في المصاحف، في كل زمان ومكان؛ وذلك خشيةَ تَسَرُّب الفوضى والاضطراب إلى رسمه، لو قمنا بكتابته بالرسم الإملائي المعاصر.

- إنَّ من أقعد القواعد في صرح التأليف في الرسم القرآني ومصاحف الأمصار هو كتاب المقنع لأبي عمرو الداني ٤٤٤هـ؛ إذ إنَّه الحجة والعمدة لكل الدارسين بعده، والحلقة المتينة في سلسلة التصانيف في هذا العلم، لا يسع الدارس التحدث عن الرسم القرآني أو البحث فيه بمعزل عنه.

- إنَّ أبا عمرو الداني قد جانب الصواب بترجيحه مصحف الإمام يعني عثمان، وتغليطه قول شيوخه في رسم "تشتهيه" من قوله: "ما تشتهيه الأنفس" بهاء واحدة؛ ذلك أنَّ حفصًا الكوفي من قُرَّاء الكوفة المشهورين قد قرأ بقراءة المصحف أي: "تشتهيه" بهاءين، وكذلك كثير من القُرَّاء.

- وافق رسم مصاحف أهل الكوفة الرَّسم القرآني في كثيرٍ من الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً﴾ ﴿سورة الأحقاف/ من الآية: ١٥﴾، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ ﴿سورة الأنبياء/ من الآية ٤﴾

- نسب عدد من العلماء بعض مظاهر الرَّسم الخاص بمصاحف أهل الكوفة إلى مصاحف أهل العراق دون الكوفة، ومنهم الفرَّاء، وابن داود. وهذا أمرٌ بدهيٌّ بما أنَّ مركز الدراسة القرآنية في العراق كانت الكوفة.

- إنَّ الاختلاف في رسم (إبراهيم) لا يؤثر في دلالته الاسمية، فهو لا يعدو أن يكون اختلافًا في الرَّسم وحسب، وممَّا يدلُّ على احتفاظه بدلالته الاسمية مهما اختلف بناؤه ما ذكره الكرماني في عجائبه من أنه اسم عربي مشتق من البرهمة وهي شدة النظر، فلم يشر إلى شيء في ما يتعلَّق بمعناه سوى هذا المعنى. وإنَّ السبب الرئيس باختلاف رسم اسم "إبراهيم" هو أعجميَّته؛ إذ إنَّ "إِبْرَاهِيم" اسْم أعجمي دخل فِي كَلَام الْعَرَب، وَالْعرب إِذا أعربت اسْما أعجميا تَكَلَّمت فِيهِ بلغاتها، فنطقتهُ العرب بلهجاتها المختلفة بحسب أدائها الصوتي للحروف.

- خالف حفص رسم مصاحف أهل الكوفة في قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿سورة يس/ من الآية: ٣٥﴾؛ إذ إنَّهم حذفوا الضمير (الهاء) من الفعل (عَمِلَ). وهذا يعني بعدم توافق قرَّاء الكوفة في رسم المصحف، وإن وسم الرسم إلى مصاحف أهل الكوفة إطلاقًا.

- وَهَمَ أبو عمرو في ذكر الياء عند حديثه عن رسم "أنجانا" من قوله {لَئِنْ أَنْجَانَا}، فهيها غير مذكورة في مصاحف أهل الكوفة كما يزعم المختصون في رسم المصحف، فضلًا عن ذلك أنَّه لم يذكرها في رسم الآية، بل اكتفى بالقول: "أنجانا".

الملخص:

إنَّ مرحلة تدوين القرآن الكريم من أهم مراحل المسيرة القرآنية الطويلة الممتدة من عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى يومنا هذا؛ إذ انتقل التدوين من الكتابة على اللِّخاف والجَريد وعظام الحيوانات وجلودها إلى مرحلة جمع المصحف في مدونة واحدة مع تضمينها اختلافات القرَّاء تارةً، واختلافات اللغات (اللهجات) لكلِّ مِصرٍ من الأمصار آنذاك، وهو ما يسمى بـ(مصاحف الأمصار).

وكانت للكوفة بصمتها الكبيرة في الحقل القرآني، فعُرفت أيضًا بمصاحف، كان لعلماء الكوفة والقرَّاء الكبار فيها الدور الأكبر في جمعها وشهرتها. وقد عرف كتاب (المقنع في رسم مصاحف الأمصار)، لأبي عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) اهتمامه بجمع اختلافات رسم المصاحف التي عرفت بها أمصار المدينة والشام والكوفة وغيرها ممَّا شجعنا على استقصاء اختلافات الرسم القرآني التي انمازت بها مصاحف أهل الكوفة. فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على رسم مصاحف أهل الكوفة وذكر اختلافات مصاحف الأمصار معه في الكتاب المذكور آنفًا، فتضمن تمهيدًا تحدثنا فيه عن الرسم القرآني والمصاحف القرآنية، وثلاثة مباحث، تناولتُ في الأول منها ما قرأت به مصاحف أهل الكوفة بزيادة الحرف، في حين تناولتُ في المبحث الثاني ما قرأت به مصاحف أهل الكوفة بحذف الحرف، وأمَّا المبحث الثالث، فتناولتُ فيه ما قرأت به مصاحف أهل الكوفة باختلاف الحرف، وهي مسألةٌ واحدةٌ، ثم خاتمة البحث التي تضمنت أهم ما جاء فيه. وكان المنهجُ في الدراسة قائمًا على التحليل والمناقشة لِما عُرفت به مصاحفُ أهل الكوفة من رسم في الكتاب المذكور مع ذكر اختلافات مصاحف الأمصار بالاستعانة بأهم المصادر القرآنية ولا سيَّما كتب القراءات.

الهوامش:

(١) العين (رسم) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٧/ ٢٥٢.

(٢) ينظر الصحاح (رسم) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٥/ ١٩٣٢.

(٣) ينظر معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (رسم): ٢/ ٣٩٣.

(٤) ينظر تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن "مطبوع ضمن كتاب دليل الحيران على مورد الظمآن"، أبو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي، المغربي الفاسي (المتوفى: ١٠٩٠هـ)، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ٤٧٣.

(٥) ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه/ ط٣: ١/ ٣٦٩ .

(٦) ينظر دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، دار المنار، ط٢/ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م: ١١٩.

(٧) ينظر تفصيل هذه القواعد في: الإتقان، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط (٣) ، ١٤٠٥ ه: ٤ / ١٤٧ - ١٥٨، ولطائف الإشارات، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ) ، تحقيق: الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة/ ١٣٩٢ه: ١ / ٢٨٨ - ٣٠٦، وإيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام، لمحمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٦٣ هـ) ، مكتبة المعرفة - حمص، ط (٢)/ ١٣٩٢ هـ: ٤١ - ٦١.

(٨) ينظر الكُتَّاب، لابن درستويه، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، الكويت/١٣٩٧: ١٦.

(٩) ينظر فضائل القرآن للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)،ط١/ ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م: ٢٨٢، والانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، ط١/ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: ١/ ٩٨، والمقنع في رسم مصاحف

الأمصار، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٤، والبرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١/ ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م: ١/ ٢٣٦.

(١٠) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١١١.

(١١) معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م: ٢/ ٣٦٨.

(١٢) ينظر حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة: ٦٥٤.

(١٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ١١١.

(١٤) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١: ٣/ ٥٢.

(١٥) إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٢١ هـ: ٤/ ١٠٨.

(١٦) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ١٠٨.

(١٧) كتاب المصاحف، أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ١٥٥.

(١٨) كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط٢/ ١٤٠٠هـ: ٤٢٨.

(١٩) إعراب القرآن: ٣/ ٤٦.

(٢٠) معاني القراءات للأزهري: ٢/ ١٦٣.

(٢١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ١١٠.

(٢٢) معاني القرآن: ٣/ ٧.

(٢٣) المصاحف: ١٥٠.

(٢٤) إعراب القرآن: ٤/ ٢٣.

(٢٥) الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط٤/ ١٤٠١ هـ: ٣١٣.

(٢٦) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعيَّة الإسكندريَّة (د.ت):٩.

(٢٧) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ٩٦.

(٢٨) كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط٢/ ١٤٠٠هـ: ١٧٠.

(٢٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤١٥ هـ: ١٥/ ٣٢٣.

(٣٠) ينظر حجة القراءات: ١١٤.

(٣١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ١٠٩.

(٣٢) ينظر معاني القرآن: ٢/ ٢٤٣.

(٣٣) ينظر فضائل القرآن: ٣٣٢.

(٣٤) حجة القراءات: ٤٩٣.

(٣٥) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ١٠١، ١١٠.

(٣٦) ينظر معاني القرآن: ٢/ ٣٧٧.

(٣٧) ينظر حجة القراءات: ٥٩٨.

(٣٨) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ١٠٧.

(٣٩) المصاحف: ١٥٥. وينظر السبعة في القراءات: ٢٥٩، ومعاني القراءات: ١/ ٣٦١.

(٤٠) حجة القراءات: ٢٥٥.

(٤١) ينظر المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط١/ ١٩٩٣م: ٣٣، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: ١/ ٦٤،

(٤٢) ينظر شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ)، قدم له:

الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ١/ ١٥٤، وشرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط١/ ١٤٢١ه - ٢٠٠٠م: ١/ ٦٩٣.

(٤٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ١٠٧.

(٤٤) معاني القرآن: ١/ ٢٦٧.

(٤٥) روح المعاني: ٣/ ٢٨.

(٤٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣/ ١٤٠٧ هـ: ١/ ٥٠٩.

(٤٧) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م: ١/ ٣١٩ – ٣٢٠.

المصادر:

١.الإتقان، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط (٣) ، ١٤٠٥ ه.

٢.إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٢١ هـ.

٣.الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، ط١/ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤.أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥.إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام، لمحمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٦٣ هـ) ، مكتبة المعرفة - حمص، ط (٢)/ ١٣٩٢ هـ.

٦.البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١/ ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
٧.تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن "مطبوع ضمن كتاب دليل الحيران على مورد الظمآن"، أبو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي، المغربي الفاسي (المتوفى: ١٠٩٠هـ)، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٨.توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٩.الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط٤/ ١٤٠١ هـ.
١٠.حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
١١.دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، دار المنار، ط٢/ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٢.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤١٥ هـ.
١٣.السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط٢/ ١٤٠٠هـ.
١٤.شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط١/ ١٤٢١ه - ٢٠٠٠م.

١٥.شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٦.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٧.ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعيَّة الإسكندريَّة (د.ت).
١٨.العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٩.فضائل القرآن للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ط١/١٤١٥ هـ -١٩٩٥م.
٢٠.الكُتَّاب، لابن درستويه، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، الكويت/١٣٩٧ه.
٢١.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣/ ١٤٠٧ هـ.
٢٢.لطائف الإشارات، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ) ، تحقيق: الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة/ ١٣٩٢ه.
٢٣.المصاحف، أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤.معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.
٢٥.معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١.
٢٦.معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٧.المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط١/ ١٩٩٣م.
٢٨.المقنع في رسم مصاحف الأمصار، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٢٩.مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه/ ط٣.

دراسة الجانب الفكري والعلمي لمدينة الكوفة

م٠ د. عدنان حسن موسى سلمان العبيدي
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى اله وصحبه الغر الميامين وبعد

فإن البحث في تأريخ الحركة الفكرية والعلمية في الدولة العربية الإسلامية في عصورها الأولى من المواضيع التي تحتاج إلى الدقة والإمعان وذلك لأن هذه المرحلة التاريخية تعد بداية التكوين الفكري للحضارة العربية الإسلامية، وتحتاج إلى جهد في معرفة ظهور العلوم وتدوينها، وما يخصنا هنا هو مدينة الكوفة قدر تعلق الأمر بموضوع دراستنا.((دراسة الجانب الفكر والعلمي لمدينة الكوفة)) والذي يعدُ موضوعا حيوياً ،لان الأحداث العسكرية والفتوحات والتحولات السياسية والتكوينات الحزبية التي شهدها العراق في هذه المرحلة جعلت أغلب المصادر تهتم بالجانب السياسي بينما لم تكن هناك اشارات كافية وصريحة في تلك المصادر رغم وفرتها عن الرحلات العلمية والفكرية لمدينة الكوفة. اضافة الى ذلك فان بعض تلك المصادر تشير الى المدينة باسم العراق او العراقيين ولا تتعرض الى تفاصيل الصلات والرحلات العلمية في هذه المدينة مما تطلب مجهودا واسعا من خلال التفتيش والبحث في بطون الكتب وبين السطور اوصلتنا الى نتيجة حتمية وهي ان الكوفة كانت في مقدمة المدن الاسلامية التي عرفت التبادل الثقافي بين علمائها منذ العصور الاسلامية الاولى.

واقتضت طبيعة البحث الى تقسيمه على مطالب عديدة شملت تسمية وتمصير الكوفة وتخطيطها ونزول القبائل فيهما والتكوين الاجتماعي للمجتمع الكوفي.اهم الانشطة الثقافية والعلمية والفكرية في مدينة الكوفة وخاتمة بينت فيها نتائج مهمة توصلت اليها من خلال هذه الدراسة السريعة اسأل الله أن يكون عملي خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به المسلمين ، فما كان فيه من صواب فهو فضل الله ، وما كان فيه من نقص وخلل فمن نفسي والشيطان ، فعمل البشر لا يخلو من نقص وخلل ، وعذري أني بذلت غاية جهدي واستطاعتي ، فأستغفره تعالى مما زلّ به قلمي ، وأخطأ به لساني ٠

المطلب الاول الكوفة في اللغة والاشتقاق

تعددت الآراء في تسمية مدينة الكوفة بهذا الإسم، فقيل إن القائد سعد بن أبي وقاص، (ت:٥٥هـ/٦٧٥م) عندما وصل إلى الكوفة أمر جيش المسلمين بأن يتجمعوا فقال لهم تكوفوا أي تجمعوا، وقيل لأنها كانت على شكل أكوام صغيرة من التراب الأحمر تسمى (كوفان) من الإلتمام والتكوف[1].

ويذكر ياقوت الحموي بإن الكوفة تلك الأرض الرملية السهلة المتجمعة ويشير إلى قول أحد الشعراء:

ألا هل من سبيل الى نظرة ألا هل من سبيل الى نظرة
ألا هل من سبيل الى نظرةٍ بكوفان يحيى بها الناظران
وهل أبكرن وكثبانها لوح كأودية الشاهجان

ويقال أيضاً إن الإمام علي٤٠-٣٥) هـ/٦٥٥-٦٦٠م) كان إذا أقبل على الكوفة يقول:

ياحبذا مقامنا بالكوفة أرض سواء سهلة معروفة
تعرفها جمالنا العلوفة.

ويمكن القول إن أغلب المصادر العربية ترى إن أسم الكوفة يعني الأرض الحمراء المستديرة الشكل أما تمصيرها فإنها مصرت عام (١٧هـ/ ٦٣٨م) بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب لجعلها القاعدة العسكرية الثانية الى جانب البصرة حيث أصبحت تمثل الجانب الشرقي لمدينة الحيرة والجانب الغربي للفرات، وذلك ليحكم سيطرته على العراق، وبذلك يكون الغرض الأول من التمصير عسكرياً لاستكمال عمليات الفتح العربي الإسلامي

وعندما نزل الفاتحون المسلمون الكوفة كتب إليهم الخليفة عمر رضي الله عنه أن يختاروا لهم المكان الملائم والمناسب ولا يجعلوا حواجزاً تفصلهم عن دار الخلافة وبالفعل أُختير هذا الموقع الملائم عسكرياً حيث تتوفر فيه سبل المعيشة من مياه ومراعٍ لذلك فتمصير الكوفة أصبح مثل جارتها البصرة ذا أهمية من جوانب عدة، ففي الجانب العسكري مثلت قاعدة للجيوش الإسلامية وسط العراق، وفي الجانب التجاري أصبحت مركزاً

مهماً لتبادل السلع التجارية، لموقعها المفتوح على الصحراء العربية فتكون عملية النقل سهلة[٢] .

وبعد التمصير نزلها خيرةُ الصحابة وكبارهم حتى قيل: ((هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة ( ) وسبعون من أهل بدر

ومن هنا تبدأ أهمية الكوفة ومكانتها العلمية والفكرية، حيث أرسل الخليفة عمر إلى أهل الكوفة قائلاً: ((اما بعد فإني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً وقد جعلت بن مسعود على بيت ما لكم وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما...)

وقد خطط سعد بن أبي وقاص المسجد ودار الإمارة وأمر ببنائها، ثم خطط الأماكن لنزول القبائل فيها( ). وبعد وضع الخطط للقبائل التي نزلت الكوفة بدأت الصورة الجديدة للمجتمع الكوفي والذي لابد من الوقوف عنده قليلاً لاسيما إن تكوين هذا المجتمع يختلف نوعاً ما عن المجتمع البصري، وذلك لأهمية من نزل الكوفة من الصحابة ثم التابعين، إضافة إلى أهمية القبائل التي سكنتها مثل قبائل اليمن، فقد نزلها ما يقارب عشرون ألف من اليمنيين( )، إضافة إلى كبار الأسر العلمية التي سوف نبينها. وقد نُظِمت تلك القبائل فحددت الطرق والسكك التي تسمى بالمناهج( )، وتقسمت القبائل إلى نظام الأسباع أي كل قبيلة مع حليفتها في جهة معينة، مثل ما حدث في البصرة[٣]

وكان المجتمع الكوفي وريث المجتمع الحيري ذلك المجتمع الذي عرف بالرقي الحضاري والفكري فحلت الكوفة محلها، وكانت مدينة الحيرة الخاضعة للحكم الفارسي قدجعلوها مرفأً تجارياَ للسفن وحاضرة ثقافية.

وقد شُجع الناس للرحلة إليها وسكنها، مما أدى إلى إندماج الثقافات المتعددة، فكان سكان هذه المدينة خليطاً من الفرس والعرب من أهل اليمن والمسيح واليونان وكانت تقام بها المجالس العلمية وبها تذكر الأخبار والقصص وفنون الخط والكتابة وحلقات الشعر. وقد ورثت الكوفة كل هذا الكم الكبير من الثقافات وأطرتها بالأطر الإسلامية مما يجعلنا نقرر إن المجتمع الكوفي أرقى ثقافياً من المجتمعات الإسلامية الاخرى حتى قيل ورثت الكوفة عن الحيرة الحضارة التي تميز أهلُها بِأنهم أرقى عقلاً وتمدناً من عرب

الجزيرة، بالإضافة إلى ما كانت لدى الحيرة من عقليات وثقافات متعددة ، ففيها الأثر الفارسي المعروف بالقدم الحضاري، وكان الفرس يجلبون الأسرى اليونان وفيهم الطبيب والمهندس وبقي أثر هؤلاء واضحا حتى إنه في حكومة الإمام علي شكى الناس إليه قائلين: ((غلبتنا هذه الحمراء على قربك- يعني العجم))

وقد وفد إليها أصناف العلماء عند تمصيرها ونزول الصحابة فيها فأصبحت الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين في كثرة فقهائها، ومحدثيها والقائمين بعلوم القرآن، وعلوم اللغة العربية، بعد أن أتخذها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة، وبعد أن أنتقل أقوياء الصحابة ... وفقاؤهم إليها.(٤)..

ونقل ابن منظور عن ابن سيدة: «الكوفة بلد سُمّيت بذلك؛ لأنّ سعداً لّما أراد أن يبني الكوفة ارتاد لهم وقال: تكوفوا في هذا المكان. أي: اجتمعوا فيه، وقال المفضل: إنّما قالوا: كوفوا هذا الرمل. أي نحُّوه وانزلوا، ومنه سُميت الكوفة»(٥).

وقال الكسائي: «كانت الكوفة تُدعى كوفان». وفيها قال أبو نؤاس:

ذهبت بنا كوفان مذهبها وعدمت عن ظرفائها خير

«ويقال لها أيضاً: كوفة الجند. لأنّه اختطت فيها خطط العرب أيام عثمان، وفي العباب أيام عمر خططها السائب بن الأقرع بن عوف الثقفي، وفي هذه التسمية قال: عبدة بن الطيب العبشمي(٦):

إنّ التي ضربت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودّها غول

المطلب الثاني : نشأة العلوم الدينية وتطورها في الكوفة حتى نهاية العصر الإموي ١٣٢ هـ/٧٤٩م

١- علوم القرآن:

أ-علم القراءات : هو العلم الذي يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، أو تنظيم المتواتر والمختلف عند الناس في القراءات، وهو مستمد من العلوم العربية، والغرض من هذا هو حفظ كلام الله تعالى من التحريف والتغيير( ).

ويعد هذا العلم أول العلوم الدينية أرتباطاً بالقرآن الكريم، فكان أول عمل يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم هو إقراء الناس القرآن، والناس تسمع قراءته، فكان يقول:((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).[٧]

وزاد الإهتمام بعلم القراءات ، بسبب اختلاط العرب بالأقوام الأخرى التي دخلت الإسلام وهؤلاء الداخلون الجدد في الإسلام يصعب عليهم الفهم الكامل للمعاني والنصوص القرآنية، فأصبح الإهتمام بالقراءات ضرورة ملحة، وبذلك تعددت القراءات وظهرت سبع أنواع من القراءات، كلٌ حسب لهجته وأقبالهم على قراءة بعض ألأئمة دون بعضهم( ) ، وقد أقر الرسول ذلك قائلاً : ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه))[٨] . والكوفة فتعد من أوائل الأمصار العربية الإسلامية التي اعتنت عناية كبيرة بالدراسات القرآنية، منذ تأسيسها ونزول الصحابة فيها، فكان اول عمل قام به عبد الله بن مسعود عندما نزل الكوفة تعليم الناس قراءة القرآن، وأصبح أستاذ مدرسة الكوفة في عهده، فتخرج على يده الكثير من علماء القرآن والقراءات مثل أبي عبد الرحمن السلمي الكوفي (ت:٧٤هـ/ ٦٩٣م)، ولد في حياة النبي، وتتلمذ على يد الإمام علي رضي الله عنه ، وأخذ علوم القرآن والفقه منه ، عرف بمجالسه العلمية الخاصة بالقرآن والقراءات( )، وبقي في مسجد الكوفة أربعين سنة يقرئ القرآن للناس، وزر بن حبيش العطاردي الكوفي(ت:٨٣هـ/٧٠٢م)، من كبار التابعين، جالس الخلفاء الراشدين وكبار العلماء ، من الثقات المعروفين، أصبح عالماً بالقرآن والقراءات في الكوفة في زمانه .[٩]

وقد تبلورت هذه المساعي بشكل أوسع عندما إتخذت الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية(٣٦-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦٠م) لتصبح منارة العلم حتى قيل: ((من أراد معرفة الحلال والحرام فليأتي أهل الكوفة))( ) ومن علماء الكوفة الاخرين ممن اشتهر بالقراءات وصنف فيها:

ـ علقة بن قيس النخعي الكوفي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم(ت:٦٢هـ/ ٦٨١م)، كان عالماً حافظاً للقرآن، تتلمذ على يد الإمام علي رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، أصبح أستاذ أهل الكوفة في هذا المجال في العصر الإموي وكانت له مجالسه

الخاصة في قراءة القرآن كان عبد الله بن مسعود يقول له حين يقرأ القرآن: ((رتل فداك أبي وأمي))[١٠]

مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي (ت: ٦٣هـ/ ٦٨٢م)، من كبار علماء القرآن والقراءات في الكوفة أخذ هذا العلم عن الخلفاء الراشدين والصحابة( )، وكانت مهمته الأولى بالكوفة تعليم الناس القرآن

ـ الأسود بن سريع الكوفي(ت:٧٥هـ/٦٩٤م)، من الصحابة وكبار علماء الكوفة وحفاظها، إهتم بقراءة القرآن وأخذ عن كبار الصحابة مثل الخليفة عمر ، والإمام علي، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، كان يعقد المجالس الخاصة بقرآءة القرآن للصبيان في الكوفة ويطلب منهم ان يعرضوا عليه قراءتهم وهو يجيزلهم ذلك[١١]

ـ عبيد بن نضلة الخزاعي الكوفي الصحابي(ت:٧٥هـ/ ٦٩٤م)، تعلم قراءة القرآن وضوابطها من الإمام علي وعبد الله بن مسعود( )، ويسمى مقرء أهل الكوفة[١٢] .

ـ طلحة بن مصرف الهمداني الكوفي(ت: ١١٢هـ/٧٣٠م) سيد قراء الكوفة في العصر الإموي ( )، كثراقبال الناس على مجلسه لسماع وتعلم التجويد والقراءة( ).

ـ عاصم بن بهدله المعروف بعاصم بن أبي النجود الكوفي من القراء السبع (ت:١٢٧هـ/ ٧٤٤م) قراءعلى أبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش وعرف بمقرء العراق حتى وفاته( )، كان يجمع الناس في مسجد الكوفة ويعلمهم القراءة ويؤكد على الحركات الإعرابية في القراءة، تنقل في الأمصار ومنها البصرة يقرء عليهم ويعلمهم أسلوب وطرق القراءة ( ).

ـ أبان بن تغلب الربعي الكوفي: (ت: ١٤١هـ/ ٧٥٨م): من كبار علماء الكوفة في القراءة واللغة والنحو العربي، وتفرع بالحديث والفقه والتاريخ ، وأبرز مصنفاته في علم القراءات (كتاب القراءات)، (كتاب معاني القرآن)، (كتاب غريب القرآن)

ـ حمزة بن حبيب الزيات الكوفي: ولد سنة (٨٠هـ/٦٩٩م) و(ت:١٥٦هـ/٧٧٢م)، أحد القراء السبع( )، من مصنفاته بالقراءات، (كتاب القراءة) و(كتاب حدود آي القرآن) و(كتاب أسباع القرآن) و(كتاب مقطوع القرآن وموصوله) و(كتاب الوقف والابتداء).

مما تقدم يتضح إن الكوفة أكدت منذ تمصيرها وبشكل كبير على علم القراءات وخصصت الكوفة مجالس لهذا الغرض، وأخذ طلاب المدينتين يترددون بينهما. وقد أكدت البصرة على القراءة في الجانب اللغوي، والكوفة في الجانب والأسلوب الديني، فكان لعلمائهم الأثر الريادي في الحياة العامة ، حتى في المعارك نجدهم يقرءون الناس مختلف القراءات كما في حروب الإمام علي حيث كان معه كبار قراء المدينتين يعظون ويعلمون.

ثانيا علم التفسير:

التفسير لغةً: هو التبيان والإيضاح والكشف عما يدل عليه الكلام كقوله تعالى((وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا))[١٣]وهو بذلك بيان وإظهار المعنى الخفي، أي فسر الشيء يفسره أي يبنه، ويعني الكشف عن معنى الألفاظ وإظهارها.

التفسير اصطلاحاً:

وهو العلم الذي يتم التعرف به على معاني القرآن وكلماته من أمر ونهي، وهو بذلك يعني البحث عما أراده الله بكتابه العزيز ، وفهم هذا الكتاب من معانيه وأحكامه وحكمه وأسباب نزوله[١٤]

ففي البصرة بدأت ملامح الإهتمام بعلم التفسير منذ البدايات الأولى لتمصيرها، فكان الصحابي أبي موسى الأشعري يعلم الناس القرآن ويفسره آية آية، ويقسم أتباعه على مناطق البصرة في حلقات علمية لتعليم وتفسير القرآن ويقوم هو بالإشراف على تلك الحلقات العلمية.[١٥]

واهتمت الكوفة اهتماماً واسعاً في علم التفسير ابتداءً من العصر الراشدي، واستقطبت الكثير من الصحابة والتابعين، وأصبحت بها مدرسة خاصة بالقرآن وعلومه، فكان لها أثرها الفاعل في تخريج مجموعة من طلاب العلم، سواء بالقراءات أو التفسير[١٦].

وعلم التفسير بالكوفة قد بدأ وتطور بمرحلتين: الأولى، في العهد الراشدي بزعامة الإمام علي ، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر(ت:٣٧هـ/ ٦٥٧) وغيرهم( )، والثانية في العصر الأموي ومن أبرز من اشتهر وصنف بهذا العلم في الكوفة:

ـ ميثم بن يحيى التمار الكوفي الأسدي (ت: ٦٠هـ/ ٦٧٩م): أخذ عن الإمام التفسير وجمع في ذلك كتاب، وكان عبد الله بن عباس يسأله عن التفسير ويكتب عنه ( )، صنف (كتاب تفسير القرآن)

- سعيد بن جبير الأسدي الكوفي : ولد سنة (٤٥هـ/٦٦٥م) و(ت:٩٥هـ/٧١٤م) أخذ علمه عن عبد الله بن عباس، كان يجلس إليه يكتب عنده تفاسير ألآيات( ) صنف كتاب (تفسير القرآن)

ـ ميثم بن يحيى التمار الكوفي الأسدي (ت: ٦٠هـ/ ٦٧٩م): أخذ عن الإمام التفسير وجمع في ذلك كتاب، وكان عبد الله بن عباس يسأله عن التفسير ويكتب عنه ( )، صنف (كتاب تفسير القرآن) .(١٧)

- سعيد بن جبير الأسدي الكوفي : ولد سنة (٤٥هـ/٦٦٥م) و(ت:٩٥هـ/٧١٤م) أخذ علمه عن عبد الله بن عباس، كان يجلس إليه يكتب عنده تفاسير ألآيات( ) صنف كتاب (تفسير القرآن) .(١٨)

عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي: من كبار رواة الحديث وأصحاب التفسير ولد في زمن خلافة الإمام علي رضي الله عنه و(ت:١١١هـ/٧٢٩م)، عرض تفاسيره على عبد الله بن عباس والإمام الباقرعليه السلام صنف كتاب بالتفسير من خمسة أجزاء يسمى(تفسير عطية العوفي).

- زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (زيد الشهيد): ولد سنة(٧٩هـ/٦٩٨م)، و(ت:١٢٢هـ/٧٤٠م)، كان عالماً بالقرآن والقراءات والتفسير والحديث والفقه وكثير من العلوم والمعارف، عرف بثورته ضد السلطات الإموية في حكم هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) أصبح لديه تلاميذ من مختلف الأمصارصنف في تفسير القرآن (تفسير غريب القرآن.(١٩)

- إسماعيل بن عبد الرحمن المعروف بالسدي الكبير الكوفي:(ت: ١٢٧هـ/ ٧٤٤م) من كبار مفسري القرآن بالكوفة، طاف الأمصار طلباً للعلم، أخذ علم التفسير عن أنس بن مالك والإمامين الباقر والصادق كان يجلس في مسجد الكوفة يقرئ الناس ويفسر لهم،

صنف كتاب(تفسير السدي الكبير)، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم ومن الكتب المعتمدة في التفسير(وكتب عن الناسخ والمنسوخ في آيات القرآن.[٢٠]

- جابر بن يزيد الجعفي الكوفي(ت: ١٢٨هـ/ ٧٤٣م): من كبار علماء القرآن، والتفسير بالكوفة، تعددت معارفه لتشمل الحديث والفقه ، روى عن الامام محمد الباقرعليه السلام، أحاديث تشمل مختلف الأمور الدينية، ومن أبرز مصنفاته في التفسير،(كتاب تفسير جابر الجعفي

- أبان بن تغلب : ممن إشتهر بعلوم القرآن وتفسيره، من مصنفاته بعلم التفسير(كتاب تفسير غريب القرآن)، (كتاب معاني القرآن) [٢١] .

علم الحديث :

الحديث لغةً: بمعنى الحديث عن الشيء، وهذا معروف عن كلام العرب عندما يتكلمون عن أيامهم فيسمونها أخبار وأحاديث، وبذلك هو الكلام الذي صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الحديث اصطلاحاً: هو ما يروي عن النبي من قول وفعل وتقرير، وهو ما نقله الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كل نواحي الحياة، وكل ما أكمله النبي ووافق عليه أو رفضه، وأصبح هذا العلم ذا أهمية بالغة عند المسلمين، لأنه يمثل مصدر التشريع الثاني بعد القرآن الكريم فالأحاديث النبوية أتت لتبين وتوضح ما خفي وأختلط على الناس من التشريع الإلهي، وهو متمم للقرآن، لأن ما قاله الرسول هو عن الوحي الإلهي وقد ورد في قوله تعالى وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ))[٢٢].

الكوفة لقد اعتنت عناية كبيرة بالحديث النبوي، وسبقت غيرها من المدن الإسلامية بهذا المضمار، فمنذ العصر الراشدي اهتمت مدرسة الكوفة بالحديث ، روايةً وسنداً، وتوج هذا العمل بجعلها عاصمة الخلافة الإسلامية، حيث كان الإمام علي رضي الله عنه يخطب بالناس في مسجد الكوفة والناس حوله تسمع وتدون ما يقول وتسأله من أين هذا العلم، يخرج لهم صحيفة جمع فيها كل ما سمعه وأخذه عن الرسول عليه الصلاة والسلام وشهد مسجد الكوفة حلقات الحديث ووفدت إليها الناس تسمع من الصحابة،

أمثال حذيفة بن اليمان(ت:٣٥هـ/ ٦٥٥م)( )، وعمار بن ياسر، وأبي رافع (ت:نحو٤٠هـ/٦٦٠م) مولى الرسول ﷺ وغيرهم الكثير. وقد شملت كتب الحديث أغلب أحاديث أهل الكوفة[٢٣] .

فأصبحت الكوفة بين علم الإمام عل رضي الله عنه ومدرسة عبد الله بن مسعود وحلقات الصحابة المحدثين، مرتعاً لطلاب العلم والمعرفة وقد أدى ازدياد توافد طلبة العلم إليها إلى الاندماج الفكري وتطور الدراسات العقلية بكل اتجاهاتها [٢٤].

أما في العصر الأموي، فقد ظهرت المصنفات العديدة في علم الحديث [٢٥] .

وترأس مدرسة الحديث في الكوفة مجموعة من العلماء منهم، علقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي(ت:١٠٣هـ/٧٢١م)، ومثلهم الكثير ممن أرسى دعائم هذه المدرسة ، حتى قيل أن الكوفة أول من عملت بالتفتيش عن سند الحديث في وقت لم تكن قد تبلورت تلك المفاهيم حول نقد الحديث وسنده، والذي عرف في ما بعد بـ(الجرح والتعديل) فالشعبي، أول من عمل بهذا المجال، فكان يسأل بعض الصحابة وكبار التابعين عن سلسة الحديث هل هو مباشر من الرسول أم من غيره، وقيل أنه سئل إحدى الصحابيات أن تحدثه بحديث سمعته من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرةً، قائلاً لها : ((حدثيني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسنديه إلى أحد غيره) .[٢٦]

ولأجل أن نبرز أهمية علم الحديث بالكوفة سوف نذكر أبرزمن اشتهروصنف في هذا العلم منهم:

- ميثم التمار: جمع أحاديث النبي وآل بيته، أخذها من الإمام علي عليه السلام، وأصبح لديه كتاب يسمى (كتاب الحديث وهو من الكتب المعتمدة في الحديث بقى يتداوله أبناؤه حتى نهاية القرن السابع الهجري.

- الحرث بن عبدالله الهمداني الكوفي: (ت:٦٥هـ/٦٨٤م) من كبار علماء الحديث، أخذ منه الشعبي ومحمد بن سيرين أصول الحديث( )، صنف كتاباً جمع فيه أحاديث الإمام علي ﷺ، بقى متداولاً طيلة العصر الإموي، والعباسي(١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م).[٢٧]

-عبيد الله بن الحر الجعفي الكوفي: (ت: ٦٨هـ/ ٦٨٧م)، من فرسان وشعراء العرب، من محدثي الكوفة المعروفين( ) صنف كتاباً، جمع فيه عدة أحاديث أخذها عن الإمام علي عليه السلام[٢٨].

مما تقدم يتضح لنا أن علم الحديث بلغ غايته بالعراق، ثم انتشر في باقي الأمصار، فعلماء مدينتي البصرة والكوفة هم من وضع مقدمات وأسس الحديث روايةً وتدويناً. فعندما بادرت الكوفة بتدوين الحديث والتأكيد على روايته، شجعتها البصرة، فتعاونا معاً في البحث عن أسانيد الحديث، وكثرت بين علماء المدينتين الرحلات لمعرفة علوم الحديث وكان للتشجيع على تدوين الحديث أثره الفعال في تأسيس مدارس للحديث في المدينتين، فعالم البصرة أنس بن مالك، أعلن وبصراحة موافقته العمل مع علماء الكوفة بتدوين الحديث(فأصبح العراق مدرسة الحديث، كل من أراد أن يعرف صحة الحديث أو سنده يذهب إلى العراق، لكثرة من تخصص بهذا الجانب.

علم الفقــه: الفقه لغةً: هو العلم بالشيء والفهم له، وهو الفطنة على الشيء كما في قوله تعالى ((قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ)) [٢٩]فهو فهم الشيء ومعرفة تفاصيله فيقال أتى فلان فقهاً.

الفقه اصطلاحاً: هو العلم الذي يهتم ويتولى الأحكام الشرعية بفروعها وطرقها المختلفة، المأخوذة من الأدلة القرآنية والسنن النبوية، فهو علم يختص بالعبادات والمعاملات وطرق معالجتها قال الرسول عليه الصلاة والسلام ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) [٣٠] .

في **الكوفة** لعلم الفقه أثرة الواضح في العالم الإسلامي خاصة وإن مدينة الكوفة قد تولت هذه المهمة منذ وقت مبكر، وكان علماء الكوفة الأوائل الذين أشرنا إليهم قد وضعوا المقدمات الأولى لهذا العلم، فكانت لضروريات الحياة الملحة في تلك المرحلة أهمية خاصة وإن المجتمع الكوفي ذات الثقافة المتنوعة بحاجة إلى معرفة الأحكام والقضايا التي لا يوجد في القرآن والسنة حكم أو حل لها، فتصدر علمائها لهذه المهمة وأخذوا يستنبطون الأحكام ويأخذون بالرأي والقياس الذي يطابق حكم القضية، وكان عبد الله بن مسعود يستعمل الرأي في بعض الأحكام، ومن هنا نلاحظ الإهتمام بعلم الفقه

كعلم له استقلاليته وحاجته الماسة منذ بدايات العصر الراشدي، ثم تبدأ المرحلة الثانية في العصر الإموي والتي جعلت الكوفة مدرسة للفقه الإسلامي بمعناها الحقيقي، فقد برز فيها الكثير من علماء الفقه ممن ذكرناهم في علوم القرآن والحديث لإن سمة العلماء في العصور الإسلامية هي الموسوعية ومن نتاج هذه المدرسة إن أصبحت الكوفة مركز الإشعاع الفقهي للعالم الإسلامي، وتولى رئاسة هذه المدرسة الفقيه إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي ولد سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)، و(ت: ٩٦هـ/ ٧١٤م)، اخذ علومه الفقهية عن علقمة بن قيس، ومسروق الأجدع، أصبح كبير علماء العالم الإسلامي بالفقه بل كان مفتي العراق بزمانه وقد أصبحت له فتاوى وآراء إستنباطية بما يوافق القرآن والسنة وعمل معه بذلك الشعبي[٣١].

وأصبح لآراء وفتاوى علمائها صدى واسع، حتى ظهرت في أواخر العصر الإموي مدرسة فقهية جديدة وهي (مدرسة الرأي)، وكان رائد هذه المدرسة أبا حنيفة ، النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي الفقيه، ولد سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م)، و(ت: ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، أمام المذهب الحنفي، نشأ وتعلم بالكوفة، صنف في العديد من العلوم، بالفقه وعلم الكلام وغيرها[٣٢].

فيما برزت مدرسة فقهية اخرى في الكوفة وهي مدرسة آل البيت (عليهم السلام)والتي ترى بان يكون الاجتهاد بالرأي ببذل كل الجهود لإيجاد النصوص والروايات كافة وحصرها ومطابقتها للواقع فإن إستحال ذلك أفتى العالم برأيه وقد مثل هذه المدرسة في الكوفة عدد من العلماء أبرزهم زرارة بن أعين الشيباني الكوفي من كبار فقهاء الكوفة من أسرة كوفية عرفت بالعلم والأدب، قال فيه الإمام الصادق: ((لولا زرارة لقلت أحاديث ابي ستذهب))، صنف عدة مصنفات بعلم الفقه والكلام، (ت: ١٥٠هـ/ ٧٦٧م[٣٣].

ومن فقهاء الكوفة الاخرين:

- أبو رافع (ت:نحو٤٠هـ/٦٦٠م) : مولى الرسول عليه الصلاة والسلام العارف بالسنن والأحكام، ويعد أول من صنف بالفقه الإسلامي له عدة كتب منها (كتاب السنن والأحكام)،(كتاب القضايا)، (كتاب الديات[٣٤].

- عبيد الله بن أبي رافع: أبن ابي رافع مولى الرسول ، أخذ علومه عن الإمام علي رضي الله عنه صنف عدد من المصنفات منها في الفقه (كتاب قضايا أمير المؤمنين)، وهو كتاب حاوي للفتاوى والأحكام الفقهية الشرعية للإمام علي توفي نهاية سنة(٤٠هـ/٦٦٠م)، واعتمدت مروياته من قبل كبار المؤرخين مثل الشيخ الطوسي وابن الأثير وابن عساكر[٣٥].

- علي بن أبي رافع: مولى الرسول عليه الصلاة والسلام ، عمل مع أخيه عبيد الله كاتباً لدى الإمام علي وخازن بيت مال الكوفة، كان فقيهاً وإخبارياً، صنف في شتى العلوم الحديث والفقه والتاريخ ...الخ، توفي في حدود الخمسينات من القرن الأول الهجري ومن مصنفاته(كتاب جمع فيه فنون الفقه-من صوم وصلاة وزكاة..)، أخذه عن الإمام علي وبقي يتداوله الناس بعده[٣٦].

- ربيعة بن سميع: كان فقيهاً عالماً باللغة والسنن والأحكام، أستكتبه الإمام علي للصدقات صنف في علم الفقه (كتاب زكاة النعم)، أخذه عن الامام علي رضي الله عنه ويعد من كتب الفقه المعتمدة في تلك المرحلة [٣٧].

- عامر الشعبي: فقيه الكوفة صنف(كتاب الفرائض والجراحات) و(كتاب الكفاية في العبادة والطاعة)[٣٨].

- الإمام زيد بن علي : كان مضطلعاً عارفاً بالفقه صنف عدة مصنفات منها (كتاب المجموع الفقهي)( )، ويسمى(مسند الإمام زيد بن علي)، يعد أول مصنف فقهي حاوي لأنواع الأحكام والأصول الفقهية.[٣٩]

- جابر بن يزيد الجعفي: صنف في علوم الفقه (كتاب النوادر)، كان جامعاً لأحاديث الإمام الباقر عليه السلام في الأحكام والفقه[٤٠]

- أبان بن تغلب : صنف بهذا المجال (كتاب من الأصول في الرواية على مذاهب الشيعة)، وهو كتاب يشمل الأحاديث المتعلقة بالفقه وأحكامه.

- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار الأنصاري الكوفي: ولد (٧٤هـ/ ٦٩٣م)، و(ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، تعددت معارفه من قراءة وحديث وفقه أخذ علومه عن

الامامين، محمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام ، صنف في علم الفقه (كتاب الفرائض) ويعد من الكتب المعتمدة في الفقه الإسلامي.[٤١]

المطلب الثالث : الرحلات العلمية في الكوفة في مجال العلوم الدينية

-الرحلات في تفسير القرآن الكريم:

يعد علم التفسير في مقدمة العلوم الدينية نظراً لأهميته المنطلقة من الحاجة الماسة لفهم القرآن الكريم وتفسير معانيه وتبين دلائله ومضامينه، ومن هنا بدأت أهمية التلاقح الفكري بين علماء البصرة والكوفة، فكانوا يتبادلون الرحلات يسمعون من هذا وذاك، وأثبتت هذه الرحلات اهتمام المدينتين بعلوم القرآن وتفسيره.

فكان كعب بن عجرة (ت:٥١هـ/٦٧١م) ( ) ممن نزل الكوفة من الصحابة ، وكان علماء الأمصار يظهرون له الاحترام ويسمعون منه تفسير القرآن في مسجد الكوفة فيما كان أهل البصرة يرحلون إليه للسماع منه،فقد رحل قصده والي البصرة عبد الله بن عباس، يسمع منه تفاسير القرآن، فسأله عن قول الله تعالى ((وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا))[٤٢] رضي الله عنه وعن قوله تعالى: عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) [٤٣]، ففسر له الآية الأولى ورفعناه مكاناً يعني بذلك النبي إدريس بأن الله تعالى كرمه بأن يرفع من شأنه ومكانته ويرفع له في كل يوم ما يعادل عبادة جميع بني آدم وأعمالهم، لما تميز به إدريس من العبادة والعمل الصالح، فأراد الله أن يأخره حتى يزداد عمله فرفعه إليه إلى السماء الرابعة وهناك قبض الله روحه).[٤٤]

ثم فسر قوله تعالى عند سدرة المنتهى بأن هذه الشجرة موجودة في أصل العرش تحملها الملائكة، وإليها ينتهي الخلق والعالم وما بعد هذه الشجرة لا يعلمها إلا الله).[٤٥]

واستمر هذا العمل الفكري بين علماء المدينتين وبرز أثره بشكل أكبر بالعصر الإموي، فكان فقيه الكوفة وعالمها مسروق الأجدع (ت ٦٣هـ/ ٦٨٢م)، يرحل من الكوفة إلى البصرة ليلتقي علماءها يسألهم عن تفسير آية من القرآن الكريم).

ويذكر الشعبي(ت:١٠٣هـ/٧٢١م) هذه الرحلة فيقول: ((رحل مسروق في آية إلى البصرة، فسأل عن الذي يفسرها فعلم انه سافر الى الشام فسافرالى الشام حتى وجد الرجل ففسر له الاية الكريمة).[٤٦]

يستفاد من الرواية آنفة الذكر مدى اهتمام العلماء المسلمين بالقرآن الكريم وابتغائهم الرحلة العلمية من مدينة الى اخرى سبيلا لتحصيل وتعلم تفسير الآيات القرآنية.

وتنقل لنا المصادر شغف سعيد بن جبيرالاسدي الكوفي (ت:٩٥هـ/٧١٤م)بالرحلة العلمية فقد رحل إلى البصرة قاصدا عبد الله بن عباس يسأله عن قوله تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)[٤٧] بعد ان اختلف فيها أهل الكوفة هل هي من منسوخة ام لا ويتحدث بن جبير عن رحلته هذه قائلا : ((اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن، فدخلت إلى ابن عباس فسألته، فقال لقد نزلت في آخر ما نزل من القرآن وما نسخها شي)[٤٨]، فبين له أن الآية لم تنسخ، وفسر معناها انه لا توبة ولا غفران لمن يعمل هذا).[٤٩]

وكان خطيب الكوفة وأبرز رجالها زيد بن صوحان(ت:٣٦هـ/ ٦٥٦م)، قد عُرف بمجالسه العلمية، حتى قيل إنه بنى داراً في الكوفة لمجموعة من عباد أهل البصرة الذين كانوا يفدون إليه يأخذون منه الحديث، وكان هؤلاء متفرغين للعبادة، وليس لهم أعمال وأملاك، فكان زيد يوصي أهل الكوفة وأهله باحترامهم وتقديم ما يحتاجونه، وكان كثير التردد عليهم يسمعهم الأحاديث، وعندما أمر والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز(٢٩-٣٥هـ/٦٤٩-٦٥٥م) بإرجاعهم الى البصرة غضب لذلك وأوضح لهم أنه قربهم ليفيدهم من علومه، ويستفيد من مشورتهم).[٥٠]

ودخل الفقيه البصري مطرف بن عبد الله الشخير(ت:٨٧هـ/ ٧٠٥م) إلى الكوفة طلباً للحديث وسماعه من أصحاب الرسول فسمعه من الإمام علي عليه السلام وعمار بن ياسر).

وكانت مجالس الإمام علي قائمة فيحدث الناس عن الرسول عليه الصلاة والسلام وما قال في الإسلام مبادئه وأسسه وأركانه، وكان كبار أهل البصرة وعلماؤها يرحلون إلى الكوفة يسمعون منه الأحاديث، منهم خلاس بن عمرو البصري(ت:١٠٠هـ/ ٧١٨م) الذي تكررت رحلاته إلى الكوفة لسماع الحديث وأصبح من تلامذة الإمام علي عليه السلام والجامع لأحاديثه، وفي هذه الرحلة كان مع خلاس وجوه أهل البصرة فحدثهم الإمام من أحاديث الرسول بالإسلام فقال لهم: إن الرسول بين لنا أن الإسلام قائم

على أركان اليقين والجهاد والعدل)، ولكل منها عدة فروع، فعلى المسلمين التمسك بأركان الإسلام والحفاظ على دوامه).[٥١]

وأخذ الشعبي يفتخر بمكانة أهل الكوفة العلمية على أهل البصرة( )، فغضب الأحنف لذلك الأمر مبيناً له أن أهل الكوفة كثيراً ما استنجدوا وطلبوا العلم والعون من أهل البصرة( ).

ورحل محمد بن سيرين الى عالم الكوفة عبيدة السلماني، الذي كان يجالسه كثيراً يكتب عنه أحاديثه التي يرويها له عن الرسول عليه الصلاة والسلام).

وممن كان يرحل من الكوفة الى البصرة سالم بن أبي الجعد الكوفي (ت:٩٧هـ/ ٧١٥م) ليسمع أحاديث الرسول) لاسيما في مجلس أنس بن مالك).[٥٢]

وقد ذكرت هذه الرحلات والمجالس بين المدينتين بالمدح لأثرها في نشر الوعي الفكري في العراق، ففقيه الكوفة عبد الرحمن بن أبي ليلى عندما يستذكر رحلاته العلمية للأمصار، فلم يجد مثل البصرة وأهلها بمكانتها العلمية والدينية، ويقول في ذلك:((طفت الأمصار فما رأيت مصراً أكبر متهجداً من أهل البصرة)، مما يؤكد المكانة العلمية للبصرة وبمدح وإشادة من احد فقهاء وعلماء الكوفة، فهذا جانب من التشجيع المعنوي في تقوية العلاقة بين المدينتين ولهذا التشجيع أثره في الرحلات العلمية بين المدينتين، فكان الرجل من البصرة يرحل للكوفة فيبقى أياماً ولياليا مرحباً به، فمحدث أهل البصرة غيلان بن جرير (ت:١٢٩هـ/٧٤٦م)، يرحل إلى أبي برده بن أبي موسى الأشعري (ت: ١٠٣هـ/٧٢١م) في الكوفة يطلب الحديث، وكان أبي بردة راوياً لأحاديث والده ويصف غيلان كرم أبي برده فيقول: ((قدمت الكوفة فنزلت على أبي بردة فقمت من الليل فكنت أصلي قال فسمعني أقول اللهم ارحم غربتي فناداني أنك لست بغريب ولكنك حبيب قريب).[٥٣]

وتكررت رحلات داود بن أبي هند الفقيه البصري إلى الكوفة ليأخذ من علمائها فتتلمذ على الشعبي، وجلس إليه يسمع منه الحديث فكان يحدثه عن الصحابة وأفعالهم وما كان يرضاه ويبغضه الرسول منهم، وحدثه عن نهي الرسول عن بعض الألقاب

والأسماء للرجال والنساء، التي قد تكون بها شهرة وبعضها يكون بها عيب فتبقى ملازمة للإنسان) وبالتالي تحط من مكانته، وقد انتهى بعض الناس عن هذه الألقاب[٥٤].
وعاد في اليوم التالي ليسأله عن أحاديث الرسول فحدثه بما سمعه من الصحابة من هذه الاحاديث في العدل والإحسان)، منها قول الرسول ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء).[٥٥] وعن حديث الرسول عليه الصلاة والسلام في الأمانة : ((أداء الحقوق وحفظ الأمانات، ديني ودين النبيين من قبلي).[٥٦] بالمقابل نلاحظ أن داود بن أبي هند إذا رحل إلى الكوفة لايسمع ويأخذ فقط، وإنما يعقد المجالس ويحدث الناس[٥٧] .
من خلال هذا النص نلاحظ كيف يتجمع طلبة العلم بين العلماء ويسمعون الحديث وكيف يتنافس العلماء بينهم ويرحل العالم من مدينة إلى مدينة متحملاً مشاق السفر من اجل منافسة علمية، ويأخذ كل الوسائل التي تظهره بالمظهر العلمي).[٥٨]
وكان العالم بالكوفة يرحل إلى البصرة في حديث يتأكد منه. كما فعل عالم الكوفة أبي معشر الكوفي (ت:١١٩هـ/٧٣٧م) الذي رحل إلى البصرة وإلتقى عالمها آبان بن أبي عياش (ت:١٣٨هـ/٧٥٥م) ليتأكد من صحة حديثه ويقول أبان بن أبي عياش في ذلك ((قال لي أبو معشر الكوفي: خرجت من الكوفة إليك إلى البصرة في حديث بلغني عنك، قال : فحدثته به[٥٩]).
وكان فقيه الكوفة أبو حنيفة النعمان، قد رحل في عهد أستاذه حماد بن أبي سليمان إلى البصرة، وأستقبله علماء البصرة ليسمعوا منه الأحاديث لما بلغ من شهرته في العلوم، فكان يجلس في مسجد البصرة والناس تتجمع عنده بين سائلٍ ومفتٍ)،[٦٠] وكانت الأسئلة الموجهة إليه كثيرة حتى أنه لم يستطع الإجابة على بعضها، فأقسم إنه لا يفارق أستاذه حماد حتى يموت)، وكان والي البصرة وقاضيها بلال بن أبي بردة (١٠٩-١٢٥هـ/٧٢٧-٧٤٢م) له مجالسه العلمية والأدبية وكان حماد بن أبي سليمان الكوفي دائماً ما يرحل إلى مجلسه فيقربه ويحضر العلماء يسمعون منه، وممن حضر هذا المجلس وكتب عنه عالم البصرة حماد بن سلمه وغيره من طلبة العلم)[٦١].

وأصبح للحديث أهميته عند علماء البصرة والكوفة، فلم يحضر العلماء المجلس إلا إذا كان المحدث به مشهوراً بالصدق والأمانة والمكانة العلمية، كما كان في مجالس علماء الكوفة الشعبي وحماد بن أبي سليمان التي يعقدانها في البصرة فكان الصلت بن دينار البصري (ت:١٦٠هـ/٧٧٦م)، يدقق بإسناد الحديث، وعندما حضر مجلس حماد بن أبي سليمان بالبصرة، سأله عن أحاديثه التي يرويها للناس هل هي مباشرةً من أستاذه إبراهيم النخعي(ت: ٩٦هـ/ ٧١٤م).[٦٢]

ووصل البحث عن أسناد الأحاديث حد إحراج العلماء أحياناً، فحماد بن سلمة البصري يسأل حماد بن أبي سليمان عن سند أحاديثه، فيقول في ذلك: ((كنت أسأل حماد بن أبي سليمان عن أحاديث الإسناد والناس يسألونه عن رأيه، فكنت إذا جئت قال لا جاء الله بك).[٦٣]

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي تناولنا فيها دراسة الجانب العلمي والفكري لمدينة الكوفة نستنتج الأتي:

- إن الكوفة هي أول مصر عربي إسلامي كانت حاضنة لبواكير العلوم الدينية والعقلية، ثم أصبحت مركز إشعاع لهذه العلوم، وتأسست فيها مدارس في القران والفقه والنحو وغيرها.

٢- بدأ التعاون والحوار الفكري في هذه المدينة منذ وقت مبكر من العصر الراشدي وقد تدرجت فنون الحوار وألإتصال فيها حسب المراحل التاريخية، ووفقاً لتطور العلوم وتشعب فنونها ، وقد شجع على ذلك عدم وجود حواجز سياسية أونفسية تمنع هذا الأتصال الفكري فيها.

٣- تعددت قنوات الأتصال الفكري في مدينة الكوفة فمنها الرحلات العلمية ومنها المناظرات، وقد أنتجت هذه القنوات وحده ثقافية ومدارس فكرية عبر عنها تاريخياً بالثقافة أو المدارس العربية الإسلامية وفي جميع مجالات العلوم .

٤- كانت عناية المسلمين بشكل عام في الكوفة بشكل خاص في صدر الإسلام منصبة على العلوم الدينية، وهي القرآن وتفسيره والحديث وإستنباط الأحكام الفقهية، وهذا

يعود إلى إهتمامهم بالشريعة وتأدية فرائضهم الدينية، ثم أخذت إهتماماتهم تتسع بالعلوم الأخرى وحسب إستحقاقات كل مرحلة وظروفها .

٥- إحتلت الرحلة في طلب الحديث في مدينة الكوفة المرتبة الأولى بين الرحلات العلمية الأخرى، وذلك بسبب إنتشار الصحابة في الكوفة منذ تمصيرها فأقبل الناس عليهم للسماع منهم

٦- على يد علماء الكوفة تنوعت وتطورت وتجددت العلوم والمعارف فمنها تطور وتجدد وأصبح له أبواب وفروع كعلم الفقه،وعلم الحديث، وتعد الكوفة أول الأمصار العربية الإسلامية تدويناً وتصنيفاً للعلوم. ٧- تعاونت المدينتان على نشر العلم بعدة طرق فكثرت فيها المجالس العلمية.

والتي مثلت المدارس في ذلك الوقت، وفيهما أقيمت المناظرات والمسائلات ونوقشت فيها أغلب مسائل العلم من القرآن وعلومه والفقه وأصوله والحديث النبوي الشريف.

٨- حظي علماء الكوفة بالمكانة العلمية المرموقة في المجتمع الإسلامي وأصبحوا الأساس والمعول عليهم في شتى أنواع العلوم، وذلك للأثر الفعال الذي قاموا به في تطوير وتجديد التراث العربي الإسلامي فقيل عن الكوفة قبة الإسلام ودار الحديث ومدرسة الفقه،.

٩- أستعمل الكوفة طرقاً وأساليب جديدة في دراساتهم للعلوم الفكرية، فجعلوا للمقرئ شروطاً يجب أن تتوفر به، منها أن يكون عارفاً باللغة العربية وقواعدها، وبالنسبة للمفسر أن يكون ذا ملكة عقلية ومعرفية محيطة بالمعارف، والمحدث أن تتوفر فيه شروط المصداقية والعمر وتتابع سلسلة الرواة ومدى صدقهم ومكانتهم، وقد فاقوا وتقدموا على غيرهم بهذه الأعمال.

١٠- يمكن أعتبار ما حققته الكوفة خلال هذه المرحلة من خلال صلاتهم من إنجازات ثقافية وثيقة تاريخية غنية لكل من أراد أن يتزود أو يطلب العلم.

١١- تميزت الشخصية الكوفية بتعدد العلوم المعرفية، إذ نجد العالم فيهم لا يقتصر على علم معين بل كانوا علماء موسوعية.

الملخص:

تُعدّ مدينة الكوفة من أهمّ المدن العربية والإسلاميّة؛ لما لها من مكانة دينية وموقع جغرافي مهم، بالإضافة إلى الوقائع المهمة التي توالت على أرضها. وقد لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في صياغة كثير من الأحداث، ناهيك عن أثرها في تبلْوُرِ كثير من المسارات العلمية والثقافية. وفي هذا البحث نسلط الأضواء على تلك المدينة من الناحية الفكرية والناحية العلمية ،وفي هذا البحث المتواضع اتكأت على منهج تضمن ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الاول تأسيس مدينة الكوفة وقد اعتمد على مطلبين الاول منه تطرقت فيه الى نشأة هذه المدينة والتخطيط العمراني اما المبحث الثاني فقد تخصص في الحديث عن الحياة الفكرية منذ نشأت هذه المدينة الى يومنا هذه مع الاستشهاد بأهم الصور التي توضح ذلك والمبحث الثالث ركزت فيه الكلام حول الحياة العلمية التي سادت تلك المدينة والتي كانت فيما قبل قبلة العلماء والفقهاء وتسليط الضوء على اهم المدارس الفكرية والعلمية والتي لعبت في دورا كبيرا في رقي ونشوء مدينة الكوفة اضافة الى الكلام على اهم المعالم التاريخية والتي اسهمت اسهاما كبيرا في نشر الثقافة العربية الاسلامية واثمرت على نقل الثقافة العربية الى مرحلة متقدمة لتكون من خلالها الكوفة عاصمة للحضارة والأيمان وفي البحث الكثير من القضايا والامور التي تخدم مركز الدراسات وانشا الله تعالى سيضيف البحث لبنة لكي يعلو بناءه في خدمة المسيرة العلمية والدراسات التي تعتني بهذا الجانب ولكي تبقى الكوفة حاضرة من حواضر عالمنا الذي نعيش فيه وختمت الدراسة بخاتمة اوضح الباحث فيها الى اهم النتائج والتوصيات ولا أدّعي الكمال والتمام فالكمال لله وحده فان أصبت فمن الله وان أخطأت فمني ومن الشيطان والله أسأل أن يجعل رسالتي هذه ذخراً لي يوم القيامة ، وان يوفقني والمسلمين لما يحبه ويرضاه انه سميع مجيب ..

الهوامش:

[١] -البغدادي :صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ،مراصد الاطلاع على اسما الأمكنة والبقاع تحقيق علي محمد البجاوي ،دار احياء التراث العربية الطبعة الاولى١١٨٧/٣ .

[٢] - البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٣٣٩؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (ت: ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٩٢م)، ج٤، ص٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٧٣؛ الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، ص١٩.

[٣] - المسعودي، علي بن الحسين بن علي، (ت: ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأنوار للطباعة والنشر، (بيروت- ٢٠٠٩م)، ج٢، ص٧٣.

[٤]- البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت: ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٩٨م)، ج٩، ص٣٦٦-٣٦٧.

[٥] - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٩، ص٣١١، مادة كوف.

[٦] - اُنظر: الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة: ص٢٨٨. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون: ج٢، ص٥٥٠. الجنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة: ص٥٧.

[٧] - الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، (ت: ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، (دمشق- ١٩٣٠م)، ج٢، ص٤٣٧؛ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت:٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٨٣م)، ج٤، ص٢٤٦.

[٨] - ( ) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٨٤م)، ج١٠، ص٢٦٣؛ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: نخبة من العلماء والمحققين الأخصائيين، تحقيق: محسن الأمين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت- ١٩٩٥م)، ج١، ص٥.

[٩] - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٧٢- ١٧٤؛ العجلي، معرفة الثقات، ج٢، ص٤١٣.

[١٠] - ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت- ١٩٨٤م)، ج٧، ص٢٤٥- ٢٤٦.

[١١] - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٧٦- ٧٨ ؛ ابن حبان البستي، الثقات، ج٥، ص٤٥٦؛ ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي، (ت:٤٧٥هـ)، الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف في الأسماء

والكنى والأنساب، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (القاهرة- ب.ت)، ج١، ص٢٠.

١٢ - العجلي، معرفة الثقات، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٣٤-٢٣٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٧، ص٤٥٤-٤٥٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٢٣٨-٢٣٩.

١٣ - سورة الفرقان: آية (٣٣).

١٤ - الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت: ١٧٥هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة للطباعة والنشر، (قم- ١٩٨٨م) ج٧، ص٢٤٧؛ أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت: بعد ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشرالإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- قم، مؤسسة النشر الإسلامي للطباعة والنشر، (قم- ١٩٩١م)، ص١٣١-١٣٢

١٥ - الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٧٨١؛ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (ت:٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، طبع مكتب الإعلام الإسلامي، (قم- ١٩٨٣م)، ج٤، ص٥٠٤؛ الزكرشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية للطباعة والنشر، (القاهرة- ١٩٥٧م)، ج١، ص١٣ ٠

١٦ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٩-١١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤١، ص١٦٩.

١٦- الحويزي، عبد علي بن جمعة، (ت: ١١١٢هـ)، تفسير نور الثقلين، تحقيق: هاشم الرسولي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، (قم- ١٩٩١م)، ج٢، ص٢٦٨-٢٦٩؛ التبريزي، مرآة الكتب، ص٥٤؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص١٢٥؛ غفاري، علي أكبر، دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية، مؤسسة تابش، (قم- ١٩٩٠م)، ص٢٣٣؛ الجلالي، محمد رضا، تدوين السنة الشريفة، ط٢، مكتب الأعلام الإسلامي، (قم- ١٩٩٧م)، ص١٤١.

١٨ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٥٦-٢٦١؛ ابن معين، تاريخ بن معين، ج١، ص٣٢٧؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٣، ص٤٦١؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٧٦-٧٧.

١٩ - البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، (ت: ٤٥٨هـ)، معرفة السنن والآثار، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٩٠م)، ج٥، ص١٣٢؛ الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- قم، (قم-١٩٩٧م)، مقدمة المحقق، ج١، ص٨؛ القمي، عباس محمد رضا، (ت: ١٣٥٩هـ)، الكنى والألقاب، تحقيق: محمد هادي الأميني، طبع مكتبة الصدر، (قم- ب ت)، ج٢، ص٤٨٩.

٢٠ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٥٢-٣٢٦

[٢١] - ابن عساكر، الأربعين البلدانية عن أربعين لأربعين في أربعين، تحقيق: أحمد مطيع الحافظ، مطبعة المستقبل، (بيروت- ب.ت)، ص٦٢

[٢٢] - سورة الأنعام : آية (٥٠).

[٢٣] - الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص١٥٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢١، ص٢٤٠؛ العاملي، الصحيح من سيرة النبي، ج١، ص١٦٢؛ الشاكري، تدوين الحديث وتاريخ الفقه الشيعي، مطبعة ستاره، (قم-١٩٩٧م)، ص١٧؛ الطبسي، محمد جعفر، رجال الشيعة في أسانيد السنة، مطبعة باسدار إسلام، (قم- ١٩٩٩م)، ص٧-١٤.

[٢٤] - الغفار، الكليني والكافي، ص٧٥؛ الشاكري، تدوين الحديث، ص٥٩-٦٠ .

[٢٥] - الطبراني، الأحاديث الطوال، تحقيق: مصطفى عبد القادر عمار، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٩٢م)، ص١٢٢؛ السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار بن عفان للطباعة والنشر والتوزيع، (الرياض- ١٩٩٦م)، ج٦، ص٢٦٠؛ حمود، هادي حسن، عامر الشعبي والحركة الفكرية في العراق في نهاية القرن الأول الهجري، (بغداد-١٩٩٨م)، ص٤٧.

[٢٦] - الطبراني، الأحاديث الطوال، تحقيق: مصطفى عبد القادر عمار، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٩٢م)، ص١٢٢؛ السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار بن عفان للطباعة والنشر والتوزيع، (الرياض- ١٩٩٦م)، ج٦، ص٢٦٠؛ حمود، هادي حسن، عامر الشعبي والحركة الفكرية في العراق في نهاية القرن الأول الهجري، (بغداد-١٩٩٨م)، ص٤٧.

[٢٧] - الطوسي، الفهرست، ص١٨١؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص١٤١؛ الصدر، الشيعة وفنون الإسلام، تحقيق: مرتضى آل ياسين، (النجف- ١٩٦٧م)، ص٤٩؛ الخوئي، أبو القاسم الموسوي، (ت: ١٤١١هـ)، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، (قم- ١٩٩٢م)، ج١٤، ص١٤١؛ الميانجي، مكاتيب الرسول، ج١، ص٤٤٨- ٤٤٩؛ الحكيم، مذاهب الإسلاميين، ص٨٠.

[٢٨] - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٤١٧-٤٢٠ ؛ ابن حجر الإصابة، ج٥، ص٨٨؛ بحر العلوم، الفوائد الرجالية، ج١، ص٣٢٤-٣٢٨؛ الكلباسي، محمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: ١٣١٥هـ)، الرسائل الرجالية، تحقيق: محمد حسين درايتي، مطبعة سرور، (قم -٢٠١١م)، ج٢، ص٢٨٤-٢٨٥.

[٢٩] - سورة هود: آية (١١). ٠

[٣٠] - العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل بيت لإحياء التراث- قم، مطبعة مهر، (قم- ١٩٩٤م)، مقدمة المؤلف، ج١، ص٧-٨؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٥؛ أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٨٨م)، ص٢٨٩.

[٣١] - الخطيب البغدادي، المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق أيدن، دار القادري للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٩٧م)، ج١، ص١٩٤-١٩٥.

[٣٢] - ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ج٨، ص٤٤٩-٤٥٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٢٥-٣٢٨.

[٣٣] - ابن عدي، الكامل، ج٣، ص٢٤١؛ أبو غالب الرازي، أحمد بن محمد بن سليمان، (ت: ٣٦٨هـ)، رسالة في آل أعين، تحقيق: محمد علي الأبطحي، مطبعة رباني، (قم- ١٩٧٨م)، ص٢١٢٥؛ الطوسي، رجال الطوسي، ج١، ص٣٤٥- ٣٥٠؛ ابن داود الحلي، رجال بن داود، ص٩٧- ٩٨.

[٣٤] النجاشي، رجال النجاشي، ص٦؛ ابن سعيد الحلي، يحيى بن أحمد بن سعيد، (ت: ٦٩٠هـ)، الجامع للشرائع، تحقيق: مجموعة من العلماء، مطبعة العلمية، (قم- ١٩٨٤م)، ص٦، التبريزي، مرآة الكتب، ص٤٢.

[٣٥] - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٨٢؛ ابن معين، تاريخ بن معين، ج١، ص٣٣٣؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٥، ص٣٨١.

[٣٦] - الطوسي، الفهرست، ص١٧٤-١٧٥؛ ابن شهر أشوب، معالم العلماء، ص١١٢؛ التفرشي، نقد الرجال، ج٢، ص١٧٤-١٧٥؛ بحر العلوم، الفوائد الرجالية، ج١، ص٢٠٧؛ الصدر، الشيعة وفنون الإسلام، ص٤٧.

[٣٧] - النجاشي، رجال النجاشي، ص٦-٧؛ ابن داود الحلي، رجال بن داود الحلي، ص١٣٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج٥، ص٥٣؛ البروجردي، طرائف المقال، ج٢، ص١٠٠.

[٣٨] - القاضي بن البراج، جواهر الفقه، ص١٠؛ الحر العاملي، محمد بن الحسن الحر، (ت:١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: عبد الرحيم الرباني، ط٥، دار إحياء التراث العربي، (بيروت-١٩٨٣)، ج١، ص٩.

[٣٩] - القاضي بن البراج، جواهر الفقه، ص١٠؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٩؛ الصدر، الشيعة وفنون الإسلام، ص٤٨؛ شرف الدين، عبد الحسين، المراجعات، تحقيق:حسين راضي، ط٢، (بيروت- ١٩٨٢م)، ص٤١٣.

[٤٠] - النجاشي، رجال النجاشي، ص١٢٩؛ الأردبيلي، جامع الرواة، ج١، ص١٤٦؛ الطهراني، الذريعة، ج٢، ص١٤٤.

[٤١] - ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٦؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٢، ص٩٩؛ الصدر، الشيعة وفنون الإسلام، ص٢٧؛ الأبطحي، علي محمد الموحد، تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال للشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي، ط٢، مطبعة نكارش، (قم- ١٩٩٦م)، ج١، ص٢٢٢- ٢٢٤.

[٤٢] – سورة مريم: آية (٥٧).

[٤٣] – سورة النجم: آية (١٤).

[٤٤] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: خليل الميس وصدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت-١٩٩٥م)، ج١٦، ص١٢٠-١٢١؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق =مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، (القاهرة-١٩٦٨م)، ج١، ص٧٢؛ ابن كثير، تفسير بن كثير، ج٣، ص١٣٣.

[٤٥] – الطبري، جامع البيان، ج١٦، ص٧٠؛ الثعلبي، ج٩، ص١٤٢-١٤٣؛ البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٢٤٨.

[٤٦] – ويذكر في هذه الرحلة إنه طاف الأمصار بحثاً عن مفسر لأية من القرآن فذهب من الكوفة الى البصرة ثم علم إن الذي يعرف تفسيرها رحل الى الشام فسافر الى الشام حتى وجد الرجل ففسر له الأية، ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج١، ص٢٦؛ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج١، ص١١٩.

[٤٧] – سورة النساء: آية (٩٣).

[٤٨] – الطبري، جامع البيان، ج٥، ص٢٩٧؛ الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عز، (بيروت- ١٩٧٥م)، ص١٣٩؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٣٧٩.

[٤٩] – النسائي، السنن الكبرى، ج٢، ص٢٨٧؛ ابن كثير، تفسير بن كثير، ج١، ص٥٤٨؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص٨٥.

[٥٠] – ويفصل ابن عساكر قصة هؤلاء البصريين الزهاد طالبي العلم وكيف قربهم زيد اليه وأخذ ينحل عليهم من العلوم والمعارف وتولى كسوتهم ومعيشتهم، لكن والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز من قبل الخليفة عثمان أرجعهم الى البصرة ورفض أن يخالطوا زيد ويصبحون تبعاً له، ينظر: تاريخ دمشق، ج١٩، ص٤٤١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٢٠؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٧، ص١٠٣.

[٥١] – مطرف بن عبد الله الشخير الحرشي البصري من الثقات التابعين من أصحاب الحديث يعد من كبار عباد البصرة حدث عن الصحابة الامام علي ﷺ وعمار بن ياسر، وهو من شخصيات البصرة المعروفة بالجاه والمكانة الإجتماعية والعلمية والأدبية، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٤١-١٤٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٤٣٦.

[٥٢] – البحراني، هاشم بن سليمان، (ت:١١٠٧هـ)، مدينة معاجز الأئمة الأثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: عزة الله المولائي، مطبعة بهمن، (قم- ١٩٩٢م)، ج١، ص١٨٥-١٨٦؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤١، ص٢١٨.

٥٣ - ابن حنبل، العلل، ج٢، ص١٩٩
٥٤ - الطبراني، المعجم الأوسط، ج٢، ص١٢٣؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج١٦، ص٣٢٨.
٥٥ - البخاري، صحيح البخاري، ج٧، ص١٨٦؛ أبي داوود، سنن أبي داوود، ج١، ص٥٥٦.
٥٦ - الذهبي، ميزان الإعتدال، ج٣، ص٣٧٦؛ سبط العجمي، الكشف الحثيث، ص٢١٠-٢١١؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص٤٨٠.
٥٧ - ابن معين، تاريخ بن معين، ج١، ص٢٣٣؛ ابن حنبل، العلل، ج٣، ص١٣٤.
٥٨ - ابان بن أبي عياش وإسم عياش فيروز البصري الزاهد العابد، من الثقات التابعين، ضعف بعض العلماء حديثه بأنه يخلط في بعض الأحيان، ممن روى عن الإمامين السجاد والباقر (عليهما السلام)، وهو الذي روى كتاب سليم بن قيس الهلالي الكوفي، كان عالماً بالقراءات حتى قيل فيه طاووس القراء، ينظر : العقيلي، الضعفاء، ج١، ص٣٨-٤٠؛ ابن داوود الحلي، رجال بن داوود، ص٢٢٥-٢٢٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١، ص٢٢-٢٣.
٥٩ - الرامهرمزي، المحدث الفاصل، ص٢٢٣؛ الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص١٤٨.
٦٠ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٣٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٣٩٨.
٦١ - العجلي، معرفة الثقات، ج١، ص٣٢١؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٩، ص٤٢٧.
٦٢ - الذهبي، ميزان الإعتدال، ج١، ٥٩٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص١٤٨
٦٣ -المصدر نفسه ٠

(قائمة المصادر والمراجع)

- القرآن الكريم

• ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس، (ت: ٣٢٧هـ/٩٣٨م):

١- تفسير بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (د.ط)، صيدا ، (بيروت- ب.ت).

٢- الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، مجلس دائرة المعارف، (الهند- ١٩٥٢م).

• ابن أبي الحديد: عز الدين بن هبة الله بن محمد، (ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨)

٣- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، (د.م ط)، (قم- ١٩٦٧م).

• ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد ، (ت: ٢٨١هـ/٨٩٤م):
٤- الصمت وحفظ اللسان، تحقيق: محمد أحمد عاشور، ط٢، دار الاعتصام للطباعة والنشر، (القاهرة – ١٩٨٨م).
• ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم، (ت: ٢٣٥هـ/٨٤٩م):
٥- المصنف، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٨٩م)
• ابن أبي مجهود الإحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم، (ت: ٩٤٠هـ/١٥٣٣م):
٦- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق: أغا مجتبى العراقي،: سيد الشهداء، (قم- ١٩٨٢م).
• ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم ، (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
٧. الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٦٥م).
٨. اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: إحسان عباس ، (د. ط)، دار صادر (بيروت- ب.ت).
• ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، (ت:٦٠٦هـ/١٢٠٩م):
٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، (قم- ١٩٨٥م) .
• ابن إدريس الحلي، أبي جعفر محمد بن منصور بن أحمد،(ت: ٥٩٨هـ/١٢٠١م):
٩ـ السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، تحقيق: لجنة من المحققين – قم، ط٢، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين للطباعة والنشر، (قم- ١٩٨٩م).
• ابن أعثم الكوفي ، أحمد بن أعثم ، (ت:٣١٤هـ/٩٢٦م):
١٠ـ الفتوح ، تحقيق: علي شيري ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت- ١٩٩١م).
• ابن بابويه القمي، علي بن الحسين بن بابوية ، (ت: ٣٢٩هـ/٩٤٠م):
١١ـ الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي ــ قم، مدرسة الإمام المهدي للطباعة والنشر، (قم-١٩٨٣م).
• البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل، (ت:١١٠٧هـ/١٦٩٥م):

١٢ـ مدينة معاجز الأئمة الأثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: عزة الله المولائي، مطبعة بهمن، (قم- ١٩٩٢م).
• البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت:٢٥٦هـ/٨٦٩م):
١٣ـ التاريخ الصغير، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٨٦م).
١٤ـ التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي، (د. ط)، حيدر آباد ، (الهند ــ ١٩٤٥م).
١٥ـ صحيح البخاري، دار الفكر، (بيروت- ١٩٨١م)
• البصري، أحمد بن عبد الرضا، (ت: ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م):
١٦ـ فائق المقال في الحديث والرجال، تحقيق: حسين قيصري، (قم- ٢٠٠١م)
• البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت: ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) :
١٧ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٩٨م).
• البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد ، (ت: ٥١٠هـ/١١١٦م) :
١٨ـ معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، (د.ط)، دار المعرفة، (بيروت- ١٩٩٢م).
• البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت:٤٨٧هـ/١٠٩٤م):
١٩ـ معجم ما أستعجم من أسماء البلدان والمواضع ، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، (د.م ط)، (بيروت- ١٩٨٣م).
• البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت:٢٧٩هـ/٨٩٢م):
٢٠ـ فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان، (القاهرة- ١٩٥٦م).
• ابن بهرام الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، (ت: ٢٥٥هـ/٨٦٨م):
٢١ـ سنن الدارمي، (دمشق- ١٩٣٠م).
• البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):
٢٢ـ معرفة السنن والآثار، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٩٠م).

• الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت:٢٧٩هـ/٨٩٢م):
٢٣ـ سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٨٣م).
• ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمة، (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٧م):
٢٤ـ دقائق التفسير، تحقيق: محمد السيد الجنيد، ط٢، مؤسسة علوم القرآن للطباعة والنشر، (دمشق- ١٩٨٣م).
• الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: ٤٢٧هـ/١٠٣٥م):
٢٥ـ تفسير الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، (بيروت- ٢٠٠٠).
• الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق ، (ت: ١٦١هـ/٧٧٧م):
٢٦ـ تفسير سفيان الثوري، تحقق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت -١٩٨٣م).
• جار الله الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، (ت:٥٨٣هـ/١١٨٧م):
٢٧ـالكاشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده للطباعة والنشر، (القاهرة- ١٩٦٦م).
• ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي ، (ت:٧٤١هـ/١٣٤٠م):
٢٨ـ التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (بيروت-١٩٨٣م).
• ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد، (ت: ٨٣٣هـ/ ١٤٤٨م):
٢٩ـ غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة، (مصر- ١٩٣٢م).
• ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد، (ت: ٣٢٠هـ/٩٣٢م):
٣٠ـ مسند بن الجعد، تحقيق: عبد الله محمد البغوي وعامر أحمد حيدر، ط٢، دار الكتب العلمية للطباعة ، (بيروت- ١٩٩٦م).

مدينة الكوفة واهم مراكزها الثقافية خلال القرن الاول الهجري

م. د.ريم هادي مرهج الذهبي
م.د.غفران محمد عزيز الدعمي
كلية التربية- جامعة ميسان

المقدمة

لقد خاضت الجيوش العربية الإسلامية ، معارك عسكرية حاسمة حقق خلالها العرب المسلمون انتصارات ساحقةعلى الفرس،وعقب هذه الانتصارات الكبيرة وانهيار الجيوش الفارسية بصورة غير متوقعة أمام الزحف الإسلامي أصبح الطريق مفتوحاً نحو الحيرة.لاحقت الجيوش العربية الإسلامية فلول الفرس المنهزمة إلى المدائن، أصبحت هذه المناطق خاضعه للحكم العربي الإسلامي. استقر المسلمون في المدائن بعد فتحها، ويبدو أنَّ البنية الجغرافيَّة لهذا الإقليم لم تتناسب مع ما ألفه العرب من جوٍّ صحراويٍّ مفتوح، فشحب لونهم، فلمَّا وقف الخليفة على ذلك من هنا جاء تمصير الكوفة واتخاذها مقراً ومستقراً للمقاتلة العرب فالسمة العسكرية هي السمة البارزة لاختيار موضع الكوفة. اذ تعد مدينة الكوفة ثاني مدينة اسلامية مصرت بعد البصرة ،ثم ما لبث ان اصبحت قاعدة للفتوحات العربية الاسلامية في المشرق كما اصبحت الكوفة قاعدة لحركة فكرية اجتذبت العديد من المهتمين بالفكر العربي الاسلامي حيث باتت تزدهر بألوان شتى من الثقافة والفكر فازدهرت فيها علوم القرآن والقراءات والتفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم كما ازدهرت فيها المؤسسات العلمية من كتاتيب ومدارس وانتشرت فيها حلقات العلم فبرز فيها عدد كبير من العلماء في شتى ميادين المعرفة فكانت بحق واحدة من المراكز الفكرية المتميزة في العالم الاسلامي وفي هذه الدراسة سيتم عرض موضوع مدينة الكوفة واهم مراكزها الثقافية في القرن الاول الهجري واشتمل البحث على مطلبين تعلق المطلب الاول حول مدينة الكوفة من حيث التسمية والموقع والنشأة والتخطيط.اما المطالب الثاني تناولنا فيه عوامل ازدهار الثقافة وبالتركيز على المراكز الثقافية في مدينة الكوفة خلال القرن الاول الهجري و اول هذه المراكزالمسجد يعد مسجد الكوفة من المساجد الاولى التي شيدت في الاسلام والمركز الثاني الكتاتيب والمركز الثالث المجاس العلمية المتنوعة في الكوفة فضلا عن

الاسواق حيث اشتهر سوق الكناسة بكثرةالمجالس فيه،ولانتجاهل وجودالاديره في مدينة الكوفةاوالقريبة منها اذ قام الرهبان والأساقفة بدور كبير في الحياة الثقافية في الكوفة خلال القرن الأول الهجري فعملوا في مجال الترجمة وترجموا بعض كتب اليونان في العلوم المختلفة،وبذلك اسهمت الاديره الى تنسيط حركةالعلمية والثقافية في مدينةالكوفة ، ثم خاتمة البحث التي نعرض فيها مـــا توصلنا له من نتائج، ثم قائمة المصادر المعتمدة لدينا.

مدينة الكوفة

تسميتها

اطلق على المواضع المستديرة من الرمل كوفاني.وبعضهم يسمّي الأرض التي فيهاالحصباء مع الطين والرمل كوفة [١]وذكر البلاذري[٢]:" التكوّف يعني الإجتماع". ويتفق ياقوت الحموي [٣]مع ما ذكره البلاذري في معنى الكوفة، مضيفاً إليه:"والكوفان الإستدارة، وكوفان اسم أرض وبها سمّيت الكوفة، وكوفان والكوفة واحد".و كما ذكر البلاذري ان السهل الذي بنيت عليه الكوفة هو (خد العذراء) ويدعى بـ (سورستان) [٤]من الاسم الفارسي (شورستان) [٥] ، وعند ابن منظور[٦] " الكوفة من كوف الاديم (قطعة) وكوف الشيء اتجاهه وكوف جمعهُ والتكوف (التجمع) وقيل كوف القوم تعني اتوا الكوفة[٧].

ومهما تعدد اشتقاق اسم مدينة الكوفة فمن المرجح اصل تسميتها يعود الى مكان قريب كأن يكون جبلاً منقولاً من جبل كويفة او اسم ارض او قطعة كويفة التي يعتقد ان العرب المسلمين عند اختيارهم منطقة المعسكر سموا بهذا الاسم.

موقعها

الكوفة مدينة مهمة اذ أنها ثاني المدن التي أقامها العرب المسلمون خارج الجزيرة العربية إذ كانت قبلها البصرة، وارض الكوفة مرتفعة سهلة لا تطالها مياه الفيضان، ترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٢متراً بعيدة عن مناطق الأهوار والمستنقعات[٨].

تقع مدينة الكوفة على ضفاف نهر الفرات والى الغرب منها لاتبتعد عن مدينة الحيرة عاصمة المناذرة[٩] كانت تقصد الحيرة التي بينها وبين الكوفة نحو فرسخ[١٠] والى الغرب

من موضع الكوفة يقع منخفض يؤلف بحيرة مالحة هي بحيرة النجف[١١] وكان العرب يسمون ظهر الكوفة(اللسان) ، أما ما يلي الفرات فهو الملطاط[١٢] وما كان يلي الظهر فهو النجف[١٣].

ان موقعها القريب من النهر ،والذي يعتبر اساس لبناء المجتمعات البشرية والسكانية ، هذا فضلاً عن وقوعها على خط تجاري مهم ترتاده القبائل العربية متنقلة من الشمال الى اليمن في رحلاتها التجارية كما انها تقع على حافة صحراء الجزيرة العربية ولا يفصل بينها وبين العاصمة ماء او جسر[١٤].وهذا الموقع اعطاها اهمية كبيرة من الناحية العسكرية حتى يسهل ربط عاصمة الدولة العربية الاسلامية (المدينة) مع قواتها الحربية ، وليكون الخليفة على اتصال دائم بها وحتى يسهل من وصول المؤمن والامدادات العسكرية دون ان يعيقهم بحر او نهر ، وكذلك قربها من مدينة قديمة كانت من المدن المشهورة واحدى مراكز الحضارة العربية قبل الإسلام وهي مدينة الحيرة[١٥]

نشوئها: وكان تأسيس الكوفة من الضرورات التي اقتضتها ظروف الحرب والفتوحات في زمن الخليفة الثاني، وذلك لأنّه لّما وصل المسلمون إلى بلاد فارس بقيادة سعد بن أبي وقاص[١٦] اقتضت الضرورة بأن تكون لهم نقطة وصل وربط بينهم وبين المدينة المنورة، ومعسكر قريب من ساحة القتال ومركز يؤوبون إليه إذا أرادوا، وقد أشار الدينوري[١٧] إلى هذه القضية بقوله:" وأقام سعد في عسكره بالقادسية إلى أن أتاه كتاب عمر، يأمره أن يضع لمن معه من العرب دار هجرة، وأن يجعل ذلك بمكان لا يكون بين الخليفة عمر وبينهم بحر". ففي اول الامر استقر سعد بالمقاتلة في مدينة المدائن[١٨] (طيسفون) بعد تحريرها من الفرس مدة لتكون مقرا لعسكره ولكن على ما يبدو فأن جو هذه المنطقة الرطبة لا يلائم العرب المسلمون الذين تعودوا جو الصحراء الحار الجاف ، فاحتووها أي استوخوها[١٩]. فتغيرت تبعاً لذلك الوانهم ، وضعفت اجسامهم فشكوا أحوالهم الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب[٢٠] فكتب اليه عمر "ان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان"[٢١] ،فوقع الاختيار على الكوفة، فآتى سعد الى موضع الكوفة فعسكر فيه في شهر محرم من سنة ١٧هـ[٢٢] .

تخطيطها

من الملاحظ ان العرب المسلمين خطوا مدينة الكوفة في بداية نشأتها على شكل دائري ,تشكل المركز من قصر الامارة والمسجد الجامع[٢٣] وبيت المال والسوق [٢٤] وسكنوا المقاتلين في مرحلة نشأة مدينة الكوفة في فساطيط وبعدها,وجدوا ان حياة الخيام التي يعيشيا العرب المسلمين لا تلائمهم فبدوا يفكرون بالقصب فكتب سعد الى الخليفة الثاني ،ويستأذنه في بناء بيوتهم في داخل المعسكر من القصب ، فاجابهم الخليفة قائلاً :"ان المعسكر اجد لحربكم ، واذكى لكم ، وما احب ان اخالفكم ، وما القصب قالوا العركش اذا روى قصباً صار قصب قال فشأنكم"[٢٥] ، فبنى الكوفة بالقصب. ولم يستمرهذا النوع من البناء ،فقد وقع حريق في هذه المدينة وبيوتها القصبية فقيل : "احترق ثمانون عريشاً ولم يبق فيها قصبة)"[٢٦].

ولهذا بدأ الناس يفكرون في تغيير البناء في المدينة باستبداله بدلاً من القصب باللبن والطين الا ان سعد لم يخبرالخليفة بامر البناء كما فعل سابقا فارسل اليه وفدا ليخبره بامرالحريق ويستأذونه بامر البناء من اللبن [٢٧].فأذن الخليفة لهم وقال :" ان لا يرفعوا بنياناً فوق القدر قالوا وما القدر ؟ قال : ما لا يقربكم من السرف ، ولا يخرجكم من القصد"[٢٨]واخذت الكوفة تلتمس طريقها نحو المدينة الثابتة في ولاية المغيرة بن شعبة [٢٩]سنة (٢٢هـ) [٣٠] اذ بني فيها عدد من الدور بالاجر لأول مرة[٣١]،وجاء التطور الاساس في العصر الاموي في ولاية زياد بن ابيه [٣٢] في سنة (٥٠هـ) حيث بنيت الكوفة من الآجر[٣٣] .

ونستنتج من ذلك ان الكوفة بنيت اول الامر من الخيام ثم استعمل القصب لتلائم الحياة الجديدة الا ان حادثة الحريق التي وقعت في منازل القصب جعل العرب المسلمين يفكرون ببناء اللبن والطين بدلا من القصب ثم تطور البناء الى استعمال الآجر.

ثم امرالخليفةعمر في الطرق بالمناهج أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع اذرع، ليس دون ذلك شيء وفي القطائع ستين ذراعاً، إلا الذي لبني ضبّة[٣٤].

انزل سعد كل قبيلة في المكان الذي خُصص لها، وأسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين على انه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب الأيسر وهو خيرهما، فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات،وترك مادونها فناء للمسجد وداراً للإمارة[٣٥]. ونظراً لأهمية المسجد في حياة العرب المسلمين فإن سعد بن أبي وقاص توجه إلى تخطيط المسجد وتنفيذ بنائه قبل الشروع في إقامة مرافق المدينة الأخرى ، كما اهتم بتشييد دار الإمارة وبيت المال. وبقت الكوفة في الثلاثين سنة الاولى من تأسيسها مقسمة على شكل اسباع[٣٦] ،وقد أستمر هذا النظام في الخطط فترة من الزمن حتى خلافة علي بن ابي طالب عليه السلام الذي أجرى بعض التعديلات على التجمعات القبلية ولكن النظام الاساسي بقى نفسه[٣٧].

وفي ولاية زياد بن ابيه سنة (٥٠ه)ـ الذي جمع في ولايته البصرة والكوفة واقام مشاريع عمرانية عديدة في مدينة الكوفة فأجرى تعديلاً على خطط القبائل متبعاً نظام الارباع بدلاً من نظام الاسباع[٣٨].

عوامل ازدهار الثقافة في مدينةالكوفة

يرجع ازدهار الثقافة في الكوفة الى عوامل عديدة اهمها الموقع الجغرافي فموقعهاعلى نهر الفرات اصبحت أرضها رسوبية خصبة بسبب ترسبات النهر اثناء الفيضانات فنتج عن ذلك ظهور المزارع والنخل والمراعي واعتدال الجو فقيل ان للكوفة ضياعاً ومزارع ونخلاً كثيراً[٣٩]،فتضاريس الكوفة مناسبة للعرب المسلمين من حيث انها ارض فلاة ومنحدرة وكثيرة المياه وأراضيها مناطق ممتازة لرعي الابل[٤٠]،كماان المناخ الذي تتمتع به مدينة الكوفة من جو جميل وهواء عليل وتضاريس متميزة جعلتها مختلفةً عن باقي الامصار فكان اعتدال مناخ الكوفة من الاسباب المهمة التي دعت الى تمصيرها وبالتالي ساهم على ازدهار الثقافة فيها[٤١]ولا يمكن ان ننسى امراً مهماً هو تمتع الكوفة بموارد مائية تكفي لاعداد كبيرة من السكان عن طريق جلب المياه من نهر الفرات بواسطة القنوات والجداول لاغراض الشرب والزراعة[٤٢].وان موقع الكوفة قرب مدينة قديمة كانت عاصمة للمناذرة كان له بعد تاريخي وثقافي له اثر كثيراً على مدينة الكوفة الناشئة في أيامها اللاحقة حيث ورثت إرثاً ثقافياً كبيراً انصهر وصقل بالحضارة العربية

الاسلامية الجديدة [٤٣]،كذلك هجرة القبايل العربية لمدينة الكوفة بعد تمصيرها [٤٤]اسهم ايضافي تنشيط الثقافة العربية الاسلامية.

ان تنوع أصناف المجتمع الكوفي ساهم في امتزج الكوفة بثقافات مختلفة وعادات وتقاليد وشعائر وأديان .والى جانب العنصر العربي عناصر فارسية تسكن في مناطق قريبة ومجاورة لموقع تمصير الكوفة اذ كانوا يعملون في الزراعة واستغلال الاراضي الصالحة [٤٥]والصنف الاخر هم السريان جاءوا الى الكوفة بعد التمصير واستقروا فيها واصبحت لهم صلات قوية بالمجتمع الكوفي حتى انصهروا فيه واصبحوا جزءً منه واشتغلوا بالعلم واخذوا ينقلون الكتب اليونانية الى لغتهم السريانية فكانت المناطق التي سكنوها مدارس لنشر الثقافة اليونانية والرياضيات والفلك والفلسفة [٤٦]ان وجود السريان بالكوفة ساهم بترجمة الكثير من المولفات الى اللغة العربية في مجالات متعددة كالطب والرياضيات والطبيعيات والمنطق [٤٧].اما الصنف الرابع في المجتمع الكوفي هم النبط الذين اثروا على الحركة الثقافية ايضاً فظهر عديد من الاطباء والفلكيين والعلماء والمترجمين بينهم [٤٨] .اما الاصناف الاخرى للمجتمع الكوفي اصحاب الديانات الاخرى كاليهود والنصارى الذين جاءوا بعد تمصير الكوفة واستطاعوا بعد فترة وجيزة من ان يثبتوا اقدامهم في المجتمع الكوفي ويفرضوا سيطرتهم وسلطانهم على بعض جوانب الحياة الاقتصادية التي تولوها فسيطروا على بعض المهن[٤٩]،ولايمكن ان نتجاهل الصنف الاكثر خدمة في المجتمع الكوفي هم العبيد الطبقة الفقيرة والمعدمة الذين مارسوا بعض المهن مثل الحدادة وصناعة الجلود والاواني والخمور[٥٠] . فقدكان المجتمع الكوفي وريث المجتمع الحيري ذلك المجتمع الذي عرف بالرقي الحضاري والفكري فحلت الكوفة محلها، وكانت مدينة الحيرة الخاضعة للحكم الفارسي قدجعلوها مرفأً تجارياً للسفن وحاضرة ثقافية[٥١].وبذلك اصبح المجتمع الكوفي أرقى ثقافياً من المجتمعات الإسلاميةالاخرى حتى قيل ورثت الكوفة عن الحيرة الحضارة التي تميز أهلُها بِأنهم أرقى عقلاً وتمدناً من عرب الجزيرة، بالإضافة إلى ما كانت لدى الحيرة من عقليات وثقافات متعددة ، ففيها الأثر الفارسي المعروف بالقدم الحضاري، وكان الفرس يجلبون الأسرى اليونان وفيهم

الطبيب والمهندس[٥٢]، وبقي أثر هؤلاء واضحا حتى إنه في حكومة الإمام علي عليه السلام شكى الناس إليه قائلين: "غلبتنا هذه الحمراء على قربك- يعني العجم"[٥٣].

ويتضح لنا ان الموقع الجغرافي والمناخ المعتل وكثرة الجداول المائية في مدينة الكوفة لاسيما نهرالفرات فضلاعن قرب مدينة الكوفة من مدينة الحيرة القديمة اضافة الى تنوع اصناف المجتمع الكوفي ساعدعلى تنشيط الحياة الاقتصادية في مدينة الكوفة وبالتالي اسهم على ازدهار الحركة الثقافية فيها .

اهم المراكز الثقافية في مدينة الكوفة

اولا:المسجد :اسم مكان من الفعل سجد والسجود عبارة عن هيئة مخصوصة معلومة لدى المسلمين يتخذونها عند اداء الصلاة تعظيما لله سبحاته وتعالى واذلا واعظاما له [٥٤] ، فالمسجد بكسر الجيم وفتحها بيت الصلاة[٥٥]قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : "جعلت لي الارض مسجدا وطهورا" [٥٦]، وردت كلمة المسجد في ايات القران الكريم سبعة وعشرين مرة[٥٧]فالمسجد اسم مكان للسجود الذي اتخذه المسلمون وسيلة لتعظيم الله سبحانه وتعالى وبالتالي فله المنزلة العميقة في نفوس المسلمين فقد احتل هذه المكانة الرفيعة منذ أن وجد فقد كان إلى جانب اتخاذه مكانا لتأدية شعائر الصلاة اتخاذه مركزا لنشاطات متعددة الجوانب (ديني – ثقافي – اجتماعي – سياسي) ففي المساجد، كانت تؤخذ البيعة للخلفاء ومن على منابرها كان الخلفاء يلقون خطبهم الاولى التي تحدد منهاج كل منهم وطريقته في تسيير دفة الحكم وفي رحابة كان اجتماع الصحابة (رضوان الله عليهم) ومكانا لاستقبال الوفود القادمة من الاقطار، وفيه كان يستنفر المجاهدون للقتال وتعلن من خلاله انباء الحروب والانتصارات هذا إلى جانب اتخاذه دارا للعلم ومكانا للدرس، فالمسجد كان بمثابة مركز اشعاع ديني وعلمي واجتماعي يعتبره كل مسلم بيت الله لذا فالخلفاء والحكام في مختلف انحاء العالم الاسلامي كانوا يهتمون بالمساجد[٥٨].

يعد مسجد الكوفة من المساجد الاولى التي شيدت في الاسلام ، فقد اختط سعد بن ابي وقاص مسجد الكوفة سنة (١٧هـ) جاعلاً المسجد وسط المدينة ومركزها الثقافي والديني والاجتماعي الرئيس[٥٩].بني مسجد الكوفة اول الامر من القصب وبعدحادثة الحريق

استعمل اللبن والطين في البناء [٦٠]،فكان ولاة الكوفة يولون عناية بالغة واهتماماً كبيراً بمسجد الكوفة الجامع اذ شهد عدة تطويرات متعددة وترميمات مستمرة جعلت منه اكبر مسجد في العالم الاسلامي آنذاك [٦١]، فقد وسعه وزاد فيه الوالي المغيرة بن شعبة [٦٢]ثم جاء الوالي زياد ابن ابيه فعمل على توسع المسجد بشكل كبير واضاف اليه منشآت خدمية متخذاً له فيه مقصورة خاصة لاسباب امنية[٦٣]، وقد جدد المقصورة الوالي خالد بن عبدالله القسري [٦٤]ورممّ المسجد كله[٦٥].

ثم جاء الحجاج بن يوسف الثقفي[٦٦] واضاف اليه ووسعه واجرى فيه التجديدات والإصلاحات حتى أبرزه بأجمل حلله وأزهاها [٦٧].وفضلاً عن المسجد الجامع في الكوفة فقد كان هناك عديد من المساجد الأخرى منها المساجد الاربعة[٦٨]ومساجداخرى تنتسب الى القبائل في الكوفة[٦٩]ولم تقتصرمساجدالكوفةعلى الجانب الديني فحسب بل اصبح المسجد معهداً دراسياً تبلورت فيه الدراسات القرآنية ودراسة الحديث النبوي والتفسير والفقه وعلوم اللغة والتاريخ،وكانت الحلقات الدراسية تعقد فيه لتقوم بدورها التعليمي للناس[٧٠]،فقد نزل الكوفة ما يقارب ١٥٠ صحابياً ومثلهم من التابعين فكان منهم الرواة والقرآء والمحدثون والفقهاء ليؤّموا الناس فيها ايام الجمع ويفتوهم في امور دينهم[٧١]،كما اصبحت مساجد الكوفة مركزا اجتماعيا للرحالة والوافدين اليها من خارج المدينة [٧٢].وبدأ المسجد يضج بالحلقات العلمية باصناف العلماء من فقهاء وشعراء وقضاة وغيرهم من رجال الدين وما كان يصدرون من اصواتاً وضوضاء يضيق على المصليين مما دفع العلماء الى انشاء اماكن مستقلة للتعليم عن المسجد [٧٣].

ثانيا :الكتاتيب

عبارة عن غرفة او باحة او دكان يدرس به احد المعلمين الطلاب الصغار ،ويشترط في المعلم الامانة والاستقامة ،كما يشترط في كثير من الاحيان ان يكون متزوجا وينص بدوره على تعليم القران الكريم والقرأة والكتابة ،ويغرس بالاطفال شعائر الاسلام ومحاسن الاخلاق[٧٤]،وكان الاباء يرسلون ابنائهم الى الكتاتيب في سن السابعة غالبا

،وقد يدخل الطفل الى المكتب وهوبالخامسةاوالسادسة اذا آنس اهله منه نبوغاً وذكاءً[٧٥].

فالمسؤول الاول والاخير عن المكتب هوالمعلم ويسمى المؤدب فهو الذي يستاجر مكانه او يبتاعه ، واغلب الكتاتيب يكون فيها معلم واحد،وقد يشترك معلمان اواكثر في الكتاتيب التي يزدحم فيها الاطفال [٧٦]،وقبل دخول الطفل الى الكتاتيب يتفق الاب مع المعلم حول اجرة تعليم الطفل،مع تحديد الاجزاء التي يجب على المعلم تحفيظها للطفل من القرآن الكريم ،وكذلك المهارات التي يجب اتقانها للطلاب لها مثل القراة والكتابة [٧٧] ،ان بعض الفقهاء كره اخذ الاجرة على تعليم كتاب الله الا ان جلّ الفقهاء احلوا ذلك[٧٨]،وان شدد بعضهم على الاحتراز من الاموال المشبوه من مكس او رشوة[٧٩].

وكانت الكتاتيب اهلية فليس للدولة رسم مناهجها وتعين معلميها والصرف عليهم،اوعلى انشطة واحتياجات الكتاتيب [٨٠].

ولم يقتصر تعليم الصغار على الكتاتيب ،بل كان للمسجد دوره التكميلي في حفظ القران الكريم في الحلقات المسائية الا ان الاسلام شدد على حرمة المساجد لعدم تحرزالصغار من النجاسات [٨١].فأقتصرتعليم القراة والخط على الكتاتيب التي فضل ان تكون اماكنها بالدروب المسلوكة،اوقرب الاسواق خوفا على الصغار ودرءاً للفتنة[٨٢].

ونستشف من ذلك ان التعليم في الكتاتيب كان مستقلا عن المساجد.

ولم يكن لمراحل الدراسة بالكتاتيب تنظيم محدد ووقت معين ،فقد يحذق الطالب ويتمها وهو في سن العاشرة ،وقد يستمر بالكتاتيب سنوات قد تصل لما بعد البلوغ[٨٣].

وجأت أهمية الكوفة ومكانتها العلمية والفكرية، حيث أرسل الخليفة عمرﷺ إلى أهل الكوفة قائلاً: ("اما بعد فإني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود[٨٤] معلماً ووزيراً وقد جعلت بن مسعود على بيت ما لكم وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما...))[٨٥].

والكوفة أحد الامصار الاسلامية التي اهتمت بالكتاتيب كونها أحد مراكز الانشطة التعليمية والثقافية ومن بين الشخصيات التي كان لها دور في مجال التعليم في الكوفة

الأسود بن سريع الكوفي(ت:٧٥هـ/٦٩٤م)، من الصحابة وكبار علماء الكوفة وحفاظها، إهتم بقراءة القرآن وأخذ عن كبار الصحابة مثل الخليفة عمر رضي الله عنه ، والإمام علي عليه السلام، وعبد الله بن مسعود[٨٦]، كان يعقد المجالس الخاصة بقرآءة القرآن للصبيان في الكوفة ويطلب منهم ان يعرضوا عليه قراءتهم وهو يجيزلهم ذلك[٨٧].

وكذلك الشاعر المشهور الكميت[٨٨] فقد كان يعلم الصبيان في مسجد الكوفة[٨٩]وكان العديد من المعلمين والمؤدبين في الكوفة لا يتقاضون اجراً ومنهم عبدالله بن الحارث الشيباني[٩٠] الذي كان معلماً في الكوفة [٩١]، وكذلك الشاعر الكوفي الطرماح بن حكيم الطائي[٩٢]الذي امتهن مهنة التعليم [٩٣].

امالمواد العلمية التي تعطى للاطفال في الكتاتيب فقد ذكر بن خلدون : "أن تعليم الولدان القرآن شعيرة من شعائر الدين الذي اخذ منه اهل الملّة ، ودرجوا عليه في امصارهم لما سبق إلى القلوب الرسوخ وايمان وعقائد بسبب آيات القرآن وفنون الحديث صار القرآن اصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعد من ملكات"[٩٤].

ثالثا:المجالس

تعد المجالس أحد المراكز الثقافية والتعليمية في الدولة العربيةالاسلامية،فقد شهدت مدينة الكوفة انتشار المجالس ،وكانت في اغلب الاحيان تقام في قصور الولاّة أو في دار إمارته وكان نشاط هذه المجالس واسعاً [٩٥].

وكانت تقام في الكوفة المجالس العلمية وبها تذكر الأخبار والقصص وفنون الخط والكتابة وحلقات الشعر.وقد ورثت الكوفة كل هذا الكم الكبير من الثقافات وأطرتها بألاطرالإسلامية[٩٦]. وقد وفد إليها أصناف العلماءعند تمصيرها ونزول الصحابة فيها فأصبحت "الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين في كثرة فقهائها، ومحدثيها والقائمين بعلوم القرآن، وعلوم اللغة العربية، بعد أن إتخذهاالامام علي بن أبي طالب عليه السلام، عاصمة الخلافة، وبعد أن إنتقل أقوياء الصحابة ... وفقاؤهم إليها..."[٩٧]

ومن اشهر المجالس التي كانت تعقد في مدينة الكوفة مجالس القران الكريم والشعر وفي مناسبات عديدة سواء كانت سياسية او اجتماعية ،وتحولت في بعض الاحيان الى مجالس غناء ،حسب ميول واهواء الولاة . وعندما قدم الوالي سعيد بن العاص [٩٨]إلى الكوفة

في خلافة عثمان بن عفان بعد عزل اخيه الوليد بن عقبة[٩٩] اقام له مجالس خاصة به كان لها اثر كبير في المجال التعليمي والثقافي ، وكان يحضر مجالس قرّاء القرآن في الكوفة والقادسية وقد حدث في احدى الايام خلاف بين قراء الكوفة والقادسية وبين أحد الاشخاص الذين حضروا المجلس[١٠٠]، وكان هذا الخلاف سبباً في عزل الوالي سعيد بن العاص من قبل الخليفة عثمان بن عفان [١٠١].وعندما إتخذت الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية(٣٦-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦٠م) لتصبح منارة العلم حتى قيل: "من أراد معرفة الحلال والحرام فليأتي أهل الكوفة"[١٠٢] ومن علماء الكوفة الاخرين ممن اشتهر بالقراءات وصنف فيها:علقة بن قيس النخعي الكوفي(ت٦٢هـ/ ٦٨١م) ولد في حياة النبيﷺ ،و كان عالماً حافظاً للقرآن، تتلمذ على يد الإمام عليعليه السلام، وعبد الله بن مسعود، أصبح أستاذ أهل الكوفة في هذا المجال في العصر الإموي وكانت له مجالسه الخاصة في قراءة القرآن [١٠٣]،وكذلك مجلس أبي عبد الرحمن السلمي الكوفي (ت:٧٤هـ/ ٦٩٣م)، ولد في حياة النبي ﷺ، وتتلمذ على يد الإمام عليعليه السلام، وأخذ علوم القرآن والفقه منه ، عرف بمجالسه العلمية الخاصة بالقرآن والقراءات[١٠٤]، وبقي في مسجد الكوفة أربعين سنة يقرئ القرآن للناس[١٠٥] وتعد دار القارئ عبدالرحمن بن ابي ليلى[١٠٦] أحد ابرز هذه الدور التي كانت تقام فيها المجالس، حيث كان القرّاء يجتمعون فيها لقراءة القرآن وتدارس احكام التلاوة وكان الجالسون في يمكثون أوقاتاً طويلة ولا يفترقون إلاّ في اوقات الطعام فكانت مجالس قراءة وحديث وعلوم التاريخ يتذاكرون فيها أيضاً سيرة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بوصفه المثل الاعلى لهم[١٠٧].وكان خطيب الكوفة وأبرز رجالها زيد بن صوحان(ت:٣٦هـ/ ٦٥٦م)[١٠٨]، قد عُرف بمجالسه العلمية، حتى قيل إنه بنى داراً في الكوفة لمجموعة من عباد أهل البصرة الذين كانوا يفدون إليه يأخذون منه الحديث، وكان هؤلاء متفرغين للعبادة، وليس لهم أعمال وأملاك، فكان زيد يوصي أهل الكوفة وأهله باحترامهم وتقديم ما يحتاجونه، وكان كثير التردد عليهم يسمعهم الأحاديث، وعندما أمر والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز(٢٩-٣٥هـ/٦٤٩-٦٥٥م) بإرجاعهم الى البصرة غضب لذلك وأوضح لهم أنه قربهم ليفيدهم من علومه، ويستفيد من مشورتهم[١٠٩].الكوفة فقد اعتنت عناية كبيرة

بالتفسيروالحديث النبوي، وسبقت غيرها من المدن الإسلامية بهذا المضمار، فمنذ العصر الراشدي اهتمت مدرسة الكوفة بالحديث ، روايةً وسنداً، وتوج هذا العمل بجعلها عاصمة الخلافة الإسلامية، حيث كان الإمام علي عليه السلام يخطب بالناس في مسجد الكوفة والناس حوله تسمع وتدون ما يقول وتسأله من أين هذا العلم، يخرج لهم صحيفة جمع فيها كل ما سمعه وأخذه عن الرسول ﷺ وشهد مسجد الكوفة حلقات الحديث ووفدت إليها الناس تسمع من الصحابة، أمثال حذيفة بن اليمان(ت:٣٥هـ/ ٦٥٥م)[١١٠]، وعمار بن ياسر، وأبي رافع (ت:نحو٤٠هـ/٦٦٠م) مولى الرسول ﷺ وغيرهم الكثير. وقد شملت كتب الحديث أغلب أحاديث أهل الكوفة[١١١].

فأصبحت الكوفة بين علم الإمام علي عليه السلام ومدرسة عبد الله بن مسعود وحلقات الصحابة المحدثين، مرتعاً لطلاب العلم والمعرفة وقد أدى ازدياد توافد طلبة العلم إليها إلى الاندماج الفكري وتطورالدراسات العقلية بكل اتجاهاتها [١١٢].كما أصبحت الكوفة مركز الإشعاع الفقهي للعالم الإسلامي، وتولى الفقيه إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي(٥٠-٩٦هـ/ ٦٧٠- ٧١٤م)،مجالس الفقه وأصبح كبير علماء العالم الإسلامي بالفقه بل كان مفتي العراق بزمانه[١١٣]، وقد أصبحت له فتاوى وآراء إستنباطية بما يوافق القرآن والسنة[١١٤].

وتأتي مناسبة تسلم الأعمال للولاة والعمال في مقدمة المناسبات السياسية التي كان يحضر فيها الشعراء مجالس الولاة والعمال لمدحهم والثناء عليهم بهذه المناسبة، من ذلك نذكر حال الشاعر الكوفي عبد الله بن الزبير بن الاشيم الاسدي[١١٥] مع الولاة ، فقد ورد انه كان يتردد على الولاة لإلقاء القصائد ، فعندما تولى عبد الرحمن بن أم الحكم ولاية الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان عام (٥٧ هـ/٦٧٧ م) دخل عليه الشاعر عبد الله بن الزبير الاسدي وانشده شعرا بهذه المناسبة[١١٦].

وحينما تولى مصعب بن الزبير ولاية الكوفة لأخيه عبد الله بن الزبير عام (٦٨ هـ/٦٨٨ م) دخل عليه أيضا الشاعر عبد الله بن الزبير الاسدي ومدحه بأبيات من الشعر، وقيل جيء به أسيراً مع الأسرى – إذ كان من خاصة بني أمية – فمدح مصعب بهذه المناسبة وعفا عنه ثم انقطع إليه فكان معه إلى أن قتل مصعب (٣١[١١٧]).وبعد وفاة مصعب عاد

أبى االله إلا أن يتمم نوره ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا
وينزل ذلاً بالعراق وأهله كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما لبث الحجاج أن سل سيفه علينا فولى جمعنا متبددا
وما زاحف الحجاج إلا رأيته حساما ملقى للحروب معودا [١٢٠]

الشاعر عبد االله بن الزبير الاسدي إلى مدح بني أمية مرة أخرى، إذ يروى انه دخل على بشر بن مروان حينما تولى ولاية الكوفة لأخيه الخليفة عبد الملك بن مروان عام (٧٢ هـ/٦٩١ م) بعد أن أدنى بشر مكانة الشاعر عبد االله بن الزبير لهواه ببني أمية، فمدحه عبد االله بأبيات من الشعر بهذه المناسبة [١١٨]،وهو أمر يشير إلى أن الشعراء كانوا لا يأبهون شخص الوالي بقدر ما ما كان هدفهم الرئيس هو نيل رضاه والفوز بالمكافآت والجوائز مهما كان شخصه،كذلك الشاعر الكوفي الحكم بن عبدل بن جبلة الاسدي – احد شعراء الدولة الأموية – دخل أيضاً على بشر بن مروان بهذه المناسبة وألقى شعراً [١١٩]،ودخول بعض الشعراء لطلب العفو وإعلان الندم وتجديد البيعة بعد الخروج عن طاعة الدولة الأموية مع الثائرين والمناوئين لها، بعد فشل تلك الحركات، أو تعرض هؤلاء الشعراء بالنقد لسياسة الدولة الأموية، فيأتي عندئذ الشعراء المعنيون لطلب العفو والتماس الصفح عنهم، فيتلون الأبيات والقصائد التي كانت أحياناً سبباً في الصفح عن بعضهم بعد أن نالت إعجاب الولاة والعمال. فعندما فرغ الحجاج من حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عام (٨٥هـ/٧٠٤م) أخذ الحجاج يؤنب أهل العراق لدخولهم مع ابن الأشعث، ثم جلب له الأسرى وكان فيهم الشاعر عبد الرحمن بن عبد االله الهمداني المعروف بأعشى همدان – احد شعراء الدولة الأموية المعروفين – الذي كان أول من خلع الطاعة مع ابن الأشعث، فأخذ الحجاج يؤنبه ويحاسبه على كل قصيدة هجاء قالها فيه وهو مع ابن الأشعث، فأخذ الأعشى يدافع عن نفسه، ثم مدح الحجاج بأبيات من الشعر وفيها رجاء وطلب للعفو والصفح وإعلان للندم منها قوله:

وأبيات أخرى نالت رضا واستحسان حاشية الحجاج، لكن الحجاج رفض الصفح عنه مشيراً إلى أنه بهذا الشعر يتأسف على انتصار الحجاج على ابن الأشعث فأمر به فضربت عنقه [١٢١].

وهجا الشاعر العديل بن الفرخ العجلي – احد شعراء الدولة الأموية المقلين - الحجاج وانتقد سياسته في العراق بأبيات من الشعر تناهت إلى مسامع الحجاج فطلبه فهرب العديل منه إلى قيصر الروم، وقال عنده شعرا نال فيه من شخص الحجاج منه قوله : ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي اليعملات عريض فجن جنون الحجاج وكتب إلى قيصر الروم يقول: " لتبعثن به أو لاغزينك خيلاً يكون أولها عندك وأخرها عندي "، فبعث به قيصر الروم إلى الحجاج، وقيل انه دخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم، وقيل أن العديل استجار بقبائل بكر بن وائل ليطلبوا له الشفاعة عند الحجاج ففعلوا ذلك، وجميع تلك الروايات تشير إلى حضور العديل مجلس الحجاج طالبا العفو ومعلناً ندمه ومجدداً بيعته للحجاج، وعندما دخل العديل مجلس الحجاج انشأ يقول :

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان لحجاج علي دليل
خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام مصطفى وخليل
بنى قبة الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعدالضلال رسول

فعفاعنه الحجاج وأجزل صلته [١٢٢].

اما المجالس الاجتماعيةجميع جلسات الشعر التي كانت تقام عند الولاة والعمال في مختلف المناسبات الاجتماعية كالوفاة والمرض مثلاً، أو جلسات الشعر التي كانت تقام بدون مناسبة معينه لدوافع اجتماعية متعددة كالحضور إلى مجالس الولاة والعمال للإجارة وطلب الشفاعة، والمنادمة وطلب الحاجة والتكسب المادي بالشعر وهي الصفة الغالبة عند الشعراء إذ اعتاد الشعراء حضور مجالس الولاة والعمال لمدحهم والثناء عليهم بأبيات من الشعر مقابل الحصول على اسنى الجوائز والمكافآت العينية والنقدية. وضمن مجالس الشعر التي كانت تقام في المآتم نذكر هنا ما حدث عند الحجاج بعد وفاة ولده محمد وأخيه محمد بن يوسف عندما أتاه خبر وفاتهما في آن واحد وقيل

بين وفاتهما جمعة، إذ جلس الحجاج للمعزين وكان فيهم الشاعر همام بن غالب المعروف بالفرزدق، وطلب الحجاج منه أن يرثي ولده وأخاه فأنشده الفرزدق شعراً يرثيهما فيه منه قوله :

لئن جزع الحجاج ما من مصيبة تكون لمحزون اجل وأوجعا
من المصطفى والمصطفى من خيارهم جناحيه لما فارقاه فودعا
أخ كان أغنى أيمن الأرض كلها وأغنى ابنه أمر العراقين أجمعا. (١٢٣)

وبلغ من شدة حزن الحجاج على ولده محمد أن أخذ يبعث للرجال الشعراء وغيرهم من غير الشعراء أن يرثوا له ولده، فبعث إلى رجل شاعر يدعى علي بن ثابت الأنصاري فرثى له ابنه(١٢٤) ،وبعث الحجاج أيضاً إلى مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري – عامله على الحيرة وأخي هند زوجة الحجاج (١٢٥)للغرض نفسه (١٢٦).اما مجلس الغناءفقد قرب الوالي الوليد بن عقبة الشعراء من مجلسه وقدرهم ورفع من شأنهم ومن الشعراء الذين قربهم منه ومن مجلسه الشاعرأبو زيد الطائي(١٢٧).الذي قدم إلى الكوفة في ولاية عقبة بن الوليد واصبح نديماً له(١٢٨)واخذت تتحول بمرور الزمن إلى مجالس سمر فكان ذلك سبباً في طلب اهل الكوفة من الخليفة عثمان بن عفان عزل الوليد بن عقبة وتعيين والٍ آخر محله فعيّن بدله سعيد بن العاص(١٢٩).

امافي العصر الاموي فقد اشتهر الوالي الجديد عبيدالله بن زياد بحب مجالس الغناء ، وقد اتخذ المغني احمد النصيبي الذي كان يرافق الشعراء نديماً له (١٣٠).

وقد كان غالبية ولاة وعمال الخليفة عبد الملك بن مروان يستسيغون الغناء ويشجعون عليه، طالما أن عبد الملك نفسه كان عاشقا ومحبا للغناء (١٣١) ،ومنهم أخوه بشر بن مروان والي الكوفة آنذاك، إذ كان بشر أديباً ظريفاً يحب الشعر والمسامرة وقد اقبل على الشراب والطرب(١٣٢)،يروى انه اتخذ يوماً مجلساً بمظهر من مظاهر الأبهة وبين يديه المغني حنين بن بلوغ (١٣٣)– احد فحول المغنين – وعوده في حجره وغنى بين يدي بشر (١٣٤).كما كانت تعقد مجالس في اسواق مدينةالكوفة فلم تقتصر الاسواق على عمليات البيع والشراء فقط ، وانما كانت بمثابة مدرسة ثقافية يتبارى الناس فيها بشعرهم وخطبهم واجتماعاتهم واشتهرت في الكوفة أسواق عديدة اشهرها سوق الكناسة التي كان لها

دور كبير وبارز في الحياة الاقتصادية بشكل عام والحياة الثقافية بشكل خاص بعد أن كانت مكاناً لرمي النفايات ثم أصبحت سوقاً لبيع الإبل والغنم [١٣٥].فكانت سوق الكناسة اشبه بسوق عكاظ[١٣٦] قبل الاسلام [١٣٧].أن أشراف الكوفة وكبار القوم وعليتهم وخطبائهم وشخصياتهم كانوا يخرجون إلى ضواحي الكناسة فيتحدثون عن دوابهم وتجارتهم،ويخرجون للمذاكرة والمناشدة في شعرهم وخطبهم وقصصهم حتى يطردهم حر الشمس فينصرفوا إلى بيوتهم [١٣٨] كماقيل ان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام،خرج الى سوق الكناسة فوجد قاصاً يقص القصص والحكايا فيه[١٣٩].

ونستشف من ذلك ان المجالس لم تقتصرعلى الولاة بل حتى في دورالعلماء والشعراء في مدينة الكوفة سواء كانت مجالس لقراة القران او القصص اوالشعروالغناء ،فاسهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية في مدينة الكوفة و مثلت الاسواق في مدينة الكوفة الحياة بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية

رابعاً:الاديره :هي البيوت الذي يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المدن وعادة ما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال فان كان في المدن والامصار يتحول الى كنيسة او بيعة [١٤٠].اصبح للدير وظيفة تعليمية وثقافية وصحية ،بعد ان كانت مكان لعبادةالرهبان[١٤١]،وبلغ عدد الاديره في مدينةالكوفة حوالي خمسة عشر ديراً موزعة على مناطق الكوفة والقريبة منها ، وهذا العدد يعكس لنا عدد رجال الدين الذين كانوا يتواجدون في هذه الاديرة والذين كانوا يشتغلون في تعليم القراءة والكتابة واصبحوا واسطة في نشر المعارف وكان بعضهم يمثل واسطة النقل بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى في بداية تمصير الكوفة[١٤٢]، وقد قام الرهبان والأساقفة بدور كبير في الحياة الثقافية في الكوفة خلال القرن الأول الهجري فعملوا في مجال الترجمة وترجموا بعض كتب اليونان في العلوم المختلفة [١٤٣]، وبذلك اسهمت الاديره الى تنسيط حركةالعلمية والثقافية في مدينةالكوفة .

الخاتمة

الكوفةاحدى مدن العراق الكبرى، وهي قبة الإسلام، ودار هجرة المسلمين، مصّرها سعد بن أبي وقاص، وكان قبل ذلك منزل نوح (ع)، وبنى مسجدها الأعظم.ان الكوفة لم تكن خلال السنوات الخمس الأولى من إنشائيا مجرد تجمع من خصائص القصب ,بل كانت إقامة عسكرية في البداية ,ويفسر ضعف الاستقرار بأن الكوفيين بذلوا نشاطاً واسعاً في منطقة الجبال.

فبعد تمصير المدينة سنة(١٧ه) اراد الخليفة الثاني ان تكون الكوفة قاعدة للمسلمين وجيوشهم ومركزاً لتجمعهم وشحنهم بالمؤن فضلاً عن كونها مركزاً لشحن المسلمين بروح الاسلام ورأى انه لا يتم ذلك الا بتعلم المسلمين هناك اصول الدين على يد اناس لهم مكانة وسبق في الاسلام.فنزل فيها العديد من الصحابة وقد قسمت الكوفة الى سبع مناطق عسكرية سميت (الاسباع) وذلك وفقاً للقيادات وتيسيراً للتعبئة العامة عند النفير والخروج الى الجهاد وتسهيلاً لتوزيع الغنائم والاعطيات بعد العودة من المعارك الجهادية.كماهاجرت القبائل العربية الى مدينة الكوفة .فالموقع الجغرافي والعامل الديني والتاريخي اضافة الى تنوع سكان الكوفة والرحلة في طلب العلم ساهم عى ازدهار الثقافة في مدينة الكوفة،وكانت مراكز الثقافة في مدينة لكوفة توخذ بالدرجة الاولى من المسجد اذ يعد مركزاً ثقافياً وعلمياً ودينياً للمسلمين في الكوفة ولم يقتصر دوره على اداء العبادات والفرائض فحسب بل ساهم في تطور ورقي الحياة العامة. اضافة الى الكتاتيب وتعد الكتاتيب من مراكز الانشطة العلمية والثقافية الاولى ، وهي تمثل ميداناً لتعليم التلاميذ المبادئ الاولية للمعرفة كالقراءة والكتابة وغيرها من مبادئ الدين الاسلامي. امّاالاسواق قد مثلت الاسواق في مدينة الكوفة الحياة بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية فلم تقتصر الاسواق على عمليات البيع والشراء فقط ، وانما كانت بمثابة مدرسة ثقافية يتبارى الناس فيها بشعرهم وخطبهم واجتماعاتهم والاديرة في الكوفة عدّت من المراكز الثقافية المهمة والتي ساهمت في تخريج عدد كبير من العلماء والادباء ،اما مجالس الامراءوالشعراء والادباء والعلماء التي اسهمت الى تنشيط الحياة الثقافية في مدينة الكوفة .

الملخص:

الكوفة احدى مدن العراق الكبرى، وهي قبة الإسلام، ودار هجرة المسلمين، مصّرها سعد بن أبي وقاص، وكان قبل ذلك منزل نوح (ع)، وبنى مسجدها الأعظم ان الكوفة لم تكن خلال السنوات الخمس الأولى من إنشائيا مجرد تجمع من خصائص القصب ,بل كانت إقامة عسكرية في البداية ,ويفسر ضعف الاستقرار بأن الكوفيين بذلوا نشاطاً واسعاً في منطقة الجبال.

فبعد تمصير المدينة سنة(١٧هـ) اراد الخليفة الثاني ان تكون الكوفة قاعدة للمسلمين وجيوشهم ومركزاً لتجمعهم وشحنهم بالمؤن فضلاً عن كونها مركزاً لشحن المسلمين بروح الاسلام ورأى انه لا يتم ذلك الا بتعلم المسلمين هناك اصول الدين على يد اناس لهم مكانة وسبق في الاسلام.فنزل فيها العديد من الصحابة وقد قسمت الكوفة الى سبع مناطق عسكرية سميت (الاسباع) وذلك وفقاً للقيادات وتيسيراً للتعبئة العامة عند النفير والخروج الى الجهاد وتسهيلاً لتوزيع الغنائم والاعطيات بعد العودة من المعارك الجهادية.كماهاجرت القبائل العربية الى مدينة الكوفة .فالموقع الجغرافي والعامل الديني والتاريخي اضافة الى تنوع سكان الكوفة والرحلة في طلب العلم ساهم عى ازدهار الثقافة في مدينة الكوفة،وكانت مراكز الثقافة في مدينة لكوفة توخذ بالدرجة الاولى من المسجد اذ يعد مركزاً ثقافياً وعلمياً ودينياً للمسلمين في الكوفة ولم يقتصر دوره على اداء العبادات والفرائض فحسب بل ساهم في تطور ورقي الحياة العامة. اضافة الى الكتاتيب وتعد الكتاتيب من مراكز الانشطة العلمية والثقافية الاولى ، وهي تمثل ميداناً لتعليم التلاميذ المبادئ الاولية للمعرفة كالقراءة والكتابة وغيرها من مبادئ الدين الاسلامي. امّاالاسواق قد مثلت الاسواق في مدينة الكوفة الحياة بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية فلم تقتصر الاسواق على عمليات البيع والشراء فقط ، وانما كانت بمثابة مدرسة ثقافية يتبارى الناس فيها بشعرهم وخطبهم واجتماعاتهم والاديرة في الكوفة عدّت من المراكز الثقافية المهمة والتي ساهمت في تخريج عدد كبير من العلماء والادباء ،اما مجالس الامراءوالشعراء والاباءوالعلماء التي ساهمت الى تنشيط الحياة الثقافية في مدينة الكوفة .

Abstract

Alkovhahdy major cities of Iraq, the Dome of Islam, and Dar Muslim immigration, Mzaretha Saad bin Abi Waqas, and it was before Noah's house (p), and built the Great Mosque

The Kufa were not during the first five years of structurally just a gathering of reeds properties, but was a military establishment at the beginning, and explains the weakness of stability that Alkoviin have made very active in the mountains area.

After Egyptianizing city years (١٧AH) wanted the second Caliph to be Kufa base for Muslims and their armies and a center to gather them and their cargo with supplies as well as being a center for the shipment of Muslims in the spirit of Islam, and saw that he was only done by learning Muslims there are assets of religion by people who have the status already in Alasalam.vensl where many of the companions were divided Kufa to seven military regions called (Alasba), according to the leaders and to facilitate public mobilization when the horn and out into the jihad and to facilitate the distribution of the spoils and Alaattiyat after returning from battles Aljhadih.kmahajrt Arab tribes to the city of Kufa, the geographical .valmouka factor of Religious and historical addition to the diversity of the population of Kufa and the journey to seek knowledge contributed Ay flourishing of culture in the city of Kufa, and the centers of culture in the city of Kufa Tokhz primarily from the mosque as it is a cultural, scientific and religious center for Muslims in Kufa, not his role is limited to the performance of worship and the statutes, but also contributed to the The development of public life. The library is one of the first centers of scientific and cultural activities. It represents a field for teaching students the basic principles of knowledge such as reading, writing and other principles of Islamic religion. Amaalaswaq has represented the markets in the city of Kufa life in various economic, social, political and cultural aspects of film markets, the buying and selling only limited, but also served as a cultural school people love them Bchaaram and their speeches and meetings and monasteries in Kufa returned from important cultural centers, which contributed to the graduation of a large number of scientists And the writers, the councils of princes, poets, parents and scientists, which contributed to the revitalization of cultural life in the city of Kufa.

الهوامش:

(١)البراقي، السيد حسين ، تاريخ الكوفة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٧٨ م،ص١٤٢.

(٢)البلاذري، احمد بن يحيى بن جاء (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)،فتوح البلدان، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م،ص ٢٧٥.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان ، إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت ،ج٤،ص٤٩٥

(٤)فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٣٩

(٥)شورستان : وتعني الصحراء . المسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التبنيه والاشراف ، بيروت ، ١٩٨١ م، ص٥.

(٦)ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن المكرم(ت ٧٦١هـ/١٣١١م)،لسان العرب ، دار الصياد، بيروت، د.ت،ج٩،ص٣١.

(٧) م.ن،ج٩،ص٣١.

(٨) الجنابي، كاظم ، تخطيط مدينة الكوفة، بغداد ،ط ١، ١٩٦٧ م، ص١١.

(٩)ناجي ،عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، البصرة ، ١٩٨٦ م، ص١٠٢؛ الحيرة :مدينة تقع على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له : النجف ، وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية: ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج٢،ص٣٢٨.

(١٠)وحدة قياس الطول ويساوي(٦ كم) .ينظر:هنتس، فالتر،المكاييل والاوزان الاسلامية، ترجمة : كامل العسلي ، عمان ، ١٩٧٠م،ص٩٤.

(١١) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بن واضح الإخباري(ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)،تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت،د.ت، ج١،ص٧٩.

(١٢) الملطاط : هي المنطقة التي تقع في الكوفة والحيرة ، البلاذري ، فتوح البلدان ص٣٤١.

(١٣) الظهر : ما غلظ من الأرض وارتفع وانه طريق البر . ابن منظور، لسان العرب ،ج٤،ص٥٢٣ ؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر، بيروت ،١٩٦٦ م، ج٣،ص٣٧١.

(١٤) ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر،مؤسسة الاعمال للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م،ج١،ص ٣٠٠-٣١٤.

(١٥) ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج ٢ ،ص٣٣٩.

(١٦)مالك بن أُهَيْب القرشي الزُّهْري المكّي، وله قرابةٌ من النبيِّ (صلى الله عليه واله وسلم)فهو من بني زُهْرَة، وأم النبيِّ صلى الله عليه وسلم آمِنة بنت وهبٍ زُهريَّة، وهي ابنة عمٍّ أبي وقَّاص.الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)،سيراعلام النبلاء تحقيق: محب الدين ابو اسعد عجو بن غرامة العمرة ، دار الفكر ، بيروت ،د.ت،ج١،ص٩٢-٩٣. استعمله عمر بن الخطاب على الجيوش التي سَيّرهالقتال الفرس، فانتصر عليهم في معركة القادسية، وأَرسل جيشًا لقتال الفرس بجلولاء فهزموهم، وهو الذى فتح مدائن كسرى بالعراق فكان من قادة الفتح الإسلامي لفارس، وكان أول ولاة الكوفة، حيث قام بإنشائها بأمر من عمر سنة ١٧ هـ،وتوفي سنة (٥٥ه).م.ن ،ج١،ص١١٤-١٢٤؛ الصلابي، علي محمد ،فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، طبعة مكتبة الصحابة ، الشارقة، ٢٠٠٢م، ص ٣٧١-٣٧٧.

(١٧)الدينوري،احمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) ، الأخبار الطوال، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٧٥هـ،ص١٢٤.

(١٨) اسم المدائن بالفارسية توسفون وعربوه على الطيسفون ،وسمتها العرب المدائن لانها سبع سبع مدائن ،والمدائن اسم اطلق على بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد فراسخ ،واهلها فلاحون على مذهب الامامية وفيها قبرسلمان المحمدي(الفارسي)(رضي الله عنه). ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج ٥ ،ص٧٥.

(١٩) م.ن،ج ٢ ،ص٣٣٨-٣٣٩.

(٢٠)خليفةبن خياط(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، مطبعة وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، ١٩٦٧ م، ج١ ، ص١٠٩.

(٢١)الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٦٢٣م) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٨م ،ج٤،ص٤٠-٤١.

(٢٢)م.ن ،ج٤،ص٤٢.

(٢٣)أ أول من أسس مسجد الكوفة وبناه هو آدم (عليه السلام)كما هو المشهور والمأثور، ولعل الملائكة فيما قبل بنته وإن كان لم يذكر أحد ذلك من أهل الأخبار، لكن بمقتضى كلام جبرئيل للنبي: إني رأيته خرابا ورأيته عمرانا، أن تكون عمرته الملائكة بأمر الله تعالى ثم عمره آدم (عليه السلام).البراقي،تاريخ الكوفة،ص٣٣.

(٢٤)محمد ،صباح محمود ، دراسة في جغرافية المدن التاريخية ، مجلة المورد ،ع٤ ، ٢٠٠٠ م،ص٢٥.

(٢٥)الطبري،تاريخ الرسل والملوك ،ج٤،ص٤٣.

(٢٦)م.ن ،ج٤،ص٤٤.

(٢٧)م.ن ،ج٤،ص٤٤.

(٢٨)م.ن ،ج٤،ص٤٤.

(٢٩)هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف" الثقفي"،اسلم عام الخندق، توفي في الكوفة عن عمر يناهز ٧٠ سنة.الذهبي،سير اعلام النبلاء،ج٣،ص٢١.

(٣٠)خليفة بن خياط،تاريخ خليفة ،ج١،ص١٤١-١٤٩.

(٣١)ماسنيون،المسيو لويس ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، ترجمة : تقي محمد المصعبي ، مطبعة العربي الحديثة ، النجف ، ١٩٧٩ م، ص٣٨.

(٣٢)وهو زياد بن عبيد الثقفي ، وهو زياد ابن سمية ، وهي أمه ، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخ له ،كانت سمية مولاة للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب ولد عام الهجرة وأسلم زمن الصديق وهو أخو أبي بكرة الثقفي الصحابي لأمه . ثم كان كاتبا لأبي موسى الأشعري زمن إمرته على البصرة،فأصابه طاعون في سنة ثلاث وخمسين فمات الذهبي،سير اعلام النبلاء،ج٣،ص٤٩٥.

(٣٣)الخزبوطلي ،علي حسين ، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، القاهرة ، ١٩٥٩م، ص٢٥.

(٣٤)الطبري،، تاريخ الرسل والملوك، ،ج١،ص٩٧.

(٣٥) البلاذري ،فتوح البلدان،ج٢،ص٢٣٥.

(٣٦)ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص٤٢.

(٣٧) م.ن،ص٤٩-٥٠.

(٣٨)الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٤ ، ص٤٨.

(٣٩)الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)،الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق :أحسان عباس ،بيروت ،د.ت،ص٥٠١.

(٤٠) البلاذري ،فتوح البلدان،ج٢،ص٣٤١.

(٤١) الحميري،الروض المعطار ،ص٥٠٢.

(٤٢) محمد ، دراسة في جغرافية المدن ،ص٢.

(٤٣) ناجي،دراسات في تاريخ المدن ،ص١٠٢.

(٤٤) م.ن،ص١٠٢.

(٤٥)المخزومي ،مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مطبعة المعرفة ، بغداد ، ١٩٥٥ م، ص١٩.

(٤٦) امين،احمد ، ضحى الاسلام ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ج١ ، ص٢٧.

(٤٧)الزبيدي ،محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري ، مطبعة العالية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص١٠٩.

(٤٨) م.ن،ص١١٠.

(٤٩) م.ن،ص ١٠٥.

(٥٠)ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٧هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، مطبعة دار الفكر، د. ت ، ج٢ ، ص٦٣.

(٥١) المسعودي،مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأنوار للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م، ج٢، ص٧٣.

(٥٢) أمين، فجر الاسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٧-١٨.

(٥٣) ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد، (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، قم، ١٩٦٧م، ج٢، ص٢٨٤؛ المصري، حسين مجيب، الصلات بين العرب والفرس والترك، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،٢٠٠١م، ص٤٦.

(٥٤)الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المغربي (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م) ،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ط١ ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، ١٩٣٩م،ص٢٢٦.

(٥٥) م.ن،ص٢٦٦.

(٥٦)البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ،صحيح البخاري ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ،د.ت،ص١٠٠.

(٥٧)وردت كلمة المسجد ثمان مرات في سورة البقرة : الايات ١١٤ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢١٧ ، ومرة واحدة في سورة المائدة : اية ٢ ، ومثلها في سورة الانفال : اية ٣٤ ، وسبع مرات في سورة التوبة : الايات ٧ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ؛ ومرتين في سورة الاسراء : الاية ١ ، ٧ ، ومثلها في سورة الحج : الاية ٢٥ ، ٤٠ ، ومثلها في سورة الفتح : الاية ٢٥ ، ٢٧ ؛ ومرة واحدة في سورة الكهف : الاية ٢١ ومثلها في سورة الجن : اية ١٨ .

(٥٨)الصبحي ، محمد ابراهيم ، الفن والعمارة عند العرب ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، مصر ،د.ت ، ص٢٢.

(٥٩)الزبيدي ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، ص٢٨.

(٦٠)م.ن ، ص٢٨.

(٦١)م.ن ، ص٢٧-٢٨.

(٦٢)البلاذري : فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٣٩.

(٦٣)الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٩٢.

(٦٤)بو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي أمير العراقين لهشام وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان فقتل سنة(١٢٦هـ).الذهبي ،سير اعلام النبلاء،ج٥،ص٤٢٦-٤٣٣.

(٦٥)البلاذري : فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٢٤٠.

(٦٦)هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، الثقفي،كان ظلوما جبارا ناصبيا خبيثا سفاكا للدماء .وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء ، وفصاحة وبلاغة ، وتعظيم للقرآن، وحصاره لابن الزبير بالكعبة ، ورميه إياها بالمنجنيق ، وإذلاله لأهل الحرمين ، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة توفي سنة(٩٥هـ).الذهبي ،سير أعلام النبلاء،ج٤،ص٣٤٣.

(٦٧)الطبري ،تاريخ الرسل ، ج٤ ، ص٤٦.

(٦٨)مسجد السهلة ومسجد غنى ومسجد الحمر ومسجد جعفر. طعمة ،عبد الرزاق: تاريخ مسجد الكوفة ، النجف ، ١٩٧٤م ، ص١٢٣.

(٦٩)ماسنيون،خطط الكوفة ، ص١١٤-١١٦.

(٧٠)طعمة ، تاريخ مسجد الكوفة ، ص٢٥.

(٧١)حتي،فيليب ،تاريخ العرب المطول ،د.م،د.ت ،ج١، ص٢٣٢.

(٧٢)مؤنس، حسين ،المساجد ، الكويت ، ١٩٨١ م، ص٣٨.

(٧٣)ابن سعد ، محمد بن سعد الكاتب (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)،الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،د.ت،ج٦،ص٢٥١ .

(٧٤)الاهواني ،احمد فؤاد ،التربية في الاسلام ،القاهرة ،د.ت،ص٦٣.

(٧٥)عبد العال،حسن،فن التعليم عند ابن جماعة(٧٣٣هـ)،الرياض،١٤٠٥ه،ص٧٢ .

(٧٦)الاهواني ، التربية في الاسلام ،ص٦٣.

(٧٧)م.ن،ص٢١٦-٢١٧.

(٧٨)م.ن،ص٢١١.

(٧٩)ابن الحلاج ،محمد بن محمد (ت٧٣٧ه/ ١٣٣٦م)،المدخل ،القاهرة ،د.ت،ج٣،ص ٣١٠-٣١١.

(٨٠)الاهواني ،التربية في الاسلام ،ص٦٣.

(٨١)ابن الحلاج،المدخل،ج٣،ص ٣١٣.

(٨٢)م.ن،ج٣،ص٣١٢.

(٨٣)عبد العال ،فن التعليم،ص٧٣؛ الاهواني،التربية في الاسلام ،ص٥٩-٦٠.

(٨٤) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، من كبار الصحابة وخيرتهم، كان عالماً فاهماً قديم الإسلام مقرباً عند النبي ﷺ وملازم له، قيل عنه أول من جهر بقراءة القرآن، وشارك مع الرسول ﷺ غزواته، نزل الكوفة في عهد الخليفة عمرﷺ وأصبح فيها معلماً وفقيهاً، (ت٣٢هـ/ ٦٥٢م) . خليفة بن خياط، طبقات خليفة بن خياط العصفري ، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٣م، ص٧١.

(٨٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٥٥.

(٨٦) م.ن، ج٦، ص٧٠-٧٤.

(٨٧) ابن حنبل، أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) ،العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله محمد بن عباس، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٨٩.

(٨٨)أبو المستهل الكميت بن زيد بن خنيس بن مخالد الاسدي ولدسنة(٦٠هـ) كان خطيب أسد، وفقيه الشيعة، وحافظ القرآن، وثبت الجنان، كما كان كاتباً حسن الخط، وكان نسابة، وكان جدلاً، وكان أول من ناظر في التشيع، وكان رامياً لم يكن في أسد أرمى منه بنبل، وكان فارساً، وكان شجاعاً، وكان سخياً، ديناً،قتل سنة(١٢٦ه) في خلافة مروان بن محمد . الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي(ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م)، الأغاني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت،ج١٧،ص٣٠؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي(ت٥٧١هـ/١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق الكبير،دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ،ج٥٠،ص٢٣٢.

(٨٩)الاصفهاني، الاغاني ، ج١٦ ، ص ص١٠٨-١١٠.

(٩٠) لم اجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٩١)ابن سعد، الطبقات ، ج٦ ، ص٣٠٥

(٩٢) وهو طرماح بن حكيم الطائي شاعر اسلامي ولد في الشام وانتقل إلى الكوفة ، توفي سنة (١٢٥هـ) البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت ، ج٣ ، ص٤١٨.

(٩٣)الاصفهاني، الاغاني ، ج١٥ ، ص١٠٩.

(٩٤)المقدمة،ج١ ، ص٢٦٥.

(٩٥)الحلي ،احمد حقي ، التربية والتعليم في الحضارة العربية الاسلامية ، مجلة دراسات عربية واسلامية ، ع٢، ١٩٨٢ م، ص١٨٩.

(٩٦) البغدادي، خزانة الأدب ،ج٩، ص٣٦٦-٣٦٧.

(٩٧)ابن المديني، علي بن عبد الله بن جعفر، (ت ٢٣٤هـ/٨٤٨م)، سؤلات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني في الجرح والتعديل، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف، ،الرياض ، ١٩٨٤م، مقدمة المحقق ، ص١٤؛ الزيلعي، عبد الله بن يوسف بن محمد، (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، نصب الراية تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: أيمن صالح شعبان، مطبعة الوفاء، القاهرة،١٩٩٥م، مقدمة المحقق، ج١، ص٢٥.

(٩٨)هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، كنيته أبو عبد الرحمن، مات أبوه يوم بدر في جيش قريش، وهو صحابي صغير مات النبي محمد وله تسع سنين أو نحوها، كان أحدأشراف قريش وأجوادها وفصحائها المدّحين ولي الكوفة والمدينةالمنورة توفي سنة(٥٩هـ).الذهبي ،سير اعلام النبلاء ،ج٣،ص٤٤٤-٤٤٩.

(٩٩)ابو وهب الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وولي الكوفة لعثمان ، وجاهد بالشام ، ثم اعتزل بالجزيرة بعد قتل أخيه عثمان ، ولم يحارب مع أحد من الفريقين . وكان سخيا ، ممدحا ، شاعرا ، وكان يشرب الخمر ، وقد بعثه عمر على صدقات بني تغلب . وقبره بقرب الرقة.الذهبي ، سير اعلام النبلاء،ج٣،ص٤١٣-٤١٤.

(١٠٠)الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢، ص١٣٤-١٣٥.

(١٠١)، ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ج٣ ، ص٤٢.

(١٠٢) المديني، سؤلات محمد، مقدمة المحقق، ص١٤.

(١٠٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٨٦- ٩٠.

(١٠٤) م.ن، ج٦، ص١٧٢- ١٧٤.

(١٠٥) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)،، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٧م ، ج ٩، ص٤٣٦-٤٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٦٨- ٢٧٠.

(١٠٦)عبدالرحمن بن ابي ليلى بن حلاج المكي : وهو من قراء الكوفة وقد خرج مع عبدالرحمن بن الاثلث على الحجاج بن يوسف الثقفي وقتل بالدجيل ، ابن سعد ، الطبقات ، ج٦ ، ص ص١٠٩-١١٣.

(١٠٧) م.ن ، ج٦ ، ص ص١١٠.

(١٠٨) زيد بن صوحان بن حجر العبدي من بني قيس من كبار تابعي أهل الكوفة من خلص أصحاب الإمام علي عليه السلام ولد في حياة الرسول ﷺ ولم يره وقال في حقه إنه تقطع يده في سبيل الإسلام، من الخطباء الشجعان المعروفين، شارك بالفتوحات الإسلامية في خلافة عمر في معركة نهاوند وقطعت يده

شارك مع الإمام علي عليه السلام في حرب الجمل . ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩، ص٤٢٩-٤٣١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٢٤-٥٢٥.

(١٠٩)وذكر ابن عساكر قصة هؤلاء البصريين الزهاد طالبي العلم وكيف قربهم زيد اليه وأخذ ينحل عليهم من العلوم والمعارف وتولى كسوتهم ومعيشتهم، لكن والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز من قبل الخليفة عثمان أرجعهم الى البصرة ورفض أن يخالطوا زيد ويصبحون تبعاً له، ينظر: تاريخ دمشق، ج١٩، ص٤٤١.

(١١٠) حذيفة بن اليمان واسمه حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، من كبار وخلص أصحاب النبي، ﷺ والإمام علي عليه السلام، من القادة الأوائل شارك مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، من الثقات المؤتمنين يسمى سر النبي ﷺ، شارك في حركة الفتوحات في زمن الخليفة أبو بكر وعمر ، وفتحت على يده الكثير من مدن فارس، ممن نزل الكوفة من الصحابة، عرف بكثرة أحاديثه عن النبي ﷺ، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٥.

(١١١)الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم، بيروت، ١٩٨٥م،.ص١٥٩.

(١١٢)الطباطبائي، مير علي، (ت١٢٣١هـ/١٨١٥م)، رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٩٩١م، ج١، ص١٦.

(١١٣)البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي، (د. ط)، حيدر آباد ، الهند ، ١٩٤٥م، ج١، ص٣٣٣-٣٣٤.

(١١٤) الخطيب البغدادي، المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق أيدن، دار القادري للطباعة والنشر، بيروت،١٩٩٧م، ج١، ص١٩٤-١٩٥.

(١١٥)وهو أبو عمر بن ثعلب بن عقال بن سعد بن نصر من الشعراء الذين قدموا الكوفة في ايام الدولة الاموية واشتهر بالهجاء. ياقوت الحموي، معجم الادباء،د.م،د.ت ، ج١ ، ص٢٢٨.

(١١٦)الاصفهاني ، الاغاني ،ج١٤،ص ٣٩٠.

(١١٧)م.ن،ج١٤،ص٣٧٦،٣٨٣،٣٨٩.

(١١٨)م.ن ،ج٣٩٢،١٤-٣٩٥.

(١١٩)ابن خلدون،المقدمة،ج١ ، ص٢٦٥.

(١٢٠)ابن واصل، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم الحموي (ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٨ م) ،تجريد الأغاني، تحقيق: طه حسين وإبراهيم الابياري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،د.ت ،ج٢،ق١،ص ٧٣٠-٧٣٤.

(١٢١)الطبري ـج٥،ص١٧٨-١٨٠.

(١٢٢)الأصفهاني، الأغاني،ج ٢٢،ص٢١٠ -٢١١.

(١٢٣)ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج ٥٢،ص٢٦٤.

(١٢٤)المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م)،التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الديباجي، ط٢ ،دار صادر ، بيروت،١٩٩٢ م،ص٢٠٢-٢٠٣.

(١٢٥)ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج٥٦،ص٣٥٠.

(١٢٦)المبرد ،التعازي والمراثي،ص٢٠٤.

(١٢٧)وهو حرملة بن منذر من الشعراء المخضرمين عاش قبل الاسلام وبعده ، وكان يدين بالنبطية ، ومات على دين النصرانية ولم يسلم . الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢ ، ص١١١.

(١٢٨)م.ن ، ج١٢ ، ص١٣٠.

(١٢٩)الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٤ ، ص٢٧١.

(١٣٠)المبرد ،التعازي والمراثي،ص٢٠٤.

(١٣١)الأصفهاني، الأغاني،ج ٣،ص٧٤٦ – ٧٤٨.

(١٣٢)الاصفهاني، الاغاني ، ج٢ ، ص٣١٠.

(١٣٣)حنين بن بلوغ : وهو شاعر عن الحيرة نصراني كان يأتي إلى الكوفة كثيراً وعاش مئة وسبع سنين.م.ن،ج٢،ص٣١٠.

(١٣٤)ابن واصل، تجريد الأغاني، ج١ ،ق١،ص٢٧٦ – ٢٧٨.

(١٣٥)الزبيدي ،الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، ص٣٢-٣٣ .

(١٣٦)اسم سوق من أسواق العرب تقيمه العرب في شهر شوال ولمدة عشرين يوما ولم يكن هناك سوق أشهر منه ويقع قرب الطائف وكانت قبائل العرب تجتمع به من كل سنة . البغدادي، ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) ،مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع ، تحقيق:علي محمد البجاوي ،ط١، لبنان ،١٩٥٤م، مج٢، ص٩٥٣.

(١٣٧)الزبيدي ،الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، ص٣٤.

(١٣٨)المبرد ،الكامل،د.م،د.ت،ج٤،ص٢٠٤؛ طعمة ، تاريخ مسجد الكوفة،ص٣١

(١٣٩)الاصبهاني ، ابو نعيم احمد بن عبد الله(ت٤٣٠هـ/٢١٠٣٨م)،حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ،د.ت، ج٤ ، ص١٣٦.

(١٤٠) اليعقوبي ،البلدان ،د.م، د.ت، ص٣١٠.

(١٤١)اليوزبكي ، توفيق سلطان واحمد قاسم جمعة، دراسات في الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٩٥ م، ص٣٥١.

(١٤٢)حسن ، حسن ابراهيم ،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٧م،ج١،ص٣٣.

(١٤٣) اليوزبكي،دراسات في الحضارة ،ص٣٥٢.

المصادروالمراجع

اولاً:المصادر الاولية:

القران الكريم

ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١-الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الاصبهاني ، ابو نعيم احمد بن عبد الله(ت٤٣٠هـ/٢١٠٣٨م)

٢-حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ،د.ت.

الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي(ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م)

٣-الأغاني،، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

البخاري ،ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)

٤- صحيح البخاري ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ،د.ت.

٥-التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي، (د. ط)، حيدر آباد ، الهند ، ١٩٤٥م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)

٦-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

البلاذري، احمد بن يحيى بن جاء (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

٧-فتوح البلدان، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م،ص ٢٧٥.

ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد، (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)

٨- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، قم، ١٩٦٧م.

ابن الحلاج ،محمد بن محمد (ت٧٣٧ه/ ١٣٣٦م)

٩-المدخل ،القاهرة ،د.ت.
الحميري، محمد بن عبد المنعم (٧٢٧هـ/١٣٢٦م)
١٠-الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق :أحسان عباس ،بيروت ،د.ت
ابن حنبل، أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)
١١-العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله محمد بن عباس، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.
ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
١٢- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر،مؤسسة الاعمال للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.
الخطيب البغدادي،أحمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)
١٣-تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٧م.
١٤-الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم، بيروت، ١٩٨٥م.
١٥المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق أيدن، دار القادري للطباعة والنشر، بيروت،١٩٩٧م.
خليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)
١٦-تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، مطبعة وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، ١٩٦٧ م.
١٧-طبقات خليفة بن خياط العصفري ، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٣م.
الدينوري،احمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)
١٨- الأخبار الطوال، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٧٥هـ.
الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
١٩-سير اعلام النبلاء تحقيق: محب الدين ابو اسعد عجو بن غرامة العمرة ، دار الفكر ، بيروت ،د.ت.

الزيلعي، عبد الله بن يوسف بن محمد، (ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)
٢٠- نصب الراية تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: أيمن صالح شعبان، مطبعة الوفاء، القاهرة،١٩٩٥م
ابن سعد ، محمد بن سعد الكاتب (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)
٢١-الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،د.ت.
الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٦٢٣م)
٢٢- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٨م.
ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
٢٣-مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع ، تحقيق:علي محمد البجاوي ،ط١، لبنان ،١٩٥٤م.
ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٧هـ/٩٣٩م)
٢٤- العقد الفريد ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، مطبعة دار الفكر، د. ت.
ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي(ت٥٧١هـ/١١٧٦م)
٢٥- تاريخ مدينة دمشق الكبير،دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.
الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المغربي (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)
٢٦-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ط١ ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، ١٩٣٩م
المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م)
٢٧-التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الديباجي، ط٢ ،دار صادر ، بيروت،١٩٩٢ م
٢٨-الكامل،د.م،د.ت.
ابن المديني، علي بن عبد الله بن جعفر، (ت ٢٣٤هـ/٨٤٨م)
٢٩-سؤلات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني في الجرح والتعديل، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف، ،الرياض ، ١٩٨٤م.
المسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)

٣٠-التبنيه والاشراف ، بيروت ، ١٩٨١ م.
٣١-مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأنوار للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م
ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن المكرم(ت ٧٦١هـ/١٣١١م)
٣٢-لسان العرب ، دار الصياد، بيروت، د.ت.
ابن واصل، جمال الدين أبو عبد االله محمد بن سالم الحموي(ت٦٩٧هـ/١٢٩٨ م)
٣٣-تجريد الأغاني، تحقيق: طه حسين وإبراهيم الابياري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،د.ت.
ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
٣٤-معجم البلدان ، إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٣٥-معجم الادباء،د.م،د.ت.
اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بن واضح الإخباري(ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)
٣٦-تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت،د.ت.
٣٧- البلدان ،د.م، د.ت.

ثانيا المراجع

امين،احمد
٣٨--ضحى الاسلام ، القاهرة ، ١٩٣٨م
٣٩-فجر الاسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩مز
الاهواني ،احمد فؤاد
٤٠-التربية في الاسلام ،القاهرة ،د.ت.
البراقي، السيد حسين
٤١-تاريخ الكوفة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٧٨ م.
الجنابي، كاظم
٤٢- تخطيط مدينة الكوفة، بغداد ،ط ١، ١٩٦٧ م.

حتي،فيليب
٤٣-تاريخ العرب المطول ،د.م،د.ت .
حسن ، حسن ابراهيم
٤٤-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٧م.
الخربوطلي ،علي حسين
٤٥- تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، القاهرة ، ١٩٥٩م.
الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)
٤٦- تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر، بيروت ،١٩٦٦ م.
الزبيدي ،محمد حسين
٤٧-الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري ، مطبعة العالية ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
الصبحي ، محمد ابراهيم
٤٨-الفن والعمارة عند العرب ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، مصر ،د.ت.
الصلابي، علي محمد
٤٩-فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، طبعة مكتبة الصحابة ، الشارقة، ٢٠٠٢م.
الطباطبائي، مير علي، (ت١٢٣١هـ/١٨١٥م)
٥٠-رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٩٩١م.
طعمة ،عبد الرزاق
٥١- تاريخ مسجد الكوفة ، النجف ، ١٩٧٤م .
عبد العال،حسن
٥٢-فن التعليم عند ابن جماعة(٧٣٣هـ)،الرياض،١٤٠٥ه.
ماسنيون،المسيو لويس

٥٣- خطط الكوفة وشرح خريطتها ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، ترجمة : تقي محمد المصعبي ، مطبعة العربي الحديثة ، النجف ، ١٩٧٩ م

المخزومي ،مهدي

٥٤- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مطبعة المعرفة ، بغداد ، ١٩٥٥م.

المصري، حسين مجيب

٥٥-الصلات بين العرب والفرس والترك، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،٢٠٠١م.

مؤنس، حسين

٥٦-المساجد ، الكويت ،١٩٨١ م.

ناجي ،عبد الجبار

٥٧-دراسات في المدن العربية الاسلامية ، البصرة ، ١٩٨٦ م.

هنتس، فالتر

٥٨-المكاييل والاوزان الاسلامية، ترجمة : كامل العسلي ، عمان ، ١٩٧٠م.

اليوزبكي ، توفيق سلطان واحمد قاسم جمعة

٥٩-دراسات في الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٩٥ م.

ثالثاً:الدوريات

الحلي ،احمد حقي

٦٠-التربية والتعليم في الحضارة العربية الاسلامية ، مجلة دراسات عربية واسلامية ، ع٢، ١٩٨٢ م.

محمد ،صباح محمود

٦١-دراسة في جغرافية المدن التاريخية ، مجلة المورد ،ع٤ ، ٢٠٠٠ م.

الكوفة عاصمة العالم في زمن الظهور

م.م.طارق هداب جواد
ماجستير علوم إسلامية/ ذي قار /قضاء الإصلاح

المقدمة:

يتناول هذا البحث مستقبل الكوفة في زمن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) والأدلة على اختيار الإمام المهدي(عليه السلام) قائد الثورة العالمية ومحقق الأطروحة الإلهية الكوفة عاصمة له ..

فمن المعلوم إن تحركات كل قائد عسكري، أو قائد ثورة لا بد أن تكون تلك التحركات مدروسة ومخطط لها تخطيط مسبق ودقيق إذ إن اختيار الأرضية غير الصالحة وغير المهيأة لاستقبال القائد قد تؤدي إلى هلاك القائد والثورة ..

فما هي أسباب اختيار الإمام المهدي (عليه السلام)الكوفة عاصمة له .

ولماذا يختار الإمام مدينة قتل فيها أمير المؤمنين(عليه السلام) وجرت فيها أعظم جريمة، وهي مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) و مقتل مسلم بن عقيل فلماذا يختارها عاصمة له ؟

هذا ما سوف أثبته في هذا البحث ..

وقد قُسم إلى ثلاث أقسام هي:

القسم الأول: اختيار الإمام المهدي(عليه السلام) ارض العراق قاعدة له.

القسم الثاني : لِمَ اختار الإمام المهدي (عليه السلام) الكوفة عاصمة له؟

القسم الثالث : ماذا يفعل الإمام المهدي (عليه السلام) عندما يصل إلى الكوفة؟

وأقدم شكري وامتناني لكل الإخوة العاملين في مركز دراسات الكوفة لإتاحتهم لي هذه الفرصة للمشاركة في المؤتمر العلمي السابع عشر ومن الله التوفيق.

القسم الأول: اختيار الإمام المهدي(عليه السلام) ارض العراق قاعدة له.

من المعلوم إن تحركات كل قائد عسكري، أو قائد ثورة لا بد أن تكون تلك التحركات مدروسة ومخطط لها تخطيط مسبق ودقيق إذ إن اختيار الأرضية غير الصالحة وغير المهيأة لاستقبال القائد قد تؤدي إلى هلاك القائد والثورة فعلينا أن نثبت أولا المكان الذي سوف يختاره الإمام المهدي(عليه السلام) قائد الثورة العالمية ومحقق الأطروحة الإلهية.

(في الحديث المروي عن مفضل بن عمر عن الإمام الصادق(عليه السلام):

قال المفضل قلت: يا سيدي فأين يكون دار المهدي؟
قال الإمام الصادق (عليه السلام): دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريين.
قال المفضل: يا مولاي كل المؤمنين بالكوفة؟ قال (عليه السلام):
إي والله، لا يبقى مؤمن إلا كان بها أو حوليها، وليبلغن مجال فرس منها ألف درهم. أي والله، يؤذن أكثر الناس انه اشترى شبرا من ارض السبع بشبر من ذهب، ويصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلا، ويجاورن قصورها قصور كربلاء، ويصيرن الله كربلاء معقلا ومقاما تختلف فيه الملائكة والمؤمنون، و ليكونن لها شأن من الشأن، و ليكونن فيها من البركات ما لو وقف مؤمن ودعا ربه بدعوة إلا أعطاه الله بدعوته الواحدة مثل ملك الدنيا ألف مرة).[١]

(ويسكن هو و أهل بيته الرحبة، إنما كانت مسكن نوح، وهي ارض طيبة ولا يسكن الرجل من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ولا يقتل إلا بأرض طيبة زاكية فهم الأوصياء الطيبون).[٢]
وفي حديث أبي بصير عن أبي أبا عبد الله (عليه السلام) قال :
قال لي :(يا أبا محمد، كأني أرى نزول القائم (عليه السلام) في مسجد السهلة، بأهله وعياله.
قلت: يكون منزله ؟ جعلت فداك
قال: نعم. كان فيه منزل إدريس، وكان منزل إبراهيم خليل الرحمن، وما بعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه، وفيه مسكن الخضر، والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله(صلى الله عليه وآله)، و ما من مؤمن ومؤمنة إلا و قلبه يحن إليه، و فيه صخرة عليها صورة كل نبي. وما صلى احد ودعا الله بنية صادقة إلا صرفه الله بقضاء حاجة، وما من احد استجار فيه إلا أجاره الله مما خاف. قلت :هذا لهو الفضل. قال نزيدك ؟قلت :نعم.
قال : هو من البقاع التي أحب الله التي ان يدعى فيها، وما من يوم ولا ليلة إلا والملائكة تزور هذا المسجد ويعبدون الله فيه، و إني لو كنت بالقرب منكم ما صليت صلاة إلا فيه يا ابا محمد، وما لم اصف أكثر. قلت: جعلت فداك ولا يزال القائم فيه أبدا؟
قال:نعم. قلت :فمن بعده ؟ قال: هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق.)[٣]
وأما عن سبب اختيار العراق قاعدة له فيمكن ان نرجعه إلى الأسباب التالية:

١-إن الإمام المهدي (عليه السلام)هو الوحيد من ألائمة قد ولد في العراق، لذ فهو عراقي وان كانت دعوة عالمية .(٤)

٢- السبب الجغرافي: (لو فتحنا خارطة العالم و بسطناها على منضدة، وحاولنا أن نحدد مركز العالم فيها، فسنجد إن العراق يحتل المركز فيها. وهذه حقيقة مادية مذهلة، و لمركز العراق الجغرافي هذا فيه وسط العالم يعطي ميزات ستراتيجية عديدة، تتيح له سهولة السيطرة على أطراف العالم، وسهولة الاتصالات والمواصلات بالتساوي مع جميع بقاع الأرض، ونحن نعرف بحسب معطيات العلم المادي الحديث، إن مركز القلب في وسط الجسم البشري تقريبا يعطي المكانية على توزيع الدم بشكل عادل على جميع ألأجزاء، وكل بحسبه و طبقا إلى دوره الوظيفي عما يضمن أداء الجسم لوظائفه الحيوية في فعاليته اليومية وبشكل سليم. فكذا يجري الأمر بالنسبة للعراق وللعالم اجمع.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فأن العراق يحتوي بتكوينه الطبوغرافي على جميع التضاريس الأرضية، من مياه، وسهول، وصحاري، وجبال، وغابات، وهو بهذا الاعتبار يمثل صورة مصغرة للعالم اجمع. ونجاح القيادة المهدوية فيه، أولا يمثل الخطوة الأولى التي تتبعها خطوات لاحقة لبسط القيادة المهدوية في العالم اجمع. فالعراق مركز الأرض الذي تمتد منه حركة التغير الهائلة للعالم، والكون بعد ذلك، وهو بهذا المنظار يوافق القوانين الطبيعية، فالنقطة التي تمثل مركز الذي تنطلق منه موجات التغير المتعسة شيئا فشيئا، مثل إلقاء الحجر في وسط بركة الماء الساكن، الذي يتحرك بأمواج دائرية، تتسع واحدة بعد الأخرى تصل حواف ونهاية البركة.(٥)

٢- السبب الاقتصادي :-

(بقدر تنوع التضاريس الأرضية في العراق، تتنوع كذلك مصادر الطاقة، والثروات المعدنية في باطن الأرض، وتتنوع أيضا المصادر البشرية والمادية فوق أرضه . فطبقا إلى نسبة الثروات والإمكانات الموجودة فيه، مع مساحة الجغرافية، يعتبر العراق من اغنى بلدان الأرض قاطبة ، وهذه الإمكانات والثروات الهائلة، تنتظر من يحولها من حالة القوة إلى فعل مثمر وهذا الكم الهائل والمتنوع الموجود في العراق، يساعده على أن يبلغ مستوى عال من الاقتدار النوعي والكمي،يؤهله للقيادة البشرية باتجاه تحقيق أهدافها،

وهذه بعض الأمثلة:

أ- يحتوي على اكبر مخزون نفطي وغازي في العالم اجمع طبقا إلى مساحته.

ب- يحتوي على اكبر مخزون عالمي للفوسفات، واليورانيوم، والكوبالت، والزئبق الأحمر النادر، حسب ما دلت آخر الأبحاث العلمية الدولية.

ج- فيه مصادر كبيرة متوقعة من الذهب والفضة، وغيرها.

د- فيه طاقات بشرية خلاقة مبدعة، تستطيع عبر القيادة الناجحة أن تستثمر ذلك بشكل رائع لفائدة الإنسانية جمعاء). (٦)

٣- السبب البشري :-(يشتمل العراق ضمن تكوينه البشري أعراقا مختلفة، يضم تقريبا اغلب أجناس البشرية، وهو بهذا الاعتبار يمثل صورة مصغرة للإنسانية جمعاء، وان غلب عليه الجنس الأبيض، ولكن يبقى المعيار الحقيقي للتفاضل بين البشر هو التقوى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ). وثمة حقيقة، مدهشة، جديرة بالملاحظة والاعتبار، وهي ان جميع هذه الأجناس قد عاشت مع بعضها، واختلطت ببعضها البعض دون عقد ومشاكل، بل وتزاوجت دون حساسية عرقية، كما حصل ويحصل في العالم. وعلى أساس هذه الحقيقة الايجابية، تقوم الحكومة الإلهية بقيادة المهدي (عليه السلام)،

وتقوم بنشر المعاير الإلهية الصحيحة للتفاضل بين البشر في العالم اجمع.وعلى ضوء هذه الحقيقة، فان الدول التي مارست التميز العرقي والعنصري، لا تستطيع أن تضطلع بأعباء الدور العالمي في القيادة الإلهية.وهنالك نقطة مهمة أخرى حاول الأعداء إثارتها وتكريسها عند العراقيين، وهي التمايز على أساس المذهب، والدين، والعشيرة). (٧)

٤- السبب المناخي :-(هو سبب متحصل نتيجة للتنوع في التضاريس الجغرافية. ففيه اي العراق، جميع أنواع المناخات الموجودة في العالم، من البرودة، الشديدة، وثلوج، الى المناخ الصحراوي الحار. فهو صورة مصغرة للعالم من ناحية المناخ). (٨)

٥- مما يلفت النظر، ان الحضارة كانت أول ظهورها في (العراق ومصر)،ثم صارت تظهر بعد إذ في بعض الأقطار الأخرى شيئا فشيئا). (٩)

(و تعاقب على العراق حضارات شتى على مر الزمن، وكانت جميعها تصب في الوعاء الروحي، والوجداني للفرد العراقي، حيث تكوّن عنده تراثا فكريا، وعمليا، وحضاريا،

لا يستهان به، ولا يكاد شعب أخر يضاهيه فيه.وهذه الميزة التي امتلكها العراقي جعلته يتحرك ويتصرف بشكل يختلف عن بقية شعوب الأرض. ونحن الآن عبارة عن شخصيات لها طابعها المتميز، قد أخذت هذا الطابع عبر تعاقب دورات حضارية متعددة امتزجت وتلاحمت فيما بينها، بحيث أعطت هذه ألصورة الحضارية المميزة للفرد والمجتمع العراقي الحالي.لقد اكتسب العراقي كفرد وكمجتمع نضجا إنسانيا يستطيع بموجبه العمل على تقديم (الحضارة المهدوية العالمية) للعالم اجمع، بشكل لا يستطيع غيره ذلك، وهذا الدور الحضاري العالمي القادم، المناط بالعراقيين هو قدر يتشرف بحمله وأدائه للإنسانية اجمع،على أفضل وجه، وهو أهل له بكل تأكيد) [١٠]

٦- (ان العراق يمتلك إمكانات، ومقومات كبيرة، كما يمتلك القدرة على تطوير الأسلحة، وصناعتها نظرا لخبرته العلمية التي بات يحظى بها هذا البلد) [١١]

لقد شكل وجود علماء في العراق خطرا على القوى الإستكبارية، فحاولوا الوصول إليهم. (وحين عجزت إسرائيل عن الوصول إلى علماء العراق، لجأت إلى إغراء الولايات المتحدة، لاعتبار العلماء العراقيين لا يقلّون خطورة عن أسلحة الدمار الشامل، وبالتالي من لم يستجيبوا لعمليات، إغرائهم وترحيلهم إلى الولايات المتحدة. فلابد من التضييق عليهم بكل الوسائل)[١٢]

٧- ظاهرة التدين في العراق :

(يقول معظم المفكرين والحكماء عبر التاريخ، ان الإنسان لا بد له من دين يلتزم به. لأنه حاجة ضرورية له لاغنى عنها، كالغذاء المادي الذي يقوم به الجسد. والدليل على هذا هو حالة الرضا، والاطمئنان في نفس المتدين، بعكس حالة القلق' والمخاوف،و اليأس، والتوتر العصبي الذي ينتاب غير المتدينين، حيث تكثر حالات الانهيار العصبي، والأزمات النفسية، وحالات الانتحار، والانهيار العصبي، والأزمات النفسية، والجريمة والبغي، والأمراض العقلية. فالدين حاجة فطرية (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا).وان الأغلبية هم من المتدينين) [١٣]

٨- الظروف الصعبة التي مرت على العراق، وكثرة الظلم فيه، وكثرة الحروب والقتل، وكثرة الابتلاءات، جعلت منه قاعدة متهيئة للتخلص من الظلم، ونصرة المظلومين.

(و هنا قد يثار سؤال، لماذا يُمتحن هذا الشعب بهذا الامتحان دون غيره من شعوب العالم ومناطق الدنيا ؟

الجواب.لان الله (ﷻ) اخذ العراق مكانا جغرافيا مهما لحركة الإمام المهدي (عليه السلام) في عصر الظهور، وعصر حركته (عليه السلام)، فان موقع التحرك المهم يكون في العراق، ولذلك سوف يكون الجمهور، و المجتمع، و الناس الذين يسكنون في هذا الموقع الجغرافي، بمستوى هذه المهمة، بمعنى انه لا بد من تناسب طردي بين المهمة وبين شخصية المجتمع الذي يسكن في تلك الأرض التي تتحمل هذه المهمة. فعندما نقرأ ان عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) سوف تكون في العراق ،فلا بد ان يكون المجتمع في ذلك الموقع قد تحمل كل الامتحانات، ولم يسقط أمامها، وتحمل كل الهموم ولم يسقط أمامها.

هذا المجتمع الذي لم يسقط، أو الذي خرج من الامتحانات ناجحا، يكون مؤهلا لقيادة البشرية، وقيادة العالم، فلذلك ولأجل ان يكون هذا المجتمع القائد، والمجتمع الرائد، الذي يقوم بمرحلة هداية البشرية، لابد ان يكون قد مر بالامتحانات السابقة الصعبة، وقد خرج منها ناجحا.

إذن هذا الامتحان، وهذا العذاب، وهذا التمحيص، لم يكن سخطا إلهيا على المجتمع كما يصوره بعض الناس عندما يقرؤون حركة الإمام، وإنما هذه العلامات التي تظهر من اجل ان يوفر المجتمع كل الخصوصيات، وكل الصفات القيادية المؤهلة لقيادة البشرية)[١٤]

سبب اختيار الإمام المهدي (عليه السلام)الكوفة عاصمة له .

لماذا يختار الإمام مدينة قتل فيها أمير المؤمنين(عليه السلام) جرت فيها أعظم جريمة، وهي مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) و مقتل مسلم بن عقيل فلماذا يختارها عاصمة له ؟

يمكن ان نجيب على هذا السؤال بعدة نقاط منها:

١-ان مدينة الكوفة مدينة معروفة بولائها لأهل البيت(عليهم السلام) وإلا لما اختارها أمير المؤمنين(عليه السلام) عاصمة له في فترة خلافته،

(تميزت الكوفة بوجود عدد من حملة التعاليم الإسلامية فيها، يفوق ما كان في الأمصار الأخرى منهم، والسبب، هو إن عليا عندما خرج من الحجاز قاصدا العراق في أوائل

خلافته،كان في صحبته جماعة كبيرة من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم،حتى قيل إن أنصاره كلهم جاءوا معه إلى العراق، ولم يتخلف عنه سوى ثلاث، أو أربعة منهم)[١٥]

أما بالنسبة لمقتل الإمام علي (عليه السلام)فيها، فانه عملية اغتيال وان من قتله من أهل اليمن.
وأما قتل الإمام الحسين(عليه السلام) يعود إلى طبيعة المجتمع، والظرف الذي يعشيه.
ولم يكن من قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) هم من العراقيين فقط .(الذي حدث في مجتمع الكوفة في ولاية زياد بن أبيه أي بعد عام أربعين للهجرة ، أن تلقى أوامر من سيده معاوية باقتلاع العشائر والبيوتات التي تحب علي بن أبي طاب وتهجيرها إلى خراسان والشام ،وجلب العشائر المعادية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)وزجها في المجتمع الكوفي حتى يتم تغيير هذه التركيبة الاجتماعية وفرض ثقافة العداء لأهل البيت (عليهم السلام)في المجتمع)[١٦]

أما اليوم فان اغلب سكان الكوفة هم من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بالظاهر، وسوف يمحصون في زمن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام).

٢- (إن مدنية الكوفة كانت مأوى معظم أنبياء الله، فقلما نرى نبيا لم يعبد الله فيها ، ولم يسجد على تربتها المباركة، ولذا أصبح السكن فيها مستحبا، لأنها ضمت بين طياتها جسد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)،وأجساد كثير من أنبياء الله، كنوح، وادم، وهود، وصالح وغيرهم)[١٧]

٣- ان مدنية الكوفة مدينة مقدسة، وهنالك العديد من الأحاديث تثبت ذلك منها :

ا- (عن حسان بن مهران قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:
قال أمير المؤمنين(عليه السلام) مكة حرم الله، والمدنية حرم رسول الله، والكوفة حرمي، لا يَرِدُها جبار بحادثة إلا قصمه الله)[١٨]

ب- عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن آبائه (عليهم السلام)قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):(ان الله اختار من البلدان أربعة فقال عزوجل (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)، التين المدنية، والزيتون بيت المقدس، وطور سنين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة). [١٩]

ج- وفي حديث الحضرمي ،عن أبي عبد الله (عليه السلام)،أو عن أبي جعفر (عليه السلام)قال :قلت؛ له (أي بقاع الله أفضل بعد حرم الله جل وعز وحرم رسوله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال: الكوفة. هي الزكية، الطاهرة،فيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين، والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبيا إلا وقد صلى فيه، ومنه يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين، والأوصياء والصالحين)[٢٠]

د- روى الكليني،وغيره عن المشايخ العظام ،عن هارون بن خارجه انه قال: قال أبو عبد الله(عليه السلام): أيكون ما بينك و بين الكوفة ميلاً ؟

قلت لا. قال: افتصلي فيه الصلاة كلها؟ قلت :لا

قال : أما لو كنت حاضرا بحضرته لرجوت ان لا تفوتني فيه صلاة أوتدري ما فضل ذلك الموضع؟ ما من نبي، ولا عبد صالح، إلا وقد صلى في مسجد الكوفة حتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أُسري به إلى السماء قال له جبرائيل أتدري أين أنت يا محمد؟ أنت الساعة مقابل مسجد كوفان . قال : فاستأذن ربي حتى آتيه فاصلي فيه ركعتين، فأُنزل فصلى فيه، وان ميمنته لروضة من رياض الجنة، وان وسطه لروضة من رياض الجنة، وان مؤخره لروضةمن رياض الجنة، والصلاة الفريضة تعدل بألف صلاة، والنافلة بخمسمائة صلاة، وان الجلوس فيه بغير تلاوة ولا ذكر عبادة .ولو علم الناس ما فيه لأتوه و لو حذوا)[٢١]

هـ- ومن كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) في ذكر الكوفة (وأني لأعلم انه ما أراد بك جبار سوء، إلا أبتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل)[٢٢]

و- (عن الصادق (عليه السلام)قال: حدثني أبي الباقر، عن جدي علي بن الحسين، يرفعه إلى جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله)، انه قال:(طينتنا من المدينة، وطينة شيعتنا من الكوفة)[٢٣]

ز- ومن خطبة لأمير المؤمنين(عليه السلام) يخاطب فيها أهل الكوفة:

(يا أهل الكوفة، لقد حباكم الله (عزوجل) بما لم يحب به احد، ففضل مصلاكم، وهو بيت ادم، وبيت نوح، وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم الخليل، ومصلى أخي الخضر، ومصلاي، وان مسجدكم هذا احد الأربعة المساجد التي اختارها الله (عزوجل) لأهلها، وكأني به يوم القيامة في ثوبين أبيضين، شبيه بالمحرم، يشفع لأهله ولمن صلى فيه، فلا

ترد شفاعته، ولا تذهب الأيام حتى ينصب فيه الحجر الأسود، و ليأتين عليه زمان يكون مصلى المهدي من ولدي، ومصلى كل مؤمن، ولا يبقى على الأرض مؤمن، إلا كان به، أو حن قلبه إليه. فلا تهجروه، و تقربوا إلى الله عز و جل بالصلاة فيه، وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم، فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض و لو حبوا على الثلج)[٢٤]

القسم الثالث : ماذا يفعل الإمام المهدي (عليه السلام) عندما يصل إلى الكوفة؟

(بعد انجازات الإمام (عليه السلام) الموفقة في مكة المكرمة ينصب والٍ من قبله هناك . ثم يتوجه إلى مدينة جده الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وبعد خزي الكافرين واخذ الثأر من الظالمين ، يخرج الإمام (عليه السلام) إلى حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفة بعد ان يستعمل على المدينة رجلا من أصحابه .)[٢٥]

ففي حديث الإمام الباقر(عليه السلام)

(ويسير نحو الكوفة وينزل على سرير النبي سليمان (عليه السلام) وبيمينه عصا موسى(عليه السلام) وجليسه الروح الأمين ، وعيسى بن مريم متشحاً ببرد النبي (صلى الله عليه وآله) متقلدا بذي الفقار ووجهه كدائرة القمر في ليالي كماله.

يخرج من بين ثناياه نور كالبرق الساطع على رأسه تاج من نور)[٢٦]

وعندما يصل الإمام المهدي (عليه السلام) إلى الكوفة كما تذكر الرواية ، فانه يأتي على متن طائرات حديثة لا يعلم بأي طائرة هو ، وهذا من باب التعتيم .

فقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) :

(ينزل في سبع قباب من نور لا يعلم في أيها هو ، حين ينزل في ظهر الكوفة)[٢٧]

عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لي أبو جعفر (عليه السلام) يا ثابت كأني بقائم أهل بيتي قد اشرف على نجفكم هذا ، واوما بيده إلى ناحية الكوفة فإذا هو اشرف على نجفكم نشر راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإذا هو نشرها انحطت عليه ملائكة بدر.

قلت : وما راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال : عمودها من عمد عرش الله ورحمته و سائرها من نصر الله لا يهوي بها إلى شيء إلا أهلكه الله.

قلت فمخبوءة عندكم حتى يقوم القائم (عليه السلام) فيجدها أم يؤتى بها قال : لا بل يؤتى بها

قلت : من يأتيه بها ؟ قال جبرائيل)[٢٨]

عن أبي جعفر (عليه السلام) بعد ذكر المهدي قال :

(يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفوا له و يدخل حتى يأتي المنبر فيخطب ، فلا يدري الناس ما يقول من البكاء ، فإذا كانت الجمعة سأله الناس أن يصلي بهم الجمعة فيأمر أن يخط له مسجد على الغرى ويصلي بهم هناك)[٢٩]

ان أهم الإعمال التي يقوم بها الإمام المهدي عند دخوله الكوفة

واتخاذها عاصمة له كما بينا هي

١ـ يقضي حوائج المؤمنين: فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

(ثم يقبل إلى الكوفة فيكون منزله بها فلا يترك عبدا مسلما إلا اشتراه واعتقه ، ولا غارما إلا قضى دينه ، ولا مظلمة لأحد من الناس وإلا ردها ، ولا يقتل منهم عبدا إلا أدى ثمنه دية مسلمة إلى أهله ، ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه دينه والحق عياله من العطاء حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا وعدوانا) [٣٠]

ومن حديث طويل عن المفضل بن عمر يسأل الإمام الصادق (عليه السلام)

(قال المفضل : من مات من شيعتكم وعليه دين لإخوانه ولأضداده كيف يكون ؟

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : أول ما يبتدئ المهدي (عليه السلام) ان ينادي في جميع العالم إلا من له عند شيعتنا دين فليذكره حتى يرد الثومة و الخردلة ، فضلا عن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأملاك ، فيوفيه إياه)[٣١]

٢ـ يهدم مسجد الكوفة و يبنيه ويهدم دور الجبارة .

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام)

(ويسير الصديق الأكبر براية الهدى والسيف ذو الفقار و المخصرة ، حتى ينزل ارض الهجرة مرتين ، وهي الكوفة ، فيهدم مسجدها و يبنيه على بناءه الأول ويهدم ما دونه من دور الجبابرة)[٣٢]

(عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث له حتى انتهى إلى مسجد الكوفة ، وكان مبنيا بخزف و دنان و طين فقال (عليه السلام) : ويل لمن هدمك ، وويل لمن سهل هدمك ، وويل لبانيك ... ، طوبى لمن شهد هدمك مع قائم أهل بيتي أولئك خيار الأمة مع أبرار العترة) (٣٣)

ان السر في افتتان البعض بهذه الأمور كهدم المساجد وأمثالها راجع إلى المعرفة الناقصة أو المخلوطة بأفكار المخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) الذين يحملون من التقديس لهذه الأحجار والبنايات ، أكثر مما يحملونه لما كان سببا في تقديسها ، بل هو حقيقة تقديسها .

وفي ذلك يشير الإمام الحسين (عليه السلام) حين خطب بالحجاج في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: (أنا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ادعوكم إلى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيها الناس أتطلبون أثار رسول الله في الحصر والعود وتتمسحون بذلك ويضيعون بضعته معه)(٣٤)

٣ـ بناء اكبر مسجد في العالم .

عند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ووصوله إلى الكوفة تتجه أنظار المؤمنين إليها ، لأن من الواضح أن أكثر الشيعة القاطنون على الكرة الأرضية سيبذلون جهودهم للهجرة إلى الكوفة ، لأنها موطن سكنى الإمام ، وعاصمة دولته العالمية ، والكل يشتاق إلى رؤيته و يتمنى الصلاة خلفه ، لذا فإنهم سوف يتسابقون إلى مسجد الكوفة ، ومن الطبيعي أن المسجد سوف لن يسع المصلين فيأمر الإمام (عليه السلام) ببناء اكبر مسجد في العالم كما بينت الرواية ..

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

(إذا دخل المهدي (عليه السلام) الكوفة قال الناس : يا ابن رسول الله ان الصلاة معك تضاهي الصلاة خلف رسول الله ، وهذا المسجد لا يسعنا فيخرج إلى الغري فيخط مسجدا له ألف باب يسع الناس ، ويبعث فيجري خلف قبر الحسين (عليه السلام) نهرا يجري إلى الغري حتى يجري في النجف ، ويعمل هو على فوهة النهر قناطر وارحاء في السبيل)(٣٥)

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

(يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفوا له و يدخل حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء !

فإذا كانت الجمعة الثانية ، سأله الناس أن يصلى بهم يوم الجمعة فيأمر أن تخط له مسجد على الغري ويصلي بهم هناك) (٣٦)

والمستفاد من هذا الحديث ان الإمام المهدي (عليه السلام) يأمر ببناء مسجد له ألف باب ، وهذا العدد الكثير من الأبواب إنما هو لتسهيل دخول المصلين وخروجهم وقاية من الازدحام ومضاعفاته .

وفي رواية المفضل بن عمر قال :

سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إذا قام قائم آل محمد (عليه السلام) بنى في ظهر الكوفة مسجدا له ألف باب ، واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهري كربلاء) (٣٧)

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

(إذا دخل القائم الكوفة لم يبق مؤمن إلا وهو بها و يجيء إليها) (٣٨)

٤ـ تزدهر الكوفة بعمرانها .

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

(إذا قام قائم آل محمد (عليه السلام) ٠٠ اتصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء)(٣٩)

وهو ناتج عن أهمية هذه الكوفة في عصر الظهور المبارك ، وازدياد النسبة السكانية فيها. ومن جانب أخر اهتمام الإمام بالجوانب العمرانية و كل ما يوفره للراحة والسعادة لكل فرد ، والقضاء على ظاهرة الازدحام السكاني في المنزل الواحد بسبب صعوبة الظرف الاجتماعي كما ذكرنا ٠

(عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن حبة العرني قال :

خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الحيرة فقال :

لتتصلن هذه بهذه واوما بيده إلى الكوفة والحيرة ، حتى يباع الذراع فيما بينهما بدنانير، وليبنين بالحيرة مسجد له خمسمائة باب يصلي فيه خليفة القائم (عليه السلام) لان مسجد الكوفة ليضيق عنهم ، وليصلي فيه اثنى عشر إماما عدلا.

قلت : يا أمير المؤمنين ويسع مسجد الكوفة هذا الذي تصف الناس يومئذ ؟

قال : تبنى له أربع مساجد مسجد الكوفة أصغرها ، وهذا ومسجدان في طرفي الكوفة من هذا الجانب ، وهذا الجانب واوما بيده نحو البصريين والغربيين)[٤٠]

٥ـ انتشار الثقافة في عاصمة الإمام (عليه السلام)

تزدهر الحياة الثقافية في عصر الإمام المهدي (عليه السلام) ازدهارا لا مثيل له في تاريخ البشر ، وينشر العلم والثقافة و خاصة العلوم الدينية والأحكام الشرعية والمعارف الإسلامية ، وتدور عجلات الثقافة بصورة سريعة ، ومن الواضح أن تبدلاً وتطوراً عظيماً سوف يحصل في هذا الحقل ، كما أن العديد من كتب أصول الفقه ومباحثه سوف ينتهي دورها ويبطل مفعولها ، لأن الإمام المهدي (عليه السلام) يبين القواعد العامة للمسائل الشرعية ، وبذلك يستغنى عن كثير من مباحث الأصول ، وكذلك في كل العلوم)[٤١]

٦ـ تربية المجتمع تربية إسلامية صحيحة .

ان الإمام (عليه السلام) سوف يبدأ بتربية المجتمع العراقي تربية إسلامية صحيحة مبنية على الثقافة الإسلامية الأصيلة ، ومعتمدا بوسائل تربوية حديثة ، والاهتمام بالعوامل المؤثرة في إصلاح المجتمع ، وهي وسائل الإعلام من صحف والإذاعة والتلفزيون والأفلام السينمائية وغيرها .[٤٢]

٧ـ القضاء على جميع الحركات والرايات المنحرفة في النجف .

لم تتوحد كلمة أبناء المذهب طيلة تلك القرون وان الاختلافات فيما بين أبناء المذهب الواحدة هي موجودة ، ولها موروث تاريخي ، ولها أسباب مُعلنة و مُخفاة ، وقد عمل أعداء الإسلام إلى خلق هذه الخلافات من اجل تمزيق كيان ووحدة المذهب . (وقد ذكرنا ذلك في الفصل الثاني.)

أما بالنسبة لدخول الإمام الكوفة فان أول عمل يقوم به هو القضاء على جميع الحركات والرايات المنحرفة ، وتوحيد كلمة أبناء المذهب من اجل القضاء على جميع الظلم الموجود في ربوع الكرة الأرضية .

لذا فان الإمام عندما يدخل الكوفة يجدها ممزقة مضطربة كما بين الحديث المروي عن عمر بن شمر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : ذكر المهدي (عليه السلام) فقال :

(يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب ....) (٤٣)

٨ـ إصلاحه للحالة الاجتماعية للمجتمع العراقي.

روى عن رسول الله (ﷺ) انه قال :

(ابشروا بالمهدي .. ويقسم المال صحاحا بالسوية ويملا قلوب أمة محمد علي ويسعهم عدله حتى انه يأمر مناديا ينادي :

من له حاجه إلي ؟

فما يأتيه احد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله.

فيقول له المهدي : آت السادن (الذي بيده مفاتيح بيت المال) حتى يعطيك فيأتيه.

فيقول : أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالا .

فيقول : أحث (أي حب وحسبما تريد من المال) فيحثي مالا يستطيع أن يحمله ، فيلتقي منه حتى يكون ما يستطيع أن يحمله ، فيخرج به فيندم به ويقول أنا كنت اجشع أمة محمد نفسا كلهم إلى هذا المال ، ودعي إلى هذا المال فتركه غيري، فيرد عليه فيقول (السادن) إنا لا نقبل شيئا أعطيناه) (٤٤)

وفي حديث أخر روى عن رسول الله (ﷺ) انه قال :

(فيجيء إليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني؟ فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله)(٤٥)

(ان من جملة الإصلاحات الواسعة النطاق ، والانجازات الضخمة التي يقوم بها الإمام المهدي هو حل المشاكل الاقتصادية في المجتمعات البشرية ، وذلك عن طريق تطبيق الاقتصاد الإسلامي في المجتمع ومن أهم بنود ذلك ؟

١ـ أباحه الانتفاع بما خلق الله (ﷻ) ٢ـ إعطاء الحريات للناس في إطارها الإسلامي.

٣ـ استثمار المواهب و الطاقات ، وإفساح المجال في حدود المعقول للأيدي العاملة.

الهوامش:

---

[١] – إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، ج٢ص٢٧٩

[٢] – في رحاب المهدي (ع)تأليف السيد محمد الحسيني الصدر ص٨٤ ط١ ١٤٢٩هـ النجف الاشرف

٣ – في رحاب المهدي ص٨٧ بحار الأنوار ج ١٠٠: ٤٣٦ باب ٧ ح٧

٤ – منتهى الآمال ج٢ ص٢٥٥

٥ – أنصار المهدي عصائب أهل العراق ص١٦٨ تأليف إحسان العارض قدم له سماحة أية الله شيخ محمد اليعقوبي٢٠٠٣

٦ – أنصار المهدي ص ١٦٩

٧ – أنصار المهدي ص١٧٠

٨ – نفس المصدرص١٧١

٩ – في الطبيعة البشرية ص٢٩

١٠ – أنصار المهدي ص١٨٥

١١ – أمريكا مصدر الإرهاب في العراق ص٣٢

١٢ – العراق هوامش من تاريخ والمقاومة ص١٩٩،هنالك مقدار غير قليل من الجهل حول عدد هؤلاء واختصاصاتهم والأدوار التي يمكن ان يقوموا بها لقد لجا ت أمريكا عن طريق فرق التفتيش وبتغطية من مجلس الأمن إلى تأكيد ان إحدى المهمات التفتيش ان تحقق مع هؤلاء العلماء وان يكون هذا التحقيق على انفراد والأفضل ان ينقل العلماء مع عائلاتهم إلى الخارج وان يجري التحقيق معهم هناك ان نقل العلماء إلى الخارج العرق يجعلهم في وضع دقيق وصعب إذ يخضعون للابتزاز عن طريق الإغراء بان يعرض عليهم العمل في ولايات المتحدة بشروط عمل بالغة السخاء من يوافق على هذه الصيغة يواصل سفره إلى مكان مجهول في أمريكا ومن يرفض هذه العرض يتعرض للتهديد وربما للتصفية –العراق هوامش من التاريخ ص١٩٩

١٣ – أنصار المهدي ص١٧٤

١٤ – أضواء على دولة الإمام المهدي (□)ص٥١ تأليف السيد ياسين الموسوي ط٣

١٥ – لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج٤ص٤٧١

١٦ – الانثروبولوجيا الاجتماعي الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين ص٤٤،تأليف نبيل الحسني ط١ ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م . مؤسسة الاعلمي للمطبوعات العراق كربلاء

١٧ – دولة الإمام المهدي وعصر الظهورص٢٢٩

١٨ – نفس المصدر ص٢٢٩

١٩ – نفس المصدر ص٢٣٠عن معاني الاخبار١٠٤،الوسائل١٠,٢٨٢,٢٨٣

٢٠ – في رحاب المهدي ص٨٩

٢١ – مفاتيح الجنان ص٤٠٥ الشيخ عباس ألقمي ط١ ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م دار الأضواء النجف الاشرف

٢٢ – نهج البلاغة ط١ ص٩٧ شرح الشيخ محمد عبده الناشر دار المعرفة بيروت لبنان

[٢٣] – دولة الإمام المهدي (عج)ص٢٣٢ عن الهداية ١١١ مستدرك الوسائل ١٠ :٢٠٨
[٢٤] – المهدي في العراق ص١٤٤ معجم ج٤ ص١٦١ عن شرح نهج البلاغة عن ابن الحديد المعتزلي ج١ ص١٣ -١٤
[٢٥] – في رحاب المهدي ص ٨٣
[٢٦] – في رحاب المهدي (علية السلام) عن يوم الخلاص المترجم ٤٩٥/١
[٢٧] – معجم أحاديث الإمام المهدي (□) ج٧ ص٦٣ ح١٤٦٨ تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية الطبعة الاولى ١٤٢٨ هـ ايران قم
[٢٨] – في رحاب المهدي ص٨٤ عن تفسير العياشي ١٦٦
[٢٩] – غيبة النعماني ص٣٢١ ح٣ إثبات الهداة ٥٤٥/٣ح٥٣٤
[٣٠] – دولة الإمام المهدي (□) وعصر الظهور ص٢٢٦
[٣١] – إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ج٢ص٢٩٩
[٣٢] – معجم أحاديث الإمام المهدي ج٧ ص١٢١ ح١٥٠٤
[٣٣] – ماذا قال الإمام علي عن أخر الزمان ص٨٢ عن بحار الأنوار ٥٢ ٣٣٢ باب ٢٧ ح٦٠
[٣٤] – في سبيل الخلاص ص٢١١ مقاتل الطالبين ص٢٩٨
[٣٥] – معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) ج٤ ص٤٦٩ عن البحار ج٥٢ ص٣٣٠ – ٣٣١ ب٢٧ ح٥٣ عن غيبة الطوس وإعلام الورى وإرشاد وفي ج١٠٠ ص٣٨٥ ب٦ ح٤
[٣٦] – نفس المصدر ج٤ ص٤٦٨ ح٨٤١ عن الإرشاد ص٣٦٢ وغيبة الطوسي ص٤٦٨ ح٤٨٥
[٣٧] – مختصر كفاية المهتدي لمعرفة ص٢٢٠ تأليف السيد محمد ميسر لوحي الاصفاني ترجمة وتحقيق السيد ياسين الموسوي ط١ سنة ١٤٢٧ تقديم مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي منشور بقية العترة عن الأستاذ الشيخ المفيد ٢ ص٣٧٩
[٣٨] – الإمام المهدي قيادة معاصره ص٢٧٤ عن غيبة الطوسي ص٢٧٥ وشرح عن المسجد الإمام المهدي ص٣٩٠
[٣٩] – الإمام المهدي من المهد إلى الظهور ص٣٨٧ عن بحار الأنوار ج٥٢ ص٣٣٦
[٤٠] – المهدي في العراق ص٢٠٨ تأليف عباس الربيعي ط٣
[٤١] – الإمام المهدي (عليه السلام) من المهد إلى الظهور ص٤٢١
[٤٢] – ينظر الإمام المهدي (□) من المهد إلى الظهور ص٤٢٤
[٤٣] – معجم أحاديث الإمام المهدي (□) ص٤٦٨
[٤٤] – الإمام المهدي من المهد إلى الظهور ص٤٢٨ عن الصواعق المحرقة وابن حمرا ص١٠٢
[٤٥] – الإمام المهدي من المهد إلى الظهور ص٤٢٩

المصادر:

١- إلزام الناصب في أثبات الحجة الغائب، تأليف علي اليزدي الحائري مراجعة وتصحيح فالح عبد الرزاق ألعبيدي، مؤسسة الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
٢-أضواء على دولة الإمام المهدي (عج)، تأليف السيد ياسين الموسوي إعداد وتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الأمام المهدي (عج)،النجف الأشرف، ط٣، ١٤٢٨.
٣- ٣ -الأمام المهدي (عج) قيادة معاصرة،تأليف عبد الرحيم الحسني، مركز أور للدراسات،
٤-الأمام المهدي(ع) من المهد إلى الظهور،تأليف محمد كاظم القزويني، ، النجف الاشرف، ٢٠٠٤.
٥-المهدي في العراق - تأليف عباس الربيعي . دراسة ظهور القائم المهدي في العراق من خلال أربعين حديثا، ط٣.
٦- أمريكا مصدر الإرهاب في العراق،تاليف مهدي حسن الخفاجي ،مركز العراق للدراسات، ط١، ٢٠٠٦.
٧- أنصار المهدي(عج)عصائب أهل العراق- تأليف إحسان العارض، دراسة تحليلية مستقبلية تحدد معالم حركة الرساليين الممهدين للأمام المهدي (عج) في العراق، قدم له سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي، ٢٠٠٣ .
٨- الانثروبولوجيا الاجتماعي الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين(ع) ،تأليف نبيل الحسني،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات العراق كربلاء ط١ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م
٩-دولة الإمام المهدي وعصر الظهور ،تأليف الشيخ كاظم المصباح .الناشر دار الكاتب العربي للطباعة ط ١ ٢٠٠٧
١٠- ماذا قال علي في أخر الزمان ، الجفر العظيم ، إعداد وتنظيم السيد علي عاشور، ط١، ٢٠٠٦
١١- منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل،تأليف الشيخ عباس القمي ، مؤسسة المحبّين للطباعة والنشر، قم، ط١، ٢٠٠٤.

١٢- مفاتيح الجنان . الشيخ عباس ألقمي ط١ ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م دار الأضواء النجف الاشرف
١٣-مختصر كفاية المهتدي لمعرفة المهدي (عج) . تأليف السيد محمد ميسر لوحي الاصفاني ترجمة وتحقيق السيد ياسين الموسوي ط١ سنة ١٤٢٧ تقديم مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي منشور بقية العترة
١٤- في رحاب المهدي (عج) قراءة في المعرفة المهدوية، تأليف السيد محمد الحسيني الصدر، مركز الدراسات التخصصية في الأمام المهدي (عج)، النجف الاشرف، ط١، ١٤٢٩هـ.
١٥- في الطبيعة البشرية . د علي الوردي تقديم سعد البزاز
١٦- غيبة النعماني . محمد بن إبراهيم بن جعفر(ت٣٦٠هـ ق) تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسسة انتشارات مدين، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٧-لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، علي الوردي . دار الرشيد، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.
١٨-نهج البلاغة . ط١ ص٩٧ شرح الشيخ محمد عبده الناشر دار المعرفة بيروت لبنان.

الكنائس السريانية (النسطورية) واثرها في الحالة المعرفية والحياتية في الكوفة حتى القرن الحادي عشر الميلادي ـ الخامس الهجري

باحث حسين جويد الكندي
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

المقدمة:

تعتبر الافكار التي جاءت بها الاديان ضمن مجموعة مميزة اطرت وعبر تاريخ الحضارات مفاهيم ورؤى انسانية مهمة ، تتعلق باصل الوجود ومآلات هذا الوجود وتجلياته ، بالإضافة الى مجموعة من الاسئلة المهمة ، التي كانت تنمي المخيال الاجتماعي العام ، وقد ساهمت تلك الافكار في الاجابة عن اسئلة الحراك الاجتماعي وتدافع الاهتمامات التي يبديها الناس لبعض المفاهيم دون البعض الاخر ، في تعبير واضح عن حالة الهياج الفطري نحو البحث عن اجابات للاسئلة الوجودية للانسان ، فكانت التجربة في هذا المجال نموذجا وليست هدفا بحد ذاتها.

يعتبر تاريخ الاديان بانوراما اجتماعية مهمة بسطت التجربة الانسانية على طاولة التشريح وفككت مختلف الافكار التي عززت فيما بعد هاجس الاستجابة الفطرية والميل الجبُلي لدى الانسان نحو الدين ، وكانت بلاد الرافدين شاهدا على اغلب تلك التجارب ، عندما انبثقت فيها بذور الافكار التوحيدية التي اسهمت في الصياغات الحضارية التي كونت بمجموعها تاريخ الانسانية بشقه الديني ، وكانت الديانة المسيحية احدى اهم الديانات التي وجدت على هذه الارض ، حين شهدت مراكز مهمة كـ (الحيرة) و (عاقولاء) الكوفة و(الرها) و (ميسان) ، البذرات الاولى لدعوة المسيح عليه السلام .

جاء هذا البحث ليبسط الحديث عن حركة الفكر التوحيدي الذي دعا اليه ابناء بلاد مابين النهرين ، واندكاكهم في الدعوة الى المسيحية في فترة مهمة من تاريخ هذه الارض ، من خلال نشاط المراكز الرئيسية للمسيحية العربية والتي تعتبر منطقة (كوثا) و (عاقولاء) الكوفة ، في طليعتها ، واثر هذه الحركة في صيرورة الحالة المعرفية والحياتية في عموم بلاد مابين النهرين في فترات التاريخ المختلفة ، وقد حُددت الفترة التي تناولها البحث لتنتهي بالقرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي ، الذي شهد اندثار

المسيحية العربية في الكوفة ، مع بقاء قسم مهم من المكون السكاني لهذه المدينة على نصرانيتهم ، بفعل مجموعة من العوامل ذات الصبغة الاجتماعية لا الدينية.

مشكلة البحث

لابد لكل بحث علمي من مشكلة يبدأ فيها ويهدف بصورة منظمة إلى أن يصل الى طريقة لحلها، والمشكلة التي يحاول هذا البحث تسليط الضوء عليها تتمثل في اهمال الادوار المعرفية والحياتية للكنيسة السريانية في الكوفة ، والتي كانت نتيجة طبيعية لقلة المصادر الاسلامية التي ارخت للمسيحية في هذه الفترة، وعدم وجود بيانات واقعية او وثائق يمكن من خلالها الوقوف على معلومات حقيقية عن تلك الفترة، بالإضافة الى ضياع قسم كبير من المراسلات او النصوص الثانوية والتي تشكل جزء مهم في اي تتبع للأحداث التاريخية وطبيعة حركة الافراد او المجتمعات في مختلف فترات التاريخ،اضف الى ذلك عدم تناول المؤرخين المسلمين التاريخ الكنسي كمصدر لتوثيقاتهم ، الا بمقدار يسير جدا ، ذلك التاريخ الذي اهتم بشكل كبير بتاريخ الكنيسة في ظل الاسلام بصورة خاصة .

هدف البحث.

يهدف هذا البحث الى:

١ـ دراسة حركة المسيحية العربية في الكوفة (عاقولاء) و (كوثا) في ضوء ـ ماوصل الينا ـ من تاريخ القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وما دونه مؤرخي الكنائس والاديرة العربية من تاريخها ، وتمت ترجمته من السريانية الى العربية في فترات متقدمة (القرن الثاني الهجري) على ايدي المسيحيين ذاتهم ، خاصة تلك التي دونها المترجمون السريانيون في سياق ترجماتهم للتراث اليوناني والاغريقي الذي تناول حركة المسيحية قبل الاسلام ، او حتى تلك التي نقلها الى العربية الاباء النصارى في فترات متاخرة ، نظير ماقام به القسيسين العراقيين البير ابونا ، وسهيل قاشا ، وغيرهم

٢ـالاجابة عن السؤال الاكثر اهمية المتمثل بتاثير المسيحية العربية على الاحداث المهمة التي حصلت في الكوفة منذ ان دخلها المسلمون في القرن السابع الميلادي وماتلى هذا التاريخ ولغاية القرن الحادي عشر الميلادي ، ومدى تاثيرها في الحياة الاجتماعية واثرها

في الاحداث والمواقف السياسية ، واسهامها في تكوين العقائد الدينية في مختلف المذاهب الاسلامية.

٣ـاثر المسيحية العربية في الكوفة في بلورة بعض الاراء الكلامية والنزعات الاخلاقية في المنظومة المعرفية الاسلامية ، لان هناك من يرى ان بعض الطرق الصوفية استمدت افكارها من الفكر الغنوصي والهيليني المسيحي التي تسربت الى التراث الاسلامي من خلال عمليات الترجمة التي حصلت فيى القرن الثامن الميلادي والتي قام بها مترجمون نساطرة من الكوفة والحيرة.

٤ـ دور نساطرة الكوفة في ترجمة الفلسفة اليونانية ، ومن ثم دور علماء النسطورية في فتح افاق معرفية مبتكرة،من خلال عملية الوصل بين مختلف المعارف عن طريق اكتشاف مدارك اعلى بين العلوم النقلية والعلوم العقلية،والتركيز على المجاهدات النفسية المفضية الى الكشوفات الذوقية،هذه الطريقة التي استطابها قسم كبير من اصحاب الفرق الصوفية في بدايات تشكيلها خاصة في بغداد وغيرها ، وقد لعبت الاديرة المنتشرة في ظهر الكوفة دورا مهما في استظهار هذا الجانب عند النساطرة ، لما تشكله من بيئة ممتازة لصفاء الذهن والانقطاع عن الناس بالعبادة والتبتل.

٥ـ بيان الاثر الايجابي الذي تركته الكنائس والاديرة سواء التي كانت في داخل مدينة الكوفة او تلك التي بُنيت في منطقة النجف التي تعتبر تاريخيا ظهر الكوفة ، في تنمية الحالة المعرفية وكذلك تنمية الحس العلمي العربي نحو سبر اغوار العلوم الانسانية الاخرى كالطبية والهندسية والكيميائية وغيرها.

٦ـ بيان فاعلية النساطرة الكوفيين في البقاء اطول فترة ممكنة في مدينة تعتبر عاصمة الدولة الاسلامية من الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية ، وامكانيتهم على التعايش السلمي ، مع بقائهم قوة اجتماعية محترمة في مدينة تعتبر مهد الثورات ومبدا الثوار ، ورقم صعب تحسب له السلطة السياسية الف حساب.

فرضية البحث : يتضمن البحث بعض الفرضيات العامة ومنها:

١ .ان نساطرة الكوفة اسهموا في التاسيس للمسيحية العربية ليس في العراق بل في اجزاء اخرى من البلاد العربية ، واجزاء مهمة من البلاد غير العربية ، كما ساهموا في تعضيد

مذهبهم هذا وبقاءه مهيمنا على الحالة الدينية في العراق والمناطق المجاورة طيلة القرون منذ القرن الخامس ولغاية القرن الحادي عشر الميلادي.

٢ .ان المذهب النسطوري كان ذو طابع متميز اثر في التراث الاسلامي ، ولا اقل من الاشارة الى مقدار تاثر الطرق الصوفية ، بطريقة العباد والنساك الذين انتشروا في ظهر الكوفة في الاديرة والكنائس المعروفة والمشخصة.

٣ .استخدام النساطرة الجانب العقائدي وسيلة للبقاء كقوة اجتماعية ودينية اطول فترة ممكنة بعد ان حصل التغيير السياسي في العراق بدخول المسلمين الى الكوفة ، حيث كانت الصورة العامة تعكس مقدار الاختلاف بين نساطرة العراق ويعاقبة الشام ، تلك المنطقة من العالم الاسلامي ـ المسيحي ، التي تخضع لنفوذ الروم.

٤ .ان المسيحية العربية في الكوفة باعتبارها عاصمة المسيحية العربية الشرقية ، كانت من الاهمية الاجتماعية والدينية بالدرجة التي اهلتها لان تستمر اربعة قرون اخرى في عاصمة الدولة الاسلامية قوة اجتماعية ودينية فاعلة ، بل كانت تمارس عمليات التبشير بحرية تامة في اقصى اسيا والتبت والهند .

٥ ـ اساهم السريان النساطرة في الكوفة بعملية الترجمة التي ازدهرت في العقود الاولى للخلافة العباسية ، ومن ثم مساهماتهم في نقل التراث اليوناني وغيره الى العالم الاسلامي ، بما يكتنف ذلك من تعددية مهمة لمصادر الرؤى والمفاهيم التي كانت تعتبر مصدر مهم للحركة العلمية في القرن الثاني الهجري والقرون التي تلته.

منهجية البحث: من أهم المناهج البحثية التي تم استخدامها في البحث هي:

١ .المنهج التاريخي:حيث اقتضت طبيعة البحث ان يكون هذا المنهج حاكما على اغلب مرتسماته البحثية،بسبب كون البحث يؤرخ لحركة افكار دينية،وكذلك الحاجة الى معرفة جزئيات مهمة في حركة وانفعال المجتمع العراقي قبل الاسلام وبعده بالمرتسمات والحدود التي تحركت فيها المسيحية في بلاد مابين النهرين .

٢ .المنهج التحليلي:لم يزل هذا المنهج كاشفا عن ما اغفله التاريخ في نصوصه واثاره،ودراسة منتج النساطرة العلمي ، و لم تكن الصورة تتضح بالكيفية التي يمكن

من خلالها الحكم على مجمل حركة المذهب النسطوري ، لولا استخدام هذا المنهج في قراءة بعض الاحداث التاريخية.

هيكلية البحث

اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة :

المبحث الاول: يدرس هذا المبحث المسيحية عند العرب في العراق والجزيرة العربية قبل الإسلام. وقد سلط الباحث فيه الضوء على ماهية المسيحية العربية وهويتها في التاريخ ، مرورا بظهور الاسلام ولغاية القرن التاسع الميلادي.

المبحث الثاني:درس هذا المبحث المسيحية النسطورية في الكوفة خلال القرنين الرابع والخامس الهجري ، حيث يتناول المجال المسيحي العربي وعلاقته بالكنيسة في تلك الحقبة، وموقع الدولة والمجتمع والفقه الإسلامي من المسيحيين العرب ودورهم في الدولة وتاثيرهم في الحالة المعرفية .

نطاق تحليل المصادر

اعتمد البحث على مصادر ومراجع عديدة،كان لها الاثر البالغ في تسليط الضوء على كثير من مناطق العتمة التي تتخلل النصوص التاريخية ، وياتي في مقدمة هذه المصادر كتاب (تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري) ، لمؤلفه البروفيسور ادم متز ، وقد كانت لكتابات المؤرخين المسيحيين العراقيين الاثر الهام في تتبع هذا البحث لتفاصيل حركة الديانة المسيحية ووصولها الى العراق في وقت مبكر من القرن الاول الميلادي ، نظير كتاب الأب سهيل قاشا ، (تاريخ نصارى العراق)، وكتابي الاب البير ابونا (تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية) و (شهداء المشرق) ، اما كتاب الدكتور احمد سوسه (العرب واليهود في التاريخ) فقد كان له دور واضح في بلورة بعض الافكار لدى الباحث فيما يتعلق بالاديان القديمة في بلاد مابين النهرين ، اما كتاب الدكتور جواد علي (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) فقد استوضح الباحث منه حركة القبائل العربية المسيحية من الجزيرة العربية صعودا الى العراق ، ولا ننسى المصادر الاخرى نظير : (الهرطقة في المسيحية لـ ج . وتلر ، وتخطيط مدينة الكوفة لكاظم

الجنابي ، والديارات للشابشتي ، والبيان والتبيين ورسائل الجاحظ ، وتاريخ كلدو وآشور لأدي شير ، وغيرها من عشرات المصادر.

وختاماً ارجو ان يكون في بحثي المتواضع سداد من عوز،وان يكون فاتحة لدراسات قادمة،تعني وتهتم بالوجود التاريخي لاتباع الديانة المسيحية على هذه الارض ،وابراز دورهم الحضاري والعلمي واسهامهم في الحضارة الانسانية ، والحضارة الاسلامية بصورة خاصة ... ولا ادعي الكمال فيما فعلت حسبي اني توخيت فيه جهد المستطاع وابتهل الى الباري عز وجل ان يكون هذا البحث عند حسن المستوى ورفعة الجهد.

..... والله ولي التوفيق

المبحث الاول

المطلب الاول

أصبح المذهب النسطوري[١] في القرن الخامس الميلادي ، المذهب الغالب في المشرق وانتشرت النسطورية التي تؤمن بالقول (بالطبيعتين في المسيح) بعد طرد نسطور سنة ٤٣٥م، على أيدي عدد من أساقفة سوريا حيث اتخذت من الرها مركزاً لها، ومن هناك تمددت النسطورية الى قسطيفون وعاقولا (الكوفة) وجنوب العراق ، ولا عجب أن يحتضن الساسانيين هذا المذهب المناوئ لمذهب خصومهم التاريخيين (الدولة البيزنطية) التي كانت تتخذ من المذهب الملكاني مذهبا رسميا لها.

وكان مذهب نسطور قد انتشر في هذه الحقبة في بلاد فارس، وسعى في بثه برصوما النصيبيني بكل حماسة، وتوسل بالوسائل المختلفة لتوطيد أسسه ، وأغرى السلطة الفارسية لتعزيز شأنه لإقامة حواجز وفواصل بين نصارى فارس ونصارى مملكة الروم ، في الوقت الذي كان مجتمع الحيرة مثالا للتسامح الديني ، اذ ضمت الكثير من الطوائف الدينية، بجانب الغالبية المسيحية النسطورية. فكان هناك اتباع الديانة القديمة بأوثانهم التي تمثل آلهة الكواكب، وبالذات اتباع مذهب (عبادة القمر)، وهناك ايضا اتباع (المانوية)، والمذهب المسيحي (اليعقوبي) واليهود والصابئة ، وفيها ايضا أنعقد مجمع (داد) يشوع في سنة ٤٢٤ م لتنظيم شؤون كنيسة النهرين النسطورية [٢]، ونتيجة

لذلك فقد اتخذت هذه الارض مأآلاً لكثير من الرهبان لينعموا بالراحة والدعة كونها تنعم ببعض الاستقلال الذاتي، نظير الجاثليق داد يشوع (شارح سفر دانيال النبي).

كانت البداية في انتشار المذهب النسطوري في الحيرة وعاقولا (الكوفة) عندما أعلن أرباب النسطورية، من أساقفة المشرق، تحزبهم لنسطور، والانشقاق عن كنيستهم السريانية الأرثوذكسية، وذهبوا إلى المناطق الخاضعة لنفوذ الفرس في المشرق، وأسسوا لأنفسهم كنيسة خاصة بهم أطلقوا عليها اسم (كنيسة الفرس النسطورية). ولم تمضي سوى عدة عقود قليلة، حتى أصبح لهم مركزاً هاماً في مملكة (الحيرة)، ومنها انطلقوا إلى الأراضي الحجازية نفسها، فاختلطوا بالعرب "الأحناف"، وجذبوا الكثيرين منهم لهرطقتهم، وصارت لهم مراكز هامة في الخليج، وخصوصاً " البحرين"، ثم أوجدوا لهم مركزاً داخل مكة نفسها ، وكان ذلك الانتشار على يدي الرهبان بشكل خاص.

وكان الحضور اليعقوبي كثيفاً بين القبائل العربية في الجزيرة الفراتية مثل: تغالبة الشمال وتغالبة عانة والبكريين وبني عجل وتنوخ[٣] والعاقوليين(الكوفيين) ، ويبدو من هذا أن الطابع البدوي ظل غالباً على العرب اليعاقبة، ولذلك ظهرت اسقفيات القبائل وأسقفية التغالبة، إلى جانب أسقفيات الحيرة والأنبار وعين التمر.

انتشرت المسيحية في الحيرة وعاقولا (الكوفة) في أواخر القرن الرابع الميلادي، ثم أصبحت الحيرة منذ مطلع القرن الخامس أسقفية تابعة لكرسي جاثليق المدائن ،وكانت المسيحية المؤثرة في العرب في بداية الأمر هي المسيحية الأرثوذكسية قبل بروز دور النساطرة واليعاقبة في تنصير سكان العراق، لكن بعد انتصاف القرن الخامس دخلت المسيحية النسطورية بين سكان العراق، ودخلت قبائل عربية عديدة من سكان الحيرة وعاقولاء (الكوفة) وبانيقيا [٤]، في المسيحية النسطورية، وعرف هؤلاء باسم (العباد) ، ولكن مع نهاية القرن الخامس الميلادي كان الحضور النسطوري هو الغالب في الحيرة، وقد ساهم سراة الحيرة في نشر المسيحية، حيث ساعدوا على بناء الأديرة والكنائس .

وعند الرجوع الى تاريخ ظهور المسيح عليه السلام والظهور الاول لدعوته ، فان المصادر تشير بوضوح الى ان دخول المسيحية الى بلاد مابين النهرين جاء في فترة مبكرة جدا على يد تلميذين من تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين المباشرين هما (مارادي) و (ما ماري)

جاؤا بعد وفاته مباشرة الى منطقة الاسباط العشرة (القبائل اليهودية التي سباها شلمنصر الثالث واسكنها الوعر من جبال كردستان العراق وايران) للتبشير بتعاليمه بينهم .

وذلك يدل بصورة مؤكدة على ان يهود كردستان اعتنقوا المسيحية في وقت مبكر جدا ، بل انهم تركوا التهود وامنوا بالمسيح عليه السلام بصورة مباشرة وكان دخولهم للمسيحية من خلال الدعوات التبشيرية التي قادها الحواريين انفسهم وكان ذلك بعد وفاة المسيح عليه السلام بقليل مما يدل على ان الحواريين كان على علم بوجود الاسباط العشرة الذين سباهم شلمنصر الى كردستان العراق ، وكما هي حالة الدعوات الجديدة فان قسم من هؤلاء اليهود تحولوا الى المسيحية بينما بقي بعضهم على يهوديته من دون الدخول بالتعاليم الجديدة التي جاء بها المسيح عليه السلام.

نساطرة عاقولا التاريخية (الكوفة)

تعتبر مدينة عاقولا التاريخية (الكوفة) من اكثر المدن اهمية في المصادر السريانية، لكن لايعرف بالضبط متى شيدت هذه المدينة ، فمن المؤرخين من يرى انها بنيت في ارض (الكوفة) المدينة التي مصرها المسلمون على أنقاض مدينة فرثية بناها الملك (فولكاش الاول ٥١ –٨٧ م). ومن المؤرخين من يرى ان عاقولا هي الكوفة او الكوثا. ويذكر المؤرخ ميخائيل السرياني في هذا المنحى: (ان القائد سعد قد عسكر بالقرب من مدينة الكوفة اي عاقولا) ونظرا لوجود آثار عشرة اديرة في ظاهر الكوفة (النجف) فأن بعض المؤرخين يتسأل عن امكانية ان تكون عاقولا مدينة بنيت قرب الكوفة وعلى اثر توسع الاخيرة بعد الفتح الاسلامي فأندمجتا معا ، وقد ذكرت بعض المصادر القديمة ان في الكوفة اسقفان احدهما نسطوري والاخر يعقوبي، وكانا يسكنان في (دار الروم) لأن نصارى الكوفة كانوا يسمونها (عاقولا) بالسريانية ، حيث نزل الكوفة السريان او سكنوا قريب منها في أطراف الحيرة والنجف[٥].

يقول ماسينيون: وكان نصارى الكوفة طائفتين: نساطرة وهم الحضر، ويعاقبة وهم البدو "وانتقل إليها قوم من نصارى نجران باليمن" [٦] وكان أغلبهم صيارفة استوطنوا في محلة بالكوفة تسمى" النجرانية ، ووفد إلى الكوفة أيضاً وحل بها من نجران باليمن بعض

اليهود ويذكر أن بدء قدوم اليهود إليها كان "سنة٢٠ للهجرة، ثم ازداد عددهم في ما بعد، حتى بلغ سبعة آلاف يهودي" ، ولم يكن وجود غير المسلمين في الكوفة هامشياً، فقد تمكنوا من التحكم بالوضع الإقتصادي من خلال خبرتهم في مجال " الصيرفة" و كانت أكبر محلات الصيرفة في الكوفة للمسيحيين الذين كانوا في الحيرة" ثم انتقلوا إليها. ضمت الكوفة اكثر من عشرة اديرة معظمها حول المدينة بالاضافة الى كنيسة كبيرة هي كنيسة ام خالد ، ودير كبير جدا هو دير زرارة ، وكان الناس يقصدون تلك الاديرة ايام الاعياد المسيحية فتكون موضع تجمعات واحتفالات ولقاءات والعبادة، ويكاد مناخ عاقولاء (الكوفة) يغري الناس بحياة الاديرة ولهذا كثرة النساك الفرادى والمجتمعين الذين اختاروا العزلة فيها ، مستندين في ذلك الى حالة من الامن ترعاها الامبراطورية الساسانية .

وتذكر المصادر العربية والسريانية، بدء الاستيطان العربي بالعراق بشكله (القبلي) في نهاية القرن الثاني الميلادي ، نتيجة هجرات متتالية بانتشار التنوخيين بين الحيرة والأنبار ثم عقبهم اللخميين ملوك الحيرة وهي هجرات روتينية للقبائل العربية الى هذه المناطق وان كانت اوسعها انتشارا واكثرها ذكرا في المصادر ، وهكذا فان وجود الاقوام العربية متاصل في الحيرة ، يقول القزويني: "وكانت الحيرة منزل ملوك بني لخم وهم كانوا ملوك العرب في قديم الزمان" [٧] ، ووجود المسيحية في عاقولا المجاورة للحيرة والواقعة في طريقها موجود في بداية القرن الاول الميلادي ، ولم يكن النساطرة يهتمون للتوسع كثيراً بين العرب البدو، إلى أن قامت الكنيسة اليعقوبية بحركة تبشيرية منظّمة قادها الراهب أحودمه بين البدو المنتشرين بين الحيرة والأنبار، ونجحت الحركة في تنصير معظم العرب القاطنين في مدينة عاقولا (الكوفة)، فاصبحت اليعقوبية شريكا مذهبيا للنسطورية في الحيرة والكوفة لفترة من الزمن[٨] ، ساهموا فيها بنشر المسيحية وتقديم العون المادي والمعنوي للمبشرين وبناء الكنائس والأديرة. وكانت الكنيسة هناك تنطق بالعربية وتكتب بالسريانية.

المطلب الثاني

الأديرة والمباني الدينية المسيحية في نجف الكوفة

كان اثر الموقع الجغرافي للنجف كبيرا باعتبارها ضاحية الكوفة المترامية الاطراف وبعدها عن صخب الحاضرة واسواقها ودكاكينها ، أثر كبير في انتشار الأديرة المسيحية فيها ، أضف إلى ذلك ما لارتفاع منطقة النجف "ظهر الكوفة" وإشرافها على بحر النجف عاملاً آخر في بناء الأديرة ، حيث لم تكن تبنى إلا بتوافر الماء ويكثر النبات [٩] ، بالرغم من وجود اديرة في الكوفة ذاتها لكنها لم تكن توازي اعداد الاديرة في النجف ، وهناك من يرى أن هذه الأديرة قد : "اختصت بالحسن وجمال الطبيعة لأن أكثر ما تكون بين الرياض والحدائق ، وفي قمم الجبال والروابي المطلة على الأودية والسهول الفسيحة وفي المواقع المنقطعة عن الناس وتفترش عمارتها نزها كثيرة البساتين والأشجار" [١٠] ، وكان لأبتعاد هذه الأديرة عن مدخل المدن واتخاذها الأماكن النائية جعلها هدفاً للطامعين واللصوص ، لذا قاموا بتحصين بنائها وجعلوا عليها أسواراً عالية وأحكموا صنع أبوابها وأحاطوها بحائط يصل إلى مائة ذراع

وقد كانت هذه الأديرة من المراكز المهمة لنشر الديانة المسيحية والتعليم الديني في الحيرة حيث أخرجت عدداً من رجال الدين المسيحيين الذين كان لهم الدور الكبير في نشر التعاليم للديانة المسيحية في الحيرة وما حولها ، واحتلوا كذلك مكانة عظيمة في تاريخ الكنيسة [١١]، وظلت بعضها تمارس هذه الادوار العلمية حتى فترات متاخرة من القرن الخامس الهجري ، وبعضها هجرته الرهبان والتحقت باسقفية اخرى لاسباب عديدة منها دخول هذه الاديرة ضمن الرقع الجغرافية المخصصة للسكن نتيجة ازدياد اعداد سكان الكوفة ، او لقلة اعداد البطاركة المتنسكين او لهجرة بعض المسيحيين من مناطق وجود الدير او الكنيسة

وكان يرد هذه الأديرة عدد غير قليل من السكان المحليين والنازلين إليها من مناطق مختلفة وتختلف غاياتهم ومقاصدهم "فالنصارى يقصدون الأديرة للتقرب منها أو التبرك بقدسيتها ، ويحرص أهل التطرف واللهو للتنزه، وأصبح كل ذي ظرف يطرقها وكل ذي شجن يتسلى بها ، وفي الحيرة قام اليهود بكتابة تلمودهم البابلي الذي بدأ بكتابته

على ما يظهر الحبر آشيو ادي المتوفّي العام ٤٣٠ م واكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس الميلادي(حيث كانت لهم جالية)، حيث كان معاهد للعلم والمعرفة ، تختزن في اكنفتها مختلف اخبار الاولين ، ومنها استل العلماء واهل الاخبار افكارهم بعد ذلك وكانت هذه الذروة من حضارة المسلمين ، وعليه سنذكر هذه الديارات التي انتشرت في منطقة النجف حسبما ورد ذكرها في بعض المصادر وهي:

١ -ديارات الأساقفة[١٢] : تقع هذه الديارات في منطقة النجف ، بظاهر الكوفة وهو أول الحيرة وهي عبارة عن قباب وقصور[١٣] .ويرى بعض المؤرخين أن موقع هذه الديارات لا يتجاوز مع الطارات الشاخصة الآن غرب النجف[١٤] ، وبحضرة هذه الديارات نهر يعرف بالغدير عن يمينه قصر ابي الخصيب وعن شماله السدير وبين ذلك الديارات ، التي بقيت مع بيع للنصارى لغاية نهاية القرن الرابع الهجري [١٥] ، بينما اندثر قصري السدير وابي الخصيب ، وذكر هذا الموضع الشاعر علي محمد الحمداني العلوي [١٦] في قوله:

كم وقفة لك بالخور نق لا توازي بالمواقف
بين الغدير إلى السدير إلى ديارات الأساقف
فمدارج الرهبان في أطمار خائفة وخائف

٢ -دير الأسكون أو(الأسكول) : من الأديرة التي عرفت بها منطقة النجف ، ويوصف موضعه أنه راكب على النجف[١٧] ، وهو أنزه دياراتها ، وفيه قلالي[١٨] وهياكل ورهبان ، ويمتاز هذا الدير بحصانة موقعه ، حيث له سور عال ، وباب من حديد ومنه يهبط إلى غدير الحيرة، وأرضه رضراض، وله رمل أبيض[١٩].

٣ -دير الأعور[٢٠] : يقع هذا الدير بظاهر الكوفة وينسب رجل من أياد يقال له الأعور من بني حذافة بن زهير بن أياد[٢١] . وأشار إليه الدكتور صالح أحمد العلي بأنه يقع في منتصف الطريق بين كربلاء والكوفة[٢٢] ، ولكن الأحداث التاريخية تقربه من مدينة الكوفة . فقد ذكر الطبري في أحداث عام ١٤ هـ : أن رستم القائد الفارسي نادى الناس بالرحيل . فخرج ونزل بحيال دير الأعور ، ثم انصب إلى الملطاط ، فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف ، بحيال الخورنق إلى الغريين [٢٣].

٤ -دير بني مرينا : يقع هذا الدير بظاهر الحيرة ، وقد انفرد ياقوت الحموي بذكره [٢٤]، وموقعه عند النخيلة الذي اشتهر فيما بعد في حوادث معركة كانت بين اهل الكوفة والخوارج في يوم النهروان.

٥ -دير ابن براق[٢٥] : يقع هذا الدير بظاهر الحيرة ، بالقرب من قصر الخورنق وذلك استناداً إلى ما قاله الثرواني[٢٦].

٦ -دير حنه : وهو دير قديم يقع بظاهر الكوفة من الأديرة المعروفة في منطقة النجف، وينسب بناؤه إلى نوح كما ذكر العمري : "هكذا نقلته ولا أعرف من هو" [٢٧] ويبدو هناك تصحيف في الكلمة "نوح" والتي هي أصلها "تنوخ" حسبما ذكره البكري : "وهو دير قديم بناه حي من تنوخ، يقال لهم بنو ساطع" [٢٨] ، ويرجع ياقوت تاريخه إلى أيام بني المنذر ، ويقابل هذا الدير منارة عالية كالمرقب ، تسمى القائم ، لبني اوس بن عمرو ، وقد جاء ذكره في شعر الشاعر الكوفي الثرواني وفيه قال واصفا:

يادير حنة[٢٩] عند القائم الساقي إلى الخورنق من دير ابن براق
سقيا لعافيك من عاف معالمه قفر وما فيك مثل الوشم من باق

٧ -دير عبد المسيح[٣٠] أو (دير الجرعة) : ينسب بناء هذا الدير إلى عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني[٣١] ، ويقع هذا الدير بظاهر الحيرة بموضع يقال له الجرعة[٣٢]

٨ -دير السوا [٣٣]: والسوا معناها العدل ، وقيل : السوا : امرأة من بني حذافة ، وقيل : السوا ارض نسب الدير إليها .. وذكر ياقوت الحموي أنه منسوب إلى رجل من إياد .. وقيل انه منسوب إلى بني حذافة .. ومما قيل في هذا الدير من شعر:

بل تأمل وأنت أبصر مني قصد دير السوا بعين جليّه
لمن الطعن بالضحى واردات جدول الماء ثم رحن عشيه

ويقع هذا الدير بظاهر الحيرة [٣٤] في منازل أياد[٣٥] ، إحدى القبائل العربية التي تنتشر في منطقة النجف[٣٦].

٩ -دير اللج [٣٧]: يقع هذا الدير في الحيرة[٣٨] ، وذكر جرير : "فقال نقلته من خط ابن أخي الشافعي وقال: هو بظاهر الحيرة" [٣٩] وقام ببنائه النعمان بن المنذر (٥٨٥-٦١٣م)

المعروف بأبي قابوس أيام ملكه ، حيث يعد من أفضل ديارات بناءاً وأنزهها موضعاً لما يطيف به من البساتين[٤٠].

١٠ -دير مارت مريم [٤١] : وفي بعض المصادر " مارة مريم" [٤٢] ، وقد عده البكري من الأسماء الأعجمية [٤٣] ، وهو من الأديرة القديمة[٤٤] ، حيث يقع بين الخورنق والسدير، وبين قصر أبي الخصيب، مشرف على النجف[٤٥].

١١ -دير مارفاثيون[٤٦] : أو دير فاثيون بدون كلمة "مار" [٤٧] وهو من الأديرة المعروفة [٤٨]، حيث يقع في أسفل النجف [٤٩].

١٢ -دير ابن المزعوق[٥٠] : ويقع هذا الدير في ظهر الحيرة[٥١] ، بينما يذهب الشابشتي [٥٢] المتوفي في (٣٨٨ هـ) انه في وسطها ، ويذكر الشابشتي إن هذا الدير : "حسن العمارة أحد المتنزهات المقصودة والأماكن الموصوفة" [٥٣]، وهو قريب دير الحريق ، وهو دير كثير الرهبان في القرن نهاية القرن الرابع الهجري ، ولمحمد بن عبد الرحمن الثرواني فيه:

قلت له والنجوم طالعة في ليلة الفصح اول السحر
هل لك في مار فائيون وفي دير ابن مزعوق غير مختصر
يفيض هذا النسيم من طرف الشام ودر الندى على الشجر

والثرواني هذا كوفي ، من شعراء القرن الرابع الهجري ، ومن المطبوعين في الشعر والمنهمكين في البطالات والمتطرحين في الحانات والمدمنين لشرب الخمر[٥٤].

١٣ -دير هند الصغرى[٥٥] : يقع دير (هند الصغرى) في ظاهر الحيرة وقيل : يقع ما بين الحيرة والكوفة أو ظاهرها وقيل أيضاً : على طف النجف. وقد حدد البغدادي موقعه : بأنه يقارب خطة بني عبد الله بن دارم مما يلي خندق الكوفة[٥٦] ، وقد أنشأت هند بنت النعمان بن المنذر هذا الدير بعد أن ترهبت وسكنته طويلاً ثم عميت[٥٧] . وكانت هند تدعى بالحرقة ، وقد نسب إليها (دير الحرقة) [٥٨]. ويبدو إن هنداً قد اعتنت غاية الاعتناء ، حتى عد من أعظم الأديرة وأعمرها في منطقة النجف ، وأضفى موقعه النزه جمالية أخرى عليه[٥٩].

١٤ -دير هند الكبرى[٦٠] : ويدعى هذا الدير بدير هند الأقدم ، ويقع هذا الدير على طرق النجف[٦١] ، أو على طف النجف[٦٢] ، وقد بنته الهند بنت الحارث بن عمرو الكندي، أم عمرو بن هند بن ملك الحيرة وقد أكدته الصخرة الموجودة في صدر الدير : "بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر، الملكة بنت الأملاك ... في زمن ملك الأملاك خسرو انو شروان، في زمن أفراسم الأسقف"[٦٣] ، وقد بقي هذا الدير ماثلاً للوجود حتى العصر العباسي الأول فقد دخله الخليفة العباسي هارون الرشيد "١٧٠هـ – ١٩٣هـ" مع يحيى بن خالد[٦٤].

١٥ -الاكيراح[٦٥] : ويقع هذا الدير في ظاهر الحيرة وقد بناه عبد بن حنيف من بني لحيان الذين كانوا مع قبيلة لخم وقد وصف بأنه رستاق نزه وفيه بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم وقد وردت لفظة (كرحو) في السريانية وتعني الكوخ او المسكن او بيت الراهب والناسك [٦٦] ، ومما زاد في اهمية الكوفة في نظر المسيحيين ان عمر بن الخطاب اشار الى اخراج المسيحيين من مدينة نجران في اليمن والتي كانت مدينة مسيحية منذ القرن الرابع الميلادي، لذلك هاجر معظم المسيحيين الى جهة الكوفة وما اختيارهم لهذه المدينة وهي في بدايات تاسيسها الا كونها حاضرة من حواظر الكنيسة النسطورية المهمة ، وهذا يؤكد ان الكوفة هي عاقولا التاريخية ، وقرب الكوفة اقاموا هؤلاء لهم قرية بنوها من القصب واللبن بأسم القرية النجرانية او نجرانة بقرب نهر (ابان) وانشأوا لهم ديرا بأسم دير نجران وهو غير دير نجران في اليمن ودير نجران في بصرى. وعندما اصبحت الكوفة عاصمة الخلافة في عهد الامام علي وقدم الكوفة ، استقبله النصارى استقبالا يليق بمقدمه ، وفي مصدر آخر ذكر ان النجرانية اصبحت فيما بعد حيا من احياء الكوفة يقع بين المسجد الجامع ودار بني ادور ويؤكد هذه الواقعة ياقوت الحموي قائلا : ان اهل نجران نزلوا قرية وابتنوا لهم كنيسة دعوها (الاكيراح) على نهر ابان واستقروا فيها[٦٧].

وقال فيه بكر بن خارجة الشاعر الكوفي الخليع:

دع البساتين من أس وتفاح واقصد إلى الشيح من ذات الأكيراح
إلى الدساكر فالدير المقابلها لدى الأكيراح اودير ابن وضاح

منازل لم أزل حينا الازمها لزوم عاد الى الذات رواح

١٦ -قبة الشتيق [٦٨] أو (السنيق) او الشفيق[٦٩] : وهي من الابنية القديمة بالحيرة على طريق الحاج وبازائها قباب يقال لها الشكورة ، جميعها للنصارى ، وقد وصف لنا الشابشتي حال هذه الطائفة نهاية القرن الرابع الهجري بالقول : فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة الى القبة ، في احسن زي عليهم الصلبان بايديهم المجامر والشماسة والقسان معهم يقدسون على نغم واحد متفق في الحان ، ويتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين واهل البطالة ، الى ان يبلغوا قبة الشتيق ، فيتقربون ويتعمدون ثم يعودون بمثل تلك الحال فهو منظر مليح[٧٠].

وقد وضع ما رآه دليلاً إلا أنه لا علاقة له بهذه القبة فقد ذكر "السنيق" الذي أرده الحموي في معجمه ، وهو عبارة عن أكمه[٧١] ،ويقول الأستاذ كوركيس عواد من أن كلمة "الشتيق" هي الأصح، وذلك لكون إن هذه اللفظة سريانية الأصل تأتي بمعنى الساكت أو الصامت :"ولا يبعد أن هذه القبة كانت منسكاً لراهب انقطع عن الناس ولازم السكوت ، فعرفت به من هذا الجهة. [٧٢]"

ولبعض الشعراء فيه:

والعذارى مشددي الزنابير عليهن كل حل وثيق

يتمشين من قباب الشعانين الى صحن قبة الشتيق

ياخليلي فلا تعنفني يوم ترى اللهو فيه بالتحقيق

١٧ -قلاية القس : وهي بناء كالدير[٧٣] ، تقع في ظهر الحيرة [٧٤] ، وكانت تنسب إلى هذا القس وكان يعرف بكثرة العبادة والنسك إلا أنه ترك ذلك واشتغل باللهو[٧٥].

١٨ -دير ابن وضاح[٧٦] : يقع دير ابن وضاح بنواحي الحيرة ويدعى دير (مر عبدا) وهو منسوب إلى مر عبدا ابن حنيف بن وضاح اللحياني ، الذي كان مع ملوك الحيرة [٧٧]،ويقع بالقرب من (دير حنة) وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض الذي قال فيه أبو نواس:

يادير حنة من ذات الأكيراح من يصح عنك فاني لست بالصاحي

١٩ -دير أبي موسى[٧٨] : يقع دير أبي موسى على بعد فرسخين من مدينة الكوفة، وعسكر في جيش الامام علي عند مسيرهم اليه في البصرة قبل الجمل [٧٩]، وقد نزل به الإمام علي عليه السلام عند مسيره إلى صفين ، وقد صلى فيه صلاة العصر[٨٠] . ولم تشر المصادر إليه بعد ذلك.

٢٠ -دير بني عبد الله بن دارم : حدد موقع هذا الدير بالقرب من دير هند الصغرى الذي يلي الخندق [٨١] والمقصود به (خندق الكوفة). وورد في بعض المصادر (خطة بني عبد الله بن دارم) بالكوفة. ولا يستبعد أن يكون الدير هذا يقع في هذه الخطة ، وفي ذلك اشارة الى وجود الكنائس والاديرة في داخل الكوفة التي اختطها المسلمون لانفسهم

٢١ -دير الجماجم[٨٢] : يقع دير الجماجم على بعد سبعة فراسخ من الكوفة من طرف البر السالك إلى مدينة البصرة [٨٣] وقد حدد المستشرق (شتراك) موضعه بالقول : إن أطلال هذا الدير على مسيرة ستة أميال أو ثمانية أميال شرقي علي (أي مدينة النجف الأشرف) في مكان ما بالجزء الجنوبي الشرقي من بحر (النجف) وقد أعطى أبو عبيدة سبب تسميته بهذا الاسم بقوله : الجمجمة هي القدح من الخشب ، وسمي (دير الجماجم) لأنه كانت تعمل فيه الأقداح من الخشب . وقيل الجمجمة هي البئر التي تحفر في سبخة فيجوز أن تكون الموضع قد سمي بذلك[٨٤].

٢٢ -دير الحريق [٨٥]: حدد بعض المؤرخين (دير الحريق) بالحيرة [٨٦]. وحدده آخرون في ظهرها إذ أنه يقع إلى جنب (قبة السنيق) و(قبة نحصين) وهما راهبان عاشا في هاتين القبتين خارج مدينة الحيرة.

٢٣ -دير حنظلة : نسب هذا الدير لحنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربي بن نماره بن لخم، وهو من ديارات بني علقمة في الحيرة . وقد وجد في صدر الدير مكتوب بالرصاص في ساج محفور،بني هذا الهيكل المقدس ، محبة لولاية الحق والأمانة ، حنظلة بن عبد المسيح ليكون مع بقاء الدنيا تقديسه. وكما يذكر أولياؤه بالعصمة يكون ذكر الخاطئ حنظلة[٨٧].

٢٤ -دير الزرنوق[٨٨] : أشار المؤرخ الشابشتي إلى (دير الزرنوق) واعتبره دير (طيزناباذ) ويقع في منطقة النجف بين الكوفة والقادسية وعلى وجه الطريق بينه وبين القادسية ميل[٨٩].

٢٥ -دير سرجس [٩٠]: يقع دير (سرجس) في منطقة (طيزناباذ) بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق، على نحو تسعة كيلو مترات شمال شرقي النجف[٩١] .ويبدو أنه على مقربة من دير (الزرنوق) وينسب دير سرجي إلى راهبين بنجران.

وهي من اقدم مدن العرب في الجاهلية في العراق ، وتعرف اطلالها اليوم باسم " طعيريزات"وهي على نحو تسعة كيلومترات من شمال شرق النجف ، كان هذا الدير بداية القرن الرابع الهجري محفوفا بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكانت احدى البقاع المقصودة والنزه الموصوفه ، وما ان جاء القرن الخامس الهجري الا وقد علا بساتينها الخراب وعفت اثارها وتهدمت ابارها ولم يبق من جميع رسومها الا قباب خراب وحجر [٩٢] ، تسميه الناس معصرة ابي نؤآس.

ولأبي نؤاس فيها:

قالوا : تنسك بعد الحج ، قلت لهم ارجو الاله واخشى طيزناباذا :

اخشى قضيب كرم ان ينازعني راس الخطام وان اسرعت اغذاذا

فا سلمت ومانفسي على ثقة من السلامة لم اسلم ببغدادا

ماابعد الرشد من قلب تضمنه قطر بل فقرى بنا فكلواذا

وكان هذا الدير من احسن الديارات عمارة وانزهها موضعا.

٢٦ -دير السلسلة : ورد ذكر (دير السلسلة) في أحداث عام ١٧هـ مع ديري الحرقة وأم عمرو [٩٣]. وتقع هذه الأديرة الثلاثة في ظاهر الكوفة بدلالة أن (دير الحرقة) يقع عند الخندق وهو بداية منطقة النجف المعروفة باسم (ظهر الكوفة. (

٢٧ -دير الشاه او الشاء[٩٤] : يقع دير الشاه بظاهر الكوفة على رأس فرسخ ، أو ميل ، من النخيلة[٩٥] . ولم تشر المصادر إلى نصوص أخرى لدير الشاه.

٢٨ -دير العذارى : يقع (دير العذارى) بظاهر الحيرة ، وهو من الأديرة المخصصة للنساء الرواهب والجواري المتبتلات ، تحيطه أسوار عالية وتحفه البساتين الجميلة المثمرة[٩٦].

٢٩ -دير علقمة[٩٧] : يقع (دير علقمة) بالحيرة أو في ظاهرها ، وقد بناه علقمة بن عدي اللخمي[٩٨].

٣٠ ـ دير عون : حدد المؤرخ الشابشتي (دير عون) مما يلي النجف [٩٩] . ولم تشر المصادر إلى الأحداث التاريخية التي وقعت في هذا الدير أو إشارة عند الشعراء.

٣١ ـ دير قرة[١٠٠] : يقع دير قرة بإزاء دير الجماجم ، وهو ينسب إلى رجل من قبيلة لخم يدعى قرى بن حذافة بن زهر بن أياد ، ويعود إلى عهد المنذر بن ماء السماء [١٠١]. وذكر الأستاذ الدكتور صالح العلـي : أن هذا الدير يقع شمالي مدينة الكوفة وليس في جنوبها [١٠٢].

٣٢ ـ دير بونا : الذي كان في قرية بونا في ضواحي الكوفة.

٣٣ ـ دير زرارة : يقول الشابشتي : وهو دير حسن ، بين جسر الكوفة وحمام اعين [١٠٣] ، ناحية عن الطريق على يمين الخارج من بغداد الى الكوفة ، وهو موضع نزه حسن كثير الحانات والشراب عامر بمن يطرقه لايخلو ممن يطلب اللعب ويؤثر البطالة، وهو من المواطن المستصلحة لذلك .(انتهى) والشابشتي المتوفي في سنة (٣٨٨ هـ) او (٣٩٠ هـ) او (٣٩٩ هـ) ، كان قد طاف في هذه الانحاء قبل استقراره في مصر ، يؤكد ذلك ماذكره هو عن وجوده في البصرة وحضوره مجلس (ابن جمهور محمد بن الحسن العمي البصري) فقد قال : وكنا نحضر مجلسه بالبصرة فيملي اخبار اهل البيت ,عليهم السلام فاذا فرغ من الاملاء ابتدا جواريه فقرأن بالحان ثم قُلن القصائد الزهديات فاذا فرغن من ذلك انصرف من انصرف واحتبس عنده من يانس به وعمل الغناء والشرب [١٠٤] ، ويبدو انه قد قضى وطرا كبيرا من حياته متنقلا بين البصرة والكوفة وبغداد ، ان لم يكن من اهل البصرة اصلا ، خاصة اذا عرفنا ان البصرة والاحواز كانت ضمن اعمال خراسان التي بها منشأ آبائه [١٠٥] في تلك الازمنة ، التي يمتد اليها وجود الاب النسبي للشابشتي ، وانما سقنا هذا الاستنتاج هنا لان كلام الشابشتي عن دير زرارة يدل على مروره به ومكوثه

فيه خلال رحلاته بين البصرة وبغداد او تنقلاته في ارجاء العراقيين في القرن الرابع الهجري ، يقول كوركيس عواد : فان ثبت صحة الاسناد جاز ان المؤلف كان يغشى مجالس العلماء بالبصرة [١٠٦] ، وقد شاهد هذا الدير والكنائس المتضمنه فيه والتي يتعبد فيها الديرانيون ،يدل على ذلك وصفه اياه بالنزه وبكثرة البساتين وغيرها من الاوصاف التي تدل على انه قد وقف عليه . وقد كان دير زرارة محط شعراء المدينة بل كل من ارتحل ومر بالكوفة ، وذلك يدل على ان الحياة الكنسية العبادية والعلمية كانت في حالة ازدهار ونماء في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، فلا يخلو دير من الاديرة من خزانة كتب يجد الرهبان فيها ماينشدون من التاليف التي تتناول موضوعات دينية وادبية وعلمية مختلفة كالكتب المقدسة وتفاسيرها والفلسفة واللاهوت وسير الشهداء والقديسين والحياة النسكية والعبادات والطقوس الدينية والادب والشعر وغير ذلك مما تحفل به رفوفها ، وكانت خزانة الكتب مجتمع الباحثين من الرهبان فيها يطالعون وفيها يؤلفون الكتب وفيها ينسخون.

والموقع ينسب الى (زرارة بن يزيد من بني البكاء) وكانت زرارة تشتهر ببساتينها، ومن بين سكانها عدد من اليهود اشتهر منهم (بطروني اليهودي) الذي برع في الفلك والفأل. وقد ورد في تاريخ الجاثليق (احودما) ان دوره لم يقتصر على تنصر عرب بيت عربايا في الجزيرة، بل امتد نشاطه الى التنوخيين البدو المنتشرين بين الانبار والحيرة وعرب عاقولا وهم بعض سكان الكوفة.

وعبارة الشابشتي بانه بين جسر الكوفة وحمام اعين ، ويضيف الحموي ان حمام اعين وسط الكوفة ، اذن هذه البيعة الكبيرة التي يقع في الدير وماالحق به من كنائس موجودة في الكوفة وتمارس دورها الديني والاجتماعي حتى بداية القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي ، ومن المؤكد انها كانت محلا لاقامة كبار المترجمين ، ومكتباتها عامرة بانواع العلوم الطبيعية والعقلية ، والتي استفاد من مخزونها العلمي علماء المسلمين ، خاصة اذا ضممنا الى ذلك ماقاله المسعودي : ( ) وتمارس فيه مختلف انواع العبادات للطائفة المسيحية

٣٤ ـ دير حنا الكبير : يعد هذا الدير من أقدم أديرة الحيرة يقال عنه أنه بني وقت بناء الحيرة .. وقال ياقوت عنه أنه اشتهر بكثرة نخيله وتدفق مياهه وللشاعر الكوفي الثرواني شعر في هذا الدير منه قوله :

على الريحان والراح وأيام الأكيراح
وابريق كطير الماء في لجة ضحضاح
سلام يسكر الصاحي وما فيه فتى صاحي
ومن لي فيه بالسكرة عن وجه ابن وضاح

٣٥ ـ دير ابلح: ويعتقد ان كلمة ابلح من الالفاظ السريانيه التي استعملها نصارى الحيرة.

٣٦ ـ دير آذرمنج: ذكره يشوع عدناح مطران البصرة في نهاية الجيل الثامن حيث قال: والطوباوية آذرمنج بنت ديرا في مدينة الحيرة.

٣٧ ـ دير بني صرنيار: عده أدي من جملة الديارات في اطراف الحيرة عند ذكره لها معتمداً في ذلك على كتابات ايشو عياب الحديابي ورسائله.

٣٨ ـ دير توما: من الأعلام التاريخة التي اختصت بالنصارى وهو من اصل سرياني ويفيد (التؤام) وهو دير من اديرة الحيرة لتوما النصراني[١٠٧].

٣٩ ـ دير داد يشوع: عمر داد يشوع الماحوزي هذا الدير في نواحي الحيرة.

٤٠ ـ دير دندا: من اديرة النساء ، انشأته الطوباوية دندا.

٤١ ـ دير دودي: بنته الطوباوية الحيرية دودي بنت العهد، قال ايشوع دناح : هيلانة بنت العهد أخت شمعون رئيس دير ربان يوزاداق في بلد قردو ... بقيت من اسبوع باعوثة نينوى الى احد القيامة بلا طعام.

٤٢ ـ دير الخصيب: دير يقع قرب بابل عند بزيقيا (وهي قرية قرب حلة بني مزيد من اعمال الكوفة) وهو حصن.

٤٣ ـ دير عبد الرحمن[١٠٨] بن يلكم الحكم:يعد عبد الرحمن بن ام الحكم، من كبار قادة بني امية في الشام، تولى الكوفة من قبل معاوية سنة ٥٧هجرية-٦٧٦ ميلادية ، وكان معسكرا للثوار على بني امية [١٠٩].

٤٤ ـ دير عبد يشوع: وهو اول دير اسس في الحيرة ، وكان بناء الدير سنة ٤١٠ م في عهد النعمان الأول. وكان بينما هذا القديس يدرس في الدير ذهب الى دجلة ليأخذ الماء فلاقى هناك نسوة استحلفنه على ان يملئ جرارهن، ولما تأخر عن الرجوع قص على رئيسه ماجرى له فأمره ان يدخل تنورنار، ورسم عبد يشوع على جسمه وعلى النار علامة الصليب ودخله على مشهد من اهل الدير. فانفرجت عنه النار ، وكي يتخلص من الإحترام الذي استوجبته هذه المعجزة انسل ليلا الى الفرات وبنى ديرا فاجتمع اليه بعض المتعلمين وتلمذ اهل متوث وميسان واتصل خبره بتومرصا الجاثليق(المتوفي سنة ٧٢١ يونانية) فجعله اسقفا على دير محراق ولكنه لم يبقى الا قليلا حتى ذهب الى جزيرة اليمامة في البحرين(في شرقي جزيرة العرب) وقضى هناك حياة عزلة وعمد سكانها وبنى ديرا. ثم طرد شيطانا وامره ان يحمل حجرا الى بادية بني اسماعيل فانجز الشيطان هذا الأمر ورجع الى القديس قائلا: قد حملت الحجر الى الموضع الذي عينته لي ووضعته الليلة على بعد ثلاثة اميال من مدينة الحيرة الواقعة على مدخل البادية، فرأى القديس حلما قرر على اثره الذهاب الى الحيرة وبنى بها ديرا في موضع الحجر.

٤٥ ـ دير كعب: قيل من اديرة إياد، وقيل لغيرهم وهو من جملة ديارات الكوفة.

٤٦ ـ دير مار ابا الكبير: من العلماء الأفاضل يرجع نسبه الى اصل فارسي ومن عائلة مجوسية ، اعتنق النصرانية، ولما علم ملك فارس خسرو الأول بذلك طلب منه الرجوع الى المجوسية فأبى ونتيجة لذلك أمر بهدم الكنيسة النسطورية في سلوقيا التي كانت تعرف بالكنيسه الشرقيه القديمه اما الان فتدعى كنيسه المشرق الاشوريه؛ ونفى مار ابا الى اذربيجان سبع سنين، فعاد من منفاه بلا إذن فألقى في السجن. مات فيه متأثراً من مرض القولنج في ٢٩ فبراير ٥٥٢ م . الموافق لليلة الجمعة الثانية من الصوم الماراني في سنة ٢١ لنوشروان وسنة ٨٦٣ يونانية ودفن بالحيرة وبنى عليه ديرا وقيل ان الذي بنى عليه ديراً تلميذه – قوري – ويومذاك كانت الحيرة قلعة نسطورية منيعة. وكانت مدة رئاسة مار أبا ستة عشر سنة ، وفي أيامه عُرفت قوانين الرهبنة في بلاد فارس وخالف زي الرهبان والهراطقة واهتم بالاعمار والقلالي وغيرها من سائر الديرة.

٤٧ ـ دير المسالح من اديرة (كوثي) من توابع الكوفة الإدارية وهي من ارض بابل القديمة.

٤٨ ـ دير مار باباي : وهو قديس من بلد – بهقباذ – القريب من الحيرة.

٤٩ ـ دير ميزدقنة: ذكره نصري في حديثه عن الجاثليق إبراهيم قال: انه توفى بالحيرة سنة ٨٥٣ م ودفن في ميزدقنة.

٥٠ ـ دير نجران: يقع بارض الكوفة لما اجلى عمرو بن الخطاب نصارى اليمن عن جزيرة العرب فيمن أجلى قدموا الكوفة وابتنوا هناك ديرا ومنازل وسموها دير نجران باسم نجرانهم باليمن.

كنائس واديرة تنتشر في أرض الكوفة تشهد على كونها لقرون عدة مدينة التعايش السلمي بين الأديان في العالم ، كنائس وأديرة تنتشر في أرض النجف، شاخصة أطلالها هنا وهناك، دليلاً ماديّاً على تاريخ كنائسها، وأنغام نواقيسها التي كانت تنشر الديانة المسيحية للعالم، والتي تمثل المرجعية العليا للمسيحيين القدامى، وكانت تضم في اديرتها المختلفة انواع شتى من المكتبات التي كانت بحق المورد الاساسي لاطلاع نساطرة الكوفة على تراص الحضارات السالفة على الحضارة الاسلامية .

وكانت تحيط بالكنائس مقابر مسيحية، ولعل التنقيبات الأخيرة أثبتت لنا أن أكبر مقبرة للمسيحيين في العراق توجد في محافظة النجف الاشرف مساحتها ١٤١٦ دونم تقع في منطقة تسمى 'أم خشم' تحوي قبوراً كثيرة جداً للنصارى ، ويصور احد المؤرخين طريقة توديع النصارى لموتاهم، اذ كانوا يشيعونهم وهم في طريقهم الى المقبرة حيث كان اشراف القوم يتقدمهم اسقف المدينة والقساوسة الذين يسيرون وهم يتلون الصلوات رافعين الصليب. وكانت مقبرة النصارى قد اشتهرت فيما بعد بأسم (ناووس الكوفة[١١٠].

ويرى فيليب حتي أنّ الحيرة التي تحكّم في شؤونها الساسانيون قد انتقلت منها مؤثّرات الثقافة الآرامية النسطورية إلى الجزيرة في العصور السابقة للنبي وأصبح النساطرة بعدئذٍ حلقة الاتصال بين الثقافة الهيلينية وبين الثقافة الإسلامية الفتية ويؤكّد " ر . بلاشير " هذا الدور بإيضاح مكثّف ، قال: " . . وكانت العناصر المولّدة للتثاقف في بداية الأمر هي من سكّان المدن في بلاد الشام والعراق ومصر وكتل الحضريين الريفيين

الذين يدورون في فلكهم . وتظهر هذه العناصر بإكليروسها واستعدادها التقليدي للنقاش اللاهوتي وتقاليدها الكتابية ومزاولتها الأعمال والإدارة بمظهر المتمدّنين ، فظلّت التقاليد الرومانية والهيلينية والتراث الإيراني من خلالها على قيد الحياة. "[١١١]

و كان اسقف الكوفة في مطلع القرن الثامن جرجيس، وكان يصلي بالمسيحيين الذين كانوا من قبائل طي وعقيل وتنوخ، وعرف ايضا بأسقف العرب. وكان من المتضلعين في الفلسفة ووضع شروحا لبعض الاسفار المقدسة واسرار الكنيسة كما نظم القصائد الدينية وترجم كتاب (الادركانون) لأرسطو. ولعل المسيحيون قد لعبوا دورا في النهضة الفكرية التي شهدتها مدينة الكوفة مركز الخلافة الجديد. وكانت المناقشات المذهبية والدينية بين المسلمين تمتاز بالتنوع في التفكير والتوجهات، وقد انتشرت فيها فرقاً دينية متضاربة مثل السبأية والمرجئة والكيسانية التي تأثرت بفكرة عودة المسيح التي يرى بعض الباحثين انها انتقلت بعد ذلك الى الفكر الاسلامي .

كما تأثر اهل الكوفة بحياة الرهبان فأسست الكوفة من مراكز الزهد والتصوف في الاسلام حتى ان بعض الزهاد الكوفيين قد لبسوا المنسوجات الصوفية الخشنة المشابهة لمسوح الرهبان. ومن بين الشخصيات التي برزت في تلك الانحاء هاني بن قبيصة بن مسعود الذي كان شريفا عظيم القدر ولعله كان موحدا او مسيحيا. كما بنى اول والي للكوفة خالد بن عبد الله القسري كنيسة قرب جامع المدينة سميت بكنيسة خالد او كنيسة ام خالد. وهو اول شخصية اسلامية يبني بيعة للنصارى في تاريخ الاسلام، والمعتقد ان ذلك يعود الى ان امه كانت مسيحية. ووردت عاقولا بأسم عاقولاء في (معجم البلدان). ووجد الحموي شعرا من اشعار بني مازن نقله عن خط ابن حبيب في شعر صاحب بن ذيبان المازني يخاطب مسلمة بن عبد الملك:

أمسلم انا قد نصحنا فهل لنا بذاكم على أعدائكم عندكم فضل؟
حقنتم دماء الصلبتين عليكم وجد على فرسان شيعتك القتل
وفاتهم العريان فسّاق قومه يا عجبا إنى البداءة والعدل؟
أقام بعاقولاء منا فوارس كرام إذا عد الفوارس والرجل

الكنيسة السريانية في (عاقولاء) الكوفة حتى نهاية القرن التاسع الميلادي

إنّ أوسع احتكاك للعرب بسواهم وأهمّ ظرف ومحفّز لتفاعلهم الحضاري إنّما تمّ ، بلا شكّ ، بعد دخولهم لبلدان مختلفة ، واتصالهم بقوميات وأديان متعدّدة ، ذات حضارات وأنظمة اجتماعية متطوّرة ، حيث رافق الإسلام الانتقال النهائي لعلاقات الإنتاج من حالة العبودية والاسترقاق إلى النظام الإقطاعي[١١٢].

وكنتيجة لذلك تطوّر المجتمع العربي الإسلامي ، بسبب تحرّره من عزلته السابقة ، ووراثته لأنظمة البلدان ، الاقتصادية والاجتماعية والإدارية ، وعلاقات الإنتاج الاجتماعية وتقاليد الحكم المتطوّرة . فتأثّر العرب بمؤثّرات تلك المجتمعات المتطوّرة ، فأرغمت الأوضاع المستجدّة ، رغم مقاومة الأرستقراطية العربية ، المجتمع الإسلامي على الأخذ بالأساليب والأنماط الحضارية المتقدّمة في تلك البلدان على تعرّف معارفها وعلومها وأنظمتها الموروثة وقوانينها وفلسفاتها .

وهكذا ، ظهرت الحاجة عند الانتقال ، إلى الاطّلاع على نظم وعلوم وفنون الأوّلين وإلى تعلّمها ومن ثمّ الأخذ بها . وكان لأبناء تلك البلاد الفضل الكبير في تسهيل هذه المهمّات . فلقد قام غير العرب وغير المسلمين من أبناء تلك البلدان بنقل تراث الفكر الإنساني وترجمته من الإغريقية (سبق وأن ترجمت العلوم الإغريقية إلى السريانية) والسنسكريتية والفهلوية (الفارسية القديمة) إلى العربية [١١٣].

لقد بدأت الترجمة وبدأ النقل في النصف الثاني من القرن الاول الهجري ـ السابع الميلادي ـ يسيران ببطء ولكنّ تطوّر المجتمع في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين سار بتأثّر أسرع ، ما شجّع على توسيع حركة الترجمة ودفعها إلى الأمام بحيث اطّلع العلماء المسلمون في القرن الميلادي التاسع على معظم إنتاج الفلاسفة والعلماء الغابرين من إغريق وسواهم[١١٤] ، ولا شكّ أنّ تطوّر المجتمع قد ساعد على توفير الأساس المادّي لخلق شروط أفضل لظهور مستلزمات تطوّر الفكر العربي الإسلامي ، الذي ساهم في قيام التفاعل الحضاري وتعجيل حركة المساهمة الواسعة التي قام بها العرب والمسلمون في مجمل التراث الإنساني ، وكانت الترجمة رافده الرئيسي الذي أمدّ المسلمين بمعين لا ينضب من الحضارات القديمة وفنونها وأفكارها ، أفادتهم ولا ريب في تتبّع أساليبها ومناهجها وفلسفتها حيث انعكست في عقلانية المعتزلة وأفكار إخوان الصفا الموسوعيين

(فلاسفة وعلماء) وبعض الفلاسفة اللاحقين الذين طوّروا فلسفة أرسطو في اتجاه مادّي ، وأصبحوا ، بفضل ذلك ، الحلقة الضرورية بين اليونان وعصر النهضة . ولقد زوّدتنا مصادر العرب والمسلمين الغزيرة التي وصلتنا بمعلومات غنية ووافرة عن الثقافة التي أبدعها كلّ تطوّر الإنسانية من علوم ومعارف طبّية ورياضية وهندسية وفلكية وآداب وعلوم لغة وتشريع وفلسفة وفنون ، والتي أشارت إلى الفهم المتبادل بين الشعوب والتأثير المتبادل لثقافة كلّ شعب في الآخر[١١٥] .

تلك العلوم والمعارف التي ترجمت وهضمت وتمثّلت فأورثت العرب والمسلمين إرثاً ضخماً اتصلت مؤثّرات أفكاره النيّرة بالفكر الحرّ عند الشعوب اللاتينية في عصر النهضة . ومع ذلك ، ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار التحفّظ الشديد الذي أبداه " كلود كاهن " حول تعذّر اطّلاع المسلمين على كامل التراث القديم . ذلك لما أصاب التراث القديم ، قبيل الإسلام ، من تصفية في المدارس المتأخّرة ، هذا بالإضافة إلى أنّ الأقوام الشرقية ، التي لم تطبع بطابع الحضارة الإغريقية قد بدأت – كما يذكر – بنقل الآثار القديمة التي عنيت بها إلى لغاتها وبخاصّة إلى السريانية.

استطاع النساطرة في الكوفة الحصول على تلك المكانة التي تؤهلهم لبناء الاديرة والكنائس ، التي تخرج منها كبار البطاركة بل اعاظم ملوك فارس ، حيث كانت تدرس علم الشعر و النحو و المنطق و الموسيقى و الفلكيات و الطب ، بحيث كانوا موضع اهتمام مؤرخين مثل توما المرجي وإيشوعدناج البصري وميخائيل السرياني وماري بن سليمان وصليبا بن يوحنان الموصلي وابن العبري .

المبحث الثاني

المطلب الاول

دور نصارى عاقولاء في نهضة العرب

ما ان حل الربع الاخير من القرن السادس الميلادي حتى كانت الارثوذوكسية تشاطر النسطورية الاعتقاد في الحيرة وعاقولا (الكوفة)، والمناطق التي تعتبر من امتدادات الحيرة غربا ، مع بقاء فارس في غالبيتها العظمى تؤمن بالنسطورية مذهبا لها ، وهي نصرانية متأثرة بالتربة الشرقية، وبعقلية شعوب الشرق الأدنى، نبتت من "التفكير

الشرقي في الدين، ولهذا تأثرت بها عقلية هذه الشعوب فانتشرت بينها، ولم تجد لها اقبالاً عند الروم وعند شعوب أوروبة. وكان من جملة مميزاتها عكوفها على دراسة العهد القديم، أي التوراة، أكثر من عكوفها على دراسة الأناجيل.

كان للموقع الجغرافي المميز لعاقولاء التاريخية والحيرة اثره في جعلهما مركزا تجاريا مهما يربط الجزيرة بالشام وفارس والعراق، ومن هنا كانت قبلة الوفود والمسافرين ، وملتقى اهل الادب بمختلف مشاربهم وعقائدهم [١١٦] ، وقد دخل اناس من العرب بالنصرانية نتيجة اتصالهم بالتجار النصارى ومجالستهم [١١٧] ، ولم يكن بمقدور الشعراء الانتقال من الجزيرة الى فارس مثلا او الشام من دون المرور بهما ، فكثرت بذلك الاندية الادبية فيهما واصبحت محجة للشعراء ، ومن ان اطل القرن السابع الميلادي حتى كان لمملكة الحيرة منزلة رائعة في تاريخ العراق وتاريخ العرب ونهضة آداب لغة الضاد قُبيل ظهور الإسلام، كما أن لتاريخ النصرانية في هذه المملكة شأناً عظيماً لانتشارها في هذه الديار انتشاراً عجيباً حتى دان بها الملوك اللخميون المعروفون بالمناذرة الذين كانت منزلتهم في العراق عند ملوك العجم ما كان الغساسنة في سورية عند ملوك الروم[١١٨].

تعزز الشواهد التاريخية المكتشفة هذه الاستنتاجات عن النهضة العلمية في الحيرة وكوخا وعاقولا ـ التي يذهب كثير من الاثاريين الى ان الكوفة التي مصرها المسلمين في النصف الربع الاول من القرن السابع الميلادي كانت على اثارها ـ ، فقد جاء عن مدارس الحيرة : أن إيليا الحيري مؤسس دير مار إيليا في الموصل، درس العلوم الكهنوتية في مدرسة قريته ، ومارا عبد الكبير درس في مدرسة الحيرة. وكان زيد بن عدي حذق الكتابة العربية في الحيرة، ولم يقتصر فضل الحيريين على الدرس والتعليم في معاهد الحيرة، بل لهم مأثرة خالدة على اللغة العربية وكتابتها. فقد كانت للخط العربي تطوّرات قبل أن يصل إلى حالته الحاضرة. ومن أوليات تطوّرات الخط الحيري أو الأنباري او الجزم. وقد شهد بذلك كثير من المؤرخين العرب ، ومما لا ريب فيه أن الحيريين كانوا يتعلمون أكثر من لغة واحدة فكانوا يتقنون العربية لأنها لغتهم، وكانوا يتعلمون الآرامية أي السريانية، وهي لغة بيعتهم (كنيستهم) وصلواتهم، وقد ساعد ذلك نصارى الحيرة والكوفة على النبوغ في علم الترجمة الذي ازدهر في الفترة (١٣٢ ــ ١٩٨ هـ) حيث قام مترجمون

مستقلّون بقدر كبير من الترجمة ومعظمهم من المسيحيين واليهود والمهتدين الذين دخلوا الإسلام من الديانات الأخرى . وفي القرنين الثالث والرابع " حيث تركّز عمل الترجمة في مدرسة أسّست حديثاً في بغداد ، وبذل جهد دؤوب لجعل المادّة الضرورية للبحث الفلسفي والعلمي في متناول الطالب الذي يتكلّم العربية [١١٩]. "

وكان عدد الاديرة كبير جدا في منطقة لايتجاوز طول ضلعها ٢٠ كم يقول البروفيسور حسن الحكيم : "قمت بإحصاء الكنائس ودونتها في كتاب "المفصل في تأريخ النجف الاشرف"، وفي كتابي الآخر "مدينة الحيرة"، وتوصلت إلى وجود ٣٣ ديراً منتشراً في المثلث الحضاري، النجف والكوفة (كوثا ، كوخا) والحيرة، ثم تتوغل الأديرة لتصل إلى منطقة الرهبان في بحر النجف، التي تقع بالقرب من منطقة الرهيمة التي لا تبعد عن النجف سوى ٢٠كم، إذ توجد بقايا لأديرة في المنطقة ." ، فكان إذن اديرة الحيرة وما يجاوره من الأماكن أهم مراكز الإشعاع للحركة النسطورية ، حيث كان لابدّ للنساطرة من أن يحاولوا إيقاف المد المنوفيزي ، فأخذوا يؤسسون المدارس في كل مركز هام ويزودون هذه المدارس بما تحتاجه من الأساتذة من خريجي مدرسة نصيبين ويمولونها بالأموال الكافية ويهتمون بإعطاء الطلاب ثقافة شرقية أصلية ، وقد نبغ من هؤلاء اطباء ومترجمين وشراح لفلسفة اليونان والهند عدد كبير جدا [١٢٠].

كان المسيحيون من خيرة علماء الحساب والطب والمنطق وعلوم الفلك والملاحة، وبرعوا كثيرا في هندسة البناء، ومنهم المعماري الكبير (سنمار)، الذي شيد قصر الخورنق ، وان منهم كتّاب السلاطين وفرّاشي الملوك وأطباء الأشراف والعطّارين والصيارفة... وأنهم أتخذوا البراذين والخيل واتخذوا الشاكرية والخدم والمستخدمين وامتنع كثير من كبرائهم من عطاء الجزية»

ولكنّ حركة الترجمة ، وإن استمرّت بعد القرن الثاني الهجري نشيطة موفّقة ،لم تبقَ مأجورة بل تحرّرت وقامت على الرغبة الشخصية والمتعة الفردية ، فما إن حلّ القرن الرابع حتى أخذت الحركة العلمية في النضج وغدت الترجمات مردفة بالتعليقات والشروح ، وبدأت المؤلّفات في هذه المواضيع تظهر أولاً بصورة دراسات قصيرة في موضوعات محدودة ثمّ بشكل مؤلّفات جامعة فيها اقتباس واجتهاد وتحليل ونقد وتنظيم

وتبويب واستنباط ووضع[١٢١] ، وقد ألف حنين ابن اسحاق العبادي الحيري كتاباً في الطب ومعجماً بهذه اللغة، وترجم من الكتب اليونانية إلى الآرامية كما ترجم إلى العربية ، وللحيرة منزلة تاريخية في آداب اللغة العربية أكان بالشعراء الذين أنجبتهم، أو بالشعراء الذين قصدوا ملوكها المناذرة للمدح والتقريظ ووصف البلاد والمعاهد، أو بالحوادث والوقائع التي تمت في أرضها وقبائلها،، ومن شعراء الحيرة النساطرة عدي بن زيد العبادي (+٥٨٧ م) وهو الذي ربى النعمان بن المنذر ، وتزوج بهند بنت النعمان، وله منزلة في تاريخ الحيرة السياسي ، ولامرئ القيس صلات سياسية بالحيرة وقربى بملوكها ، ومن بين الشعراء الذين جاؤوا الحيرة حنظلة الطائي (٥٩٠ م)، والنابغة الذبياني (+٦٠٤ م) الذي عاش في نعماء المناذرة فأغدقوا عليه الصلات حتى أنه كان يأكل بآنية الذهب والفضة من هدايا النعمان وأبيه ، كما جاء الحيرة حاتم الطائي الجواد الشهير والشاعر الكبير المتوفي عام ٦٠٥ م في عهد النعمان بن المنذر. ومن فحول الشعراء وأبطال الصناديد الذين سجنوا في الحيرة عنترة العبسي (+٦١٥ م) الذي أسر في سجن المنذر بن ماء السماء، وكان قد خرج في طلب النوق العصافيرية مهر عبلة، على ما ورد في القصة. وقد نظم قصيدته العينية وهو في السجن ، وكان الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي المتوفى عام ٦٠٠ م قد نظم معلقته الحماسية الفخرية غضباً لأمه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة. وكان عمرو هذا معجباً بنفسه وحكاية امه مع ام عمرو بن كلثوم اشهر من ان تذكر[١٢٢] ، ومعلقته كذلك أنشدها عمرو بن هند، لما تحاكم أمامه بكر وتغلب أبنا وائل. وكانت المعلقة على غير ما تنشد اليوم

ان ازدهار الحالة الفكرية والدينية ووجود الوعي النوعي بالقضايا الادبية ساعد عرب العراق على ايجاد الارضية المناسبة للافكار التي جاء بها الاسلام ، والتي تتعلق بعرى التوحيد بالدرجة الاساس ، ذلك الاصل الذي تقترب الرؤية العقدية للمسيحيين النساطرة فيه مع المبادئ الاسلامية العامة بخصوص القضايا التوحيدية ، ولعل الاستجابة لمبادئ هذا الدين كانت اكثر ماتكون ايجابية في الحيرة وعاقولا.

دور الكوفة (عاقولاء التاريخية) في النهضة العلمية

كانت هذه المنطقة تعرف وفي فترات متباعدة تاريخيا باسماء متشابهة كثيرا ، فقد ذكرتها المصادر التاريخية تارة باسم (كوخا) وتوصف كونها قريبة من المدائن ، وتارة باسم (كوثا) ، وتارة اخرى يرد ذكرها باسم (عاقولا) ، ويتضح من خلال تتبع الروايات التاريخية ان المسيحيين ساهموا بفاعلية كبيرة في انهاء الحكم الساساني في العراق ، لتفتح فترة وئام واخاء بين اتباع الديانتين الاكبر على الارض انطلاقا من الكوفة.

ومن الناحية التاريخية ايضا فقد أدّى مسيحيو العراق خاصةً السريان من يعاقبة ونساطرة دوراً مهمًا في الترجمة والعلوم والطب خلال فترة الدولة العباسية لقد ترجم المسيحيون من اليونانية والسريانية والفارسية واستفادوا من المدارس التي ازدهرت فيها العلوم قبل قيام الدولة العربية ، يقول ديورانت :: " ان المسلمين كثيري التفكير في ربهم " [١٢٣] ولعل ذلك كان سبب التقارب والترحيب الذي لاقى المسيحيون العراقيون المسلمين به ، اضافة لما كان من امر للصراع الدائر بين الروم والفرس من تأثير سلبي كبير على حياتهم المادية والدينية .

وفي العصر الأموي تم الاعتماد على السريان النساطرة في الشؤون المالية و الفنية و الادارية ، كما اعتمدوا عليهم في امور الطبابة، و استمر المسيحيون على ممارسة هذه المهنة فيما بعد وخصوصاً اثناء العصر العباسي ونالوا شهرة واسعة في هذا الميدان ، ونستطيع القول ان الكثير من القبائل العربية التي كانت تسكن بادية الشام استمرت في مسيحيتها، فقد كان الاخطل وهو من قبيلة تغلب شاعر الأمويين المفضل وهو معروف بنصرانيته[١٢٤].

اما في العهد العباسي وبعد تأسيس الدولة بقليل فقد اصبحت بغداد كعبة العلماء والأُدباء يقصدونها من كل صوب، ونشطت حركة الترجمة منذ ايام هارون العباسي وبلغت ذروتها ايام المأمون عندما كان على رأس الكنيسة الشرقية (النسطورية) البطريرك طيماثاوس الاول والملقب بالكبير الذي عاصر خمسة ملوك عباسيين خلال مدة رئاسته بين سنة ٧٨٠-٨٢٣م وكان على علاقة طيبة بهم وأشتهر بحوارات العقائدية مع الخليفة المهدي، وكانت الخيزران زوجته تميل الى المسيحين وربما كان ذلك بتأثير ابي قريش عيسى طبيبها الخاص، وقد ذكرها ماري في كتابه "المجدل" واثنى عليها وعلى

ترميم الاديرة وتوسيعها. ومما يذكر بهذا الصدد ان البطريرك خلال فترة رئاسته الطويلة أرسل بعثات تبشيرية الى تركستان والهند والصين حيث بشّروا وأنشأوا كنائس جديدة لازال قسم منها حيّةً حتى اليوم.

ومن خلال هذه الاشارات يمكن ان نلتمس وبوضوح ان الفترة العباسية كانت فترة استقرار ووئام للكنيسة النسطورية ، واتجهت الكنيسة الشرقية على العموم في هذه الفترة من تاريخها بصورة ادق الى حياة الرهبنة والتبتل [١٢٥] ، واستطاع النساطرة الانضواء في المهام والوظائف التي كانوا يتقنونها اتقان المحترف ، واصبحوا رقما يحسب له حساب في الوظائف العامة المهمة في الدولة ، وانعكس ذلك على حركة التبشير التي مارسها المسيحيون في مناطق اخرى بعيدا عن الرقعة الجغرافية للدولة الاسلامية ، لقد كان المسيحيون يستمتعون بدرجة من التسامح لانجد لها نظير في البلاد المسيحية في هذه الايام " [١٢٦] ، كما واستمالوا العباسيين من اجل توسيع وتشييد الاديرة والكنائس في عواصمهم الدينية كالحيرة والكوفة ، مما يدل كذلك على ازدهار الحالة العلمية التي تمارسها الكنائس في تلك الفترة (القرن الثاني الهجري) وانها مراكز ذات تاثير ديني واجتماعي

لقد ساهم المسيحيون بالدور الأكبر في عملية الترجمة والنشر التي نشطت في العصر العباسي الاول حيث قاموا بترجمة الكتب العلمية والطبية والفلكية عن اليونانية والسريانية الى العربية، وكان على رأس المترجمين حنين بن اسحق الذي يلقب بشيخ المترجمين ، وحركة الترجمة والنشر كان لها اهمية كبرى ذلك لانها قامت بنشر التراث والعلوم والمعارف على اختلاف انواعها باللغة العربية في وقت كانت العربية احوج ماتكون الى تلك المعارف فأغنت المكتبة العربية وكان لها أثر بالغ فيما تلا ذلك من عصور.

وفي العصر العباسي برز ادباء ومفكرون كان لهم دور كبير في نشر المعرفة والثقافة ، امّا في الميدان الطبي فقد كان للمسيحين خلال العصر العباسي حضور واضح وفاعل فالتاريخ يذكر لنا اسرة بختيشوع الطبية الشهيرة وكان اكثرهم قد تخّرج من مدرسة جنديسابور في الاحواز، وهذه الاسرة قدّمت خدمات جلّى في الامور الطبية وفي ميدان

الترجمة والتأليف وقد حصلوا على مقام رفيع ونالوا حضوة لدى ملوك بني العباس ولدى عامة الناس، وكدليل على تمسك هذه الأسرة بدينها وتقاليدها يذكر الخزرجي ان الطبيب ابن جبرائيل لم يقبل هدية الخليفة المنصور من الجواري اكراماً له ومكافأة لانه كما قال "نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من اِمرأة". [١٢٧] ، وجدير بالذكر ان كثيراً من رجال الدين وحتى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي كانوا يمارسون هذه المهنة في الوقت الذي لم يكن هناك طبيب قانوني معتمدين على المخطوطات والكتب التي كانت في ايديهم وحازوا على شهرة في هذا الميدان .

المطلب الثاني

أعداد النصارى في الكوفة

يحدثنا المؤرخون انه كان في بلاد الاسلام في القرن الثالث الميلادي احد عشر الف كنيسة كما كان فيها عدد كبير من المعابد [١٢٨] ، ولم يكن القول ان الكوفة او ماحولها تتوفر على عدد كبير من الكنائس ببدع من القول وبات واضحا ان منطقة تواجد النصارى في الكوفة يتركز في اطراف المدينة التي اختطها المسلمون لسكن الجند ، وقد كانت تلك القبائل تدخل في ديوان اعد لهذ الغرض ، وكان عدد السكان النصارى الذين لا يدخلون في عداد المقاتلة يمكن تقديره بعشرة آلاف ، نظراً لأن معظم سكان عاقولا والحيرة التي أسست الكوفة بالقرب منها كانوا نصارى ، وعندما فتحت الجيوش العربية الإسلامية العراق في القرن السابع ميلادي ، وجدت أمامها حوالي سبعة ملايين عراقي، لغتهم الثقافية والدينية هي السريانية[١٢٩] ، بمن فيهم الجماعات العربية في إمارة المناذرة في الحيرة. أما من الناحية الدينية فقد كانت غالبيتهم الساحقة تابعة للكنيسة النسطورية، وهنالك أقليات من أتباع الكنيسة اليعقوبية وكذلك اليهود والمندائية.

وقد استعان العرب المسلمون بالسريان وبالأخص الشرقيين منهم مثل سمعان بن الطباخين وغيره في ترتيب أمور الدولة وتنظيم الأجهزة الإدارية وتنظيم الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية، وكانت طوائف الموظفين الرسميين في البلاد الاسلامية تضم مئات من المسيحيين [١٣٠] ، ومن أشهر علماء السريان حنين بن إسحق وأبو بشير ويوحنا بن جلاد ويحيى بن عدي والكندي وآل بختيشوع وغيرهم، الذين ألفوا وترجموا

ونقلوا مختلف العلوم الطبية والفلكية ومن اللغات السريانية واليونانية والفارسية إلى اللغة العربية أتحفوا المكتبة العباسية بمصنفاتهم وعلومهم، كما أدار السريان الشرقيون بيت الحكمة، وكان أطباء الخلفاء دائماً من السريان.[١٣١]

كان للمسيحيين في العراق خاصةً السريان النساطرة دور مهم في الترجمة والعلوم ، وأدت الترجمة مهمة رئيسة في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وقد أتقن العرب، والمسيحيون منهم خاصةً، الترجمة واستوعبوا محتويات الكتب المترجمة، بعدما عربوها وأعادوا صياغتها وطوروا مضمونها وأجروا عمليات نقد عليها وأعادوا إنتاج الثقافات السابقة لهم ووضعوها بين يدي العالم فيما بعد [١٣٢].

لقد ترجم المسيحيون من اليونانية والسريانية والفارسية، واشتهر من المترجمين شمعون الراهب وجورجيوس أسقف حوران وجوارجيوس وجبريل بن بختيشوع الذين اشتهروا في الطب خاصةً، وبقيت أسرتهم آل بختيشوع مسؤولة عن الطب في الدولة العباسية طوال ثلاثة قرون ، وهكذا يمكن ان نستوضح بقاء المذهب النسطوري فاعلا في منطقة انتشار الاديرة والكنائس النسطورية في الحيرة والكوفة لثلاثة قرون اخرى بعد القرن السابع الميلادي ، بسبب ان قرب هؤلاء الاطباء والمترجمين النصارى من مركز القرار السياسي ، امكنهم في نهاية المطاف من المحافظة على الارث الديني والاجتماعي للسريان النساطرة حتى القرن الخامس الهجري[١٣٣].

وخرج من الكوفة واديرتها اشهر أطباء الخلفاء العباسيين، وعَيّن المأمون يوحنا بن ماسويه الذي ترجم وألف خمسين كتابًا رئيسًا لبيت الحكمة وكان أبوه أيضًا طبيبًاكما كان حنين بن إسحق رئيسًا لبيت الحكمة ومترجمًا لـ ٩٥ كتابًا، وقد خلفه في بيت الحكمة ابن أخته حبيش بن الأعسم[١٣٤]. كما أقام المأمون يوحنا بن البطريق أمينًا على ترجمة الكتب الفلسفيّة من اليونانيّة والسريانيّة إلى العربيّة، وله أيضًا عدد من المصنفات، وقسطا بن لوقا ،وتولّى كتب أرسطو وأبقراط ومنهم أيضًا إسحق الدمشقي ويحيى بن يونس والحجاج بن مطر وعيسى بن يحيى ويحيى بن عدي وعبد المسيح الكندي، وقد ترجموا وألفوا في الفلسفة والنواميس والتوحيد والطبيعيات والإلهيات والأخلاق والطب والرياضيات والنجوم والموسيقى وغيرها[١٣٥] .

يشير عدد من الباحثين بنوع خاص إلى تطور الفيزياء في اللغة السريانية. وكان لترجمتهم كتب الفلسفة إلى العربية أثر كبير في ظهور فرق المعتزلة التي تجعل من العقل الحكم الوحيد في تفسير أحكام الشريعة الإسلامية. وقد وصف الجاحظ وضع المسيحيين خلال العصر العباسي :«إن النصارى متكلمين وأطباء[١٣٦] ومنجمين وعندهم عقلاء وفلاسفة وحكماء[١٣٧] ، وسمح للمسيحيين الذين يضعون الصليب على صدورهم في وقت من الاوقات ان يؤموا المساجد ويتحدثوا فيها مع اصدقائهم تعبيرا عن المودة والاحترام[١٣٨]

نساطرة الكوفة حتى القرن الخامس الهجري

اختلفت الحالة الاجتماعية لنصارى الكوفة في القرن الرابع الهجري [١٣٩]، اختلافا كبيرا بفعل ضعف منظومة الحكم التي اصبحت لامركزية بشكل يصعب التمييز بين الصلاحيات التي للخليفة العباسي (الملك) و صلاحيات امراء الاقاليم ، والتي ربما كانت الملمح الواضح للسياسة الداخلية في هذا القرن ، يقول آدم متز : " في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عادت المملكة الاسلامية الى ماكانت عليه قبل الفتح العربي ، ونشات فيها دول صغيرة منفصل بعضها عن بعض كما كان الحال دائما في تاريخ المشرق اذا استثنينا فترات قصيرة ، وقد تم هذا الانقسام حوالي سنة (٣٢٤ هـ ـ ٩٣٥ م)" [١٤٠] ومن الطبيعي ان ينعكس هذا الامر على الاقليات الدينية والقومية التي كانت تعيش في الكوفة ، او في باقي اقاليم المملكة ، بسبب تغلب كل رئيس على ناحيته[١٤١].

كانت الكوفة في القرن الرابع الهجري كما يقول متز : " اكبر مركز للشيعة حتى ذلك العهد وكان يقال (من اراد الشهادة فليدخل دار البطيخ ـ الكوفة ـ وليقل : رحم الله عثمان بن عفان ") ، ومع ذلك كان التسامح الديني على اشد حالاته مع المسيحيين فقد انتشرت كنائس النساطرة من بغداد الى ميسان ، وأُنشئت في بغداد الحالية بعد الفتح الاسلامي عدة اديرة مسيحية معظمها للنساطرة [١٤٢] ، وهو دليل آخر على سعة انتشار النسطورية في المناطق المحيطة بالكوفة.

وكذلك مارست تلك الكنائس ذات نشاطها العلمي والدعوي في ظل الاسلام وتحت مظلته ، ويمكن التماس ذلك من خلال أحوال المسيحية العربية الايجابية في العراق خلال

القرنين الثاني والثالث الهجريين ، التي انعكست ايجابيا على بقاء المسيحية في بلاد الرافدين حيث اتسمت العلاقة باللين والتسامح، وكان الكتاب المسيحيون منتشرين في كل مكان حتى ان محمد بن عبد الله بن طاهر في القرن الثالث الهجري اتخذ له قهرمانا نصرانيا [١٤٣] ، وكان كثيرا من الوزراء يقتربون الى كتاب النصارى[١٤٤].

وفي هذه الحقبة ازدهرت الكنيستان النسطورية واليعقوبية ، مع غلبة واضحة للنساطرة ، واتسعت مساحة التعايش بينهما، ويحدثنا المؤرخون عن نوادي كانت قائمة تتالف من اعضاء من السنة والشيعة والخوارج والمانوية وشعراء غزل وفيلسوف ومسيحي ويهودي وصابئي وزرادشتي ويقول المؤرخون ان اجتماعات هؤلاء كان يسودها روح التسامح المتبادل والفكاهة والنقاش الهادى الذي يمتاز بالادب والمجاملة [١٤٥] ،

وقد كان في منطقة نجران الكوفة أبرشية يتبع لها مجموعتان من المسيحيين العرب الأولى مجموعة نصارى نجران خارج الكوفة، ومجموعة أخرى صغيرة تقيم داخل المدينة. وقد تقلص عدد نصارى نجران إلى حد كبير حيث لم يتجاوز عددهم في مطلع القرن الثامن الميلادي أربعة آلاف نسمة[١٤٦] ، ويبدو ان للنصارى داخل الكوفة كانت مجموعة من الاديرة والكنائس قريبة الى الفرات [١٤٧] ، والاخرى باتجاه النجف في الطريق من الكوفة الى الحيرة ، ان تضاؤل اعداد النصارى بهذا المقدار كان عاملا مساعدا على تكوين الوحدة السياسية للمسلمين ، خلاف مايذهب اليه ادم ميتز [١٤٨] ، فليس لوجود المسيح الضعيف أي اثر في وحدة الاراضي الاسلامية ، وعليه لم تكن الكنائس والاديرة اجزاء غريبة في الرقعة الجغرافية لاي حاضرة اسلامية والدليل انها كانت محط لراحة واستجمام اغلب المسلمين ، اضافة الى انها تعتبر مقدسة في الفكر الديني والاجتماعي للمسلمين

المترجمون في القرن الرابع الهجري

مرّ علينا كيف امتاز السريان النساطرة بوفرة ترجماتهم وسعة مساهماتهم ، سواء ما ترجموه إلى لغتهم من الإغريقية أو منهما إلى اللغة العربية مع توخّي الدقّة والأمانة رغم الصعوبات والمشاكل التي جابهتهم ، ويرى " كلود كاهن " إلى أنّ الغلبة كانت في بادىء الأمر للسريانية لأنّها كانت أقرب منالاً في العالم الإسلامي [١٤٩] ، ولأنّ معرفة السريانية كانت أكثر شيوعاً من معرفة الإغريقية ثمّ رغب العرب في الحصول على الترجمات

المباشرة عن الإغريقية بعد أن لمسوا قصور الترجمات المزدوجة [١٥٠]، وإذا كان الكلام سيتوجّه في أغلبه إلى ذكر المترجمين السريان إذ كان لهم قصب السبق في هذا المضمار كمّاً ونوعاً ، فإنّ شأن ممارسي الترجمة من قوميّات وأديان أخرى لن يبخس ولن يغفل ذكرهم لأنّ الترجمة والمراكز الثقافية لم تكونا حكراً لقوم أو لمكان معين ، ولم تتأثّر جميعها بالمؤثّرات الإغريقية فحسب ، فقد ترجمت علوم ومعارف وحكمة الهند وفلسفتها إلى الفهلوية ومنها إلى السريانية وإلى العربية ، كما أنّ بعضاً من اليهود أسهموا في الحركة العلمية ومارس بعضهم الأمور المتعلّقة بالشؤون الطبّية ، وتشير في هذا الصدد المستشرقة الألمانية " زيغريد هونكه " (لم يكن ما أنقذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف والأقبية بعيداً عن النور والهواء . . كلاّ إنّ كلّ ما أنقذوه من الفناء قد خرجوا به من عالم النسيان والتعفّن ، وبعثوا فيه حياة جديدة ، وجعلوه في متناول كلّ راغب عن طريق ترجمته ، وقد ترجموه ليس إلى لغة جامدة غريبة ، بل إلى لغة حيّة في كلّ مكان آنذاك هي لغة القرآن) .

يرى " كلود كاهن " أنّ المؤرّخين العرب قد نهلوا من الكتب والمخطوطات التي كانت تتوفر بكثرة في كنائس الكوفة والحيرة ، معلوماتهم الأساسية في التاريخ ، وكانت الكتب المترجمة من الهندية إلى الفهلوية مثل كليلة ودمنة ترجمها ابن المقفع إلى العربية ، قد تركت أثرها في النثر العربي والقصّة وأصبحت النسخة العربية من ترجمة ابن المقفع لكليلة ودمنة (أساطير الفيلسوف الهندي بيدبا – كما يعرفها البعض)المرجع المعوّل عليه بعد ضياع النسخة السنسكريتية الأصلية والفهلوية المترجمة عنها ، وهي التي نقلت إلى الغرب، لذلك ذهب بعض المؤرخين الى ان ابن المقفع (كان أوّل من جعل المسلمين يدركون أهمّية اللغات في العصور الوسطى[١٥١].(

وتعدّ الترجمة أحد المقومات الأساسية للتفاعل الثقافي في القرن الرابع الهجري، إذ تركت نتائجها الواضحة والبعيدة في عملية بناء الحضارة العربية الإسلامية [١٥٢]. وقد أسهم المترجمون إسهاماً عظيماً في مجال التطور الفكري والتقدّم العلمي الذي تميّز به هذا القرن ، وقد كان هؤلاء النقلة من جنسيات وأديان مختلفة[١٥٣]، اجتمعوا على تجسيد هدف عظيم واحد ألا وهو خدمة الرقي والتقدّم الحضاري في ظل هذا الانفتاح المعرفي

، وذلك بنقل ثقافة وعلوم أمم اليونان والفرس والهند إلى اللغة العربية، فحققوا بذلك أسمى مرحلة من مراحل بناء الحضارة العربية.

وكان كل واحد من المترجمين يتقن لغة أو لغتين عدا اللغة العربية، فمثلاً حنين بن اسحق العبادي (١٩٤-٢٦٠هـ/٨٠٩-٨٧٣م) كان يتقن أربع لغات هي: السريانية، العربية، واليونانية والفارسية، وكان مترجماً يتميّز بأقصى درجات الدقة والجودة. ومما يدّلنا على براعة حنين في هذه اللّغات، هو ماخلفه لنا من مصنّفات نلحظ من خلالها معرفته التامة بما ذكرنا من لغات. ففي مجال أسماء العقاقير نرى أن حنين بن اسحق، يضع في بعض الأحيان المصطلح اليوناني لاسم عقار ما يقابله بالعربية والسريانية والفارسية. وبهذا الخصوص يذكر ابن النديم: "كان حنين بن اسحق فاضلاً في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية"[١٥٤] . ولهذا اختير حنين للترجمة وأؤتمن عليها، وعيّن لها كتاباً عالمين بالترجمة، كانوا يترجمون ويراجع حنين ماترجموا كحُبيش بن الحسن الأعسم.

إنّ معظم ترجمات حنين بن اسحق لم تكن لنفسه، بل كانت تتم بناء على طلب من القائمين على رعاية حركة الترجمة ، حيث ترجم حنين في هذه المؤسسة العظيمة الكتب الفلسفية التي كان العلماء العرب مولعين بها ولعاً شديداً. وفي هذا السياق يذكر الأستاذ فيليب حتّي أنّ: أوّل من رأس معهد بغداد، أي بيت الحكمة، كان حنين بن اسحق.. وكان يعاون شيخ المترجمين (حنين بن اسحق)، في عمله ابنه اسحق وابن أخته حبيش بن الحسن[١٥٥] .

ونشطت الترجمة في القرن الرابع نشاطاً واسعاً، وكان ممّا أذكى جذوتها حينئذ إنشاء "دار الحكمة" أو "بيت الحكمة" وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين السريان بها، ووضْع أسس ناظمة لعمل أقسامها ودوائرها المختلفة، وجلب الكتب إليها من بلاد الغرب (الروم وفق التسمية الدارجة آنذاك)، وقام على هذه المؤسسة الكبيرة بادئ الامر يوحنا بن ماسويه، وكان طبيباً نسطورياً من مدرسة جند يسابور، وفيه يقول ابن جلجل: " ترجم الكتب القديمة الطبية، ممّا وُجد بأنقرة وعمورية وببلاد الروم حين سباها

المسلمون، ووضع أميناً على الترجمة، ووضع كتاباً حذّاقاً يكتبون بين يديه" [١٥٦] ، وإضافة إلى ترجماته فإن له مؤلفات كثيرة في الطب وتركيب الأدوية.

وكان لنساطرة الكوفة دور عظيم في إذكاء الترجمة حينئذ[١٥٧]، فقد عملوا بكلّ ما استطاعوا على نقل الذخائر النفيسة إلى العربية من اللاتينية (الروميّة) واليونانية والفارسية والهندية، وقد عنوا عناية واسعة بترجمة التراث الفارسي ونرى جيلاً كبيراً ينهض في القرن الرابع والقرن الذي سبقه بهذه الترجمة، نذكر منهم آل سهل وعلى رأسهم الفضل بن نوبخت الذي ركّز على ترجمة كتب الفلك ، وكان يترجم منذ حداثته بعض الكتب الفارسية.

كانت الحيرة (حيرتا – بالسريانية – مخيّم أو معسكر) مثلها مثل الكوفة ، مركزاً حضارياً في عهد المناذرة حيث كانت عاصمتهم ، وفي الحيرة كان يسكن بالإضافة إلى العرب ، النبط (وهم السريان سكّان العراق القدماء) والفرس والروم ، وهم من أديان مختلفة زرادشتية ونصرانية ويهودية وصابئة . وكانت ملتقى الحضارات القديمة ، وكان أهلها يتكلّمون في الغالب العربية ويكتبون بالسريانية لغلبة المسيحية فيها ، ويستخدمون الخطّ النبطي (الذي سيعرف بالكوفي بعد الاسلام) ويعرفون الفارسية والآرامية (سلف السريانية) .

وقد انتقلت اهمية الموقع من الحيرة الى الكوفة في الفترة الاسلامية ، غير أنّه كان بمقدور كنائسها وأديرتها القريبة منها أن تصبح منبعاً لروّاد المعرفة من المؤرّخين العرب ، حيث كان باستطاعتهم أن يستلّوا من بِيعها المخطوطات ويتدارسوها وينقلوا عنها . وكانت قد توافرت في العراق الساسانيين قبيل قدوم الاسلام إليه ظروف موضوعية وذاتية لأن يمارس المسيحيون نشاطهم بحرّية أوفر نتيجة تطوّر العلاقات الاجتماعية وتسامح السلطة الساسانية ما خلق ظروفاً فضلى لممارسة النساطرة السريان الفرقة الأكثر قبولاً وتجاوباً مع السلطة الساسانية ، لمجمل نشاطاتهم الدينية والثقافية والحضارية ، وإن كانت على العموم غير عميقة وذات أبعاد غير فسيحة . وكانت الحيرة – بسبب تابعيتها للدولة الساسانية – متأثّرة بالحضارة الإيرانية في عهدها الساساني ، فبنيت فيها وبقربها أشهر قصور المناذرة (الخورنق ، السدير ، سنداد ، الأبيض ، الفرس ، الزوراء) وأديرتهم

كدير هند الكبرى ، مستخدمين أمهر المهندسين والمعماريين والبنّائين من إيرانيين وبيزنطيين وغيرهم.

ومن أبرز المترجمين للتراث الفارسي حينئذ محمد بن جهم البرمكي وزادويه بن شاهويه وبهرام بن مردانشاه وموسى بن عيسى الكسروي وعمر بن الفرخان وسلم صاحب خزانة الحكمة وسهل بن هرون أحد خزنتها المشهورين[١٥٨] ومن أنفس مانقلوه أمثال بزر جمهر وعهد أردشير بن بابك إلى ابنه سابور وكتاب جاويدان خرد في صنوف الآداب ومكارم الأخلاق وكتاب هزار أفسانه وهو أصل من أصول ألف ليلة وليلة. يقول الجاحظ: " أطباء الهند مثل منكه وبازيكر وقلبرقل وسندباد وفلان وفلان" عملوا في البيمارستان الكبير ببغداد وسرعان ما استعربوا وشاركوا هم وغيرهم من مستعربة الهند في نقل بعض الكنوز الهندية وخاصة في الطب والعقاقير[١٥٩] .

نعم موجة الترجمة وتمازج الثقافات وتفاعلها بلغت أوجها وغاية ازدهارها في القرن الثالث نتيجة تحول "بيت الحكمة" إلى مؤسسة متكاملة، بالغة التنظيم والفاعلية[١٦٠]، بحيث صارت أشبه بمعهد علمي كبير، وقد ألحق بها مرصد ، الذي عيّن عليه يحيى بن أبي منصور وألحق به طائفة من نابهي الفلكيّين، مثل علي بن عيسى الاسطرلابي ومحمد بن موسى الخوارزمي والعبّاس بن سعيد الجوهري[١٦١] . ولم يلبث هذا المرصد أن تحول إلى مدرسة رياضية فلكية كبيرة تخرّج فيها عدد كبير من أشهر الفلكيين العرب.

وكل هذه السيول من الترجمة كانت تجري معها سيول أخرى من تراث اليونان والفرس والهند، حتى ليكاد الإنسان يظنّ أنه لم يبق شيء من هذا التراث لم ينقل إلى العربية، سواء منه ما اتصل بالعلوم أو مااتصل بالصناعات أو ما اتصل بالفلسفة والحكمة أو بالعجائب والأسمار والخرافات أو مااتصل بالعقائد والملل والنحل. وكانت كل هذه المعارف والآداب تتجمع في دكاكين الورّاقين (مكتبات ذلك العصر ودور نشر المخطوطات)، ويطلب كل منها مايجد فيه متاعه[١٦٢] .

وعلى هذا النحو أصبح العقل العربي في القرن الرابع الهجري عقلاً متفلسفاً، منفتحاً ، في وهو الامر الذي جنبه المآل الذي آلت اليه العقائد المسيحية فيما بعد ، كما أصبح عقلاً علمياً، لا من حيث فهمه وفقهه بعلوم الشعوب والحضارات الأخرى، بل أيضاً

من حيث إسهامه فيها وإضافاته الجديدة، حتى ليضيف علوماً لأول مرة في تاريخ الحضارة الإنسانية على نحو ما أضاف الخوارزمي علم الجبر. وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمي وإحكامه لوضع العلوم منذ القرن الثاني للهجرة، ممّا نراه جليّاً في العلوم اللغوية والدينية ومباحث الكلام والتاريخ والطب والفلك والرياضيات [١٦٣].

كما و يعتبر " أبو يحيى ابن البطريق " (ت ٧٩٦ م أو ٨٠٦ م) من أوائل المترجمين عن اليونانية ، وتنسب إليه ترجمة تآليف جالينوس وأبقراط وكتاب الأربعة لبطليموس ، أمّا يحيى (يوحنا) بن ماسويه النصراني السرياني المتوفّي (٢٤٣/ ٨٥٧ م) تلميذ جبريل بن بختيشوع وأستاذ حنين بن إسحق فقد قام بترجمة الكتب القديمة التي عثر عليها في أنقرة وعمورية وأكثرها في الطبّ . لقد كان يحيى متضلّعاً من السريانية والعربية ويجيد التأليف بهما ، كما كان متمكّناً من استخدام الإغريقية .

تتلمذ الطبيب النسطوري أبو زيد حنين بن إسحق العبادي (ت ٢٦٣هـ/ ٨٧٦ م) في أول أمره على يد يحيى بن ماسويه ، وعمل في صيدليته ثمّ اتصل في بغداد ، بعد إحكامه اللغة اليونانية ودراسة الطبّ في الإسكندرية ، بجبريل بن بختيشوع الذي رشّحه لإدارة بيت الحكمة ، فقام حنين مع ابنه إسحق وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم بالترجمة من الإغريقية إلى السريانية ،وراح إسحق وحبيش يقومان في أكثر الأحيان بنقل ما ترجم من السريانية إلى العربية ، ولا يقتصر عمل هؤلاء الثلاثة على ترجمة الكتب الإغريقية بدقّة وعناية فحسب ، وإنما يشرفون بما يتاح لهم على ترجمات الآخرين كترجمات عيسى بن يحيى وموسى بن خالد (الذي كان يترجم عن الفارسية) وتصحيح الترجمات وتدقيقها وهو ما يعرف بالمراجعة اليوم . وعرف أهل بغداد لحنين بن إسحق فضله على نهضتهم وقدّروه أكبر التقدير ، وبلغ من المجد العلمي غايته وأصبح المرجع الأكبر للمترجمين جميعاً . يدلّنا على ذلك أنّ رجلاً اسمه اسطفان بن بسيل قام بترجمة كتاب ديوستوريدس في المادّة الطبّية الاقرباذين وعرض الكتاب على حنين فأقرّه . ولعلّ كثيراً من المترجمين كانوا يفعلون ذلك فكان إقرار حنين لترجمة كتاب ما خير دليل على صواب الترجمة.

ترجم حنين شرح أرسطو (هرمنتوكا) إلى السريانية وعرّبها ابنه ، وترجم حنين لإقليدس وجميع أعمال جالينوس وأبقراط ، وإليه يرجع الفضل أيضاً في وضع الترجمة العربية لكتاب الاقرباذين لديوسقوريديس . ويرى المستشرق الإنكليزي " روم لاندو " أنّ هذه الترجمات وحدها تشير إلى اهتمام حنين بالطبّ على نحو ناشط آخذ بالحيوية [١٦٤].

ولكنّ هذا الاهتمام إنّما تؤكّده مؤلّفاته الكثيرة في الموضوعات الطبّية وأشهرها كتابه (مسائل في الطبّ) وكتابه (رسالة في العين) الذي يعتبر أوّل كتاب نظامي في طبّ العيون . كما ترجم لأرخميدس وأبولونيوس وترجم أيضاً كتاب الجمهورية لأفلاطون وتيمادوس لأفلاطون والمقولات والطبيعيات والأخلاق الكبرى لأرسطو وتعليقات ثامسطيوس على الكتاب الثلاثين من الميتافيزيقا . وترجم أيضاً كتاب المعادن المنسوب إلى أرسطو وهو الذي اعتبر زمناً طويلاً حجّة في الكيمياء ، وترجم المدونات الطبّية الإيحبيني ، ووضع إسحق بن حنين إلى جانب مؤلّفات له أصلية في الطبّ – كما يذكر أوليري – ترجمات عربية كالسوفسطائي لأفلاطون ، والميتافيزيقا والنفس والكون والفساد والعبارة (أو التفسير) لأرسطو وهي التي ترجمها حنين إلى السريانية ، كما ترجم ابنه بعض تعليقات فوروفوريوس والإسكندر الأفروديسي وأمونيوس ، وقد لاحظ فيليب حتي أنّ ابن العبري والقفطي قد اتفقا على أنّ حنيناً كان ينبوعاً للعلم ومعدناً للفضائل ، وقد وصفه بعض المستشرقين بالقول : " كان أعظم شخصيات القرن التاسع الميلادي وكانت له عقلية من فضلى العقليات وخلق من أحسن الأخلاق التي نعرفها في التاريخ" [١٦٥] ، أمّا أهمّ أعمال حنين فهي ترجمته لجميع مؤلّفات جالينوس إلى اللغة السريانية فاللغة العربية . ولقد فقدت الأصول اليونانية لسبعة من كتب جالينوس في علم التشريح إلاّ أنّها لحسن الحظ محفوظة في اللغة العربية [١٦٦].

كان أبو بشر متى بن يونس (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩ م) من بين المترجمين النساطرة من السريانية وهو الذي ترجم إلى العربية القياس والشعر لأرسطو وتعليقات الإسكندر الأفروديسي على الكون والفساد وتعليق ثامسطيوس على الكتاب الثلاثين من

الميتافيزيقا ، وكلّها مترجمة من نسخ سريانية ولم يكتفِ بالترجمة ، إنّما وضع كذلك تعليقات أصيلة على مقولات أرسطو وعلى إيساغوجي فورفوريوس.

كما برز من السريان في القسم الأخير من القرن العاشر كمترجمين من السريانية الى العربية ، من هؤلاء تلميذ حنين يحيي بن عدي (٢٨٠هـ / ٨٩٣ م) وتوفّي ببغداد (٣٦٤هـ / ٩٧٤ م) ، راجع يحيى كثيراً من الترجمات الموجودة ووضع ترجمات للمقولات والسفسطة والشعر والميتافيزيقا لأرسطو ، كما ترجم لأفلاطون القوانين وتيمادوس وكذلك تعليقات الإسكندر الأفروديسي – التي مرّ ذكرها عند الكلام على متى بن يونس – على المقولات وتعليقات ثيوفراسطوس على الأخلاق.

وقد انتهت إلى يحيى رئاسة السريان النساطرة، ومن اليعاقبة المترجمين أبو علي عيسى بن زرعة (٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م) المولود في بغداد[١٦٧] ، وقد ترجم المقولات والتاريخ الطبيعي وأعضاء الحيوان مع تعليق يوحنا فيلوبوفوس أو يحيى النحوي ، وهؤلاء نخبة من المترجمين والعلماء الذين ساهموا بجدّ واهتمام في نقل التراث العلمي وأبدعوا في العلوم والمعارف ضمن اختصاصاتهم أحياناً ، ما ساعد العرب والمسلمين مع عوامل أخرى على التفاعل الحضاري في القرون الوسطى.

الخاتمة:

ان الدور المعرفي الذي لعبته الكنيسة السريانية النسطورية في الكوفة لايشابهه دور في حياة هذه الكنيسة حيث كانت مكانا لتتلمذ كبار المترجمين والاطباء ممن اثروا الحياة العلمية العربية ـ الاسلامية ، ويمكن استخلاص مجموعة من النتائج في ضوء المطالب التي تمت مناقشتها وتباينها في البحث هي :

١ ـ يعتبر الوجود المسيحي السرياني اصيلا في بلاد مابين النهرين ولعله يرجع في وجوده الى القرن الاول الميلادي ـ على راي اغلب المؤرخين ـ، وكانت هذه عاقولاء والحيرة ، محلا لحركة المسيحية النسطورية، ومنطلقا لافكارها نحو الشرق وصولا الى اقصى اسيا والهند .

٢ ـ كانت ابرشيات النساطرة تؤدي دورا علميا ومعرفيا واضحا خاصة في الفترة الاسلامية من تاريخ عاقولاء (الكوفة) وكانت السمة الغالبة على الرقعة الجغرافية في

الفرات الاوسط والاسفل ، انها محجة الاساقفة والربانيين ممن يروم التزود بمخرجات الحضارات الشرقية ، بحيث كانت النسطورية هي المذهب السائد في الحيرة والكوفة قبل دخول المسلمين الى العراق .

٣ ـ استطاعت المسيحية السريانية في عاقولاء (الكوفة) وقبلها في الحيرة ،ان تكون جزا من حالة الابداع الحضاري الاسلامي من خلال اتجاه كثير من الاباء والقسيسيين الذين اخذوا علومهم من اديرة وكنائس عاقولاء (الكوفة) والحيرة ، للترجمة ، فترجموا التراث اليوناني والسرياني الى العربية ، كما انهم كانوا على درجة كبيرة من المعرفة في العلوم الطبية والصيدلية ، واستمر هذا العطاء من قبل السريانيين النساطرة في الكوفة وغيرها حتى القرن العاشر الميلادي .

٤ ـ كانت الاستفادة كبيرة جدا من مخرجات الحالة المعرفية التي اتسمت بها كنائس (عاقولاء) الكوفة ، فاضافت الى الحضارة الاسلامية زخم نوعي كبير تمثل بالرؤى والمفاهيم المعرفية للحضارات الشرقية ، وفتحت بذلك الباب على مصراعيه لنشوء وتطور علمي الكلام والفلسفة الاسلامية ، فتخرج من تلك الاندية فلاسفة المسلمين على تعدد مشاربهم ومواردهم ، وكان القرن الثاني الهجري بحق القرن الاسلامي الفريد والمميز في تاريخ الحضارة الاسلامية بفضل الترجمات التي اشتغل على ايجادها النصارى السريان ممن عاشوا في اديرة وكنائس هذه المدينة المعطاء .

الملخص :

يعتبر تاريخ الاديان بانوراما اجتماعية مهمة بسطت التجربة الانسانية على طاولة التشريح وفككت مختلف الافكار ، فكان انبثاق بذور الافكار التوحيدية اسهام مهم في الصياغات الحضارية التي كونت بمجموعها تاريخ الانسانية بشقه الديني ، وكانت النصرانية (احدى اهم الديانات التوحيدية) تساهم في تكوين مجموعة مهمة من الافكار الجديدة التي رفدت مسيرة التوحيد عندما كانت مراكز مهمة للمسيحية تمارس التبشير للخلاص من ربقة العبودية لغير الله تعالى في (الحيرة) و (كوثا) و (كوخا) و (عاقولاء) الكوفة و(الرها) و (ميسان) ، حيث شهدت هذه الحواضر البذرات الاولى لدعوة المسيح عليه السلام.

بلور هذا البحث مجموعة من الافكار سلطت الضوء على تلك الادوار المعرفية والحياتية التي تمت صناعتها في كنائس الكوفة واديرتها ، والتي اسهمت في رفد الحضارة الاسلامية بمختلف العلوم التي كانت حصيلة الافكار المتداولة والمعبرة عن الفهم الانساني لما جاء به المسيح بن مريم عليه السلام وماكان لتك الافكار ان تساهم في صيرورة المعالجات المعرفية بصورتها النهائية لولا سماحة وانفتاح الفكر الاسلامي على الرؤى والمفاهيم التوحيدية الاخرى ، وقد كان لاديرة الكوفة وكنائسها ذلك الدور في فترات متفاوتة من تاريخ الاسلام .

جاء المبحث الاول ليكُون بمطالبه سياحة تاريخية في نصارى الكوفة وبانيقيا والحيرة واشهر الديارات التي كانت موجودة حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، بينما تناول المبحث الثاني بمطالبه الحياة الاجتماعية لنصارى الكوفة تلك الحياة التي كانت بين ظهراني المسلمين وفي كنفهم ، وكان المبحث الثالث مهتما ببيان الادوار المعرفية التي ساهم من خلالها نصارى الكوفة في رفد الحضارة الاسلامية بمختلف انواع المعارف والفنون العلمية ، وانتهى البحث بخاتمة اوجزت المظان التي انطلق الباحث في توضيح اهم مطالبها ، والحمد لله رب العالمين .

الملخص:

يعتبر تاريخ الاديان بانوراما اجتماعية مهمة بسطت التجربة الانسانية على طاولة التشريح وفككت مختلف الافكار ، فكان انبثاق بذور الافكار التوحيدية اسهام مهم في الصياغات الحضارية التي كونت بمجموعها تاريخ الانسانية بشقه الديني ، وكانت النصرانية (احدى اهم الديانات التوحيدية) تساهم في تكوين مجموعة مهمة من الافكار الجديدة التي رفدت مسيرة التوحيد عندما كانت مراكز مهمة للمسيحية تمارس التبشير للخلاص من ربقة العبودية لغير الله تعالى في (الحيرة) و (كوثا) و (كوخا) و (عاقولاء) الكوفة و(الرها) و (ميسان) ، حيث شهدت هذه الحواضر البذرات الاولى لدعوة المسيح عليه السلام.

بلور هذا البحث مجموعة من الافكار سلطت الضوء على تلك الادوار المعرفية والحياتية التي تمت صناعتها في كنائس الكوفة واديرتها ، والتي اسهمت في رفد الحضارة

الاسلامية بمختلف العلوم التي كانت حصيلة الافكار المتداولة والمعبرة عن الفهم الانساني لما جاء به المسيح بن مريم عليه السلام وماكان لتلك الافكار ان تساهم في صيرورة المعالجات المعرفية بصورتها النهائية لولا سماحة وانفتاح الفكر الاسلامي على الرؤى والمفاهيم التوحيدية الاخرى ، وقد كان لاديرة الكوفة وكنائسها ذلك الدور في فترات متفاوتة من تاريخ الاسلام .

جاء المبحث الاول ليكُون بمطالبه سياحة تاريخية في نصارى الكوفة وبانيقيا والحيرة واشهر الديارات التي كانت موجودة حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، بينما تناول المبحث الثاني بمطالبه الحياة الاجتماعية لنصارى الكوفة تلك الحياة التي كانت بين ظهراني المسلمين وفي كنفهم ، وكان المبحث الثالث مهتما ببيان الادوار المعرفية التي ساهم من خلالها نصارى الكوفة في رفد الحضارة الاسلامية بمختلف انواع المعارف والفنون العلمية ، وانتهى البحث بخاتمة اوجزت المظان التي انطلق الباحث في توضيح اهم مطالبها ، والحمد لله رب العالمين .

The Syriac churches and their impact on the cognitive and life situation in Kufa until the eleventh century AD

Hussein Jawid Al Kindi

The history of religions was an important social panorama that spread the human experience on the table of dissection and dissociated the various ideas. The emergence of the seeds of monotheistic ideas was an important contribution to the cultural formations that constituted the history of humanity in its religious context. Christianity (one of the most important monotheistic religions) Which supported the process of unification when the important centers of Christianity practiced proselytizing for salvation from the bond of slavery to non-God in (Hira) and (Kotha) and (Kocha) and (Aqulaa) Kufa and (Rha) and (Missan), where these cities witnessed the first seeds For the call of Christ.

This research crystallized a set of ideas that shed light on the cognitive and life roles that were created in the churches of Kufa and its administration, which contributed to the Islamic civilization in the various sciences that were the result of the ideas that were circulating and expressing the human understanding of what Jesus Christ had brought. In the process of the treatment of knowledge in its final form Lula the tolerance and openness of Islamic thought on the visions and

other monotheistic concepts, has been the masters of Kufa and its churches that role in varying periods of the history of Islam.
The first topic was to demand historical tourism in the Christians of Kufa, Panikia, Al-Hira and the most famous cities that existed until the eleventh century AD, while the second topic dealt with the social life of the Kufa Christians. This was the life that was between the Muslims and the Muslims. Through which the Christians of Kufa contributed to the Islamic civilization in various types of knowledge and scientific arts, and ended the research concluded the summary of the parachute that the researcher proceeded to clarify the most important demands, and thank God the Lord of the Worlds.

الهوامش:

١ . المذهب النسطوري : نسبة إلى نسطور بطريرك القسطنطينية، ت ٤٥٠م، عقب انتهاء مجمع أفسس ، فتكون مذهب جديد من المسيحية والذي كان نتيجة حدوث انشقاق مذهبي واسع في المسيحية في الشرق في وقت متاخر عن ولادة المسيح حوالي سنة ٤٣١ م .

٢ . جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، مكتبة جرير ، آوند دانش ط١ ـ بلات .، ٦ : ٤٦٤ .

٣ . القبائل التنوخية : قبائل عربية ، اجتمعت على كلمة واحدة ورئيس قبيلة واحد هو (مالك بن فهم) ويقال ان هذه القبائل هي التي اسست الحيرة ، وذلك قبل الاسلام بقرون ، تنخوا بعين هجر وتحالفوا هناك فاجتمعت اليهم قبائل من العرب، فنزلوا الحيرة، وتنوخ : انخت الابل واستنختها .

٤ . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، دار الرافدين بيروت ، ط٢ ـ ٢٠١٤ ، ص١٩٢ .

٥ . الجنابي : كاظم : تخطيط مدينة الكوفة ، مكتبة المتنبي ـ بغداد ، طبعة ١٩٧٥ ، ص ١٠١نقلاً عن : ماسينيون، خطط الكوفة. بتصرف يسير.

٦ . البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان، مطبعة المثنى ـ بغداد ، بلات.، ٢: ٣٤٣.

٧ . زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٩٨ م، ص ١٧٥.

٨ . بطرس نصري الكلداني ، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة والسريان ، مطبعة الدومنيكان سنة ١٠١٣م ، ١ : ١٣٢ .

٩ . المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومناهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة دار المعرفة ـ بغداد ، طبعة ١٩٥٧م.. ص١٩.

[١٠] . محمد سعيد، الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها، بلا ط ـ بيروت ط١ـ ١٩٨١، ص ٥٠.

[١١] . العلي، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة ـ الموصل، الموصل ، طبعة ١٩٨١، ص٨٠.

[١٢] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٣٠ .

[١٣] . الشابشتي، علي بن محمد (ت٣٨٨هـ) الديارات، تحقيق كوركيس عواد ، دار الرائد العربي ـ بيروت ، ط٢ ـ ١٩٦٦م ، ص٢٣٦ .

[١٤] الشابشتي ، الديارات ، مصدر سابق ، ص٧٥.

[١٥] . الشابشتي ، الديارات ، مصدر سابق ، ص٢٣٦ .

[١٦] . علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام كان شاعرا كوفيا ذكره الطبري في تاريخه ، في حوادث سنة ٢٠٠ ـ ٢٠٢ هـ ونقل ياقوت شيئا من شعره في معجم البلدان ٢ : ٤٩٣ ـ ٦٤٢ ، ٤ : ٣٢١ ـ ٦٧٠ .

[١٧] . الحموي ، ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ، بلات.، ٢: ٤٩٨.

[١٨] . قلالي : وهي بناء في أعلى الدير تشبه المنارة يتخذها الراهب لساعات انفراده وبابها في الغالب داخلي.

[١٩] . الحموي ، معجم البلدان،مصدر سابق ، ٢: ٤٩٨.

[٢٠] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، مصدر سابق ، ص ٣٢١ .

[٢١] . الحموي ، معجم البلدان،مصدر سابق ، ٢: ٤٩٩.

[٢٢] العلي ، (منطقة الكوفة) بحث في مجلة سومر ، المجلد ٢١ لسنة ١٩٦٥ ، ص٢٣٦.

[٢٣] . الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٢٢٥ هـ) ، تاريخ الامم والملوك ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠٠٥م.، ٣: ٥٠٨.

[٢٤] . الحموي، المعجم ،مصدر سابق ، ٢: ٥٠١.

[٢٥] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٣٠ .

[٢٦] . الحموي ، المعجم ، مصدر سابق ، ٢: ٤٩٦.

[٢٧] . العمري (٧٤٩ هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الامصار ،تحقيق كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠١٠ م ، ص٣١٢.

[٢٨] . البكري، عبد الله عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٥م) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقاء، ط٣، مطبعة عالم الكتب (بيروت – ١٤٠٣هـ) ، ٢: ٥٧٨ .

[٢٩] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٣٠ .
[٣٠] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٨ .
[٣١] . الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق ، ٢: ٥٣١.
[٣٢] . الحموي ، معجم البلدان، مصدر سابق ، ٢:٥٢١ ، والجرعة : موقع قرب الكوفة بين النجف والحيرة.
[٣٣] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٩ .
[٣٤] . الحموي، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ٢: ٥١٧ .
[٣٥] . البكري، معجم ما استعجم، مصدر سابق ، ٢: ٥٨٧.
[٣٦] . اليعقوبي، أبو العبّاس أحمد بن إسحٰق، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق عبدُ الأمير مُهنّا ، مؤسسة الاعلمي - بيروت ، ط١ - ١٩٩٣ م.، ١: ٢٢٥-٢٢٦.
[٣٧] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٦ .
[٣٨] . البكري ، معجم ما استعجم ،مصدر سابق ، ٢: ٥٩٥.
[٣٩] . الحموي ، المصدر نفسه، مصدر سابق ، ٢: ٥٣٠.
[٤٠] . البكري ، معجم ما استعجم، مصدر سابق ، ٢: ٥٩٥.
[٤١] . الحموي ، معجم البلدان، مصدر سابق ، ٢: ٥٢١.
[٤٢] . البكري، معجم ما استعجم، مصدر سابق ، ٢: .٥٩٦
[٤٣] . البكري، معجم ما استعجم، مصدر سابق ، ٢: ٥٩٦.
[٤٤] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٣٠ .
[٤٥] . البكري، المصدر نفسه، مصدر سابق ، ٢: ٥٩٧.
[٤٦] . الحموي، المعجم ، مصدر سابق ، ٢: ٥٣١.
[٤٧] . العمري، مسالك الأبصار، مصدر سابق ، ص٣١٧.
[٤٨] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٣١ .
[٤٩] . العمري، مسالك الابصار ، مصدر سابق ، ص٣١٧.
[٥٠] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٢٧ .
[٥١] . الحموي، معجم البلدان،مصدر سابق ، ٢: ٥٣٧.
[٥٢] . قال كوركيس عواد محقق كتاب الديارات للشابشتي : " عقد غير واحد من المؤرخين ترجمة للشابشتي ، والذي انتهى الينا من ذلك او بلغنا خبره منها ، ماكتبه ياقوت الحموي وابن خلكان والصفدي ، قال فيه الاول : محمد بن اسحق ابو عبد الله الشابشتي : صاحب خزانة كتب العزيز بن المعز بمصر والمتولي عرضها وكان من اهل الفضل والادب مات سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) في ايام

الحاكم بن العزيز وله عدة تصانيف منها : كتاب الديارات ، كتاب اليسر بعد العسر ، كتاب مراتب الفقهاء ، كتاب التوقيف والتخويف ، كتاب مراسلات ، كتاب ديوان شعره ، كتاب في الزهد والمواعظ ، وقد ختلف في اسمه فرايت انا كتاب الديارات من تصنيفه وهو مترجم محمد بن اسحق كما ترى ، ونقل لي بمصر بعض من اختبرت صحة نقله ، انه ابو الحسن علي بن احمد ، والله اعلم.

وقال فيه ابن خلكان ماهذا نصه : " ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي الكاتب ، كان اديبا فاضلا تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر فولاه امر خزانة كتبه وجعله دفتر خوان يقرا له الكتب ويجالسه وينادمه وكان حلو المحاورة لطيف المعاشرة وله مصنفات حسنة ... وتوفي سنة تسعين وثلاثمائة (٩٩٩ م) وقال الامير المختار المعروف بالمسبحي : توفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة (٩٩٨ م) ، وزاد غيره فقال : ليلة الثلاثاء منتصف صفر رحمه الله تعالى وكانت وفاته بمصر) . الصفدي خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ) ، الوافي بالوفيات ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠١٠ م ، حرف الشين .

٥٣ . الشابشتي ، الديارات، مصدر سابق ، ص٢٣٠.

٥٤ . الشابشتي ، الديارات ، مصدر سابق ، ص ٢٣٠ .

٥٥ . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٤ .

٥٦ . عبد القادر بن عمر البغدادي(ت ١٠٩٥ هـ) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخالنجي ـ القاهرة ، ط٤ ـ ١٩٩٧ م ، ٣: ١٨٢

٥٧ . الشابشتي : الديارات ، مصدر سابق ،ص٢٤٤.

٥٨. الطبري : تاريخ الامم والملوك ، مصدر سابق ، ٤: ٤١ .

٥٩ . الشابشتي : الديارات ، مصدر سابق ، ص٢٤٤ ، ياقوت : معجم البلدان ، مصدر سابق ، ٢: ٥٤١.

٦٠ . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٥ .

٦١ . الحموي، معجم البلدان،مصدر سابق ، ٢: ٥٤٢.

٦٢ . البكري، معجم ما استعجم، مصدر سابق ، ٢: ٦٠٧.

٦٣ . البكري ، معجم مااساعجم ، مصدر سابق ، ٢: ٦٠٦.

٦٤ . البكري ، معجم ما استعجم،مصدر سابق ، ٢: ٦٠٧.

٦٥ . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٩ .

٦٦ . جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، مصدر سابق ، ٦ : ٦٥٥ .

٦٧ . اديب ابو نوار، الكوفة كوفتان. الزمان الدولية العدد ١٨٩٣ ،٢٢/٨/ ٢٠٠٤.

٦٨ . الشابشتي، الديارات، مصدر سابق ، ص٥٤١.

[٦٩] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٣٠ .
[٧٠] . الشابشتي، الديارات، مصدر سابق ، ص٢٤١ . .
[٧١] . الحموي ، معجم البلدان،مصدر سابق ، ٣: ٢٧٠.
[٧٢] . الشابشتي، الدرايات، مصدر سابق ،هامش ص٢٤١.
[٧٣] . الحموي، معجم البلدان،مصدر سابق ، ٤: ٣٨٦.
[٧٤] . الحموي، معجم البلدان ، مصدر سابق، ٤: ٣٨٦.
[٧٥] . الحموي، معجم البلدان،مصدر سابق ، ٢: ٣٨٦.
[٧٦] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٣٠ .
[٧٧] . الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ٢: ٥٣٦.
[٧٨] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٣٢ .
[٧٩] . الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، مصدر سابق ، ١ : ٣٤٢٢ .
[٨٠] . ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع ـ مصر ، ط٢ ـ ١١٩٦٢م، ص١٣٤.
[٨١] . العمري ، مسالك الأبصار، مصدر سابق ، ١: ٣٢٤.
[٨٢] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٣٣ .
[٨٣] . البكري ، معجم ما استعجم ، مصدر سابق ، ٢: ٥٧٣.
[٨٤] . الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ٢: ٥٠٣-٥٠٤.
[٨٥] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٧ .
[٨٦] . الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ٢: ٥٠٥.
[٨٧] . البكري ، معجم ما استعجم ، مصدر سابق ، ٢: ٥٧٨.
[٨٨] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٢ .
[٨٩] . الشابشتي ، الديارات ، مصدر سابق ، ص٣٣٩.
[٩٠] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٢
[٩١] . الشابشتي ، الديارات ، مصدر سابق ، هامش لسركيس عواد ص٢٣٣.
[٩٢] . الشابشتي ، الديارات ، مصدر سابق ،ص ٢٣٣ .
[٩٣] . الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، مصدر سابق ، ٤: ٤١.
[٩٤] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٣١ .
[٩٥] . الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ٢: ٥١٨.

[٩٦] . رافائيل بابو اسحاق : احوال نصارى بغداد ، المركز الاكاديمي للابحاث ـ دبي ، ط١ ـ ٢٠١٥ م ، ص٩٦.

[٩٧] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٢٩ .

[٩٨] . الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ٢: ٥٢٤.

[٩٩] . الشابشتي ، الديارات ، مصدر سابق ، ص٢٤٠.

[١٠٠] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٣٤ .

[١٠١] . البلاذري ، فتوح البلدان ، مصدر سابق ، ص٢٨٢.

[١٠٢] . العلي : (منطقة الكوفة) بحث في مجلة سومر المجلد ٢١ لسنة ١٩٦٥ ص٢٤١.

[١٠٣] . حمام اعين بالكوفة منسوبة الى اعين مولى سعد بن ابي وقاص . الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ٢ : ٣٢٩ .

[١٠٤] . الشابشتي ، الديارت ، مصدر سابق ، ص ٢٦٩ .

[١٠٥] . قال ابن خلكان ان كلمة شابشت كلمة ديلمية ، وقد فسر جماعة من الباحثين المحدثين هذه اللفظة تفسيرا واضحا مقبولا ، قال الاب انستانس الكرملي في معجمه ماهذا نصه : الشابشتي : كلمة فارسية منحوتة معناها عاد او سناد الملك ، لان (شاه) : الملك ، و (بشتي) : العماد ، واوضح من ذلك ماذكره الاستاذ عبد الحميد الدجيلي في تفسير هذه اللفظة قال : الشابشتي لقب فارسي سياسي ماخوذ من (شاه) اي ملك و(بشت) اي خلف ، فيكون معناها الشخص الذي يمشي خلف الملك اي (الحاجب) .

[١٠٦] . الشابشتي ، الديارات ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .

[١٠٧] . الحموي ، المعجم ، مصدر سابق ، ٢ : ١٧٤ .

[١٠٨] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٣١ .

[١٠٩] . الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، مصدر سابق ، ٢ : ٧٥٩ .

[١١٠] . ميخائيل الكبير ، تاريخ مار ميخائيل، ترجمة صليبا شمعون، دار ماردين ـ حلب : ، ط١ ـ ١٩٩٦ م.، ٢ : ٣٣٢ .

[١١١] . ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، ط٢ ـ ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٧٩ .

[١١٢] . تقي الدين النبهاني ، النظام الاقتصادي في الاسلام ، دار الصفا ـ الرياض ، ط٦ ـ ٢٠٠٥م ، ص٣٦١.

[١١٣] . انظر : جورج غراف ، تأريخ الأدب المسيحي العربي ، طبعة روما ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣ م ، ص٢٥١ .

[١١٤] . سبستيان بروك، القرن السابع الميلادي في المصادر السريانية، ترجمة: زيا نمرود كانون، مجلة المجمع العراقي- العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، بغداد، ١٩٨٩، ١٣ : ٧٧ .

[١١٥] . لويس ساكو: مادة ابن العبري، معجم الأدب السرياني، منشورات المجمع العلمي العراقي – هيئة اللغة السريانية – لجنة الملجم، بغداد ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ١٤ ص٥٧-٦٠.

[١١٦] . روبنس دوفال، تاريخ الأدب السرياني، ترجمة: لويس قصاب، منشورات مطرانية السريان الكاثوليك ـ بغداد ، طبعة ١٩٨٨ م.، ص٢٢١-٢٢٢.

[١١٧] . جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، مصدر سابق ، ٦ : ٤٥٩ .

[١١٨] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

[١١٩] . ف . بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، تحقيق حمزة طاهر ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠١٢ م.، ٢ : ٧١ .

[١٢٠] . ول وايريل ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة فؤاد اندراوس ، دار نشر نوبليس ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠٠٠م.، ٢٠ : ٣١٦ .

[١٢١] . بهنام عفاص ، الحضارة المسيحية في العراق عبر العصور ، طبع في ملبورن ، طبعة ٢٠٠٧م.، ص٣٣.

[١٢٢] . جواد علي ، المفصل، مصدر سابق ، ٦ : ٤٦٠ .

[١٢٣] . ديورانت ، قصة الحضارة ، مصدر سابق ، ٢١ : ١٤٢ ، ومابعدها .

[١٢٤] . جواد علي ، المفصل ، مصدر سابق ، ٣ : ٢١٧ ، شعراء النصارى .

[١٢٥] . ايشوعدناح البصري ، كتاب العفة ، للقس بولس شيخو (بطريرك كلدان الموصل ١٩٣٩م) ، طبعة بيجان ، باريس ، طبعة ١٩٠١ م ، ص ٩٤ .

[١٢٦] . ديورانت ، قصة الحضارة ، مصدر سابق ، ٢١ : ١٥٧ ، ومابعدها .

[١٢٧] . ابن ابي اصيبعة الخزرجي ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٩٨م،١ ـ ٢٦٦ .

[١٢٨] . ديورانت ، قصة الحضارة ، مصدر سابق ، ٢١ : ١٥٨ ، ومابعدها .

[١٢٩] . ماكس مايرهوف ، تراث الاسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله دار العلم للملايين ـ بيروت، ط١ـ ١٩٧٢. ص٤٥٧.

[١٣٠] . ديورانت ، قصة الحضارة ، مصدر سابق ، ٢١ : ١٥٩ ، ومابعدها .

[١٣١] . رفائيل بابو اسحق ، ميزبوتاميا ~ خمسة آلاف عام من التدين العراقي ~ أكبر موسوعة عن العقائد الدينية العراقية تاريخ نصارى ، دار النهضة ـ بغداد ، طبعة ١٩٤٨م ، ص٧٢ .

[١٣٢] . شوقي ضيف ، سلسلة تاريخ الادب العربي ، دار المعارف ـ بيروت ، ط١٠ ـ ١٩٩٦ م ، العصر العباسي الاول ، ص١٢ .

[١٣٣] . شوقي ضيف ، سلسلة تاريخ الادب العربي ، مصدر سابق ، العصر العباسي الثاني ، ص ٨٣ .

[١٣٤] . فيليب حتّي وآخرون: تاريخ العرب ، دار غندور ـ بيروت، ط٥ ـ١٩٧٥م.، ص٣٨٠.

[١٣٥] . البير ابونا ، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ، مكتبة المتنبي ـ بغداد ، ط٢ ـ ١٩٨٥ م .، ٢ : ٣٧١ .

[١٣٦] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٤٧٢ .

[١٣٧] . الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ـ بيروت ، طبعة ١٩٩١م ، ١ : ٣١٦ .

[١٣٨] . ديورانت ، قصة الحضارة ، مصدر سابق ، ٢١ : ١٥٩ ، ومابعدها .

[١٣٩] . انظر : سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٦٨ ، ومابعدها .

[١٤٠] . ادم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة الاسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط٥ ـ ١٩٤٧ م، ١ : ١٩ .

[١٤١] . المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ، ط٢ ـ ٢٠١١م، ١ : ٣٠٦ .

[١٤٢] . ديورانت ، قصة الحضارة ، مصدر سابق ، ٢١ : ١٨٩ .

[١٤٣] . الشابشتي، ،الديارات، مصدر سابق، ص ٥١ .

[١٤٤] . الجهشياري ، محمد بن عبدوس (٣٣١ هـ) ، كتاب الوزراء والكتاب ، تقديم حسن الزين ، دار الفكر الحديث ـ بيروت ، طبعة ١٩٨٨م ، ص٢١١ .

[١٤٥] . ديورانت ، قصة الحضارة ، مصدر سابق ، ٢١ : ١٩٣ .

[١٤٦] . انظر : سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٣٧٠ ومابعدها .

[١٤٧] . الشابشتي ، الديارت ، مصدر سابق ، ص٢٣٦ .

[١٤٨] . ادم ميتز ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، مصدر سابق ، ١ : ٧٥ .

[١٤٩] . كلود كاهن ، الإسلام: منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية ، المنظمة العربية للترجمة ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠١٠م ، ص ٢٦٦ .

[١٥٠] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٤٦٢ .

[١٥١] . كلود كاهن ، الإسلام: منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية ، امصدر سابقص ٢٦٦ .

[١٥٢] . ديورانت ، قصة الحضارة ، مصدر سابق ، ٢١ : ٢٠٠ .

[١٥٣] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٤٦٢ ، ومابعدها .

[١٥٤] . ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي (ت ٤٣٨هـ) ، الفهرست ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ـ بيروت – لبنان ، ط٢ ـ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .، ص٢٩٤.

[١٥٥] . فيليب حتّي وآخرون ، تاريخ العرب، مصدر سابق ، ص٣٨٠.

[١٥٦] . ابن النديم ، الفهرست، مصدر سابق ، ص٣٨٢.

[١٥٧] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٤٦٢ ومابعدها .

[١٥٨] . ابن النديم ، الفهرست ، مصدر سابق ، ص٣٤٢، ٤٢١.

[١٥٩] . الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) ، البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط٢ ـ ٢٠٠٣م.، ١: ٩٢.

[١٦٠] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٤٦٢ ومابعدها .

[١٦١] . ابن النديم ، الفهرست، مصدر سابق ، ص٣٨٣.

[١٦٢] . بهنام عفاص ، الحضارة المسيحية ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

[١٦٣] . جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية، دار ومكتبة الحياة ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٨٣ م.، ٢ : ٥٥.

[١٦٤] . روم لاندو ، الاسلام والعرب ، ترجمة وتحقيق منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٦٢م ، ٣٥٢ .

[١٦٥] . ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، مصدر سابق.، ص ٢٤١ .

[١٦٦] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٤٧٤ .

[١٦٧] . سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، ص٤٧٠ .

المصادر:

ابن ابي اصيبعة الخزرجي ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٩٨م.

ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي (ت ٤٣٨هـ) ، الفهرست ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ـ بيروت – لبنان ، ط٢ ـ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع ـ مصر ، ط٢ ـ ١١٩٦٢م.

ادم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة الاسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط٥ ـ ١٩٤٧ م.
ايشوعدناح البصري ، كتاب العفة ، للقس بولس شيخو (بطريرك كلدان الموصل ١٩٣٩م) ، طبعة بيجان ، باريس ، طبعة ١٩٠١ م.
بطرس نصري الكلداني ، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة والسريان ، مطبعة الدومنيكان سنة ١٠١٣م .
البكري، عبد الله عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٥م) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقاء، ط٣، مطبعة عالم الكتب (بيروت – ١٤٠٣هـ).
البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان، مطبعة المثنى ـ بغداد ، بلات.
بهنام عفاص ، الحضارة المسيحية في العراق عبر العصور ، طبع في ملبورن ، طبعة ٢٠٠٧م.
البير ابونا ، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ، مكتبة المتنبي ـ بغداد ، ط٢ ـ ١٩٨٥ م.
تقي الدين النبهاني ، النظام الاقتصادي في الاسلام ، دار الصفا ـ الرياض ، ط٦ ـ ٢٠٠٥م.
الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) ، البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط٢ ـ ٢٠٠٣م .
الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ـ بيروت ، طبعة ١٩٩١م.
جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية، دار ومكتبة الحياة ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٨٣ م.
الجنابي ،كاظم : تخطيط مدينة الكوفة ، مكتبة المتنبي ـ بغداد ، طبعة ١٩٧٥م.
الجهشياري ، محمد بن عبدوس (٣٣١ هـ) ، كتاب الوزراء والكتاب ، تقديم حسن الزين ، دار الفكر الحديث ـ بيروت ، طبعة ١٩٨٨م.

جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، مكتبة جرير ، آوند دانش ط١ ـ بلات.
جورج غراف ، تأريخ الأدب المسيحي العربي ، طبعة روما ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣ م.
الحموي ، ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ، بلات.
رافائيل بابو اسحاق : احوال نصارى بغداد ، المركز الاكاديمي للابحاث ـ دبي ، ط١ ـ ٢٠١٥ م.
رفائيل بابو اسحق ، ميزبوتاميا ~ خمسة آلاف عام من التدين العراقي ~ أكبر موسوعة عن العقائد الدينية العراقية تاريخ نصارى ، دار النهضة ـ بغداد ، طبعة ١٩٤٨م.
روبنس دوفال، تاريخ الأدب السرياني، ترجمة: لويس قصاب، منشورات مطرانية السريان الكاثوليك ـ بغداد ، طبعة ١٩٨٨ م.
روم لاندو ، الاسلام والعرب ، ترجمة وتحقيق منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٦٢م.
ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، ط٢ ـ ١٤٠٤ هـ .
زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٩٨ م .
سبستيان بروك، القرن السابع الميلادي في المصادر السريانية، ترجمة: زيا نمرود كانون، مجلة المجمع العراقي- العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، بغداد، ١٩٨٩م.
سهيل قاشا ، تاريخ نصارى العراق ، دار الرافدين بيروت ، ط٢ ـ ٢٠١٤ .
الشابشتي، علي بن محمد (ت٣٨٨هـ) الديارات، تحقيق كوركيس عواد ، دار الرائد العربي ـ بيروت ، ط٢ ـ ١٩٦٦م.
شوقي ضيف ، سلسلة تاريخ الادب العربي ، دار المعارف ـ بيروت ، ط١٠ ـ ١٩٩٦ م ، العصر العباسي الاول.

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٢٢٥ هـ) ، تاريخ الامم والملوك ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠٠٥م.
عبد القادر بن عمر البغدادي(ت ١٠٩٥ هـ) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخالنجي ـ القاهرة ، ط٤ ـ ١٩٩٧ م.
العلي، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة ـ الموصل، الموصل ، طبعة ١٩٨١م.
العمري (٧٤٩ هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الامصار ،تحقيق كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠١٠ م .
ف . بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، تحقيق حمزة طاهر ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠١٢ م.
فيليب حتّي وآخرون: تاريخ العرب ، دار غندور ـ بيروت، ط٥ ـ١٩٧٥م.
كلود كاهن ، الإسلام: منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية ، المنظمة العربية للترجمة ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠١٠م.
لويس ساكو: مادة ابن العبري، معجم الأدب السرياني، منشورات المجمع العلمي العراقي – هيئة اللغة السريانية – لجنة الملجم، بغداد ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
ماكس مايرهوف ، تراث الاسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله دار العلم للملايين ـ بيروت، ط١ـ ١٩٧٢م .
محمد سعيد، الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها، بلا ط ـ بيروت ط١ـ ١٩٨١م.
المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومناهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة دار المعرفة ـ بغداد ، طبعة ١٩٥٧م.
المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ، ط٢ ـ ٢٠١١م.
ميخائيل الكبير ، تاريخ مار ميخائيل، ترجمة صليبا شمعون، دار ماردين ـ حلب : ، ط١ ـ ١٩٩٦ م .

ول وايريل ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة فؤاد اندراوس ، دار نشر نوبليس ـ بيروت ، ط١ ـ ٢٠٠٠م.
اليعقوبي، أبو العبّاس أحمد بن إسحٰق، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق عبدُ الأمير مُهنّا ، مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ، ط١ ـ ١٩٩٣ م.

دور الكوفة في رسم معالم الهوية العراقية

علاء عبد الرزاق
تدريسي علوم سياسية- جامعة بغداد

المقدمة :

لم يكن اختيار العرب المسلمين للكوفة كأول مدينة مصرت في العراق بعد دخولهم اليه قد أتى عبثاً إذ توسطت المدينة الجديدة مثلثاً **حضاريا كانت أحد اضلاعه بابل شمالاً والحيرة جنوباً في ظل بقعة شهدت سيلاً حضارياً وفكريا عبر عصور خلت، وأضحت الكوفة بعد وقت قصير من تأسيسها صورة مصغرة للعراق حتى غدت تعرف به ويُعرف بها و وضعت** بصماتها التاريخية والفكرية على المسار الحضاري في العراق منذ تأسيسها ومنذ ان اتخذها الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عاصمة لخلافته وحتى الوقت الحاضر. ينطلق البحث من فرضية اساسية الا وهي إن للكوفة ومنذ تأسيسها بصمات فكرية ولغوية وثقافية وسياسية وعمرانية تركت تأثيرها على تشكل العراق في العصور الاسلامية وصولاً للعصور الحديثة، ومن أجل إثبات هذه الفرضية سوف يطرح البحث اشكالية تتعلق بالمدى الذي استلهمت فيه الانساق الثقافية والانظمة السياسية التي تعاقبت في العراق للأنموذج الكوفي، وكيف اثر هذا الانموذج على الهوية العراقية المعاصرة. وتستدعي الاشكالية الخاصة بالبحث الالمام بمفهوم الهوية بشكل مختصر مع ذكر المشاهد التي استطاعت عن طريقها الكوفة بناء الهوية العراقية والتي ستكون مشاهد من بدايات التأسيس ومشهد من العصر الوسيط ومشهد من التأريخ الحديث، صولاً للكيفية التي تمكنت عن طريقها هذه المشاهد من بلورة هوية عراقية متوازنة ومتجانسة. المبحث الاول: مفهوم الهوية يُعد لفظ الهوية في اللغة لفظاً صناعياً مركباً من ضمير المفرد المذكر "هو" والذي يدل عند العرب على ارتبا ط المحمول بالموضوع في جوهره، والمعرف باداة التعريف"ال" ومن اللاحقة المتمثلة في ((ي))المشددة وعلامة التأنيث((ة)) والهوية هي حقيقة الشي أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية وذلك منسوب الى هو.[1] والهوية في اللغة الانكليزية هي "Identity" ولها في المعاجم اللغوية الانكليزية أكثر من معنى إذ تعني

حقيقة بقاء الشيء كما هو عليه وفي ظل أي ظروف مختلفة، وتعني أيضاً كينونة الذات أو الشيء، وتميز هذه الذات عن غيرها، وتعني ايضا الخاصية التي تجعل شخصاً ما معروفاً أو متعيناً أو حقيقة بقاء الشيء المعين ثابتة ومعروفة. كما تدل على التشابه التام في الطبيعة أو النوعية أو المماثلة التامة. [٢]وتعني الهوية ايضا التماثل التام أو التشابه المطلق، كما ان كلمة "identify" تعني تعيين أو تأسيس الهوية عن طريق اثبات ان الشخص أو الشي المعين هو ما هو عليه والهوية في اللغة اللاتينية"identi" تعني الشيء نفسه او الشيء الذي هو ما هو عليه، اي الطابع العام او الصفة المميزة لشيء أو شخص ما. والهوية في اللغة الفرنسية تعني"Identite" وهي تدل على مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما شخص معروف أو معين. [٣]والهوية عند القدماء تدل على عدة معانٍ لعل ابرزها التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، قالوا ما به الشيء هو"هو" باعتبار تحققه يسمى ذاتاً وباعتبار تشخصه يسمى هوية واذا أخذ أهم من هذا الاعتبار اضحى ماهية، وقالوا إن الامر المتعقل من حيث انه معقول في جواب ما هو" ماهية" ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الغير يسمى هوية، ومن حيث اللوازم يسمى ذاتاً. [٤]والهوية فلسفياً تطلق على العلاقة الفكرية التي ترفع كثرة المعاني في الموضوع فتردها إلى الوحدة في الاشارة مثلاً:" أ في علاقة مع ب معناها انه على الرغم من الاختلاف في التعبير بين أ وب فان المقصود بهما شيء واحد. وفي المنطق والرياضيات تدل الهوية على علاقة بين شيئين أو كميتين كل طرف فيهما يقوم برأسه، ويستخدم للدلالة على هذه العلاقة بالعلامة(=)س=ص وتعني س في هوية مع ص. [٥]وتعني الهوية في الادراك الفلسفي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة الى الشجرة في الغيب المطلق لذلك قيل ان الاحق باسم الهوية " من كان وجود ذاته من نفسها، وهو المسمى واجب الوجود والمستلزم للتقدم والبقاء. وقال ابو نصر الفارابي:" بان هوية الشيء، تعينه وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كل واحد، وقولنا انه "هو" اشارة الى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له والذي لا يقع فيه اشراك، ولقد عد الفارابي الهوية من جملة الموجودات وليست من جملة المقولات، فهي من العوارض اللازمة،

وليست من اللواحق التي تكون بعد الماهية، وهناك من يرى ان الهوية هي الوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجودي وشهودي. [٦]ولقد عنت الفلسفة اليونانية قديماً بالهوية وبمبدأ الهوية ووضع ارسطو للهوية ثلاث قوانين اساسية وعد بالإمكان رد قوانين الفكر الاساسية الى قانون واحد هو قانون الهوية فقانون عدم التناقض هو صورة سلبية لقانون الهوية، وقانون الثالث المرفوع صورة شرطية لقانون عدم التناقض، وقانون الذاتية صورة ايجابية للقوانين الثلاثة. [٧]ولقد تناول عدد من الفلاسفة مفهوم الهوية الشخصية، والتي تعني ماهية الانا والذات وبقاء هذا الانا وهذه الذات على حالها من سنة لأخرى دون تحور أو تبدل، ولقد دار نقاش مستفيض حول مصدر الهوية –الذات فهل هو العقل أو المادة. واذا ما قلنا ان المادة هي مصدر الهوية كان ذلك بعيداً عن الحقيقة، ذلك ان كل خلية في الجسم في تغير مستمر، كما ان الهوية –الذات لا يمكن ان تكون في العقل ايضاً، ذلك ان مجموع العواطف والمشاعر والافكار التي تشكل الضمير تتغير بشكل ثابت ومستمر، كما ان الانسان لا يمكن ان يكون متماثلاً مع ذاته بالشكل الذي كان عليه قبل سنة مضت. [٨]

والهوية الشخصية تتحدد بناء على اسم الشخص وموقعه في المجتمع فضلا عن الوجود المادي المستمر والذاكرة الثابتة وهذا الوجود المادي الموضوعي يبنى على قاعدة التماثل والاستمرار لوجود الانسان كفرد ومقدرته على تمييز وادراك المواقف العقلانية والاخلاقية والتي في حالة مرور الانسان بها يشعر بذاته وبشكل حاد وعميق الامر الذي يتكون لديه وفي اعماق ذاته صوت يناديه بالقول" هذا هو أنا حقيقة".[٩]وتدل الهوية عند المحدثين عادة على اربع معانٍ وهذه المعاني هي:

١-يطلق اسم الهوية على الشيء من جهة ما هو واحد، كقولنا ان الشيخ الرئيس هو ابو علي بن سينا، وتسمى هذه الهوية بالهوية الفردية

٢-يطلق لفظ الهوية على الشخص أو على الموجود المشبه بالشخص إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة رغم التغييرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده، ومنه قولنا هوية الانا، وهوية الفاعل، وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية" Personal Identity"

٣-وتعد الهوية صفة لموضوعين من موضوعات الفكر على الرغم من اختلافهما في الزمان والمكان متشابهان في كيفيات واحدة، وتسمى هذه الهوية بالهوية الكيفية أو النوعية"Qualitive Identity" أو الهوية النوعية "Specific Identity"

٤-الهوية علاقة منطقية بين شيئين متحدين كالهوية الرياضية، والمساواة الجبرية والتي تظل صادقة رغم اختلاف قيم الحروف والتي تتقوم منها كما في العلاقة الجبرية التالية: (ب+ج)٢= ب٢+ج٢+٢ ب ج. [١٠] ولقد بحثت جذور الهوية من لدن فلاسفة تجريبيين وعقلانيين مثل ديفيد هيوم وعمانوئيل كانت، وكان الاول قد استبعد اي تماثل مع الذات بشكل كامل، وقد فسر هذا الطرح بالقول بان جزءاً من العقل الواعي في لحظة ما يظل متماثلاً في اللحظة التالية كما يكون من السهل التوقع بان الذات الواحدة تخضع لعملية تغيير تدريجي بشكل اكبر من ذوات متعددة مع تشكيلات معقدة، ولقد اعتقد هيوم، بان النفس تمتلك مظهراً واحداً من الهوية الذاتية ويتكون هذا المظهر عن طريق تعاقب الصور والاحاسيس بشكلٍ الي وهذا التعاقب هو الذي ينشأ الفكرة. وبالمقابل فان عمانوئيل كانت اعتقد بأن التماثل مع الذات يتم البحث عنه في مجال الضمير الفردي فهل إن تتابع الافكار والمشاعر والاحاسيس يحدث في الضمير بشكل متوالٍ او لا وقد بدا واضحاً ل ((كانت)) بان الشي في ذات نفسه(العقل المجرد) ذو علاقة بالعقل العملي وبحالات مختلفة. [١١]كما يطلق اصطلاح فلسفة الهوية على كل فلسفة لا تفرق بين المادة والروح وبصورة اخص على مذهب شيلينغ القائل بوحدة الطبيعة والفكر، لقد جعل شيلينغ من الهوية المطلقة جوهر العقل وماهيته، وتبعاً لذلك رأى ان الفلسفة لا يمكنها التخلص من المشاكل العويصة التي تتردى فيها إلا بالرجوع إلى مبدأ الهوية، ذلك ان جوهر الاشياء الاعمق هو الواحد، والكل الواحد يقوم على المعرفة الذاتية على وجه ادق وخارجها لايوجد شيء قابل لان يُعرف ولهذا ينتهي الى القول بان العقل والهوية المطلقة ليست فقط ماهيته بل هي صورته وقانونه، اي ان المطلق واحد، ماهية واحدة هي عينها، وهذا يعني انه امن بوحدة الذات والموضوع ووحدة الطبيعة والفكر ووحدة المثل الاعلى والواقع، ووحدة المادة والروح، ومبدأ الهوية لدى شيلينغ يقوم على ان الموجود هو ذاته، اي هو ما هو

عليه، كما ان الهوية ايضاً هي التشخص وهي الحقيقة الجزئية، وقد تطلق على الذات الالهية فهوية الحق هي عينه.[١٢] ويصدق مبدأ الهوية على كل علاقة منطقية، كما انه المثل الاعلى للكم التحليلي، لان المحمول في هذا الحكم ليس جزءاً من مفهوم الموضوع وانما هو عين الموضوع نفسه، ومن مشتقات مبدأ الهوية مبدأ التناقض ومبدأ الثالث المرفوع، فأما مبدأ التناقض فيعني ان الشيء الواحد لا يكون موجوداً ومعدوماً في ذات الوقت. واما مبدأ الثالث المرفوع فهو القول بأن القضيتين المتناقضتين لا تصدقان معاً، ولا تكذبان معاً. [١٣]كما تحدد الهوية كمفهوم اجتماعي على انها البعد المحلي أو الصبغة السائدة وهي طريقة الاداء المتوارث التي تحدد الخصوصية التي يتميز بها بلد ما وهو ما يمكن ان نوجزه في المنحى الخاص بطرح المشكلات والاستجابة لها وحلها مما يؤلف اخر الامر طابعاً مستمراً للفكر والسلوك والذي يميز شعباً ما عن شعب آخر، وبطبيعة الحال فان الصبغة الخاصة باي شعب قد صيغت بمقتضى مشروعات وانجازات متتابعة وذلك عن طريق البحث الدؤوب عن حلولٍ للمشكلات وحلها، مما يؤلف أخر الامر طابعاً مستمراً للفكر والسلوك كالقول مثلا بالنزعة التجريبية والبراغماتية في الفكر الانكلوسكسوني، أو النزعة المثالية والبحث في الميتافيزيقيا لدى الفلاسفة الالمان وعلى الرغم من ان هذه النزعات لا تستنفذ كل مواقف الفكر والسلوك عند كل امة لان هنالك تنوعات متعددة، فالهوية تعني وحدة الانتماء، ولكن هذا لا يعني التجانس، بل الوحدة في المتنوع، وكل ما يؤدي الى التقارب والالتقاء عند نقاط مشتركة. ولقد صاغت هذه الشعوب هذه الصبغة أو تلك الهوية الخاصة بها بمقتضى مشروعات وانجازات متتابعة وذلك عن طريق البحث الدؤوب عن حلول المشكلات ومواجهة التحديات، واختيار مواقف ساد بعضها دون البعض الاخر وليس من خلال هوية مفطورة معطاة من امدٍ بعيد ولد بها الانسان منذ البداية.[١٤] والهوية ايضاً عبارة عن منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية، وتنطوي على نسق عال من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية والتي تنطوي على إحساس بوحدة المشاعر الداخلية والتي تتمثل بوحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد المركزي،

وهذا يعني ان الهوية هي واحدة من العنصر المادية والنفسية المتكاملة، والتي تجعل الشخص يتمايز عن سواه ويشعر بوحدته الذاتية.[١٥]وهنالك في واقع الامر ثلاثة مستويات للهوية فهنالك الهوية على المستوى الفردي، اي شعور الشخص بالانتماء الى جماعة او اطار إنساني اكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات و(الهوية) بهذا المعنى هي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية، وهنالك التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات واحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري. وهنالك ثالثاً حالة تجسد وتبلور هذه الهوية في مؤسسات وبنى قانونية على يد الحكومات والانظمة. وتبرز الهوية بأشكال وصيغ عديدة تبعاً للأوضاع المؤثرة إبتداءاً من تعبير الشخص الفرد عنها، وانتهاءا بالأشكال التنظيمية الارقى عن طريق نسق نظامي وعقلاني وقانوني، وأشكال التعبير عن هذه الهوية لا تفترض بالضرورة تكاملاً وتلاحقاً وتفاعلاً اذ نرى قدراً من التضاد فكلما زادت درجة المأسسة للهوية اي خضوعها لمؤسسة معينة ضعفت اصالتها على الرغم من ان هدف المأسسة يبدو في الظاهر في اطار تأصيل الهوية والتعبير الافضل عنها، لان كل مأسسة للهوية تخدم واحداً من جوانب الهوية على حساب جانب اخر، والهوية على المستوى الجمعي قد تكون كامنة تنتظر الاطار التاريخي الذي يسمح لها بالتعبير عن ذاتها، وهنا يأتي دور النضال الفكري والسياسي لتحقيق هذا الاطار. وتعد الهوية بمثابة الرمز والعامل المشترك الذي يجمع عليه افراد الامة من حيث الانتساب والتعلق، والولاء، والاعتزاز، وهذا الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز يكتسب قداسته، لأنه لا يمكن ان يكون موضع شك من لدن اي طرف خاصة ممن يتكون منهم قاعدة الهرم وهي هوية القاسم المشترك بين الجميع استنادا الى الخلفية الثقافية والتاريخية الواحدة ومما يجعل هذا الاعتزاز بالهوية امرا مشروعا ايضا وحدة المصالح والمستقبل الواحد وبهذا المعنى الهوية هي الذات الجماعية لأفراد الامة كلهم والمساس بها يعني المساس بكيان الامة ويمس نفسية كل فرد منها لأنه شك في الماضي وطعن في الحاضر ،ويأس من المستقبل. ولعل العامل الاساس في تحديد هوية امة من الامم او بلد من البلدان هو : الخلفية الثقافية

والتاريخية والصراعات الراهنة والتحديات التي تفرض عليه، والتجارب المختلفة والاوضاع التي يمر بها البلد وهي التي تصقل وتصهر هوية الافراد وبالتالي يشترك كل الافراد في صنع تلك الهوية الجماعية ويتعودون عليها بمرور الزمن فتصبح في نظرهم اصيلة كلما تقادمت وكأنها جزءُ من النظام الطبيعي نفسه بالرغم من ثبوت الطبيعة وتغير المعطيات الثقافية، ان الهوية في واقع الامر واقع دائم يبحث عن صيغة افضل لحياة اي بلد في الحاضر والمستقبل مما يجعل الهوية دائمة الحضور في الوجود التاريخي لأي بلد دون انقطاع وان تلون شكل هذا الحضور بميزة معينة في كل عصر من تاريخها. [١٦] والهويات سواء كانت فردية او جماعية تستهلك طاقتها في عملية التواصل مع محور من القيم وهذه القيم هي التي تحدد الغاية من وجودها. فالعقيدة الايدلوجية او الدينية تسلط الضوء على معنى الحياة فالمناضل يشعر بالنشوة عندما يعمل على وضع مبادئ عقيدته موضع التطبيق، وتعطي العقيدة الدينية للإنسان القدرة على تحقيق الرغبات والقيم التي تعمل على توجيه حياته وجعله يشعر بأحاسيس من الرضا والسعادة. وتتكون هوية الجماعة عبر عملية تمثل مستمر لتأريخها وبالتالي فان عملية التحول الثقافي واستحضار الماضي الجمعي وتجارب النجاح والفشل للجماعة، وسلوك ابطالها النموذجي عوامل تسهم في بناء الهوية الثقافية للجماعة.

المبحث الثاني: الكوفة وتمثيل الهوية التاريخية لا يمكن القول ان نشوء مدينة الكوفة قد ارتبط بدخول العرب المسلمين إلى العراق وان كانت التسمية ككوفة او كوفان قد ارتبطت بهذه المرحلة ذلك إن تاريخ هذه المنطقة يعود لعصور قديمة فقد شيدت عليها أديرة وقلاع وبيع ويذكر بعض المؤرخين إن الملك البابلي نبوخذ نصر٦٢٦-٥٣٩ قبل الميلاد قد بنى حيراً على النجف وحصنه ثم ضم القبائل العربية اليه وكانت الحيرة مقرا وعاصمة للملوك المناذرة من لخم ولقد اتخذ بعض شعراء الحيرة من العباديين وهم مسيحيي الحيرة من المنطقة التي اضحت تعرف بالكوفة متنزها لهم ومسكنا ومعتكفاً حتى غدت المنطقة تعرف باسم خد العذراء لطيب هوائها ونقائه ولقد سكن السريان في اطرافها وانشأ الرهبان اليعاقبة من انصار مذهب الطبيعة الواحدة مركزاً دينياً حتى غدت تلك المنطقة بمثابة المركز الثقافي للعراق قبل الاسلام ولقد اطلق على

المراكز الحضارية اسماء مثل الطور والجودي والغري وبانيقا ومن ورثت الكوفة هذا الميراث الحضاري حينما ظهرت كمدينة اختطها العرب المسلمون بعد دخولهم للعراق. لقد نزل العرب المسلمون في منطقة الوسط من العراق بعد فتحهم لارض السواد وكان تأسيس الكوفة أو كوفان من الضرورات التي اقتضتها ظروف الحرب والفتوحات إذ كان لزاماً ان يكون هنالك نقطة رابطة بين عاصمة الخلافة في المدينة المنورة وبلاد المشرق وان يكون للعرب دار هجرة وان يكون ذلك ببقعة لا يكون فيها بين المدينة وبينها بحر فكانت الكوفة والتي تعني لغة الموضع المستدير من الرمل والارض التي تضم الحصباء مع الطين، والتكوف يعني الاجتماع، والكوفان يعني الاستدارة، والرملة المستديرة وتعني ايضا اختلاط الناس واضطرابهم في الشدائد ويقال الناس في كوفان من امرهم والكوفان ايضا هو الدغل من القصب.١٧ وهنا برز التأثير العربي الواضح على اسم وطريقة تأسيس المدينة التي حملت الميراث العراقي القديم واستوعبته حتى تقدمه بحلة جديدة عربية واسلامية. لقد قسمت الكوفة إلى خطط وسكنت في كل خطة قبيلة عربية ولقد غلبت قبائل اليمن على سكان الكوفة ولاسيما همدان وطي ومن المعروف ان قبائل اليمن تعتز بعروبتها والارث الحضاري الذي تمتلكه وعملت على مزجه بالميراث العراقي القديم الذي ورثته الكوفة بحكم مجاورتها لبابل والحيرة، وسوف نرى كيف ان هذا الطابع اثر بشكل كبير على النتاج الفكري والثقافي والذي ابدعته الكوفة ومن ثم كيف اثر على اتخاذ موقف سياسي يبتعد في احيان كثيرة عن السلطة السياسية.١٨ولما كان الواقع السياسي واحدا من المدخلات الخاصة بالهوية فسوف نلاحظ ان مثل هذا الواقع السياسي لعب دورا كبيرا في صياغة هوية كوفية وعراقية متمايزة سيما بعد ان قام الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه باتخاذ الكوفة عاصمة له لأسباب عديدة تتعلق بطبيعة المرحلة التي تولى فيها الخلافة ومنها اضطراب الامور في البصرة وخروج الناكثين على الخلافة الشرعية وقتالهم وعمل وفد الكوفة بالمبادرة لمبايعته وكان بزعامة الصحابي الجليل مالك بن الحارث النخعي، كما كان لضعف العامل الاقتصادي في المدينة المنورة على العكس من الكوفة والتي فيها ما يؤهلها لدعم المعركة واسناد الجيش بشكل جيد اذ

من المعروف ان الكوفة تكونت أساساً من العناصر المقاتلة التي وفدت للعراق كما كان لضعف العنصر السكاني في المدينة المنورة والذي لا يمكنها من مواجهة العساكر الاموية في الشام في الوقت الذي كانت فيه الكوفة قادرة على تلبية هذه المتطلبات كما ادرك الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إن في المدينة المنورة من هو بعيد فكراً وسلوكاً عن الخط المحمدي الاصيل ومن يسعى في الوقت ذاته للخلافة ويعد نفسه موازيا بدون حق للإمام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، كما غلب على أهل الحرمين في تلك المرحلة الميل للدعة والراحة على العكس من اهل الكوفة والذين كانوا طليعة المقاتلة للجيش على محور المشرق، كما تمتعت الكوفة بميزة وهي انها كانت بمثابة القلب من العالم الاسلامي بحكم توسطها بين الحجاز والشام ومصر وبلاد فارس.١٩ومن المزايا الخاصة بالكوفة انفتاحها على الجزيرة العربية والموجات السكانية التي وفدت منها اذا ما تمت مقارنتها بالبصرة والتي كانت منفتحة على الهجرات البحرية القادمة من الشرق ولعل انفتاح الكوفة على بادية الصحراء كان سببا من اسباب صفاء ونقاء لغتها العربية. لقد كانت الدوافع العلوية لاختيار الكوفة عاصمة للخلافة دوافع تماثل الدوافع التي رافقت هجرة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم للمدينة المنورة وتركه لمكة المكرمة ذلك إن مكة لم تتسع للرسالة الاسلامية بطابعها البدوي فكانت الهجرة للمدينة والتي تقبلت الدعوة الاسلامية بحكم خلفيتها الحضارية المتمدينة و وجود اتباع اديان توحيدية فيها، ولما كان الوضع الذي اضحت عليه المدينة المنورة قد تراوح بين استقرار الصحابة فيها على عهد عمر بن الخطاب ومن ثم تحولهم عنها على عهد عثمان بن عفان وما جرى ذلك التحول من مشاكل للدولة الاسلامية فقد رأى الامام امير المؤمنين أن يحفظ للمدينة المنورة حرمتها وقدسيتها مخيراً الصحابة بين التحول والبقاء طبقا لتسامحه وسعة نظره، كما أدرك الطبيعة الحضارية الموجودة في ارض العراق والتي كانت اوسع افقاً من الرؤية الفكرية الموجودة في المدينة ولهذا كانت التخريجات الفقهية التي خرجت بها مدرسة الكوفة اوسع واثرى من المخرجات الفقهية للمدينة المنورة، ولم تكن الخلفية الحضارية للكوفة أوسع فحسب بل وجد الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في الكوفة وحدة

ادارية متميزة وعددا ضخما من المقاتلة(٩٠) الف مقاتل، وشرائح سكانية متنوعة من العرب وغير العرب وهو ما ولد هوية متنوعة ذات محتوى فكري ثر كانت هي المميزة فيما بعد للهوية العراقية المتنوعة والتي لم تكن قاصرة على لون او عرق أو مذهب معين. لقد تركت المرحلة العلوية بصمات واضحة في مسيرة الكوفة وفي تميزها عن سائر الامصار وفي جعل المزايا الخاصة بها قرينة بالعراق وبالعراقيين ككل، ولقد تبعها الموقف من الثورة الحسينية والتي وإن لم يقف فيها كل أهل الكوفة موقفاً مؤيدا ومناصرا للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا ان لصناديد الكوفة وفرسانها كان موقف مشرف في الاستماتة والدفاع عن ال بيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والاستبسال في حومة الوغى، إذ ضمت قائمة الاصحاب الوجوه والمراكز الاجتماعية في الكوفة كحبيب بن مظاهر الاسدي المحدث، ومسلم بن عوسجة الاسدي الفقيه، وبرير بن خضير شيخ القراء في مسجد الكوفة، وانس بن الحارث الكاهلي البدري وشوذب صاحب الحديث، ونافع بن هلال الحافظ، وهانئ بن عروة شيخ مذحج.٢٠ وتواصل الموقف المعارض للأمويين بعد ثورة الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وذلك باندلاع ثورة التوابين ومن ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي وثورة الامام زيد بن الامام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليهم، ومثل هذه الثورات والانتفاضات المستمرة والتي أقضت مضاجع حكام بني امية ودفعتهم لاختيار ولاة قساة جفاة ظالمين للعراق كانت بمثابة ترسيخ لطابع المعارضة التي اتخذته الكوفة والذي وسم العراق كله بهذه السمة، ونرى ان واليا ظالماً كالحجاج بين يوسف الثقفي حين خطب في أهل الكوفة منددا بولائهم لال بيت رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم قائلا:" يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم منكم والعصب والاعضاء والاطراف" وتابع الحجاج وصية عبد الملك بن مروان في كيفية التعامل مع اهل الكوفة بالقول:" أن جمرِ أهل العراق(وقصده الكوفة) وتابع عليهم البعوث واستعن عليهم بالفقر فانه جند الله الاكبر" .وتابع الحجاج وصف اهل الكوفة وماهى بينهم وبين اهل العراق قائلا: "اهل العراق أهل الشقاق والنفاق وهم والله عش النفاق وبيضته التي انفلقت منه والله ما سبرت عراقياً قط فوجدت عنده

ديناً".٢١ولم يكن العباسيين في تعاملهم مع الكوفة واهلها بأقل قسوة من الامويين رغم اتخاذهم الكوفة عاصمة اولى لهم وفي مسجدها الجامع القيت أول خطبة تم فيها الاعلان عن تأسيس الدولة العباسية وتم على اثرها مبايعة اول خليفة عباسي، رغم ذلك كانوا على العكس أكثر تشدداً في قمع اهل الكوفة وفي ذات الوقت أكثر ميلا للمزاوجة بين الكوفة والعراق كمدرسة للفقه والرأي والحديث ويعود السبب لانتشار مذهب التشيع في الكوفة حتى عد الامام ابي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه بإمام اهل العراق ونبي الكوفة، تلك الفسحة من الوقت والتي اتاحت للائمة صلوات الله وسلامه عليهم نشر علومهم ونعني بها المرحلة التي شهدت ضعفاً وتدهوراً في هيمنة السلطة الاموية، كما استوطن الإمام ابي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه الكوفة في مطلع حكم بني العباس وكان له تلامذة ومحدثون في مسجد الكوفة وقد قال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمي:" ادركت في هذا المسجد أي مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد".٢٢ ولما أبدت السلطة العباسية حقيقة مشروعها السياسي والذي لم يكن ليختلف كثيرا عن المشروع السلطوي الاموي فقد سعى المنصور للابتعاد عن المدرسة العراقية التي كانت الكوفة ملمحها الاساسي واستعان بمدرسة المدينة إذ بعث في طلب مالك بن انس والذي قال للمنصور:" ولأهل العراق قولاً تعدوا فيه طورهم فرد عليه المنصور بالقول:" اما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفاً ولا عدلاً وإنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم".٢٣ولقد كان لتأسيس الكوفة ولطبيعة سكانها دور كبير في اتخاذ هذه الصورة النمطية المتميزة بطابع الجدل والنقاش وتمحيص الآراء وتقليبها وهو ما بقي لحقبة طويلة حتى شهد بذلك ابن خلدون في مقدمته لأهل العراق بهذه الصفة وهي اساساً صفة أهل الكوفة، إذ لم يكن مثل هذا الطابع سائداً في مدن عراقية اخرى لم تكن الحركة الفكرية والنشاط العقلي فاعلا ومؤثراً في حياة ابنائها كما كانت الكوفة.٢٤مع وقوع العراق بيد الحكم الاجنبي والذي تنوعت اشكاله ومكوناته بدأت الكوفة تفقد مكانتها إذ ادركت قوى الاحتلال الاجنبي بمختلف مسمياتها ما للكوفة من مكانة وتأثير على الشخصية العراقية فتحولت من مدينة عامرة زاهرة بالحياة الاقتصادية

والعمرانية والفكرية إلى قرية منسية في العهود التي سبقت بقليل وتلت سقوط الدولة العباسية لقد اصبح معروفا بأن الخراب قد حل بمدينة الكوفة القديمة منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي، فاندثرت مبانيها، وهجرها اهلها ولم يبقَ منها الا مسجدها الشهير الذي يقاوم عوادي الزمن وحده، بينما فقدت المدينة التي كانت اول عاصمة اسلامية في العراق مكانتها، ويبقَ مسجدها مجرد محطة لاستراحة المسافرين الذين يقصدون النجف لشأن من الشؤون.

ولقد مهدت عوامل كثيرة لنشوء الكوفة الحديثة، فعملية تحويل مجرى نهر الفرات الى الهندية، وايصال الماء الى الكوفة، قد صاحب عملية استقرار بعض القبائل العربية على جانبي النهر، كآل فتلة ، وبني حسن والحميدات وال شبل وال زياد وغيرهم. وعملت هذه القبائل بمرور الزمن على استغلال مياه النهر والافادة منه لزراعة الاشجار والبساتين والمزارع الكثيرة.

صاحب عملية الاستقرار على جانبي النهر، بناء بعض بيوت القصب، ويحدد البراقي ذلك بعام ١٨٧٣ حيث يقول: فنزلها (اي الكوفة) بعض الزائرين بالقرب من مقام النبي يونس عليه السلام، فكثر سكانها فأحدثوا بساتين على جانبي الفرات، بنوا فيها حماماً وبركة للماء، فأخذت البلدة بالعمران شيئاً فشيئاً.[٢٥]

ولعل من العوامل المهمة في تطور عمران بلدة الكوفة الحديثة، ما اعقب جفاف بحر النجف وشحة المياه في مدينة النجف عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧م ، حيث اقدم الناس ـ كما يؤكد ـ البراقي ـ على بناء الدور والاسواق والحمامات في الكوفة.

ان نشوء بلدة الكوفة الحديثة، واتساعها على ضفة النهر وحول المسجد ، قد اثار انتباه الرحالة الأوربيين وان اختلفوا في وصفها. فالرحالة الامريكي بيترز peters، الذي زار الكوفة عام ١٨٩٠، ولم يحسبها سوى قرية صغيرة حيث قال: "ولا يرى (في الكوفة) الا بقايا اسس بناء مازالت مبثوثة قرب المسجد، او انها مبعثرة ما بين اشجار النخيل والاكواخ، وهي دلائل لقرية حديثة بائسة، وحتى هذه البقايا سرعان ما اختفت لأنها اصبحت المادة الرئيسية في البناء لأهل النجف. واعطى سير وليس بدج صورة" للكوفة، الا ان هذه الصورة لم تكن مشرقة في نظره حيث يقول عام ١٨٩٠ ـ

١٨٩١:"كانت حالة البليدة (الكوفة) تعسة وبيوتها متداعية، كما ان الارض المحيطة بها لا تعدو ان تكون بلقعا خراب".

ولم تكن الصورة التي رسمتها غروترود بل والمعروفة بمس بيل Gertrude Lowthian Bell عن الكوفة في العقد الاول من القرن العشرين بأحسن حالا مما اورده الرحالة الاوربيون في نهاية القرن التاسع عشر، اذ تقول: "وهي الان (اي الكوفة) قرية صغيرة بائسة تتخذ شكلا "عنقوديا حول الجامع الكبير".

على ان ما ذكرته (بل) لم يكن منطقيا مع طبيعة التطورات التي مرت بها المدينة، كما ان لوريمر، القنصل البريطاني الذي كتب كتابه المعروف" دليل الخليج "في العقد الاول من القرن العشرين، قد اشار الى الكوفة على انها "مدينة" وذلك بقوله" ولا يزيد عمر المدينة الجديدة عن عشرين عاما".

وتؤكد هذه الاشارة التطور الكبير الذي شهدته الكوفة، بحيث انها تحولت الى مدينة قائمة، هذا الحدث التي برز بصورة واضحة في ثمانينيات القرن التاسع عشر، واستمرت المدينة بالنمو والاتساع حتى اصبحت مدينة عامرة في الحرب العالمية الاولى.[٢٦]

لم تحاول السلطات التي تشكلت عقب تأسيس ما عرف بالحكم الوطني في العام ١٩٢١ احياء الدور الذي قامت به الكوفة في العصور الاسلامية الاولى وقد يكون صحيحاً ان النجف الاشرف قد سلبت الكوفة بريقها بحكم تأسيس الحوزة العلمية منذ عصر الشيخ الطوسي ومن ثم تأسيس مدينة أضحت الكوفة تابعة لها إلا رمزية الكوفة بحد ذاتها كعامل اساس في تشكل الهوية العراقية اسلاميا وحداثويا لم يتم التركيز عليها سيما وان المشروع القومي العربي عمل على استيحاء مثل وقيم كان معظمها غير عراقي بل وحتى غير عربي وذلك لابعاد مذهبية ضيقة من اجل تهميش وتوهين الدور الذي قامت به الكوفة في الحفاظ على الهوية العربية والاسلامية للعراق. ويلاحظ المتتبع حقيقة اساسية الا وهي إن السلطات المتعاقبة في العراق تبتعد عن تمثل الهوية العراقية بالقدر الذي تبتعد فيه عن تمثل التراث الروحي والفكري والذي مثلته الكوفة ولما كانت ازمة الحكم في الحكم تتمثل بعدم صياغة هوية عراقية

حقيقية قادرة على استيعاب الموروث الحضاري العراقي وجوانبه الاكثر ثراء من الناحية المعرفية فقد شكل الابتعاد عن الكوفة وهي أهم المعالم الفكرية التي شكلت الهوية العراقية اهم المميزات التي طبعت سيرة انظمة الحكم المتعاقبة فلا يذكر تاريخ الكوفة في المناهج الدراسية ولا يتم التركيز على العلماء والاعلام الذين انجبتهم الكوفة على مدار التاريخ ولا يتم طبع صورة لمسجد الكوفة الاعظم وهو اول مساجد العالم الاسلامي بعد الحرمين في أي طابع تذكاري اصدرته الدولة العراقية منذ العام ١٩٢١ وحتى الوقت الحاضر، ولم يتم طبع صور المسجد في العملات الورقية أو المعدنية التي سكتها الدولة العراقية مقارنة بما فعلت مصر على سبيل المثال مع مسجد الفسطاط والذي لا يداني مسجد الكوفة في المنزلة والدور والتأثير، ولقد عمل صانع القرار العراقي على الاستعانة بمفكرين عرب لصياغة المشاريع الفكرية الخاصة بالنظام السياسي وكان من الطبيعي لمفكرين استمدوا مرجعياتهم من موروثات تركية او غربية أن يبتعدوا تماماً على المعين الثر للعلم والمعرفة والذي انتجته مدرسة الكوفة، ويصح القول انه كلما كان هنالك اقتراب وتمثل من التراث الروحي والفكري للكوفة اضحى هنالك تمثل اكبر ومماهاة اشد للهوية العراقية ذلك ان تاريخ الكوفة وعطائها كان وبعصور مختلف تاريخ العراق وعطاء العراقيين. [٢٧]

مشروع جامعة الكوفة :

لقد ادرك المعماري الراحل محمد صالح مكية (١٩١٤-٢٠١٥) الدور الذي لعبته الكوفة ومدرستها ومسجدها الجامع في انشاء الهوية العراقية وابراز ملامحها الاساسية ولذلك سعى ومجموعة من المهتمين بالتاريخ والادب والتراث إلى احياء الدور الذي لعبته الكوفة قديماً رغم ان الرجل لم يكن من اصول كوفية أو نجفية وذلك ايماناً منه بان احياء الدور الذي لعبته الكوفة في مستهل تأسيسها في بلورة معالم مدرسة عراقية لم تكن قاصرة على الفقه والادب بل في مختلف العلوم يعني وفي أهم تجلياته احياء للهوية العراقية العقلانية والمتزنة والمنسجمة مع ميراثها القائم على الجدل والحجاج والتفكر وتفكيك النص، وكان من الطبيعي ان يصطدم مشروعه هذا مع مشروع السلطة القائم آنذاك فمن غير الممكن حينما تحاول صياغة مشروع فكري عراقي

خالص أن تقرنه بمبدأ الطاعة التامة والعمل على ضرورة الانسجام مع السلطة فهذا مما يتنافى مع طبيعة الشخصية العراقية والتي تقوم على النقض والرفض والجدل وهو من ابرز الصفات التي أعارتها الكوفة للعراقيين وإن حاولت السلطة ترويض هذه الطبيعة فذلك لم يتم إلا بطرق كان أيسرها العنف والاقصاء والاستبعاد.

عد مكية هو اول مخطط ومنفذ لمشروع جامعة الكوفة التي جاءت فكرته من شعوره بان كثافة السكان وضحالة مستوى التدريس والحاجة الى الاهتمام بالتراث كلها تستلزم وجود جامعة جديدة لها مستوى تأهيلي واكاديمي ، اما لماذا الكوفة بالذات فلانها ذات موقع حضاري وتاريخي متميز وتمثل لقاء الصحراء بالسواد وبحث مكية في اي مدينة عربية فلم يجد احسن من الكوفة ولقيت فكرته تشجيعا وترحيبا من قبل اكاديميين ورجال اعمال آزروه في مشروع تخطيط جامعة الكوفة كان من بينهم الدكتور كاظم شبر والدكتور فيصل الوائلي والدكتور حسين علي محفوظ والدكتور عناد غزوان والشيخ محمد حسن آل ياسين وغيرهم الذين انتخبوا محمد مكية رئيسا لهذا المشروع في اجتماع عقد لهم في ٦ حزيران ١٩٦٧.

ربما كان اخفاق حلم الكوفة والقاء بعض من اصحابه وشركائه في الحلم الكوفي في غياهب قصر النهاية واذلالهم على ايدي الاجهزة الامنية التابعة للنظام السابق دليل على الرغبة الجامحة لدى اجهزة النظام بتغييب اسس الهوية العراقية وذلك طبقا لمنطلقات مذهبية ضيقة، ولقد بين محمد مكية الاهداف التي سعى عن طريقها لتأسيس جامعة الكوفة: (لم نرد من جامعة الكوفة ان تنحصر في ساحة ضيقة بل اردنا ان تكون مدينة جامعية وكان مرسوما في التخطيط الاولي لها ان لا تحتوي على مطعم صغير لإطعام الطلبة مثلا بل ان يكون بدلا عنه سوق يدخل فيه الطالب وهي مصممة بشكل حديث ذو اروقة واقواس واعمدة ورؤيا تحمل سمات الصحراء وتمد يدا الى الفضاء المطلق ولكن الدولة وضعت اليد برغم اننا اسسنا المكاتب الاستشارية واقمنا الامسيات الرمضانية وكانت الجامعة بالنسبة لي اقصى طموحاتي وكانت مباركة من قبل مراجع الدين ولا سيما المرجع الاعلى السيد محسن الحكيم وانا مدين لهم لانهم شجعوني ، وكان السبب المعلن لتأميم هذا المشروع من قبل حكومة البعث على انه

مشروع طائفي لمكون واحد و اتخذت من هذا السبب ذريعة لاستيلاء السلطة على المشروع وأنشأته هي ،وكان مع المخططات وماكيتات التصميم التي تركها مكية عن جامعة الكوفة عن ذروة خبرات متراكمة وموهبة اكتملت ادواتها ونضجت ينابيعها كما وظف الكثير من الانماط التشكيلية في تلك المخططات (برع الدكتور محمد مكية في تصميم عمارة جامعة الكوفة براعة ليس لها نظير في استعماله اسم الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليه ولاسيما كلمة (علي) تصميما حروفيا يشبه الخط الكوفي المربع الاشكال ،ووظف مكية الحرف توظيفا راقيا من خلال التوزيع والكتل والمساحات بما يتلاءم مع الفضاء والمسطحات الكبيرة ونلاحظ التوزيعات البنائية داخل الحرم الجامعي الذي يتألف من كلمة (علي) اذ ربط مكية في تصميمه هذا بين الشكل والوظيفة ولاسيما من حيث الابعاد الروحية والتاريخية وتوظيف تقنيات الخط العربي وجمالياته.[٢٨]

لقد سعى محمد مكية إلى اعادة الحضور الكوفي في الهوية العراقية وبقوة وكان مشروعه يرمي إلى بناء جامعة علمية رصينة تتجسد في اروقتها شتى الفنون المتنوعة ، وهي من أهداف الدكتور محمد مكية مما أدى إلى تأسيس جمعية مؤسسة جامعة الكوفة عام ١٩٦٦ التي تضمنت العديد من المفكرين والأكاديميين العراقيين والمبدعين وفي مختلف الاختصاصات المعرفية، بيد أن سرعان ما تم إيقاف هذا المشروع الكبير بل إلغائه وذلك لأسباب مذهبية كما ذكرنا وهو ما آلم الكثير من المثقفين العراقيين ولاسيما رئيس هذه الجمعية الدكتور محمد مكية الذي ظل هذا الحلم يراوده حتى الرمق الاخير، فقد أسس في لندن ديوان الكوفة الذي يعد من المراكز الثقافية والعلمية العراقية الكبيرة في المهجر وقد استضاف العديد من المفكرين والمثقفين العراقيين كجواد سليم ولورنا سليم والدكتور علي جواد الطاهر وبلند الحيدري وفيصل لعيبي ومير بصري وغيرهم. وكانت الجمعية منذ تأسيسها قد استضافت في بغداد كبار المفكرين العراقيين كشاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري. لقد ظل حلمه إلى الآن في تأسيس جامعة الكوفة، فحين سأل أحد الصحفيين الدكتور محمد مكية، هل

ما زلت تطمح في قيام جامعة الكوفة؟ فأجابه الدكتور مكية : نعم أعيش تفاصيله في كل لحظة ولعل الأماني مجتمعة فيه ومنه تتفرع.

وحين عمل النظام السابق على الغاء المشروع وتشتيت رواده تابع الراحل محمد مكية احياء اسم الكوفة كرمز جامع للهوية العراقية في المهجر فعمل على تأسيس ديوان ثقافي في عاصمة الاغتراب لندن يعرف باسم ديوان الكوفة وذلك لأصالتها كمركز حضاري مهم، ولأهميتها بالنسبة لمكية حيث حظيت بمكانة تاريخية ربما تقارن بروما وأثينا في العالم الكلاسيكي القديم. والديوان مثّل امتدادا لمشروع جامعة الكوفة الحضاري، الذي كان مكية وعلى الدوام يذكره بمعرض حديثه الدائم عن عراق ما قبل الثمانينيات ضمن مراجعاته لذكرياته المهنية.[٢٩]

ولم يكتف النظام السابق بإلغاء مشروع جامعة الكوفة بل عاد بعد الانتفاضة التي اندلعت في اذار من العام ١٩٩١ الى الغاء تشكيلات جامعة الكوفة والتي تأسست في العام ١٩٨٧ ولم تكن بطبيعة الحال كمشروع وكمؤسسة تماثل ما ارادته جمعية جامعة الكوفة واتي وضع اسسها محمد مكية، ولكن الرغبة في طمس اهم معلم من معالم الهوية العراقية الجامعة واخفاء اسم الكوفة كمعلم عراقي وعربي واسلامي اصيل كانت متأصلة لدى النظام السابق والذي أدى بسياساته القائمة على التمييز المذهبي إلى اضاعة كثير من الفرص التاريخية على العراقيين للولوج في عالم المعرفة والتطور والعلمي القائم على الانفتاح واعمال العقل والحوار الحر والجدل والذي مثلته مدرسة الكوفة منذ بداية تأسيسها وبقيت وفية له على مدى قرون طوال.[٣٠]

الخاتمة والاستنتاجات

من المعروف ان الحضارات العالمية الرئيسة انبثقت من مدن لعبت دورا كبيرا في صياغة المشاريع الحضارية الخاصة بكل حضارة وتركت هذه المدن وعلى مدار العصور معالم بارزة وصروحا فكرية وعمرانية خلدت هذه الحضارات وأبقت على مسميات هذه المدن بعدها المنشئة الاساسية للحضارة، فكانت بابل والوركاء واور واريدو، ومنفيس وطيبة والاسكندرية واثينا وروما، مدن عالمية ولما خرج العرب بعد الاسلام من الجزيرة متوجهين للعراق كانت الكوفة والبصرة اولى المدن التي شيدوها وتم تمصيرها

وعلى الرغم من إن البصرة بنيت قبل الكوفة إلا إن هنالك جملة من المزايا التي توفرت لهذه المدينة جعلت منها مركزاً للعراق ودلالة مهمة من دلالات الهوية العراقية، ذلك ان الكوفة كانت أكثر تمثلاً للهوية العربية مقارنة بالبصرة ويبدو ان موقعها الجغرافي قد ساهم في منحها هذا البعد، واضيف لها تأسيس مسجدها الجامع فغالبا ما تحوي المدن ذات الهوية المتمايزة موقعا يكون معلماً بارزاً لها فكان مسجد الكوفة أحد أهم هذه المعالم، ثم توفرت للكوفة ميزة اخرى لم تتوفر لأي مدينة عراقية وهي اختيارها من لدن الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عاصمة لخلافته لأسباب تتعلق بالمزايا التي توفرت للكوفة والتي أدركها الامام امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ببعد نظره التاريخي، وعلى الرغم من إن اغلب سكان الكوفة كانوا من الفاتحين المنحدرين من الحجاز واليمن إلا ان الكوفة استطاعت بالميراث الحضاري الذي استمدته من البيئات الحضارية المجاورة لها كالحيرة وبانيقا وعاقولا وقبلها بابل التاريخية أن تستوعب الفاتحين وان تضفي مزايا اختصت بها وبقت معلماً من معالمها، وحين يكون لأي مدينة هوية خاصة بها فذلك يستلزم شروطاً منها أن تكون هذه المدينة مرتبطة بإرث حضاري سابق على وجودها المادي، ، وان تحقق تواصلا مع ما استجد بعد وجودها وان تكون قادرة على استيعاب الاختلافات والمتناقضات الموجودة لدى سكانها وان تحوي معلماً حضاريا يشكل رمزا لهويتها وتتركز حول هذا الرمز مجمل النشاطات الذهنية والفكرية لأبناء المدينة، وان تضم ابطالاً وشخصيات يكونون بمثابة الدلائل البارزة على المدينة وما قدمته، وان تترك هذه المدينة جملة من النتاجات التي تختلف عن نتاجات المدن الاخرى ولقد حققت الكوفة هذه الشروط فكانت معبرة عن مدرسة متميزة في اللغة والفقه والخط واستوعبت المتغيرات التي تعاقبت عليها ولقد ضمت الكوفة عناصر الوحدة مع التنوع ، وطابع الحدل وتفكيك النص والجدة في الرأي والاصالة في اللغة وكانت مدرسة ابتداع لا اتباع أو اثر، وبالقدر الذي كانت السلطات المتعاقبة تعمد إلى اهمالها أو التقليل من شأنها فقد كانت تمنح العراق سماته المميزة وبالقدر الذي اعطت فيه للشعر العربي ابي الطيب المتنبي في العصر العباسي اعطت فيه للشعر العربي الحديث محمد

مهدي الجواهري فكان الاول قد ملئ الدنيا وشغل الناس وكان الثاني أخر قامة من قامات الشعر العربي المعاصر واهمها، وبالقدر الذي كان هنالك ابتعاد عن تمثل الهوية الكوفية كان هنالك نأي عن الهوية العراقية وتشويه لاهم معالمها الحضارية والتي برهنت على قدرتها على العطاء بتوالي الدهور والازمنة.

الهوامش:

١ . المنجد في اللغة والاعلام، بيروت، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية،ص:٨٧٥

٢ . Laurance Urdang, The Random House Dictionary of English Language, Allied Publishers, priute Limited,India,١٩٧٧,p:٦٥٩

٣ . Idiomatic and Syntactic English Dictionary,Macmillan Company,London,١٩٥٧,pp:٦١٨-٦١٩

٤ . جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الجزء (٢)ن ١٩٧٩،ص:٥٢٩

٥ . تفاصيل اكثر عن المفهوم الفلسفي للهوية ، ينظر: حسن حنفي، الهوية، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة،٢٠١٢، ص: ١٧-١٩

٦. جميل صليبا، نفس المصدر السابق؛ ص:٥٢٩

٧ . حول هذا الموضوع انظر: حمزة رستناوي، في نقد الهوية الجوهرانية عند ارسطو والعقل الثابت ،الأوان، الاحد، ٢٤- ايار، مايو،٢٠١٤.

٨ . Encyclopedia Americana,American Corporation, International Headquarter, Danbury, Conneticut,USA,P:٧٤٣

٩ . David Sills (Editor)), International Encyclopedia of Social Science,Volume,٧,the Macmillan Co,New York,١٩٧٢,p:٦١

١٠ . جميل صليبا، مصدر سبق ذكره،ص:٥٣١

١١ . حول الطروحات الفلسفية الخاصة المتعلقة بالهوية عند ديفيد هيوم وعمانوئيل كانت، انظر:٥٩٩-٥٥٧:Encyclopedia of Americana,Volume(١٤),op.cit,pp

وانظر ايضا٣٠٦-٣٠٤:Encyclopedia of Americana, Volume((١٦)),pp

١٢ . جميل صليبا، مصدر سبق ذكره؛ ص:٥٣١

١٣ . علاء عبد الرزاق، أزمة الهوية في الفكر العربي المعاصر، بين الاصالة والمعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠١،ص:٢٠

١٤ .. صلاح قنصوة، الغزو الثقافي وحوار الحضارات، المنار،س(٣)،ع(٣١)ن الاول من تموز، ١٩٨٧،ص:١٣١

[١٥] . اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة:د. علي وطفة، دمشق،، دار الوسيم، ١٩٩٣، ص:١٢٣

[١٦]. نديم البيطار، حدود الهوية القومية،نقد عام، بيروت، دار الوحدة،١٩٨٢،ص:٢٢

[١٧] . المعجم الوسيط، ص:٨٠٥

[١٨] . علاء عبد الرزاق، ازمة الهوية والاندماج في المجتمع العراقي، منشور في اعمال المؤتمر السنوي لكلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية،٢٠١٤.

[١٩].علاء عبد الرزاق، هوية مدينة دراسة لمدينتين مقدستين، المدينة المنورة والكوفة المقدسة، عمان، دار امجد،٢٠١٨.ينظر ايضا احمد حسون الوائلي، الكوفة ونسيجها الحضاري، محاضرة القيت في مسجد الرسول الاعظم، الكويت، ١٩٩٩.

[٢٠] . محمد علي الحلو، انصار الحسين الثورة والثوار، كربلاء المقدسة، شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٤،ص:١٦-١٧

[٢١] . سامي البدري، اهل الكوفة بين حقد الامويين والعباسيين وثناء اهل البيت عليهم السلام والواقع التاريخي، الطبعة الثانية، النجف الاشرف، المكتبة الحسينية الميسرة، ٢٠١١،ص:١٠-١١، وينظر ايضا: محمد علي، ال خليفة، أمراء الكوفة وحكامها، مؤسسة الصادق عليه السلام للطباعة والنشر، د م، ٢٠٠٤م/١٤٢٥ هـ.

[٢٢] . علاء عبد الرزاق، المقاومة السياسية لائمة اهل البيت من الصادق حتى الهادي، عمان، دار امجد،٢٠١٧،ص:٣٤

[٢٣] . سامي البدري، مصدر سبق ذكره؛ ص:٢٠

[٢٤] . ابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، الطبعة السادسة، بيروت، دار القلم، ١٩٨٦.وينظر ايضا: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله بن الحموي، معجم البلدان،، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩.

[٢٥] . للتفصيل ينظر، السيد حسين البراقي، تاريخ الكوفة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٧٨، ص :١٤٢_٢٠٠، وينظر ايضا: كامل سلمان الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث من عام ١٨٦٠-١٩٧٣، النجف الاشرف، مطبعة الغري الحديثة، ١٩٧٤

[٢٦] . طارق نافع الحمداني، الكوفة في نهايات العهد العثماني، ملاحق جريدة المدى، ٢٤-كانون الثاني،٢٠١٦

[٢٧] . علاء عبد الرزاق، شيعة العراق .. إرث الماضي وتحديات الحاضر، عمان، دار امجد للنشر والتوزيع،٢٠١٨.

[٢٨] . توفيق التميمي ، محمد مكية رائد العمارة البغدادي قصة كفاح وحكاية تنوير، جريدة التأخي

الخميس، الثالث من ايلول،٢٠١٠.ص:٦

[٢٩] .محمد مكية، سيرة معماري ويوميات محلة بغدادية، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٥، ص:١٤٢-١٥٦ وينظر : رفعت الجادرجي، محمد مكية وتطور الحداثة في العراق، المدى الثقافي، العدد(١٣٤٥)،السنة(السادسة)،الخميس ١٦ تشرين الاول،٢٠٠٨،ص:١٦

[٣٠] . علاء عبد الرزاق، شيعة العراق، ارث الماضي وتحديات الحاضر، مصدر سبق ذكره،ص:٩٢

الكوفة ودورها الحضاري في ازدهار العلوم الإسلامية

الباحث احمد محمد الضمرة
جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم الترجمة

تمهيد:

الحمد لله حق حمده الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كان الدين الاسلامي الباعث الاول على ازدهار العلوم الاسلامية، فعندما توجهت الجيوش الاسلامية خارج الجزيرة العربية لنشر الاسلام خرج مع هذه الجيوش آلاف من الصحابة المجاهدين في سبيل الله تعالى ومعلمين لدين الله لمن آمن من اهل تلك البلاد، ولحق بهم بعض كبار الصحابة (رضي الله عنهم) للقيام بواجبهم في تبليغ الاسلام وتعليمه للمسلمين الجدد.

وتشكلت بذلك مراكز علمية كان من اهمها مدينة الكوفة التي أُسست لتكون منطلقا للجيوش الاسلامية في حركة الجهاد، ومن ثم لتصبح عاصمة الاسلام في خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقد حفلت بالأحداث التاريخية المهمة، فازدهرت فيها الحركة العلمية لاسيما العلوم الاسلامية، فضلا عن العلوم الاخرى، فأصبحت عاصمة للعلم والادب ومحطة للعلماء والادباء.

ولذا سيكون مدار بحثنا هذا لبيان دور مدينة الكوفة في ازدهار العلوم الاسلامية ونشرها وما للإمام علي (عليه السلام) وعلمائها من اثر ودور وجهود وآراء في هذا المجال مركزين على دور امير المؤمنين (عليه السلام) كونه اتخذ الكوفة عاصمة لخلافته فكان لابد للعلوم الاسلامية ان تزدهر في عهده. وبلا أدنى شك أن أهل البيت عليهما السلام أدرى بما انزل من القرآن الكريم وبالعلوم الاسلامية وهم أدرى بتفاصيل الرسالة المحمدية، وهم أصحاب وامتدادات النفحة النبوية المحمدية الشريفة، فأهل البيت هم الذين صبروا وضحوا بكل ما تعنيه الكلمات من الصبر والمعاناة والفداء والتضحية من أجل نشر الرسالة المحمدية.

إذ يعد البحث والتقصي لدراسة دور الامام علي (عليه السلام) في نشر العلوم الاسلامية ذا أهمية كبيرة وخطوة لإفادة الباحثين والأجيال اللاحقة لاطلاعهم على سيرة حياته

الطاهرة المليئة بالعبر والدروس، وبالتالي الأخذ بها وتطبيقها لرفد مستقبل الأجيال القادمة بقيم إنسانية أصيلة مستمدة من تاريخ سيرته العطرة.

وفي حديث الثقلين الذي تضمن وصية الرسول (ﷺ) بالتمسك من بعده بكتاب الله وعترته أهل بيته فقال: "أما بعد الا أيها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب، واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي وقالها ثلاثا"[١].

- القرآن الكريم يدعو إلى العلم والتعلم:-

القرآن الكريم أعظم كتاب أشاد بالعلم وأهله ورفع من شأنه وقد أشار القرآن الكريم إلى منزلة العلم في حياة الأنبياء ومن قرأ سورة القصص في القرآن وجد مكاناً للعلم في كل واحد منهم فآدم (عليه السلام) إنما فضلهُ الله على الملائكة وأظهر تفوقه عليهم، وأنهُ المرشح الصالح للخلافة في الارض بسبب العلم الذي علمهُ إياه، ولم يعلمهُ للملائكة ولهذا عندما سألهم عن أسماء الاشياء قالوا:﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[٢]. وقال في شأن موسى (عليه السلام):﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [٣]. ويوسف لما بلغ أشده أتاه الله حكماً وعلماً، وعلمهُ تأويل الاحاديث وتعبير الرؤى وكان هذا العلم سبباً إخراجه من السجن[٤].وفي قصة داود وسليمان (عليهما السلام) قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٥]. وهذا يبين ما أنعم الله على عبديه ونبييه (عليهما السلام) من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة، وورث سليمان أباه داود العلم الذي أتاه في حياته[٦]، وقال المسيح عيسى:﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾[٧].

أما أول آية أُنزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ)، قوله عزَّ وجل:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[٨]. ثم أنزلت بعد ذلك الآية الكريمة:﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[٩]. التي تبين فيها مكانة القلم فأقسم الله عز وجل بالقلم. أن أول ما خلقه الله سبحانه وتعالى من شيء هو القلم [١٠]، الذي هو الدواة[١١]. فالقلم مظهر الكتابة لأن الإلمام

بالقراءة والكتابة في المجتمع تدل على المعرفة العلمية والثقافية ولا يمكن لأي أمة أن تنقل تجاربها إلى الآخرين إلا عبر القراءة والكتابة. فقد فضل الله سبحانه وتعالى على الرسول (ﷺ) الذي انزل عليه الحكمة والعلم حتى لا يكون لأحد نور إلا مقتبساً من نوره[١٢].

وقوله تعالى لرسوله:﴿ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[١٣].

وقد أشاد الله سبحانه وتعالى بأهل العلم والعلماء بأنهم مصدر النور، ومبعث الفكر في الارض قال تعالى:﴿ قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾[١٤].

وقال تعالى:﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[١٥]. كما دعا الله تعالى وحث على سؤال العلماء قوله: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[١٦].

الصحابة وبدايات تأثير العلوم الاسلامية في الكوفة:

نزل الكوفة عدد كبير من الصحابة يصعب حصره، يقال ان جيش سعد بن أبي وقاص كان تعداده اربعين الفا[١٧]. ودون شك انه كان يضم عدد كبير من الصحابة . وقد اشارت بعض الروايات التاريخية الى اسماء ١٥٠٠ من الصحابة ممن نزلوا الكوفة[١٨] منهم علي (عليه السلام) . واخرج ابن سعد بسنده عن ابراهيم النخعي قال: هبط الكوفة ثلاثمائة من اصحاب الشجرة، وسبعون من اهل بدر[١٩].

ويذكر انس بن سيرين بانه ذهب الى الكوفة فرأى فيها اربعة آلاف يطلبون الحديث[٢٠].

وكتب عفان بن مسلم الانصاري وهو شيخ البخاري خمسة آلاف حديث في اربعة اشهر[٢١]. وهذا يدل على مدى تطور وازدهار العلوم الاسلامية في الكوفة.

القرآن الكريم وعلومه:

مما لاشك فيه أن القرآن هو المصدر الأول في الإسلام، ولذلك فقد حظي باهتمام المسلمين بشكل لا نظير له، ولقي عناية فائقة لحفظه وفهمه وتفسيره وقراءاته وغير ذلك.

تعريف التفسير وأهميته:

هو علم يعرف به فهم كتاب الله (عز وجل) المنزل على نبيه محمد (ﷺ) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[٢٢].

إن الصحابة (ﷺ) الذين جالسوا رسول الله (ﷺ) عاصروا التنزيل وشاهدوا الوقائع، لذا يعد تفسيرهم من المكانة بالمرتبة الأولى، وغالب تفسيرهم لما شاهدوه وعاصروه أو نقلوه عن رسول الله (ﷺ)، فعلموا المراد من كلام الله تعالى، يقول الشاطبي في ذلك: (مباشرتهم للوقائع والنوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة،... وأعرف بأسباب التنزيل ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك والشاهد يرى ما لا يرى الغائب) [٢٣]. والصحابة أعلم الأمة بتفسير القرآن لذا توجب الرجوع إلى تفسيرهم[٢٤].

وعن تفسير الامام علي (عليه السلام) ذكر ابن عطية الأندلسي... فأمّا صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، ويتلوه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[٢٥].وذكر الحلبي[٢٦] "... وعن ابن عباس (رضي الله عنهما): كل ما تكلمت به في التفسير فإنّما أخذته عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وذكر أيضاً.. عن ابن عباس، عن علي، قال: نهاني رسول الله (ﷺ)أن اقرأ وانا راكع، وعن خاتم الذهب، وعن القسّي[٢٧]والمعصفر[٢٨][٢٩].

ويمكن أن نجمل أسباب أهمية تفسير الصحابة لأمور عدة منها:

معرفتهم باللسان العربي: فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم وفصاحتهم فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذهِ الجهة[٣٠]. ويرى القفطي[٣١] ...أنه اول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قال أبو الاسود الدؤلي (رحمه الله): دخلت على أمير المؤمنين علي(عليه السلام) فرأيته مطرقاً مفكراً، فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية. فقلت له: إنّ فعلت هذا أبقيت فينا هذهِ اللغة العربية، ثم أتيته بعد ايام، فالقي أليّ صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله أسم وفعل وحرف....، وبذلك فإن الامام علي (عليه السلام) لم يسمح باللحن في القرآن الكريم تعظيماً منه لكلام الله سبحانه وتعالى.

وذكر ابن أبي الحديد[٣٢]: "... ومن العلوم: علم النحو والعربية وقد علم الناس كافة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه.... ". وقال الخضري[٣٣]: "حتى كادت العربية إنّ تتلاشى

فرسم الإمام علي لأبي الاسود منه ابواباً...".وهذا دليل على تضلع الامام علي (عليه السلام) باللغة العربية والنحو، هذا فضلا عن االعلوم الاسلامية الاخرى.

إن تفسير الصحابي في حكم المرفوع فإنما ذلك فيما كان سبب نزول أو نحو ذلك[٣٤].

كذلك معرفة عادات العرب وسيرهم يعين على المراد من النص، ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل وإن لم يكن ثم سبب خاص، ولا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذهِ المعرفة[٣٥].

تفسير الامام علي (عليه السلام) القرآن بالقرآن:

إن تفسير القرآن بالقرآن هو أول مصادر التفسير لمن أراد تفسير كتاب الله تعالى وهي أولى التفاسير ما وجد إليه السبيل ولهذا كان يعتمده الصحابة والتابعون والأئمة بعدهم.

وقد ذكر الإمام الزركشي في البرهان بقوله: (أحسن طريق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر) [٣٦]. فلا بد لكل مفسر أراد تفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً فيجمع ما تكرر منها في موضوعٍ واحد ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملاً وليحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن وفهم المراد بما جاء عن الله تعالى.

وأن النبي (صلى الله عليه وآله) هو المدرسة الكبرى للصحابة رضوان الله عليهم فقد علم أصحابه الكرام أن يسيروا على هذا المنهج القويم لفهم كتاب الله تعالى ومثال ذلك سؤال الصحابة (رضي الله عنهم) النبي (صلى الله عليه وآله) وأينا لم يظلم نفسه حينما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣٧]، ففسره النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك واستدل بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣٨][٣٩]. فأخذ الصحابة الكرام هذا المنهج وطبقوه في تفسير كتاب الله تعالى.

وها هو أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يتبع هذا المنهج والذي تلقاه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).يذكر أبو حيان التوحيدي[٤٠]﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[٤١]، فرق يتوسط بين

الصواب والخطأ، صوابه إيمان وخطاه كفر، وبسبب هذا الحرف وضع علم النحو، لأنّ علياً ابن أبي طالب (عليه السلام) سمع قارئاً يقرأ على غير وجه الصواب، فساءه ذلك، فتقدم إلى أبي الاسود الدؤلي، حتى وضع الخرقة للناس أصلاً ومثالاً وباباً وقياساً؛ وإنّما فشا اللحن للسبايا التي كثرت في الاسلام من الاعاجم واولادهن...).

أمثلة من تفسير الإمام علي (عليه السلام):

١- حمل المجمل على المفسر:

إن المجمع هو ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك باللفظ نفسه إلا ببيان من المجمل سواء كان ذلك لتزاحم المعاني المتساوية الأقدام كالمشترك أو لغربة اللفظ كالهلوع أو لانتقاله من معناه الظاهر إلى ما هو غير معلوم فترجع إلى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل[٤٢].

فمن تفسير علي (عليه السلام) في حمل المجمل على المفسر، أن رجلاً سأل علياً عن الهدي مم هو قال من الثمانية الأزواج فكأن الرجل شك فقال علي تقرأ القرآن فكأن الرجل قال نعم قال أفسمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾[٤٣]، قال نعم قال وسمعته يقول: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾[٤٤]، ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾[٤٥]، فكلوا من بهيمة الأنعام قال نعم قال أفسمعته يقول: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ... وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾[٤٦]، قال نعم قال أفسمعته يقول: ﴿لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[٤٧] قال الرجل نعم، فقال إن قتلت ظبياً فما علي قال شاة قال علي (عليه السلام) هدياً بالغ الكعبة قال الرجل نعم فقال علي قد سماه الله بالغ الكعبة كما تسمع[٤٨].

وعن خالد بن عرعرة قال سمعت علياً يقول: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾[٤٩] هو السماء قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[٥٠][٥١]. وعن علي (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥٢] وقال (عليه السلام) إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي يؤيده قوله (عز وجل): ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا﴾[٥٣][٥٤]. وروي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: إنكم تقرؤون ﴿مِن بَعْدِ

وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[٥٥] وإن النبي عليه السلام قضى بالدين قبل الوصية ولولا سنة رسول الله (ﷺ) لكان على العباد أن يبدؤوا بما بدأ الله به الوصية قبل الدين كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[٥٦][٥٧].

وعن قتادة قال قال رجل من الخوارج خلف علي في صلاة الغداة: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥٨] فأنصت له علي (ﷺ) حتى فهم ما قال فأجابه وهو في الصلاة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[٥٩][٦٠].

٢- حمل المطلق على المقيد:

المطلق ما يدل على واحد غير معين[٦١]. والمقيد ما قيد لبعض صفاته[٦٢]. فمن حمل المطلق على المقيد في تفسير الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) فقد روي أن رجلاً جاء إلى علي (ﷺ) فقال تزوجت جارية بكراً وما رأيت بها ريبة ثم ولدت لستة أشهر فقال علي (ﷺ) قال الله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾[٦٣] وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٦٤] فالحمل ستة أشهر الولد ولدك[٦٥].

٣- فهمه لكتاب الله وتوفيقه للجمع بين آيات القرآن الكريم:

لقد كان (ﷺ) يجمع بين الآيات في كتاب الله ويوفق بينها وذلك لعلمه بأن القرآن يفسر بعضه بعضاً وأنه وحدة موضوعية كاملة فعن علي بن أبي طالب (ﷺ) أنه قال إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صفحة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهماً عن طيب نفس منها فليشتر به عسلاً فليشربه كذلك فإنه شفاء، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦٦] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا﴾[٦٧]وقال: ﴿وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[٦٨] وقال في العسل: ﴿فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ﴾[٦٩][٧٠].

وعن يشع الكندي في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[٧١] قال جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال كيف تقرأ هذه الآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ وهم يقتلون قال على ادنه: ﴿فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٧٢] ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلاً[٧٣].

تفسير الامام علي (عليه السلام) القرآن بالسنة:

إن المصدر الثاني من مصادر التفسير هو تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة فقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) إذا أشكلت عليهم آية من كتاب الله رجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تفسيرها فيبين لهم ما خفي عليه لأن وظيفته البيان كما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٧٤) وكما نبه على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتهم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتهم في من حرام فحرموه"(٧٥).

والذي يرجع إلى كتب السنة يجد أنها أفردت بابا من الأبواب التي اشتملت عليها وذكرت فيها الكثير من التفسير من المأثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)(٧٦).

ولقد سار على هذا المنهج القويم منهج تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأمثلة على ذلك:

١- تفسير الآيات بأسلوب التصريح بقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

في تفسير قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾(٧٧). فعن ابن أخي الحرث الأعور عن الحارث قال دخلت على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول الصراط المستقيم كتاب الله(٧٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(٧٩) عن علي بن حوشب قال سمعت مكحولاً يقول قرأ رسول الله ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ثم التفت إلى علي فقال سألت الله أن يجعلها أذنك قال علي (رضي الله عنه) فما سمعت شيئاً من رسول الله فنسيته(٨٠).

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾(٨١) عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي (رضي الله عنه) قال كنا جلوساً مع النبي فتناول شيئاً من الأرض بيده فقال ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة والنار قالوا يا نبي الله أفلا نتكل قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾(٨٢).

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(٨٣) روي عن علي (عليه السلام) قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال رجل يا رسول الله أفي كل عام فأعرض عنه فعاد مرتين أو ثلاثاً فقال النبي (صلى الله عليه وآله) ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه فأنزل الله (جل جلاله): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(٨٤)(٨٥).

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾(٨٦) روى علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود فيه بعد عفوه(٨٧).

في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۞ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۞ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾(٨٨) عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) هل تدرون ما تفسير هذه الآية: قال: إذا كان يوم القيامة تقاد جهنم بسبعين ألف زمام بيد سبعين ألف ملك فتشرد شردة لولا أن الله حبسها لأحرقت السموات والأرض(٨٩).

٢- ما روي بالسنة موقوفاً وحكمه الرفع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله):

لقد وردت روايات تفسيرية عن علي بن أبي طالب وحكمها الرفع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك لتعلقها بالغيبيات أو بأخبار سابقة أو بفضائل الأعمال وثوابها، وهذه الأمور قد قال العلماء حكمها الرفع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأمثلة على ذلك كثير منها:

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٩٠) قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يبعث الله نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد (صلى الله عليه وآله) لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره بأخذه على قومه ثم تلا هذه الآية(٩١).

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾[٩٢] قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها لاذهب ونجائب سرجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت[٩٣].

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٩٤] فعن علي (رضي الله عنه) تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب[٩٥].

تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٩٦] عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال فالزيادة غرفة لؤلؤ فيها أربعة أبواب[٩٧].

تفسير الامام علي (عليه السلام) القرآن بالرأي:

إن الحاجة إلى تفسير القرآن بالرأي هي حاجة ملحة ظهرت ولابد منها وذلك لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) توفي ولم يفسر للصحابة (رضي الله عنهم) كل القرآن حرفاً حرفاً ولكنه بين لهم ما احتاجوا إلى بيانه، فلما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) واتسعت الرقعة الإسلامية ودخلت أقوام لا تحسن اللغة العربية في دين الله ظهرت حاجة ماسة إلى معرفة معاني الكثير من الآيات القرآنية وهذا شيء طبيعي وواقعي، فبدأ الصحابة الكرام يفسرون للتابعين ممن دخلوا إلى الدين الكثير من معاني القرآن الكريم.

وعن أبي جحيفة قال قلت لعلي هل عندكم كتاب قال لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذهِ الصحيفة قال قلت فما في هذهِ الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر[٩٨].

أمثلة على تفسير علي بن أبي طالب القرآن بالرأي:

تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٩٩] قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) يختص برحمته أي بنبوته خص بها محمدا (صلى الله عليه وآله)[١٠٠].

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٠١] عن علي (عليه السلام) تمام النعمة الموت على الإسلام[١٠٢].

تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١٠٣] قال علي

بن أبي طالب (عليه السلام) هذا في الصلاة يصلي قائماً فإن لم يستطع قاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب[١٠٤].

تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[١٠٥].

تفسير قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[١٠٦] قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام[١٠٧].

عن علي (رضي الله عنه) في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾[١٠٨] قال: كالرجع العطشان يمد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه[١٠٩].

تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[١١٠] عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال أصحاب اليمين أطفال المسلمين[١١١].

تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[١١٢] قوله (عز وجل) وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) هو أن البيئة على المدعي واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به[١١٣].

ان مسائل الرأي عند أهل الكوفة أكثر منها عند أهل الحجاز، فبيئة الكوفة والعراق بشكل عام بيئة متحضرة ومتمدنة اكثر من بيئة الحجاز، ولهذا فالمجتهدين في الكوفة يحتاجون الى الاستنباط والقياس اكثر من البيئة الحجازية، وكان اغلب فقهاء الكوفة لايكتفون باستخراج أحكام الواقعات التي تقع فعلاً ، بل ويضعون لها احكاما بآرائهم ، بناء على قياس أو غير ذلك، وهو مايسمى بالفقه التقديري أو الافتراضي[١١٤].

وكان فقهاء الكوفة من أوائل من دوّن في الفقه، فقد دوّن ابو يوسف صاحب أبي حنيفة عدة كتب في الفقه هي اساس فقه الكوفيين بشكلٍ خاص، والعراقيين بشكلٍ عام، ثم دوّن الإمام محمد بن الحسن كتب ظاهر الرواية الستة التي جمعها الحاكم الشهيد في كتابه (الكافي) وشرحه السرخسي في كتابه (المبسوط)، ثم تتابعت التصانيف في الفقه بعد ذلك. [١١٥].

أما اصول الفقه فلعلماء الكوفة باع طويل فيه ، ولهم طريقتهم الخاصة فيه التي تتلخص في انهم يستمدون الاصول من الفروع الفقهية لا كما يفعل غيرهم [١١٦].

تفسير الامام علي (عليه السلام) القرآن باللغة العربية:

لقد أنزل الله (سبحانه وتعالى) القرآن الكريم بلسان نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) باللغة العربية والتي هي كانت لغة قومه قريش قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١١٧].

وقد جاءت الآيات القرآنية والتي تدل على عربية القرآن الكريم في العديد من الآيات قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١١٨]، وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[١١٩]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١٢٠].

قال ابن قتيبة رحمه الله: (القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللقن – أي سريع الفهم – وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي)[١٢١]، ومن خلال كل ما تقدم يتبين لنا أنه لابد في تفسير القرآن الكريم أن يكون أحد مصادره التي يفسر بها هذه اللغة التي نزل بها، ولا يمكن أن يتأتى تفسيره بلغة غيرها ومن رام ذلك وقع في الزلل وجانب الصواب[١٢٢]. يقول الشاطبي رحمه الله بخصوص ذلك: (فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه وتقول على الله ورسوله فيه)[١٢٣].

أمثلة على تفسير علي بن أبي طالب (عليه السلام) باللغة:

في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[١٢٤] قال علي (عليه السلام) السحاب غربال الماء[١٢٥].

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾(١٢٦). فعن علي (عليه السلام) وهو شديد المحال قال شديد الأخذ(١٢٧).

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ۞ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۞ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾(١٢٨) عن خالد بن عرعرة قال قام رجل إلى علي (عليه السلام) فقال ما الحمالات وقرا قال هي السحاب قال فما الجاريات يسرا قال هي السفن قال فما المقسمات أمرا قال هم الملائكة(١٢٩).

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾(١٣٠) عن علي (عليه السلام) وطلح منضود قال الموز(١٣١).

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾(١٣٢) عن خالد بن عرعرة أن رجلاً قام إلى علي (عليه السلام) فقال ما العاصفات عصفا قال الريح(١٣٣).

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾(١٣٤) عن سماك بن حرب قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا (عليه السلام) وسئل عن لا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل(١٣٥).

القراءات القرآنية التي قرأ بها علي بن أبي طالب:

تعريف علم القراءات:

لغة: القراءات جمع قراءة، وهي في الأصل مصدر "قرأ" يقال: قرأ، يقرأ، قراءة.

وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾(١٣٦) أي جمعه وقراءته، وقرأت القرآن: لفظت به مجموعاً أي ألقيته(١٣٧).

اصطلاحاً: علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع، أو يقال علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله(١٣٨).والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد(١٣٩).

واهتم المسلمون بعلم القراءات الذي يُعنى بمذاهب الأئمة في قراءة القرآن الكريم ، وهذه المذاهب باقية اجماعاً، يقرأ بها الناس ومنشؤها اختلاف في اللهجات وكيفية النطق وطرق الاداء.

والقراءات القرآنية هي اختلاف الفاظ الوحي في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وتفخيم وترقيق وإمالة وإدغام وإظهار وإشباع ، ومدّ وقصر وغيرها[١٤٠]. وقيل أيضاً بأنه "علم بكيفية اداء كلمات القرآن واختلافها[١٤١]".

وتواتر عن النبي (ﷺ) انه قال: "إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأقرؤوا ماتيسر منه"[١٤٢]. وفي حديث آخر "أقرأني جبريل على حرفٍ فراجعته ، فلم يزل استزيده ويزيدني حتى انتهت الى سبعة أحرف"[١٤٣].

ومن القراء السبعة الذين اشتهرت قراءاتهم من الكوفيين هم: عاصم بن أبي النجود، من أهل الكوفة وكان ضريراً، تصدر للإقراء سنة (٧٣هـ/٦٩٢م) في الكوفة ، وبقي كذلك الى أن توفي بها سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م) وقيل سنة ١٢٨هـ وقيل ١٢٩هـ[١٤٤]. وأبو عمارة حمزة بن حبيب الكوفي الزيات، أحكم القراءة وأتقنها ، وذاع صيته في القراءات والفرائض[١٤٥]. وأبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي الكسائي ، كان واسع العلم بالقرآن والعربية، وكان عمدة أهل الكوفة في النحو وعليه استندوا[١٤٦]. وهذا دليل على تأثير الامام (عليه السلام) في علم القراءات في الكوفة، ولذلك نرى ان الدراسات القرآنية نشطت في الكوفة كغيرها لأهمية هذا العلم مما ادى الى ظهور علماء متخصصون في القراءات. مثّل كل واحد منهم مدرسة خاصة به في القراءات المتواترة عن الرسول (ﷺ) وعن الامام (عليه السلام) وورد عن الرسول (ﷺ) انه قال: "علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض"[١٤٧].

وكان مسجده في الكوفة كمسجد رسول الله (ﷺ) في حلقات الدرس والعلم وسماع ضجة من يقرأ القرآن فيه، وقد ذكر في كنز العمال للمتقي عن كليب بن واكل انه قال: كنت مع علي، نسمع ضجتهم في المسجد يقرؤون القرآن فقال علي (عليه السلام) "طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله (ﷺ)"[١٤٨]. وكان الإمام علي(عليه السلام) اذا صلى الفجر

لم يزل معقباً إلى ان تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع اليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس، فيعلمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك(١٤٩).

ومن هنا يعد مسجد الكوفة مؤسسة تعليمية اسلامية، ومنه اتضحت معالم الحياة الثقافية والحضارية الاسلامية بصورة عامة.

أمثلة من قراءات علي (عليه السلام):

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ منكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١٥٠). روي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قرأ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ منكُمْ﴾ بفتح الياء فيهما جميعاً ومعناه يتوفون أعمارهم أي يستوفونها(١٥١).

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ﴾(١٥٢). قرأ علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ألم تر) بسكون الراء وهو من إجراء الوصل مجرى الوقف(١٥٣).

في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ منكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(١٥٤). وقرأ علي بن أبي طالب (عليه السلام) وغيره (لتصيبن) باللام على جواب قسم والمعنى على هذا وعيد للظلمة فقط(١٥٥).

في قوله تعالى: ﴿بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾(١٥٦). قرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وجماعة (عليه السلام) (أفلم يتبين)(١٥٧).

في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾(١٥٨). قرأ علي بن أبي طالب (عليه السلام) وغيره وابن كثير بخلاف عنه (أفحسْبُ) بسكون السين وضم الباء بمعنى أكافيهم ومنتهى غرضهم(١٥٩).

في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(١٦٠). عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قرأ إن توليتم أي تولاكم الناس على مالم يسم فاعله(١٦١). في قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(١٦٢). عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قرأ (خاتمه مسك) (١٦٣).

فمن المؤكد ان يكون للإمام علي (عليه السلام) دور بارز في ازدهار العلوم الاسلامية في الكوفة عملاً بأقوال وافعال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله): "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"

وسأل رجل الحسن البصري عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأجابه قائلاً: "كأن علي والله سهما صائباً من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها وسابقتها، وذا قرابتها من رسول الله، ولم يكن بالنؤومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض موثقه"(١٦٤).

ان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) موسوعة المعارف والعلوم الإنسانية والعلمية فقد ورد في الحديث النبوي الشريف "والله لقد اعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وايم الله لقد شاركم في العشر العاشر"(١٦٥).

ولهذا كان من الطبيعي ان تزدهر العلوم الاسلامية وان تكون علوم القرآن الكريم والسنة النبوية هي اولى العلوم التي اعتنى بها المسلمون في الكوفة وغيرها اقتداءا بالامام علي (عليه السلام) فاصبحت الكوفة كما قال الصحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه): (الكوفة قيمة الاسلام واهل الاسلام).

تأثير الإمام علي (عليه السلام) في الحديث وعلومه:

تُعد السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم، إذ تضمنت جوانب تفصيلية واسعة من حياتنا العامة، لذا توجب العمل بالسنة النبوية الشريفة عملا بقوله تعالى:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(١٦٦). وقوله: ((لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)) (١٦٧).

وورد عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: "اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات، قالوا: ومن خلفاؤك يارسول الله؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله (١٦٨). والحديث يلي القرآن الكريم في أهميته الكبرى، فهو يفصل ما أجمله القرآن، ويفسر ما يصعب على الناس فهمه منه.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) حول احياء سنته" اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات، قالوا: ومن خلفاؤك يارسول الله ؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله " فالحديث يلي القرآن الكريم في اهميته الكبرى، فهو يفصل ماأجمله القرآن ويفسر مايصعب على الناس فهمه

من ارشادات الامام علي (رضي الله عنه) المواضبة على مذاكرة الحديث وتعد من الامور المهمة في تذكير المحدث باحاديث ربما قد نسيها، وقد تنبه علماء الكوفة الى ذلك منذ وقت

مبكر جدا فقد روى عن علي بن ابي طالب(ﷺ) انه قال: " تزاوروا وأكثروا مذاكرة الحديث، فإن لم تفعلوا يندرس الحديث"[١٦٩].ولهذا نجد الكوفيين قد ركزوا على هذه الناحية كثيرا فكانوا يتذاكرون الحديث ويأمرون طلابهم بذلك وهذا خير دليل على اثر الامام علي (ﷺ) ودوره في اهتمام اهل الكوفة بهذا الامر

ومما ذكر حول ذلك ان ابا يحيى الاعرج اجتمع هو وسعيد بن جبير في مسجد الكوفة، فتذاكروا الحديث[١٧٠].وكان كبار العلماء يجتمعون في مسجد الكوفة يتذاكرون الحديث[١٧١].

وكان للكوفيين منهج خاص في تحديد العمر الذي يبدأ فيه الطالب بطلب الحديث وهو سن العشرين[١٧٢]. والسبب في ذلك ان اهل الكوفة كانوا يحفظون القرآن، ويتعبدون قبل سن العشرين، ثم يطلبون الحديث[١٧٣]. ويؤكد هذا قول الشعبي:" إنما كان يطلب هذا العلم من جمع النسك والعقل"[١٧٤].وقال ابو عبد الله الزبيري: " يستحب كتب الحديث في العشرين، لانها مجتمع العقل، وأحب أن اشتغل دونها بحفظ القرآن والفرائض" [١٧٥].

ويتضح من ذلك ان الكوفيين يفضلون تعلم الحديث بعد العشرين وهذا واضح من كلام الزبير بقوله يستحب ذلك، ولأن سماع كثير من الصحابة(ﷺ) من النبي (ﷺ) وهم دون سن العشرين، بل دون العاشرة معروفٌ مشهور وسبب تفضيل اهل الكوفة ذلك هو واضح من كلامهم ان حفظ القرآن الكريم اولى من حفظ الحديث الشريف، فالقرآن الكريم هو المصدر الاول في الاسلام، والحديث هو المصدر الثاني الشارح للقرآن والمقيد لمطلقه، والمخصص لعامه، وإن تعلم العبادات والفرائض قبل سن العشرين اولى من حفظ الحديث وتعلمه لأن تعلم المسلم امور الفارئض والعبادات واجب عيني على كل المسلمين بينما حفظ الحديث وتعلمه هو فرض كفاية، وعلى اعتبار ان هذا العمر هو مجمع العقل، بمعنى أن الانسان يصل إلى درجة من النضج العقلي بحيث يستطيع تحمل الحديث وفهمه على وجهه.

إلا أنه بالرغمِ من ذلك نلاحظ أن بعض كبار محدثي الكوفة كان يعلم الصبيان الحديث منهم الاعمش عندما مرَّ بهِ رجل مستغربا تعليمه لهم أجابه الاعمش: "إسكت هؤلاء يحفظون عليك أمرُ دينك"(١٧٦).

ومما اهتم بهِ اهل الكوفة تعلم فقه الحديث ومعرفة مافيه من احكام وغيرها لان ذلك سيؤدي الى الهدف من تعلم الحديث وفهم معناه. وهذا ماورد عن النبي محمد (ﷺ) بقوله: "نَضّرَ الله أمْرأ سَمعَ مقالتي فوعاها"(١٧٧).وقال سفيان بن عيينة: ياأصحاب الحديث تعلموا فقه الحديث(١٧٨).

لقد عني ابن مسعود (رضي الله عنه) بتفقيه اهل الكوفة وتعليمهم، ولما انتقل اليها علي (رضي الله عنه) سرٌ من كثرة علمائها وقال: رحم الله ابن ام عبد، قد ملأ هذه القرية علما، اصحاب ابن مسعود سُرُج هذه القرية (١٧٩).وعن أنس بن سيرين قال: أتيت الكوفة فرأيت فيها اربعة آلاف يطلبون الحديث، وأربعمائة قد فقهوا (١٨٠).

ومن الامور الاخرى التي اكد عليها الكوفيون هو الحث على العمل بما يتعلمونه من الاحاديث كونه يعد من اعمال الخير وطلباً للأجر والثواب ليكونوا من اهله(١٨١). ولمن يريد حفظ الحديث عليه العمل به(١٨٢).

كما فضّل اهل الكوفة عرض الحديث مرجحينه على السماع: وهو مذهب علي بن ابي طالب(رضي الله عنه) حيث قال: القراءة على العالم اصح من قراءة العالم بعدما أقرَّ أنه حديثهُ(١٨٣).

وكذلك نوَّهَ علماء الكوفة الى اهمية مذاكرة الحديث لاسيما وان الكتب لم تكن قد دونت بشكل واسع النطاق بحيث يستطيع الطالب الرجوع اليها عند تشككهِ في أي حديث، ولذلك فقد اعتمدوا على المذاكرة اعتمادا كبيرا مع المحدثين وطلاب الحديث ومن الامور الاخرى المهمة، عدم تتبع المنكر والغريب من الحديث فقد رُوِيَ عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) انه قال: " تحبون ان يُكَذَب الله ورسوله ؟ حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ماينكرون"(١٨٤). وأشار الذهبي معلقا على ذلك: فقد زجر الامام علي عن رواية المنكر، وحثَ على التحديث بالمشهور، وهذا اصلا كبير في الكف عن بث الاشياء

الواهية والمنكرة من الاحاديث في الفضائل، والعقائد، وغير ذلك وهذا ماانتشر عند اهل الكوفة

وكان من نتائج ازدهار العلوم الاسلامية ان ازدهرت الرحلات العلمية من والى الكوفة، مما ادى الى شيوع الاحاديث وانتشارها بين العلماء،تعد الرحلة في طلب العلم من اهم مميزات الحضارة الاسلامية التي تفردت بها عن غيرها من الحضارات، وكان العلماء يحثون الطلبة عليها، فتوجه طلبة العلم الى مراكز العلم المنتشرة في انحاء العالم الاسلامي، وتحملوا في سبيل ذلك المشاق والمتاعب التي لم تشكل عائقا بل كانت حافزاً لمواصلة الطريق. وقد وردَ عن الرسول محمد(ﷺ) أنه قال: "من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليُحيي به الاسلام، فبينه وبين الانبياء في الجنةِ درجة واحدة [١٨٥].

ولم تقتصر الرحلة العلمية على فئة معينة من العلماء، أو على إختصاص بعينه فكان طلبة العلم في شتى المجالات يرحلون في سبيل ذلك، إلا أن اصحاب الحديث كانوا هم الاكثر ترحالا لطلب العلم، كون الحديث هو المصدر الترشيعي الثاني بعد كتاب الله عز وجل فكان من الضروري بعد حصول الفتن وظهور الملل المختلفة من البحث عن إسناد وصحة الاحاديث النبوية الشريفة. فكان أصحاب الحديث أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم وأصبرهم على عنائه.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرحلات نتج عنها علاقات علمية بين الطلبة انفسهم، وبين الطلبة وشيوخهم، وذلك من خلال قيام العلماء برواية الحديث عن الامام علي(ﷺ) وعن الصحابة، وهكذا كان طلاب العلم في الكوفة حتى بلغو مبلغ العلماء بما اكتسبوه من علم

وكان الراحلون لايقتصرون على التلقي، بل اغلب الاحيان يتصدرون مجالس الحديث، ويجتمع اليهم الطلاب يسمعون منهم ويأخذون عنهم،وهذا مافعله اسرائيل بن يونس السبيعي عندما قدم بغداد من الكوفة [١٨٦]. وداود بن هند عندما قدم الكوفة [١٨٧]. وزياد بن عبد الله بن الطفيل قدم بغداد فحدثهم بها ثم عاد الى الكوفة [١٨٨].

وسُئل أحمد بن حنبل عن طالب الحديث، هل يَلْزَم رَجُلاً عنده عِلم، فيَكتُبُ عنه؟ أو ترى أن يرحل الى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟ قال: يرحل يكتبُ عن الكوفيين والبصريين، وأهل المدينة ومكة يُشام(١٨٩).

ولذلك نرى أن الرحلة في طلب الحديث من الكوفة واليها قد اشتهرت وهناك العديد من العلماء ممن اشتهروا في هذا المجال يصعب ذكرهم في هذا البحث لكثرتهم(١٩٠)، وهكذا فقد اسهم محدثوا الكوفة في نشر الحديث وعلومه في كل مكان من العالم الاسلامي.

العلم والتعليم عند الامام علي (عليه السلام) المنهج والتطبيق:

لقد تميز علي (عليه السلام) بالعلم الغزير الذي نقله عن النبي (صلى الله عليه وآله) فهو الذي رباه وعلمه، ومن أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله) بحق علي(عليه السلام) في العلم قوله: "أنا مدينة العلم وعليٌ بابها،فمن أراد العلم فليأت الباب"(١٩١).

قال ابن عباس (رضي الله عنه): "لقد أعطي عليٌّ تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر(١٩٢). وقال ابن عباس (رضي الله عنه) أيضاً: "ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب"(١٩٣).

وقال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب، وروى يحيى بن معين عن عَبْدَة بن سليمان عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: قلت لعطاء أكان في أصحاب محمد أعلم من علي قال لا والله لا أعلمه(١٩٤). وعن علي (رضي الله عنه) أنه قال: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً"(١٩٥).

وعن أبي الطفيل قال: "شهدت علياً يخطب وهو يقول سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل"(١٩٦).

وقال علي (عليه السلام)، لقد علمني حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الف باب من العلم يفتح في كل باب الف باب(١٩٧).وما قالته السيدة عائشة (رضي الله عنها)... أما أنّه أعلم الناس بالسنة(١٩٨).

ولهذا اهتم الامام علي بالتعليم والحث عليه[١٩٩].فقد كان (عليه السلام) يحث ويأمر ولاته بأهمية الوقوف على تعليم الرعية وتربيتها، ومحاربة الجهل. ففي كتابه(عليه السلام) لاحد ولاته: "اما بعد، فأتم للناس الحج، وذكرهم بأيام الله، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتي، وعلم الجاهل، وذاكر العالم"[٢٠٠].

وايضاً في مضمار منهجيته في التعليم، يؤكد على اهمية العلم والمعرفة، وان العلم هو مفتاح الحياة واساسها:"الدنيا كلها جهل، الا دوافع العلم[٢٠١]

وكان كثير ما يذكر للناس أثناء وقوفه على المنبر فترة خلافته ويقول: "سلوني قبل ان تفقدوني"[٢٠٢].ون هنا يتضح أيضاً دور المسجد في نشر العلوم الاسلامية وما للإمام علي من أثر في ذلك من خلال وقوفه امام الناس للاجابة عليهم مباشرة

وكان اذا استعصى على بعض الصحابة مسئلة من مسائل الفتوى يرشدهم علي (عليه السلام) إلى الصواب، وكانت العرب تسميه بالعقل، وكانوا يأتونه بالمطالب المشكِلة الغامضة فيجيبهم عليها[٢٠٣].

انطلقت مسؤولية الإمام علي(عليه السلام) كمنهج تطبيقي بالاهتمام بالجانب التعليمي كأصل من اصول الرسالة الاسلامية، يقول(عليه السلام):على الإمام ان يعلم اهل ولايته حدود الاسلام والايمان[٢٠٤]. وبما ان الامام علي كان امير المؤمنين وخليفتهم فكان من الطبيعي ان يهتم بالتعليم منهجاً وتطبيقاً في مدينة الكوفة التي اتخذها عاصمة للدولة الاسلامية:إذ ويؤكد (عليه السلام) كفالة نظامه لحق التعليم وجعله من المقررات الاساسية في منهج خلافته، ونوع من انواع الحقوق المتبادلة واجبة الالتزام بها من قبل الخليفة تجاه رعيته، يقول(عليه السلام):"ايها الناس، ان لي عليكم حقاً، ولكم علي حق؛ فأما حقكم علي فالنصيحة في ذات الله، وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا"[٢٠٥]. وكان (عليه السلام) اذا يفرغ من الجهاد، يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم[٢٠٦]

ويدعو الامام علي(عليه السلام) ولاته الى التمسك بمبادئ الاسلام وتطبيقها وذلك باأتباع حكم القرآن واتخاذه دستوراً واحلال حلاله واحرام حرامه، فيقول في رسالته الى الحارث الهمداني(*): "وتمسك بحبل القران وانتصحه وأحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق" [٢٠٧].

كان لانتشار الصحابة في امصار الدولة الاسلامية دور كبير في انتشار احاديث الرسول (ﷺ) في هذه الامصار ومنهم الامام علي فقد ذكرت الروايات التاريخية ان للإمام علي (رضي الله عنه) (٥٣٦) حديثاً، وفي روايات اخرى (٥٨٦) حديثاً[٢٠٨].

امثلة من الاحاديث التي رويت عن الامام علي :

وذكر ابن أبي شيبة[٢٠٩]:"...عن زر بن حبيش عن علي، قال: من أحب الكلم إلى الله ان يقول العبد وهو ساجد: ظلمت نفسي فأغفر لي".

وأشارت كتب الحديث ... عن زر بن حبيش عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ان رسول الله (ﷺ) قال يوم الخندق: "ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى"[٢١٠].

وأشار أبو داود[٢١١] "... عن زر بن حبيش عن علي، قال: قال رسول الله (ﷺ): صلاة الوسطى صلاة العصر".

وكان الحارث بن سويد أبو عائشة التيمي الرباب الكوفي يحدث عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود... [٢١٢] . وقيل ما بالكوفة أجود اسناد منه:...، عن الحارث بن السويد، عن علي بن أبي طالب، عن النبي (ﷺ)[٢١٣].

وعن الحارث بن سويد، عن علي، قال: "ينقص الاسلام حتى لا يقال: الله الله، فإذا فعل ذلك ضرب يعسوب الدين[٢١٤] بذنبه، فإذا فعل ذلك بعث قوماً يجتمعون كما يجتمع فرع الخريف[٢١٥]، والله إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم" [٢١٦].

وذُكر... عن الحارث بن سويد، عن علي (رضي الله عنه): نهى النبي (ﷺ)عن الدباء[٢١٧]والمزفت[٢١٨]...[٢١٩].وعن الحارث بن السويد ايضاً قال: سمعت علياً (رضي الله عنه) يقول: حجوا قبل لا تحجوا، فكأني انظر إلى الحبش فوق الكعبة بأيديهم معاول يهدمونها حجراً حجراً، قال: قلنا: أشيء تقوله برأيك ؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما سمعته الا من نبيكم (ﷺ)[٢٢٠].

الخاتمة:

تبين ان العلوم الاسلامية قد نشأت في الكوفة مع بداية حركات التحرير والفتوحات الاسلامية اذا اخذنا في نظر الاعتبار هجرة الصحابة للمشاركة في تلك الفتوحات وامتدت لتنتشر وتتوسع خلال خلافة امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام).

ان للكوفة دور فعال في ازدهار حركة العلوم الاسلامية مما ساهم على ازدهار علوم الحديث الامر الذي جعل الكثير من كبار العلماء وطلبة العلم يرحلون اليها في طلب الحديث، كما ان الكوفيين نشطوا في الرحلة لطلب الحديث ومن ثم نشره.

إن تأثير الامام علي (عليه السلام) كان تأثيراً واسعاً ، فكان له دور مباشر ومؤثر في ازدهار العلوم الاسلامية في مدينة الكوفة، ومن ثم انتقال هذا التأثير الى العديد من الحواضر الاسلامية الاخرى فكان ذلك التأثير واضح من خلال كل خطوة خطاها او عمل قام به، او كلمة نطق بها منارا للعالمين.

كان (عليه السلام) غزير العلم قوي الحافظة، وكان يجمع بين القضاء والفتوى أما علمه بكتاب الله وفهمه لأسراره ودقة معانيه فكان أعلم الصحابة (عليه السلام) بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل، وقد روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) فأكثر وروى عنه الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين رحمهم الله تعالى، وكان تفسير الإمام علي (عليه السلام) منهجياً فقد كان يفسر القرآن بالقرآن أولاً ما وجد إلى ذلك سبيلا ثم بالسنة ثم بالرأي الصحيح واللغة.لقد تبين لنا من خلال تفسيره لكتاب الله أنه كان يرجع إلى لغة العرب في تفسير كتاب الله لعلمه أن القرآن نزل بلغة العرب.لقد كان (عليه السلام) يقرأ بقراءات تعطي معنى جديداً في تفسير كتاب الله تعالى.

ومن الله التوفيق

الهوامش:

(١) مسلم، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٥)، حديث رقم ٢٤٠٨؛ الترمذي، السنن، ٦٦٣/٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات ٣٢-٣٣؛ ينظر: الطبري، جامع البيان، ١/ ٤٥٩- ٤٦٥؛ الثعالبي، الجواهر الحسان، ١/ ٤٦؛ أبن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٢٢٢-٢٢٥.

(٣) سورة يوسف، آية ٢٢.

(٤) الطبري، جامع البيان، ٢١/١٥.

(٥) سورة النمل، آية ١٥ – ١٦.

(٦) الطبري، جامع البيان، ١٩/ ٤٣٧؛ إبن كثير، تفسير القران العظيم، ١٨١/٦.

(٧) آل عمران، آية ٤٨.

(٨) سورة العلق، آية ١.

(٩) سورة القلم، آية ١.

(١٠) الطبري، جامع البيان، ٥٢١/٢٣؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٨٥/٨؛ السيوطي، الدر المنثور، ٢٤١/٨.

(١١) القشيري، تفسير القشيري، ١٨٠/٦؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٨٥/٨.

(١٢) القشيري، تفسير القشيري، ٥١/٢.

(١٣) سورة النساء، آية ١١٣.

(١٤) سورة الرعد، آية ٤٣.

(١٥) سورة العنكبوت، آية ٤٩.

(١٦) سورة النحل، آية ٤٣.

(١٧) شرف محمود محمد القضاة، مدرسة الحديث في الكوفة، (الاردن: ١٩٨٠)، ٧٢.

(١٨) زاهد الكوثري، فقه اهل العراق وحديثهم، مطبعة دار القلم، (بيروت: د.ت)، ٤٢.

(١٩) ابو عبد الله محمد بن منيع الزهري ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت:١٩٦٨)، ٤/٦.

(٢٠) الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، دار الفكر، (بيروت: د.ت)، ٥٦٠.

(٢١) ينظر: المصدر نفسه، ٥٥٩.

(٢٢) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، (بيروت: ١٣٩١هـ)، ١٣/١.

(٢٣) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، (بيروت: د.ت)، ٣٣٨/٣.

(٢٤) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، ١٤٣/١.

(٢٥) المحرر الوجيز، ٤١/١.

(٢٦) السيرة الحلبية، ٢٨٣/٢.

(٢٧) القسّي: هي ثياب يؤتى بها من مصر فيها حرير...، ينظر: العسكري، تصحيفات المحدثين، تحقيق: محمود أحمد، المطبعة العربية الحديثة (القاهرة – ١٤٠٢هـ) ١، ١٦٦.

(٢٨) المعصفر: المصبوغ بالعصفر، وهو صبغ معروف، عصفرت الثوب فتعصفر، ينظر: البعلي، المصطلح على الفاظ المقنع، ص٢١٣.

(٢٩) مسند الامام أحمد، ٤٧/٢؛ ٢٩١/٢؛ النسائي، سنن النسائي، ١٨٨/٢؛ ١٩١/٨.

(٣٠) الزرعي، التبيان، ٣٣٨/٣.

(٣١) جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على انباه النحاة، مؤسسة الكتب الثقافية، (بيروت : ١٩٦٨)، ٣٩/١–٤١.

(٣٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/١.

(٣٣) محمد بن مصطفى الشافعي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك (د.م: د.ت) ٢٥/١.

(٣٤) محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٩٥)، ٤٥٧/٢.

(٣٥)ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات في اصول الفقه، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، (بيروت : د.ت)، ٣٥١/٣.

(٣٦) أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، (بيروت : ١٣٩١)، ١٧٥/٢.

(٣٧) سورة الأنعام، آية ٨٢.

(٣٨) سورة لقمان، من الآية ١٣.

(٣٩) ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، (لبنان : ١٩٩٦)، ٩/٢.

(٤٠)علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد الفاضلي، دار صادر (بيروت : ١٩٨٨)، ١/١٨٠-١٨١.

(٤١)سورة التوبة، آية ٣.

(٤٢) محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، قواعد الفقه، الصدف ببلشرز، (كراتشي: ١٩٨٦)، ط١، ١/٤٦٧-٤٦٨.

(٤٣) سورة المائدة، من الآية ١.

(٤٤) سورة الحج، من الآية ٣٤.

(٤٥) سورة الأنعام، من الآية ١٤٢.

(٤٦) سورة الأنعام، من الآية ١٤٣، ومن الآية ١٤٤.

(٤٧) سورة المائدة، من الآية ٩٥.

(٤٨) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، (بيروت: ١٩٩٣)، ٣/١٩٢-١٩٣.

(٤٩) سورة الطور، آية ٥.

(٥٠) سورة الأنبياء، الآية ٣٢.

(٥١) تفسير الطبري، ١٨/٢٧.

(٥٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٥٣) سورة التوبة، من الآية ٣١.

(٥٤) البغوي، تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، (بيروت: د.ت)، ٤/٢٣٥.

(٥٥) سورة النساء، من الآية ١١.

(٥٦) سورة الحج، من الآية ٧٧.

(٥٧) الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله، فهم القرآن ومعانيه، تحقيق: حسن القوتلي، دار الفكر، (بيروت: ١٣٩٨)، ط٢، ١/٤٧٧-٤٧٨.

(٥٨) سورة الزمر، الآية ٦٥.

(٥٩) سورة الروم، الآية ٦٠.

(٦٠) الطبري، تفسير الطبري، ٢١/٥٩.

(٦١) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٤٠٥)، ط١، ص٢٨٠.

(٦٢) التعريفات، ص٢٩٢.

(٦٣) سورة الأحقاف، من الآية ١٥.

(٦٤) سورة البقرة، من الآية ٢٣٣.

(٦٥) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٠)، ط١، ١٠٢/٦.

(٦٦) سورة الإسراء، من الآية ٨٢.

(٦٧) سورة ق، من الآية ٩.

(٦٨) سورة النساء، الآية ٤.

(٦٩) سورة النحل، من الآية ٦٩.

(٧٠) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، (بيروت: ١٤٠١)، ٥٧٧/٢.

(٧١) سورة النساء، من الآية ١٤١.

(٧٢) سورة النساء، من الآية ١٤١.

(٧٣) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، (الرياض: ١٤١٠)، ط١، ١٧٥/١.

(٧٤) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٧٥) أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، (مصر: د.ت)، ١٣٠/٤.؛ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ٢٠٠/٤.

(٧٦) ينظر: التفسير والمفسرون، ٣٦/١.

(٧٧) سورة الفاتحة، الآية ٦.

(٧٨) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تفسير القرآن المعروف بتفسير بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، (صيدا: د.ت)، ٣٠/١.

(٧٩) سورة الحاقة، من الآية ١٢.

(٨٠) الطبري، تفسير الطبري، ٥٥/٢٩.

(٨١) سورة الحاقة، الآيات ٥، ٦، ٧.

(٨٢) الطبري، تفسير الطبري، ٢٢٣/٣٠؛ البغوي، تفسير البغوي، ٤٠١/٢.

(٨٣) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٨٤) سورة المائدة، من الآية ١٠١.

(٨٥) البغوي، تفسير البغوي، ٦٩/٢-٧٠.

(٨٦) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٨٧) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت: د.ت)، ١١٢/٤.

(٨٨) سورة الفجر، الآيات ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٨٩) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، (بيروت :١٩٩٣)، ٥١١/٨.

(٩٠) سورة آل عمران، الآية ٨١.

(٩١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٢٤٢/٣؛ الثعالبي، تفسير الثعالبي، ٢٨٤/١.

(٩٢) سورة مريم، الآية ٨٥.

(٩٣) تفسير ابن كثير، ٢٤٢/٣.

(٩٤) سورة إبراهيم، الآية ٤٨.

(٩٥) البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الفكر، (بيروت: د.م)، ٣٥٦/٣.

(٩٦) سورة يونس، الآية ٢٦.

(٩٧) تفسير ابن أبي حاتم، ١٩٤٥/٦.

(٩٨) البخاري، صحيح البخاري، ٥٣/١.

(٩٩) سورة البقرة، من الآية ١٠٥.

(١٠٠) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، (القاهرة: د.ت)، ٦١/٢.

(١٠١) سورة البقرة، من الآية ١٥٠.

(١٠٢) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٤٢٨/١.

(١٠٣) سورة آل عمران، الآية ٩١.

(١٠٤) ينظر: الغوي، تفسير البغوي، ٣٨٥/١.

(١٠٥) سورة النساء، الآية ٣١.

(١٠٦) سورة الكهف، الآية ٤٦.

(١٠٧) البغوي، تفسير البغوي، ١٦٤/٣.

(١٠٨) سورة الرعد، من الآية ١٤.

(١٠٩) الطبري، تفسير الطبري، ١٢٩/١٣.

(١١٠) سورة المدثر، الآية ٣٨، ٣٩.

(١١١) الثعالبي، تفسير الثعالبي، ١٠٥/١.

(١١٢) سورة ص، الآية ٢٠.

(١١٣) البغوي، تفسير البغوي، ٥٢/٤.

(١١٤) شرف محمود محمد القضاة، مدرسة الحديث، ٤٧.

(١١٥) شرف محمود محمد القضاة، مدرسة الكوفة، ٤٩.

(١١٦) للمزيد ينظر: عبد الوهاب خلاف، علم اصول الفقه، دار القلم، ١٦ وما بعدها؛ القضاة، مدرسة الكوفة، ٤٩.

(١١٧) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(١١٨) سورة يوسف، الآية ٢.

(١١٩) سورة الزمر، الآية ٢٨.

(١٢٠) سورة فصلت، الآية ٣.

(١٢١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦)، ١٨/١.

(١٢٢) ينظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، (المملكة العربية السعودية: ١٤٢٢هـ)، ط١، ٤٠-٥٧.

(١٢٣) الموافقات: ٨١/٢-٨٢.

(١٢٤) سورة الرعد، الآية ١٢.

(١٢٥) تفسير البغوي، ١٠/٣.

(١٢٦) سورة الرعد، الآية ١٣.

(١٢٧) تفسير الطبري، ١٢٧/١٣؛ القرطبي، تفسير جامع أحكام القرآن، ٢٩٩/٩؛ البغوي، تفسير البغوي، ١١/٣.

(١٢٨) سورة الذاريات، الآيات ٢، ٣، ٤.

(١٢٩) الطبري، تفسير الطبري، ١٨٧/٢٦.

(١٣٠) سورة الواقعة، الآية ٢٩.

(١٣١) الطبري، تفسير الطبري، ١٨١/٢٧.

(١٣٢) سورة المرسلات، الآية ٢.

(١٣٣) البري، تفسير الطبري، ٢٣٠/٢٩.

(١٣٤) سورة التكوير، الآيتان ١٥، ١٦.

(١٣٥) تفسير الطبري، ٧٤/٣٠.

(١٣٦) سورة القيامة، الآية ١٧.

(١٣٧) ينظر: لسان العرب، ١٢٨/١.

(١٣٨) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، (لبنان: ١٤١٩هـ)، ط١، ٦/١.

(١٣٩) ينظر: شعبان محمد إسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، السنة الثانية، ١٤٠٢هـ شوال ١٩، ٢٢.

(١٤٠) بدر الدين محمد بن عبد الله بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مطابع النصر الحديثة، (الرياض : د.ت)، ٣٩٥/١.

(١٤١) ابن الجزري، منجد المقرئين، ٣.

(١٤٢) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، (دمشق : ٢٠٠٤)، ١٢٧٦

(١٤٣) البخاري ، صحيح البخاري، ١٢٧٦.

(١٤٤) ينظر ابن الباذش، الإقناع، ٥٥/١.

(١٤٥) للمزيد ينظر: أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، كتب هوامشه وصححه مجموعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت :١٤٠٤هـ)، ١٦.

(١٤٦) ابن الباذش، الإقناع، ١٣٨/١-١٣٩؛ ابن الجزري، تحبير التيسير، ١٦.

(١٤٧) ابو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي (بيروت: ١٩٨٠)، ٢٨/٢.

(١٤٨) علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ١٤٠٩هـ)، ٢٨٨/٢، رقم الحديث ٤٠٤٥.

(١٤٩)ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ١٠٩/٤.

(١٥٠) سورة البقرة، الآية ٢٣٤.

(١٥١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، (مكة المكرمة: ١٤٠٩هـ)، ط١، ٢٢٢/١.

(١٥٢) سورة البقرة، من الآية ٢٥٨.

(١٥٣) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجملمعاني، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠١)، ط١، ٢٩٧/٢.

(١٥٤) سورة الأنفال، الآية ٢٥.

(١٥٥) تفسير الثعالبي، ٩٢/٢.

(١٥٦) سورة الرعد، من الآية ٣١.

(١٥٧) تفسير الثعالبي، ٢٧٢/٢.

(١٥٨) سورة الكهف، الآية ١٠٢.
(١٥٩) تفسير الثعالبي، ٣٩٧/٢.
(١٦٠) سورة محمد، الآية ٢٢.
(١٦١) إعراب القرآن، ١٨٧/٤.
(١٦٢) سورة المطففين، الآية ٢٦.
(١٦٣) إعراب القرآن، ١٨١/٥.
(١٦٤) محمد بن أبي بكر الانصاري، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، تحقيق: محمد التونجي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت: ١٤٠٢هـ)، ٧٤.
(١٦٥) ابن عبد البر يوسف القرطي، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٥)، ٢٠٧/٣؛ ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، ٨٧/٤؛ محمد بن أبي بكر بن عبد الله البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تحقيق: محمد التونجي وآخرون، دار الرفاعي، (الرياض: ١٩٨٣) ٢٣٩/٢.
(١٦٦) سورة الحشر، من الآية ٧.
(١٦٧) سورة الاحزاب، الآية / ٢١
(١٦٨) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١ / ٤٦.
(١٦٩) ينظر: معرفة علوم الحديث، ٦٠، ١٤١.
(١٧٠) ينظر: المحدث الفاصل، ٥٤٥؛ معرفة علوم الحديث، ٦٠.
(١٧١) مدرسة الكوفة، ٣٧٢.
(١٧٢) المحدث الفاصل، ١٨٦-١٨٧؛ الكفاية، ١٠٣؛ الالماع، ٦٥.
(١٧٣) ينظر: المحدث الفاصل، ١٨٧؛ الكفاية ١٠٤.
(١٧٤) تدريب الراوي، ٥/٢.
(١٧٥) الكفاية، ١٠٤؛ تدريب الراوي ٥/٢.
(١٧٦) ينظر: الكفاية، ١١٥..
(١٧٧) الترمذي، السنن، ٥/ ٣٤.
(١٧٨) محمد بن عبد الله الحاكم، معرفة علوم الحديث، المكتب التجاري، (بيروت: ١٩٨٢)، ٦٦.
(١٧٩) فقه اهل العراق، ٤٠١.
(١٨٠) المحدث الفاصل، ٥٦٠

(١٨١) ينظر: عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، مطبعة العاصمة، ٢٥١؛ اسماعيل بن عمر ابن كثير، اختصار علوم الحديث، مطبعة محمد علي صبيح، (مصر: د. ت)، ١٥٧.

(١٨٢) ينظر: مقدمة ابن الصلاح، ٢٥٢؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تدريب الراوي، مطبعة السعادة،(مصر: ١٩٨٤)، ١٤٤/٢.

(١٨٣) احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، مطبعة السعادة، (مصر: ١٩٦٨)، ٣٩٩.

(١٨٤) تذكرة الحفاظ، ١٢/١؛ تدريب الراوي ١٣٨/٢.

(١٨٥) إبن عبد البر، جامع بيان العلم وفضلهِ، ٤٦/١.

(١٨٦) اشرف القضاة، مدرسة الكوفة،٣٧٣.

(١٨٧) المصدر نفسه، ٣٧٣

(١٨٨) ابن سعد الطبقات الكبرى، ٦/ ٢٧٦.

(١٨٩) المُشَامة: المُفاعلة من شامَمتُهُ، إذا قاربته ودنوتُ منهُ، ينظر: إبن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٧٥/٣.

(١٩٠) للمزيد والاطلاع ينظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار النصر للطباعة، ٣٧١/١، ٢٣٠، ١٩٧/٢، ٢٦٥، ١٩١/٣؛ أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، (القاهرة: ١٩٨٠)، ٤٦/٤، ١٢٤، ٢١٤، ٢٩٦، ١٤/٥، ١٩٩، ٢٢٨، ٣٨٨/٦، ٢٤٠، ٣٢٤، ٤٥/٧.

(١٩١) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، السنن، تحقيق: أحمد محمد شكر، (بيروت: د.ت)، ٦٣٧/٥؛ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الفكر،(د.م: ١٣٩٨هـ)، ١٢٦/٣؛ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (بيروت: د.ت)، ٣٧٧/٢؛ رشيد الدين المازندراني، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: هاشم الحملاني، منشورات مكتبة العلامة، (قم: د.ت)، ٤٢/٢؛ محمد بن عبد الله ابو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٩٩٠م)،٣ /١٣٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد،١١٤/٩. ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،٥٠/١.

(١٩٢) ينظر: أسد الغابة، ١٠٨/٤-١٠٩.

(١٩٣) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، (لبنان: ١٩٩٦)، ط١، ١٥/٢.

(١٩٤) ينظر: أسد الغابة، ١٠٨/٤-١٠٩.

(١٩٥) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٤٠٥هـ)، ط٤، ٦٨/١؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، (لبنان: ١٩٩٦)، ط١، ٤٩٢/٢.

(١٩٦) يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ١٩٨٠)، ط١، ٤٨٧/٢٠؛ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تهذيب التهذيب، دار الفكر، (بيروت: ١٩٨٤)، ط١، ٢٩٧/٧.

(١٩٧)لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ٣٦٤.

(١٩٨)البري، الجوهرة في نسب النبي، ج٢، ص٢٣٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص١٧٩؛ محب الدين الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ص٧٨.

(١٩٩) ابي اسحاق الثقفي، الغارات، ١٣١/١.

(٢٠٠) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ٤٩٧/٣٣.

(٢٠١) جعفر النقدي، الانوار العلوية والاسرار المرتضوية، ١٢٧.

(٢٠٢)جعفر النقدي، الانوار العلوية والاسرار المرتضوية، ٣٦٤.

(٢٠٣) عباس القمي، الفصول العلية في بيان مناقب وفضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ترجمة وتحقيق: مصطفى علي، دار المحبة البيضاء، (بيروت: ١٩٩٥)، ٦٢-٦٣.

(٢٠٤) عبد الواحد الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ج٤، الحكمة ٦١٩٩.

(٢٠٥) ابي محمد بن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١٧١/١.

(٢٠٦) ابي العباس احمد الاسدي، عدة الداعي ونجاة الساعي، تحقيق: احمد الموحدي، مكتبة وجداني للطبع والنشر،(طهران: د.ت)، ١٠١.

(*) الحارث الهمداني: الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمداني وهو الحارث الاعور صاحب أمير المؤمنين وله قول في الفتيا. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، طبعة قم،٤٢/١٨.

(٢٠٧)ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤١/١٨.

(٢٠٨) مدرسة الكوفة، ١٣٨.

(٢٠٩) المصنف في الاحاديث والاثار،٢٩/٦.

(٢١٠) سنن ابن ماجة، ٢٢٤/١؛ أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ٣١٢/١؛ البزار، مسند البزار، ١٨١/٢.

(٢١١) سنن أبي داود، ١٣٧/١.

(٢١٢) رجال صحيح البخاري، ١٨٨/١؛ ابنمنجوية، رجال صحيح مسلم، ١٧٠/١.

(٢١٣) المزي، تهذيب الكمال، ٢٣٦/٥؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٤٣/٢؛ الاصابة في تمييز الصحابة، ١٣٥/٢.

(٢١٤) يعسوب الدين: سيد الناس في الدين يومئذ. ينظر: ابن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار احياء التراث (بيروت: ٢٠٠١)، ٦٨/٢.

(٢١٥) لم اعثر على ترجمته.

(٢١٦) المصنف في الاحاديث والاثار، ٤٥٢/٧؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد، مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٩٨٣) ٦٦٠/٢؛ عبيد الله بن محمد بن محمد ابن بطة، الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا نعسان، دار الراية (الرياض: ١٩٨٨) ١٧٨/١- ١٧٩.

(٢١٧) الدباء: القرع، واحدها دباءة وكان يستنبذون فتسرع شدة في الشرب، ينظر: المبارك بن محمد بن محمد ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: طاهر أحمد و محمود محمد، المكتبة العلمية (بيروت: ١٩٧٩)، ٩٦/٢.

(٢١٨) المزفت:أي المطلي وهو نوع من القار.، ينظر: الشوكاني، نيل الاوطار،٢١/٨.

(٢١٩) البخاري، صحيح البخاري، ١٠٧/٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ١٥٧٨/٣؛ النسائي، السنن الكبرى، ٨٧/٥؛ ، يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم أبو عوانه الاسفراييني ، مستخرج ابن عوانه، تحقيق: ايمن عارف، دار المعرفة (بيروت: ١٩٨٨)، ١١٩/٥؛ الطحاوي، شرح معاني الاثار، ١٣٠/٤؛ أبو نعيم الاصفهاني، حلية الاولياء، ١٣٠/٤؛ العيني، عمدة القاري، ١٧٩/٢١.

(٢٢٠) محمد بن اسحاق بن العباس، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله، دار خضر، ط٢ (بيروت: ١٤١٤هـ)، ٣٦١/١؛ النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ٦١٧/١؛ الخركوشي، شرف المصطفى، ٢٧٠/٢؛ المستغفري، دلائل النبوة، ٤٥٢/١؛ أبو نعيم الاصفهاني، حلية الاولياء، ١٣١/٤؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٥٥٦/٤.